

مجلة

كلية الآداب

العام الجامعي ١٩٩٥/٩٤

المجلد الثاني والأربعين

- موضوعات الشعر ودبران عابر سبيل د. سعاد عبد الوهاب
إيران في عصر البعثيين والكيانيين بين
المعمودي والفردوسي د. سميرة عبد السلام عاشور
رؤية نقدية لمقامات بديع الزمان الهمذاني د. نسيمة الفيث
حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز د. أحمد محمود صابون
التوازن واللاتوازن الإقليمي - دراسة جغرافية
تطبيقية علي مدينة رابغ د. أسامة رشاد جستنبة
الجفاف وتأثيراته الايكولوجية في الوطن العربي د. عبد الله رمضان عبد الله الكنزوي
اللويس والسلفيون في التراث الكلاسيكي القديم د. حسين الشيخ
الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضره جانبي من
خلال فكره السياسي والديني د. سلوي محمود نصر
الأدوات الطبية في مصر في العصرين اليوناني
والروماني د. عثايات محمد أحمد
التطهير أم المتعة د. ليلى محمد عبد النعم
أحوال برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطي
(٢٨٤ - ٤٥٥ م) د. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة
أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة
المغربية بفاس د. صال عبد النعم جاد الله
ضروس الشاطئ - توزيعها ، تصنيفها ، نشأتها د. فتحى عبد العزيز ابو راضي
Dr. Mona Haggag A Composite Sphinx From Karanis

موضوعات الشعر وحيوان عابر سبيل

دكتورة / سعاد عبد الوهاب
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الكويت

موضوعات الشعر

وديوان عابر سبيل

١ - مقدمة :

صدر ديوان " عابر سبيل " عام ١٩٢٧ م . وقدم له صاحبه : عباس محمود العقاد بمقدمة قصيرة ، تحت عنوان " الموضوعات الشعرية " ، وحاول أن يشرح فيها بواعثه لصنع هذا الديوان ، وما تميز به من تناول المشاهدات العادية ، والعلاقات والأنشطة اليومية التي يصادفها ، أو يمارسها ، الفرد في حركته المألوفة ، وكان هدف هذه المقدمة ، أن تقنعنا بأن أى موضوع قابل لأن يكون شعراً ، وأن يرتفع إلى " عاطفية " الشعر وتأثيره ، إذا تهيأ له الشاعر الذى يملك المهبة القوية ، فكانما أراد العقاد أن يقول إن " الشعر " فى نفس الشاعر ، وليس فى موضوع القصيدة .

لم يكن " عابر سبيل " أول ديوان العقاد بل لم يكن من أشعاره المبكرة ، فقد صدر وقد قارب العقاد الخمسين من العمر (ولد العقاد عام ١٨٨٩ وتوفى عام ١٩٦٤ م) وهذا يعنى أن " عابرسبيل " مسبق بالنواوين : " يقظة الصباح " (١٩١٦ م) - " وهج الظهيرة " (١٩١٧ م) - " أشباح الاصيل " (١٩٢١ م) - " أشجان الليل " (١٩٢٨ م) - " وحى الأربعين " (١٩٣٢ م) - " هدية الكروان " (١٩٣٣ م) ثم يأتى ديوان " عابر سبيل " تعقبه النواوين : أعاصير مغرب ، بعد الأعاصير ، ما بعد البعد !!

وكما هى " عادة " العقاد فإنه حرص على كتابة مقدمات لنواوينه يشرح

فيها آراءه النقدية ومنهجه في الشعر ، وكان من قبل قد كتب - بالاشتراك مع إبراهيم عبد القادر المازني - كتاب " الديوان " - (١٩٢١م) في جزئين ، تصدّى فيه بالنقد ، المستهين الجارح أحياناً ، لشوقي وشعره عامة ، وبعض قصائده بالتحديد . مما يدل علي أن العقاد حين صدر له ديوان " عابر سبيل " كان قد أوضح طريقته في الشعر ، عملياً ، من خلال ستة دواوين ، كما حدد مفاهيمه النقدية ، وأصول أفكاره في عدد من الكتب التي تكونت مادتها من تجميع مقالاته في الصحف ، وفي مقدمتها : مطالعات في الكتب والحياة (١٩٢٤م) ودراسات أخرى من أهمها كتاب " الديوان " في جزئيه .

لقد ظلت شاعرية العقاد محل أخذ ورد ، ولكن أفكاره النقدية كانت محل إعجاب دائماً . فهنا يفصل العقاد الشاعر عن العقاد المفكر ، المنظر ، الناقد . فإذا تحمس له مريدوه وتلاميذه ، ورأوا في شعره تجديداً وقوة وإبهاراً ، فقد رأى آخرون أن شعره - كما كان يقول القدماء - ناضب الماء قليل الرونق ، أو كما نقول اليوم : شعر جاف ، ينطوي علي فكر ، ويخضع لتصميم إرادي ، ويستجلب ألفاظاً وتراكيب رصوراً مستحدثة ، ولكنه لا يثير الوجدان ، ولا يصل إلي هزة الانفعال ، لا نشعر - حين نقرأه - بعنفوان الموهبة الفطرية ، ومبادرات الصدق النفسي الذي لا يمر علي رقابة العقل والوعي والإرادة . أما العقاد الناقد فإنه لم يختلف عليه أحد ، أو لنقل إن الخلاف محدود جداً ، مردود غالباً ، فالعقاد أحد عمد مدرسة الديوان (مع شكري والمازني) وهو الذي استمر أميناً علي مبادئ هذه المدرسة بعد أن انفصل شكري عن رفيقيه وأزم الصمت ، وبعد أن اتجه المازني إلي الصحافة والكتابة الفنية (النثرية) وتوقف - إلا قليلاً - عن إبداع الشعر والدفاع عن قضيته .

أما مدرسة الديوان فإنها أول من تصدّى بالحجة والوعى والإصرار لمدرسة "الإحياء" التي بدأها البارودي ، وبلغ بها أحمد شوقي ذروة استطاعتها في مجال التجديد البياني .

كانت "مدرسة الديوان" انقلاباً في مفاهيم الإبداع والنقد ، وبصفة خاصة فيما يتعلق بالشعر . ومن بعدها نشطت جماعة أبولو - التي أسسها الدكتور أحمد زكي أبو شادي (١٩٣٢م) واستثمرت كثيراً من دعواتها ومبادئها ، ولكن جماعة أبولو كانت "جماعة" واسعة الإطار وإن اجتمع شعراؤها تحت شعارات ومبادئ متقاربة . أما الديوان فكان "مدرسة" بكل ما يحمل المصطلح من التحدد والوضوح والتكامل بين المبادئ .

إننا لا نستطيع - في حدود هذه المقالة المختصرة - أن نتوقف عند مبادئ مدرسة الديوان ، ومفهوم الشعر كما طرحته ، والعودة إلى المصادر المشار إليها سابقاً ، ميسرة ، ونري من واجبنا أن نوجه الاهتمام إلى "عابر سبيل" فهو الذي لفت الاهتمام ، وأثار الحوار النقدي المثمر ، باعتباره منهجاً ، أو مطلباً جديداً ، في حركة الشعر العربي الحديث .

لقد تفرقت جماعة أبولو ، وتوقفت مجلتها بعد هامين من إعلان تأسيسها (١٩٣٤م) وإن يكن أثرها ممتداً ، ربما إلى اليوم ، غير أن صدور "عابر سبيل" في هذه "السكّة" التي أعقبت انفضاض الجماعة ، كأنما قصد به إزاحة الغبار ، أو الركام ، وفتح طريق آخر لتجديد ، وتنشيط الشعر العربي الحديث ، هذا الرأي الذي نقول به ، وهذه المقالة القصيرة تتجه إلى توضيحه ، ولعلها تتمكن من تنوير هذه النقطة المحدودة ، المهمة في نفس الوقت .

لقد تصدى لمناقشة "عابر سبيل" تحديدًا ، ناقدان من كبار نقادنا :
الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، وتصدي لشرح وإعلان
شاعرية العقاد مريدان شديدا الإعجاب بأستاذهما العقاد : الدكتور زكي
نجيب محمود ، والدكتور عبد الحى دياب ، وستكون لنا وقفة معهما ، من خلال
ما كتبنا عن ديوان "عابر سبيل" وليس ما كتبنا عن شاعرية العقاد أو شعره
برجاء عام ، ما دمنا نرى أن هذا الديوان له منهجه المنفرد ، ودعوته الخاصة .
ومن المهم أن نوضح هل تضمنت أشعار العقاد السابقة علي "عابر سبيل"
شيئاً مما دعا إليه فيه ، يمكن أن نعتبره "البذرة الأولى" التي نمت وتفرعت
وأعلنت عن نفسها بقوة في "عابر سبيل" ؟ أم أن عوامل مستجدة ، لعل
العقاد نفسه لم يفكر فيها من قبل ، هي التي قادته إلى ما أعلن في تقديمه
لهذا الديوان ؟ ولعلنا نمهد لهذا كله بوقفة قصيرة ، مع النقد العربي القديم ،
نحاول أن نرى إلى أى مدى كان يبدي اهتماماً بموضوعات الشعر ، أو
موضوع القصيدة ، وهل كان يدخله في اعتباره وهو يُقيّمها ، أم كانت نظرته
جمالية خالصة ؟ وقد نعقب علي تعرفنا علي الديوان بالإشارة الموجزة إلي أثر
دعوته فيما جاء بعده من شعر والله الموفق إلى سواء السبيل .

جرى عرف الباحثين في الشعر أن يتخنوا من آراء أفلاطون نقطة بداية ، ولكن الرأي المثير قبولاً أو رفضاً يكون عادة رأى تلميذه ، ونقيضه أرسطو ، الذي اعتمد على الوظيفة الاجتماعية للفن (الشعر بصفة خاصة) كما غلب التجريب والإحصاء علي منهجه . وبالنسبة للموضوع القابل للتناول الشعري ، (وهو ما نهتم به هنا من خلال ديوان " عابر سبيل " وما أثاره العقاد حوله) ، لن تكون لأفلاطون فرصة في توجيه القضية : ذلك لأنه تمسك واحتج وبرهن على صحة الأصل الغيبي للشعر ، فالشاعر ملهم ، وملهمته الإلهة موس ، تفيض عليه ما يجب أن يبلغه إلي الناس ، فهو بهذا مجرد وسيلة ، بدوره لا يتجاوز التوصيل ، وإن لم يجرده أفلاطون من " خصوصية " الاستعداد ، فالشاعر - دون غيره من الناس - هو القادر علي توصيل القوة المغناطيسية من مصدرها الإلهي ، إلي المتلقي العادي من جمهور الشعر (١) .

أما أرسطو فإن آراءه أكثر تشعباً ، وأكثر قرباً من الإدراك الإنساني ، لأنها تعتمد علي الملاحظة ، والتجريب واستخلاص القواعد العامة من الظواهر السائدة لدي شعراء عصره . إن كتاب " الشعر " لأرسطو هو المصدر الأول ، الموثق ، الذي نستمد منه أفكار هذا الفيلسوف ذي النزعة الاجتماعية العلمية . ونحن نعرف أن أرسطو - مستنداً إلي هذه النزعة الاجتماعية ذاتها - اهتم بالشعر المسرحي ، بل إنه حين يطلق لفظ " الشعر " يعني الشعر المسرحي بصفة خاصة ، فإذا أراد فنوناً شعرية أخرى فإنه ينص علي ذلك . ومع أن أحكام أرسطو وتوجيهاته للشعراء يقصد بها شعراء المسرح أولاً ، وربما دون غيرهم ، فإن البحث عن مواضع اهتمام بموضوع

وسارت المطى في الأبطح (١٠) * !!

إننا نعرف الآن أن هذه الأبيات الثلاثة قد وجدت رد اعتبارها عند ابن جنى (١١) ، ثم عند عبد القاهر (١٢) ، وقد قدراً طرافة الصياغة ، وجمال التصوير ، ولكن ابن قتيبة - وهذا ما نرجحه - لم يهتم بالصياغة أو التصوير ، حين غلب عليه - استجابة لثقافته الخاصة - الشعور بأن "الموضوع" نفسه تافه ، لا يستحق ، بل سخي ، لا يجوز أن يهدر فيه الشاعر طاقته الإبداعية ، فما أهمية أن هؤلاء الحجيج انتهوا من طرافهم ، ثم ركبوا إبلهم عاندين إلى بلادهم ؟!

لعل هذه إشارة مبكرة ، ضمنية ، إلى أن "موضوع القصيدة" يدخل في أساس الحكم عليها ، وليست صياغتها أو ما فيها من طرافة أو جدة ، هي التي تحلها في مكانها من الاهتمام . ويتأكد هذا حين نجد فن المديح يتصدر اهتمام الشعراء ، والنقاد أيضاً ، ذلك لأن موضوعه عظماء الرجال ، وما ترحى به شخصياتهم ، وأعمالهم العظيمة .

إن قدامة بن جعفر لم يخرج عن الاهتمام بفن المديح وإعطائه الصدارة بين موضوعات الشعر ، لكنه يقدم إضافتين مهمتين بالنسبة لما نحن بصدد : أنه وضع مواصفات لمدح طوائف من الناس لا ترتفع إلى مستوى العظمة ، بل قد تلاحقهم المثالب والعيوب ، وأنه أعطى الحق للشاعر في أن يتطرق إلى ما يشاء من موضوعات لم يحظر عليه معني ، ولم يضع قيداً من الخلق أو الدين ، فبعد أن وضع الشروط العامة للمدح وأنه إنما يكون بالفضائل النفسية (١٣) ، يتدرج في وضع الحدود الخاصة لمدح كل طائفة ، بادئاً بمدح الملوك فمدح نوبي الصناعات من الوزراء والكتّاب ، فمدح القائد ، إلى

أن يصل إلي مدح السوق ، ومنهم - كما يقول : المتعيشون بأصناف الحرف وضروب المكاسد ، والصعاليك ، والخراب ، والمقلصة ، ومن جري مجراهم (١٤) . إن قدامة بن جعفر لم يهتم بتفسير التناقض بين الحرص علي الكمال النفسي في صفات المملوح ، والترسيع في أصناف المملوحين حتى لا يدخل فيهم الفثاك واللصوص !! لكنه - على أى حال - قد انتهى إلي إمكان أن يكون الإنسان العادى ، من أرباب الحرف والصنائع موضوعاً للفن الشعر ، وهذه إضافة لم يسبق إليها .

أما الإشارة الأخرى التى تتعلق بمعاني الشعر فإنها تتسع لأمرين : إباحة كل المعاني للشاعر ، وأن " له أن يتكلم منها فيما أحب وأثر ، من غير أن يحظر عليه معنى يردم الكلام فيه ، إذ كانت المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية ، والشعر فيها كالصورة (١٥) " وإذن فإنه ألغى الفرق بين المعاني الحميدة ، والمعاني الذميمة ، . بين جعل التمييز بينها يرجع إلي جودة التصوير . ويتصل هذا بالأمر الآخر ، فإنه حين فاضل بين الاكتفاء بالحد الأوسط ، والمبالغة ، في إيراد المعانى ، أخذ جانب المبالغة ، إذ قال : " والخلو عندي أجود المذهبين ، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديماً ، وقد بلغني عن بعضهم أنه قال : أحسن الشعر أكذبه (١٦) " ونمضي عن قدامة إلي الحسن بن بشر الأمدي ، لنرى كيف أقام الأساس العادل لإجراء موازناته بين الطائيين ، في قوله : " ثم أوازن من شعريهما بين قصيدة وقصيدة ، إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم بين معني ومعني ، فإن محاسنهما تظهر في تضاعيف ذلك ، وتتكشف " (١٧) . إن هذا الحرص علي اتفاق النصين موضع الموازنة في الإيقاع (الوزن والقافية وإعراب القافية) هو تأكيد لأهمية " الشكل " ، كما أن ضرورة اتفاق النصين

في " المعنى " هو تأكيد لكون المعنى ، الموضوع ، عاملاً حاسماً في إعانة مقدرة الشاعر علي الإجابة ، واعتراف بتفاوت قدرات الشعراء تجاه الموضوعات المختلفة . وهنا نتذكر أن الأمدى لم يستطع فيما أجري من موازنات أن يلتزم بالشرط الأول ، وهو الاتفاق في الوزن والقافية وإعراب القافية ، ولكنه وجد العون ، كما تمسك بالشرط الثاني ، وحدة الموضوع (١٨) .

ويذكر حازم القرطاجني صاحب " منهاج البلغاء وسراج الأدباء " في مقدمة النقاد العرب المتأثرين بأرسطو وكتابه " الشعر " خاصة ، وشرح الفلاسفة العرب ، واختصاراتهم له ، ويتأكد هذا بحرصه علي إقامة فن الشعر علي " المحاكاة " ولكنه يتطرق إلي أمور أو اجتهادات ، تستحق أن نذكرها ، وإن كنا نفضل في هذه اللوحة السريعة أن نورد مراده بأسلوب عصري يفني بالعرض . إذ ينقل عنه الدكتور إحسان عباس قوله إن المحاكاة ليست دائماً علي درجة واحدة من التأثير . وإنما يكون تأثيرها مساوياً لمقدار الإبداع فيها ، ومحددأ بحسب استعداد النفس لقبولها ، والاستعداد النفسي يعني حالة معينة تكون فيها النفس مستعدة لتقبل محاكاة ملائمة لتلك الحالة . ثم يطرح القرطاجني سؤالاً مهماً ودقيقاً : لماذا لا يكون التذاذ الناس بالشئ المحكى نفسه أكثر من التذاذهم بالمحاكاة نفسها ؟ يشرح إحسان عباس هذا السؤال بقوله : لم لا تكون اللذة الحادثة من رؤية امرأة جميلة أكبر بكثير من رؤية تمثال فني لتلك المرأة (١٩) ؟

وهنا نفضل أن نقبض إجابة حازم القرطاجني بنصها إذ يقول :
" وأنتم تقولون إن الأقاويل الشعرية ربما كان التحرك لما يتخيل من محاكاتها أشد من التحريك لمشاهدة الشئ الذي حوكى ، وابتهاج النفس بما تتخيله من

ذلك فوق ابتهاجها بمشاهدة المخیل . فيقال له أولاً : إن الدمية والشخص الذي صورت علي صورته يختلف اعتبارهما في تحريك النفوس ، فالدمية تحركها بالتعجيب من حُسن محاكاتها وإبداع الصنعة في تقديرها علي ما حكى بها ، والشخص الذي هو تمثال له إن كان مستحسنًا فإنه يحرك النفوس بالصباية إلي حسنه وما يتعلق به من أرب ، إذا كانت الدمية صورة جارية مثلاً ، فربما كان تحريك الدمية من طريق التعجيب أكثر من تحريك الذي هو تمثال له من هذا الطريق ... والتعجيب في القول المخیل يكون إما من جهة إبداع محاكاة الشيء المحاكى من الأشياء المستقرية ، والأمور المستطرفة ، وإذا وقع التعجيب من الجهتين المذكورتين علي أتم ما من شأنه أن يوجد فيهما ، فتلك الغاية القصوى من التعجيب . وللنفوس إلي ما بلغ هذه الغاية تحريك شديد (٢٠) وهذا القول لحازم مهم جداً ، ولا ينقص من أهميته أنه يستند إلي أقوال أرسطو في نفس المعنى والاتجاه ، لكن القرطاجني أضاف وضوحاً وحجة وتعليلاً ، حين فسر أسباب ازدياد اللذة الفنية بالمحاكاة ، عن اللذة المباشرة بمشاهدة أو إدراك الشيء الذي يحاكيه الشاعر أو الممثل ، وتشعر من عبارته أن تمثال المرأة الجميلة - في حدود المثل الذي يسطر به إحسان عباس هذه المسألة - يثير اللذة ، لكنها هنا أقرب إلي " المنفعة " ، نستخلص هذا من إشارته إلي تحرك النفوس بالصباية إلي حسنه وما يتعلق لها به من أرب " إن " الأرب " في الجمال " الفني " ، واللذة بالمشاهدة ، أو بالسماع ... إلخ ، أما الأرب في الجمال الأنثوي الحي فمعناه أو مطلبه يختلف عند من يشغف به . وهذا هو معنى " التعجيب " في المحاكاة الفنية ، فإن إثارة الدهشة في المتلقي تأتي من جهات شتى ، ليس منها المنفعة ، أو الإفادة المادية المباشرة ، إنها تكون في النسب ، والدقة ،

والألوان ، والأصوات ، وتحريك النفس بإيقاظ مخزنها من التجارب والمشاهدات ، وإثارة أشواقها إلى الجمال الطبيعي ، وما إلى ذلك .

نستطيع أن ننتهي إلى عدة مبادئ عرفها نقادنا القدامى ، تتصل بموضوعات الشعر ، نون أن تطرح الموضوع بشكل محدد مباشر ، فقد كان موضوع الأبيات داخلياً في الحكم بقيمتها عند ابن قتيبة ، ومؤذناً بإجراء الموازنة عند الأمدى ، ومباحاً بغير حد عند قدامة بن جعفر ، وإتقان المحاكاة وتجاوز " الأصل " في إثارة اللذة هو الأساس عند حازم ، استناداً إلى أرسطو ونظريته في العلاقة بين الأشياء في ذاتها ، والأشياء من خلال المحاكاة . أما في النقد الحديث فقد أثيرت قضية " موضوعات الشعر " من زوايا متعددة ، تتعلق بفهم الشعر ، وبالشعر التعليمي ، ورسالة الأدب الاجتماعية ، وبقضية الالتزام ، وهذه مباحث واسعة جداً ، يحتاج كل منها إلى عناية خاصة ، وسنجد أنفسنا بحاجة إلى وقفة أو أكثر مع بعضها حين نعرض لحجج العقاد في " عابر سبيل " ومناقشة بعض النقاد له . لكننا نشير الآن - باختصار شديد - إلى عنصر " الأهمية " في موضوع الشعر .

فالقدر المتفق عليه بين النقاد في العصر الحديث أن الإبداع الأدبي لا يستحق وصفه إلا إذا أثار الاهتمام وأثر في الروح ، وأحدث تغييراً في الشاعر (٢١)

ومع أن المدرسة الجمالية - بدءاً من الفيلسوف الإيطالي بنديتو كروتشه رأت الفصل بين القيم الجمالية في الفن عما عداها ، فإن " موضوع القصيدة " تراجع التعويل عليه أو الاهتمام به ولكن لم يتم إلغاؤه ، حتى عند العبثيين ، إن العبث - عندهم - معنى ، وفلسفة ، إنه ليس شكلاً ، أو علاقات لغوية وحسب ، إنه هدف ، وموضوع ، أيضاً .

٢ - عابر سبيل : الدعوى والدليل :

من حق العقد أن يعرض دعواه ، وأن يقدم أدلته (العملية) عليها .
وقد أشرنا سابقاً أن ديوان " عابر سبيل " صدر عام ١٩٣٧م ، تصدره
مقدمة تشرح الدعوى ، وتقدم الأدلة " النظرية " علي صحتها ، ثم جاءت
القصائد لتكون تطبيقاً أو أدلة عملية . كتب العقد مقدمته تحت عنوان "
الموضوعات الشعرية " ، وبدؤها بأن يتحفظ علي " الدلالة الموضوعية "
للكلام ، ويجعل هذه الدلالة محكومة بحال المتلقى وموقعه من المتكلم ، وعلاقته
بموضوع الكلام ، " وقد يدخل القادم الطارئ إلى مجلس فيلقي فيه بكلمتين
اثنتين هما : " فلان يحترق " ، ويكون في المجلس أبو فلان هذا ، وصديق له ،
وإنسان لا يعرفه ، وعدد من أعدائه ، وآخرون يعرفونه بالقالة الحسنة ،
وآخرون يعرفونه بالقالة السيئة ، ثم تنظر إلي صديي الكلمتين في نفوس أولئك
الجلساء فإذا هو مختلف أشد اختلاف " هذا هو مدخل القضية - الدعوى -
وهو لا يثير خلافاً ، لأننا نعرف أن " لازم الفائدة " هو الذي يحدد المعنى ،
ويحكم بملازمة المقتضي ، أو عدم ملازمته (مقتضي الحال ومناسبة المقال
للمقام) ، لكن ما يرتبه العقد علي هذا المبدأ العام هو الذي يستحق أن
نناقشه ، وذلك حين يقول : " إن إحساسنا بشيء من الأشياء هو الذي يخلق
فيه اللذة ، ويبث فيه الروح ، ويجعله معني " شعرياً " تهتز له النفس ، أو معني
زرياً تصرف عنه الانتظار ، وتعرض عنه الأسماع ، وكل شيء فيه شعر إذا
كانت فينا حياة ، أو كان فينا نحوه شعور " . هذا هو المدخل الأساسي ،
الخطير ، لتجربة " عابر سبيل " لأنه أولاً يجرد " الأشياء " من قيمتها
الموضوعية الكامنة فيها ، المتحققة في تركيبها الطبيعي ، ويجعل هذه القيمة
متوقفة على إدراكنا لها ، وهذه النظرة لها أساسها الفلسفي القديم عن معني

الوجود (للشيء) والجمال فيه ، فهل هو موجود بذاته أو هو موجود حين نتركه ونعرف أنه موجود ؟ وهل هو جميل لأسباب موضوعية متحققة فيه ، أو هو جميل لأننا نراه كذلك ؟ إن العقاد يأخذ بالرأى الأخير ، وكما هي طبيعته في التحمس لما يراه ، والاستهانة ، بل الإهانة ، لما لا يوافق هواه ، فإنه يرى أن الشاعر هو الذي يستطيع أن يجعل من أي شيء مألوف ، عادي تماماً ، موضوعاً لقصيدة جيدة : " فليست الرياض وحدها ، ولا البحار ولا الكواكب هي موضوعات الشعر الصالحة لتنبيه القريحة واستجاشة الخيال ، وإنما النفس التي لا تستخرج الشعر إلا من هذه الموضوعات كالجسم الذي لا يستخرج الغذاء إلا من الطعام المتخير المستحضر ، أو كالعدم الذي يظن أن المترفين لا يأكلون إلا العسل والباقلاء ! " ثم يلقي بجماع رأيه وخلاصة تصوره في قضية " موضوعات الشعر " حين يقول عبارة مشهورة تتداولها الكتابات النقدية كلما عرضت لهذا الموضوع وهي :

" كل ما نطلع عليه من إحساسنا ، ونفيض عليه من خيالنا ، ونبتخله بوعينا ، ونبت فيه من هواجسنا وأحلامنا ومخاوفنا ، هو شعر ، وموضوع للشعر لأنه حياة وموضوع للحياة (٢٢) " .

يجب علينا أن ندقق في هذه العبارة ، وأن نطيل في تأملها ، لأنها جوهر المحاولة العقادية في " عابر سبيل " وخلاصة موقفه في قضية موضوعات الشعر . ونلاحظ ثلاثة أمور :

١ - أن العقاد ساري بين جميع الشواخص والكائنات من حيث هي مصدر لإلهام الشاعر ، لأن جميع هذه الشواخص والكائنات موجودة في الحياة

يمكن إدراكها ، ومن ثم الانفعال بها ، أو التفاعل معها .

٢ - أن الفروق بين شاعر وآخر ستكون في قدرته علي اتخاذ هذه الأشياء منطلقاً للتعبير عن " حالات " إنسانية ، وهذا واضح في استخدام الأعمال : " نخلع - نفيض - نتحلل - نبث " وهذا يدل علي أن الشاعر لا يتجه إلي هذه الأشياء ليصفها في ذاتها ، أو في وظائفها ، أو فوائدها ، وإنما يستوحىها ، باعتبارها مثيراً لأفكاره ومشاعره .

٣ - وفي هذه العبارة السابقة تتضح الـ " أنا " العقادية المعروفة ، إذ يتكلم عن " إحساسنا " ، و " خيالنا " ، و " وعينا " ، و " هواجسنا " ... إلخ ، ولا يقصد متلقي الشعر ، وإنما يقصد الشاعر نفسه ، أو العقاد في هذه المحاولة بالتحديد ، فقد اتخذ أشياء عادية تماماً ، مثيراً لفيض من أحاسيسه وخياله ، وعيه ، وهواجسه ... إلخ .

ويمضي العقاد في " تحديه " لتقاليد ومسالك الشعراء في البحث عن مثير للشاعرية في الطريف ، والاستثنائي النادر ، وصدمة المشاهدة الأولى لغير المألوف ، فيعلن - في هذه المقدمة - أن " عابر سبيل " يري " شعراً في كل مكان إذا أراد " ، في البيت ، والطريق ، والدكاكين ، والسيارة ، " لأنها كلها تمتزج بالحياة الإنسانية ، وكل ما يمتزج بالحياة الإنسانية فهو ممتزج بالشعور ، صالح للتعبير ، وأجد عند التعبير عنه صدي مجيباً في خواطر الناس " . وهنا ننتبه إلي أن العقاد ، يخلط عن عمد لينصر رأيه - بين جانبين من الحياة الإنسانية : الجانب العملي ، والجانب الشعوري ، وإذا كانت الأشياء في ذاتها ليست مصدر الشعر ، وإنما وجه الإحساس بها ،

فإننا لا نستطيع القول إن جميع الأشياء قادرة علي تحريك الإحساس بها ،
وتعليق الأمر علي " طاقة " الشاعرية ، والقول بأن الشاعر العظيم يستطيع
أن يستخرج من " أى شيء " قصيدة جيدة ، فيه قدر من التعميم ،
والتجاهل لما دلت عليه تجارب الشعراء عبر العصور ، في مختلف اللغات
والآداب ، أما التعميم فيأتي من أن العقاد نفسه يعلق أمر الإجابة علي قدرة
الشاعر علي بث إحساسه ، وتصوير خياله ، والتغلغل بوعيه ، وسنري أن
قصائد العقاد فعلت هذا ، لكن ليس في صميم ذات الشيء ، وإنما هي
انطباعات حوله ، يمكن أن يكون هو مثيرها ، كما يمكن أن يكون غيره أيضاً
، فليس في هذه القصائد التزام بمعالم " الموضوع " ولاحتمية الارتباط بين
هذا الموضوع والانطباعات المثارة حوله . سيتأكد لنا هذا حين نعرض لهذه
القصائد ، ولايعني هذا القول أننا تراها غير ممتعة ، أو غير مفيدة ، بالمعني
الشعري للمتعة والفائدة . وقبل أن ينهي العقاد مقدمته لديوان " عابر سبيل "
نجدّه يمتد بدعوته ، أو دعواه ، والتعليل لها بمراجعة مسيرة الآداب
العالمية (الأوروبية) فقد رأى أن أدب الثرثرة والتفاهة أصبح سائداً بين
أبناء العصر هناك ، لسببين : أنهم فقدوا الإيمان بالمثل العليا والعقائد
الراسخة والفضائل الروحية ، ومن ثم أصبحت هذه القيم (المثل العليا
والعقائد والفضائل) متهمه ، متهم من يرددها في شعره ، وأن المجتمع
الأوروبي غرق في ثقافة الصالونات الأدبية القائمة علي الثرثرة وتسطيع
القضايا (فيما بين الحريين) ومن ثم فإنه يربط دعوته إلي الاهتمام بما يبدو
عادياً ومألوفاً وخالياً من الإثارة ، بضرورة أن نتعود أن نشعر بما حولنا حق
الشعور ، وأن نخلع علي اليوم الحاضر ما كنا نخضعه علي الزمن الماضي من
سراويل الجمال والخيال .

ثم نختم بعبارة " عقادية " لها سحرها في التأثير علي القارئ ، بصياغتها المحكمة ، ومقابلاتها الذكية بين الاستثنائي والمألوف من مظاهر الحياة ، وضرورة الاهتمام بالواقع " فإن كنا لا نصدق بواق الواق فلنصدق بالبيوت ، وإن كنا لا نصدق بالأبطال فلنصدق بالرجال ، وإن كنا لا نصدق بالحب النادر فلنصدق بالحب الشائع ، وإن كنا لا نحلم فلننشعر ، أو كنا لا نجعل الحلم واقعاً ، فلنجعل الواقع حلماً ، ونحن غير مخدوعين ولا سائمين " .

هذا هو عباس محمود العقاد ، في مقدمته لديوانه " عابر سبيل " وسنكون في حاجة إلى استعادة هذا الاقتباس الأخير ، حين نعرض لأثر هذا الديوان في مسيرة الشعر العربي من الرومانسية التي أذكأها العقاد ومدرسة الديوان ، وأجملها عبد الرحمن شكري في بيت واحد من الشعر اتخذته المدرسة شعاراً لها ، وحرصت عليه جماعة أبولو من بعد ، وهو :

ألا يا طائر الغروب س إن الشعر وجدان (٢٣)

حتي بلغت أو قاربت " الواقعية " - برغم ما يحمل المصطلح من احتمالات التناقض (٢٤) . وقد بذل العقاد جهداً واضحاً في عقد مصالحة بين الواقع والشعر . ولكننا قبل أن تنتقل من " الدعوى " إلي الحجة العلمية ، والدليل التطبيقي ، نقول إن صلة دعوى العقاد ، أو دعوته ، بمذاهب الآداب الغربية تتجاوز هذا الدافع المرحلي (التفاهة وثرثرة الصالونات) إلى جذور سابقة لم تكن ثقافة العقاد الفزيرة ، المتنوعة ، بعيدة عنها ، كما سنري .

ثم نتأمل محتوى الديوان من قصائد ، قلانجده خالصاً لهذا الضرب من الشعر ، ففيه فنون أخرى وضعت تحت عناوين فرعية : أناشيد وأغاني -

قوميات - تأملات - متفرقات - رثاء - ربيعات . أما قصائد عابر السبيل فإنها تمثل القسم الأول من الديوان ، والمشعر بالأهمية ، فقد تصدرت الأقسام ، وحمل الديوان في مجموعته اسمها عنواناً له ، كما أنها التي أثارت الحوار النقدي المثمر ، فيما بعد .

قصائد عابر السبيل تقع في نحو تسع وعشرين صفحة ، تحمل تسعة وعشرين عنواناً (وهذه مجرد مصادفة فليست متساوية الطول) تتفاوت بين القصيدة الطويلة ، والمقطوعة ، وقد يأتي بعضها في بيتين أو ثلاثة . ستدل العناوين علي الموضوعات التي تناولتها القصائد والمقطوعات ، وهي :

- ١ - بيت يتكلم
- ٢ - أمام قفص الجييون (نوع من القردة)
- ٣ - عتب علي الجييون
- ٤ - قرش معقول
- ٥ - واجهات الدكاكين
- ٦ - أصداء الشارع
- ٧ - عصر السرعة
- ٨ - عصر السرعة (مرة أخرى في بيتين)
- ٩ - عسكري المروء
- ١٠ - طيف من حديد (السيارة)
- ١١ - الفنادق
- ١٢ - الفنادق أيضا (في ثلاثة أبيات)
- ١٣ - بعد صلاة الجمعة .
- ١٤ - قطار عابر
- ١٥ - صورة الحي في الأذن
- ١٦ - الدينار في طريقه المرسوم
- ١٧ - المصرف (البنك)
- ١٨ - كواء الثياب ليلة الأحد
- ١٩ - بابل الساعة الثامنة (يعني اللحظة التي يسمح للباعة فيها بالنداء علي بضاعتهم فتختلط الأصوات ويعم الضجيج فجأة)

- ٢٠ - وليمة المائتم ٢١ - عند تمثال
- ٢٢ - سلع الدكاكين في يوم البطالة ٢٣ - المنازل في الصيف والشتاء
- ٢٤ - الطريق في الصباح ٢٥ - معرض البيت
- ٢٦ - بعيد الغروب ٢٧ - فتنة الصور المتحركة
- ٢٨ - على سفح الهرم ٢٩ - متسول .

ويجب أن نقرر أن قراءة هذه العناوين لا تغنى عن العودة إلى القصائد ذاتها وتمعن معانيها ، ومسارات بنائها ، وبصفة عامة تلفتنا بعض الأمور :

١ - فقد ظهرت البيوت والدكاكين والشوارع والفنادق ، لأول مرة عناوين لقصائد في الشعر العربي . سنرى الدكتور شوقي ضيف يعود بهذا الاتجاه في التصوير إلى ابن الرومي ، لكن ابن الرومي كان يصف مشاهدات زمانه .

٢ - بعض هذه القصائد والمقطوعات يمكن أن يدخل تحت غرض شعري سبق إليه البارودي ، وتناوله شوقي وحافظ وشعراء المدرسة البيانية من معاصريهما ، وهو : وصف المخترعات الحديثة ، كالكهرباء ، والبرق ، والمصورة الشمسية ، عند البارودي (٢٥) ، كما كتب شوقي عن الطائرة ، والغواصة ، وطابع البريد ، والجامعة المصرية ، وبك مصر ، وباريس ، ومعرض باريس (٢٦) ، كما وصف حافظ إبراهيم الحاكى (الجرامافون) والبورصة - أو : سوق الأسعار كما أطلق عليها ، ونادي الألعاب الرياضية ، وخزان أسوان (٢٧) . ومع هذا ينبغي أن نؤصل الفرق بين ما بدأه البارودي وتابعته فيه المدرسة المحافظة ، وما صنعه العقاد ، الذي

هاجم وصف المخترعات الحديثة قبل صدور "عابر سبيل" بعشر سنوات ، وكأنما كان يقول : " ليس بالتجديد أن نصف المخترعات العصرية ، لأن أحداً من العقلاء لا يطالبنا بأن نثبت وجودنا في هذا العصر بهذه الأمانة ، ثم لأن العبرة بأسلوب الوصف لا بالوصف في ذاته ، وبروح الشاعر لا بموضوع القصيدة ، وإنما التجديد أن يقول الإنسان لأنه يجد في نفسه ما يحسه ويقول به ، وما يجدر أن يحس ويقال (٢٨) .

٣ - إن العودة إلي الموضوع ذاته تكررت ثلاث مرات : عصر السرعة ، * والجيون ، والقنادق . وهذا يعني أن الشاعر لا يصبر علي تأمل تجربته ، ويبدل جهداً في احتواء كافة جوانبها ، بحيث يستوفيها في مكانها ، ولا يجد نفسه مضطراً إليها . لقد اتسمت العودة مرة أخرى بنوع من " الاستدراك " أو " الإكمال " وهذا يعني أن القصيدة الأولى لم تأخذ حظها من العناية . ويتأكد هذا حين تكون هذه الوقفة الثانية مجرد إضافة عابرة في بيتين أو ثلاثة مثلاً .

٤ - ولا يخطيء الإدراك أن بعض هذه القصائد لا ينتمى إلي دعوي العقاد في الاهتمام بالعادي والمألوف من المشاهدات ، فقصيدته "عصر السرعة" (وقد عاد إليها ثانية - هي تأملات في مفهوم الزمن) أما وقفته الأولى فلم تتجاوز الوصف الكاريكاتوري لشخص مسرع ، وهذا مما لا يختص به زمن دون زمن (٢٩) .

وليس المشية المتعثرة المتهللة مما يصلح تجسيدا لعصر السرعة . وكذلك قصيدته الحوارية الطريفة عن " الدينار " وكيف أن النقود تعرف طريقها

لمن يملك وأنها لاتذهب إلي المفلسين :-

فاستقبل الدينار وجهه	ته وهم بلا ولاء
ومضي إلي حيث المعاء	لم واضحات والضياء
حيث الدنا تير السوا	بق قد رسمن له الفضاء
ليس الطريق على اقتحا	م ، كالطريق علي اهتداء

فهذا ليس من المشاهدات اليومية ، ولا الصور العصرية ، ولا مستحدثات هذا الزمان ، إنه قانون اقتصادي وسلوك نفسي ، نجد معاله واضحة في " المقامات " منذ ألف عام ، وكيف أن - علي قول المسيح - من معه يُعطى ويُزاد ، ومن ليس معه يؤخذ منه !!

ه - أما القصائد التي عاد إليها النقاد لشرح دعوي العقاد والاحتجاج لها ، أوردتها ، فإنها تكاد تنحصر في : بيت يتكلم - أمام قفص الجييون - واجهات الدكاكين - أصداء الشارع - كواء الثياب ليلة الأحد - سلع الدكاكين في يوم البطالة .

وهذه القصائد الست هي التي نرى أنها تحقق دعوي العقاد ، كما تقدم الدليل العملي علي ما فيها من إمكانات التجديد .

ويمكن أن نتأمل هذه القصائد في مجموعها ، أو هذه القصائد الست - الأكثر شهرة وتداولاً ، لنرى أن اصطلياد المفارقة ، هو الأساس في تناول الشاعر ، وقد تكون المفارقة مدخلاً لسلسلة من التأملات ، وقد تكون القصيدة في تكوينها الشامل قائمة علي المفارقة . من النوع الأول قوله عن عسكري المروء :

متحكمٌ في الراكبين وماله أبدأ ركوبه

ثم يقول الشاعر عن نفسه :

أنا راكب رجلي فلا أمرُ علي ولا ضريبه
وكذاك راكب رأسه في هذه الدنيا العجيبه

لقد أوصلته المفارقة الطريفة في مدخل القطعة إلي نوع من التداعى ،
فهناك راكب رجله (الماشي) وراكب رأسه (العنيد) وليس لعسكري المرور
علاقة بهما .

وكذلك سلع الدكاكين التي تری حياتها في موتها :

أطلقونا ، أرسلونا

بين أشتات من الشارين نسعي ونطوف
سوف نبلي يوم أن نُبذل بذلا
أى نعم ، لم نُسَّه عن ذاك ولم نجهله جهلا
غير أنا قد وددنا
أن نرى العيش وإن لم يك ورد العيش سهلا

أما القصائد التي قام بناؤها علي المفارقة ، أو التناقض بين الداخلي
والخارجي أو المكان والإنسان ، أو الظاهر والباطن ، فإنها الأكثر توفيقا ،
في إثارتها للتشويق ، لأنها تستخرج المعنى من حيث لا نتوقع ، وتبرز
الصورة معروضة على ضدها ، فتكون الدهشة ، ويكون التشويق .

في قصيدة " بيت يتكلم " يتناقض الوصف مع العرف ، فإذا كان
للجدران أذان فليست لها أفواه ، ولكن هذا البيت وشي بسكانه المتعاقبين ،

وكشف تناقضاتهم ومساخرهم وعبودهم ، وهم - جميعاً - يملنون للناس في حياتهم العامة صوراً ، يعيشون بين الجدران كل ما يناقضها . ومدي القصيدة محدود علي أى حال ، وكان يمكن أن تمتد بلا توقف ما دام الهدف أن يصور أشتاتاً من سلوك ما بين سرّ ، وإعلان .

أما " أمام قفص الجيبون " فقد قامت المفارقة علي السخرية من مزاعم القائلين بأن القردة العليا أصل الإنسان ، وسخرية - في نفس الوقت - من مزاعم الإنسان بأنه الذي " يعرف " :

انتظر يا صديق مليون عام	أوملايين ، لست وألك أدري
إن تدانيت بعدها من مقامي	فقصاري المطاف أن لست تدري
واضطرب إن عناك نثر ونظم	سوف تكلونثرا وتنظم شعرا
وغدا يطرأ الخيال ويسمو	والذراعان لا تطيقان طفرا

فهذا الحيوان الذي لا يدري شيئاً ، قصاراه بعد ملايين السنين أن يصبح إنساناً كالإنسان وأن يقول أيضاً ما يقوله الإنسان بعد رحلة البحث والمعرفة : لست أدري . وإذا كان الإنسان يملك " قفزات " الخيال بالنثر والشعر ، فإنه مثقل بجسمه إلي الأرض ، أما هذه القردة التي لا تعرف خيال الشاعر ، فإنها تطفر بيديها فتحقق ما تريد عملاً ، وليس تصوراً ...

وتبلغ " أصداء الشارع " قمة التوفيق الفني لهذا النوع القائم علي المفارقة ، إذ رصد نداءات الباعة في الشارع ، وأسند إلي كل بائع ضدّ ما نتوقع أن نسمع منه :

بنو جرجا ينادو	ن على تفاح أمريكا
وإسرائيل لا يالو	ك تعريداً ووتركا
ويتراكي إلي الجرو	د على الإسلام يدعوكا
وأقزام من اليابا	ن بالفصحي تحييكاً (٢٠)

وفي " وليمة المأتم " تقوم المفارقة علي أن المجتمعين حول توديع متوفى أخذوا في تناول الطعام ، وكأنهم في عرس (انتقاء الماكل وتعدد الأصناف) في حين أن سبب تجمعهم قد توقف عن الأكل ، وهم أيضاً قد سيطر عليهم الحزن . إن العقاد يصف المشهد من زاوية إدراك " طفل " يرى كل شيء فيه علامات الاحتفال ، ولكنه لا يرى حفلاً ، بل حزناً وصمتاً أو همساً ، يعقبه طعام ، ولهذا يختم الشاعر قصيدته بإسداء " نصيحة " أن تلتفى مآذب المأتم :

فيا أيها الناس لا تولوا	علي ميت واحزنوا واعقلوا !!
فليست مجاملة الراحلين	إذا انقطع الزاد أن تاكلوا

فإذا تأملنا التشكيل الموسيقي لهذه القصائد والمقطوعات ، سنجد الالتزام بالبحر الشعري كامل التفعيل أو مجزوءاً هو السائد ، أما نظام القافية ، فإن وحدة القافية سائدة أيضاً ، ولها الغلبة العددية إذا أدخلنا الأبيات القلائل والمقطوعات في الاعتبار ، أما إذا اكتفينا بحصر المطولات (القصائد) فإن التحرر من القافية يتوازن مع الالتزام بها ، فلدينا أربع قصائد علي نظام الموشحة (٢١) ، وقصيدتان من المزوج (٢٢) ، وقصيدة واحدة من المربع ، كل أربعة أبيات تستقل بقافيتها (٢٣) . ونستطيع أن

نقول - بوجه عام - إن الأوزان القصار هي التي تناسب هذا النوع من القصائد ، ولعلها ليست مصادفة أن تأتي قصيدة " بيت يتكلم " وقصيدة " أصداء الشارع " على بحر الهزج :

مفاعيلن مفاعيلن

مفاعيلن مفاعيلن

ومطلع الأولي يقول :

فهل تدرون عنواني

جميع الناس سكاني

أما الأخرى فمطلعها :

ن علي تفاح أمريكا

بنو جرجا يناسو

وعن (الهزج) وما يصلح له من الأغراض يقول عبد الله الطيب :
" نعمة الهزج تطلب قولاً مرسلأ طبعاً ، تسيطر عليه فكرة واحدة يتغنى بها الشاعر في غير تدقيق وتحقيق وتعقد والتفاف ... وعندي أنه يصلح للقصص الخفيف الذي يراد منه الإمتاع ، وأحسن أسلوب يرد فيه ما كان عماده على التعجب والاستثارة والتكرار ، وسرد الكلمات المتشابهة في الوزن والجرس " - (٢٤) .

٤ - أربع زوايا لمشهد واحد :

بعد أن تعرفنا علي " منطق " العقاد الناقد المنظر في دعوته إلي الموضوعات اليومية ، أو التي رأى أنها تدخل تحت هذا الوصف ، وعرجنا علي قصائد " عابر سبيل " فتعرفنا علي خصائصها ، نتوقف عند شهادات أربعة من النقاد ، هم أكثر اهتماماً بشعر العقاد عامة ، وأبدي ثلاثة منهم عناية خاصة بتجربة " عابر سبيل " بكل ما تمثله من إبداع ، وما تركز عليه من مبادئ نظرية . هؤلاء النقاد الأربعة هم : الدكتور محمد مندور ، والدكتور شوقي ضيف ، والدكتور عبد الحى دياب ، والدكتور زكى نجيب محمود . والطريف حقاً أنهم لم يجمعوا على تصوّر واحد ، أو تقارب في الرؤية أو الحكم علي هذا النهج في الشعر ، بل ذهب كل في سبيل ، كما اختلفت أيضاً مواضع الاهتمام في هذه التجربة ذاتها ، وقبل أن نعرض لهذه الجوانب بشئ من التفصيل والتعقيب ، نذكر أن أسماء أخرى كثيرة كتبت أيضاً عن العقاد شاعراً ، وهو موضوع كبير ، مترامى الإثارات ، وليس هو الذى نقصد إلى طرحه في هذه المقالة ، إذ حصرنا القضية في منهج معين من القصائد ، وكذلك لم نتوقف عند كتابات " المريدن " - وهم كثيرون حول العقاد ، شغلهم حبهام له وإعجابهم المتزايد به عن مناقشة أفكاره والبحث عن جذورها . إننا سنجد هذا الأمر متحققاً فيما كتب الدكتور عبد الحى دياب ، والدكتور زكى نجيب محمود ، لكنه - في حالة الدكتور دياب على الأقل - لم يكن حائلاً دون النقد ، والمناقشة ، بل المحاسبة والمقارنة التي قد تنتهى لغير صالح العقاد .

في كتابه " الشعر المصرى بعد شوقي " - الحلقة الأولى (٢٥) - يهتم الدكتور مندور بالصراع ، والتفاعل ، بين قديم الشعر وجديده ، في العصر

الحديث ، ولا شك أن نور العقاد في الدعوة إلى التجديد ، والاحتجاج له ، والالتزام به ، ثابت ، ومقدّر ، وبخاصة أنه جمع بين التنظير والإبداع ، وفيما كتب الدكتور منور تحت عنوان " شعراء الديوان " (٢٦) نال العقاد القدر الأوفر من فرص عرض الرأي والمناقشة ، وكان المرجع ما كتب العقاد نفسه ، وما كشف الدكتور منور بخبرته الفنية وثقافته الواسعة من أصول الأفكار . وقبل أن يصل إلي " عابر سبيل " كان قد أتم تخطيط " هيكل " لوضع الشعر بالنسبة لشعراء الديوان ، وفي مقدمتهم العقاد .. فالناقد الإنجليزي هازلت هو إمام المدرسة ، ومدرسة النبوة والمجاز هي الإطبار الإبداعي لها ، وقد " خلقتها مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية ، ... ولقد سري من روح هؤلاء الشيء الكثير إلى الشعراء المصريين ، الذين نشأوا بعد شوقي وزملائه " ويضع العقاد هذا التشابه في علاقة " التشابه في المزاج " و " اتجاه العصر " و " تشابه في فهم رسالة الشعر والأدب " وليس علاقة الاقتداء والتقليد (٢٧) . ثم يحدد الدكتور منور المجموعة الشعرية : الكنز الذهبي The Golden Treasury ، مصدراً أساسياً لكثير من تجارب وخبرات شعراء الديوان (وهو أمر يتوسع فيه عبد الحى دياب بالنسبة للعقاد خاصة ، كما سنرى) ولا يفوت الدكتور منور أن يحدد الطابع العام لهذا " الكنز الذهبي " فهي مجموعة رائعة من القصائد الصغيرة ، المنبعثة عن وجدان الشعراء الشخصي ، ولم يفسح فيها جامعها مجالاً للشعر الموضوعي . ثم يتدرج إلى أن يقول عن العقاد إنه أخذ يدافع في جدل وعناد عن شعر الفكرة ، وإن لم يستطع أن ينكر أن مزية الإنسان دائماً هي أن يحسّ حين يفكر ، وأن يفكر حين يحسّ (٢٨) .

ثم تصل سلسلة التطور وتعدد روافد الخبرة عند العقاد إلي " عابر

سبيل " ولكن الدكتور منور يربط بين هذا الديوان ، وديوان آخر سابق عليه (هدية الكروان : عام ١٩٢٢) حيث إن العقاد - في رأى منور - أراد أن " يبرز موضوعين خاصين من موضوعات شعره ، وهما اللذان أراد أن يسجل فيهما سبقاً وتجديداً وابتكاراً ، فأفرد كلأ منهما بديوان خاص (٢٩)

ويوحى تصور الدكتور منور للديوان الأول (هدية الكروان) بأنه خطوة ، أو إرصاص بموضوع الديوان الثاني (عابر سبيل) استناداً إلي كلام العقاد في مقدمة " هدية الكروان " ، إذ يكشف المفارقة بين استخدام الشعراء لاسم " البلبل " - وهو نادر وغير وطنى ، واستخدام العقاد لاسم " الكروان " وهو طائر مصرى صميم ، يقول العقاد : " فكانما العامة عندنا أصدق شعوراً من الشعراء ، لأنهم يلقبون المغنى بالكروان ، ولا يلقبونه بالبلبل ، ويصدرين عن شعور صادق ، ويتحدثون بما يعرفون . وليس عن تعصب منا للوطن نؤثر الكروان علي البلبل وما إليه ، لأن التعصب الوطنى علي هذه الصورة حماقة لاعمى لها في الشعر والشعور ، ولكننا نؤثره لأن الإعجاب به صحيح يصدر من الطبع الصادق . أما الإعجاب بالطير الذى لا نسمعه فذاك محاكاة منقولة تصدر من العرق البالى ، وتؤذي النفس كما يؤذيها كل تصنع لا حقيقة فيه (٤٠) " وهكذا نصل إلي " عابر سبيل " وأمامنا دعوة لأن نثق بشعور العامة (الناس العاديين) وأن نتحدث عما نعرف ، وأن نحرض على استمداد الخبرة المباشرة ولا ننقل عن الأوراق . إن الدكتور منور لم يربط بين الديوانين إلا من حيث إن كلأ منهما دعا إلي شىء جدي مختلف ، ولكننا نرى أن قسراً مشتركاً مهّد به " دعاء الكروان " لبلوغ مرحلة " عابر سبيل " .

ويعد أن يعرض لأهم أفكار مقدمة " عابر سبيل " يناقشها بما ينال من ابتكار العقاد لها ، كما يبدو عدم رضائه عن القصائد ذاتها ، فوصف

الأشياء العادية التي تبدو تافهة ، كان ابن الرومي الموجه لفكر العقاد نحوها ، وهو معروف للعقاد جيداً (٤١) ، على أن العقاد - فيما يرى مندور - لم يستطع أن يلحق بابن الرومي في هذا الباب ، " فالعقاد لا يستطيع أن يتمهل عندما يصف ليخلق شيئاً من لا شيء ، وينحت الصور الجميلة من الحركات التافهة - كما يفعل ابن الرومي ، بل نراه يفرّ من موضوع وصف علي أساس من التذاعى ، وهو تذاعٍ لا يسوقه الخيال الشعري ولا الفيض العاطفي ، بل يسوقه الفكر ، وكثيراً ما يأتي تداعياً متلمساً مجتلباً قد يدل علي براعة ، ولكنه لا يدل على شاعرية مصورة ، أو عطف إنساني عميق (٤٢) " ويصل إلي إظهار الخلل في تكوين بعض القصائد ، ففي حديث الشاعر عن السلع المكسدة في الدكاكين يوم البطالة ، لا يمكن فهم القصيدة ، في بدايتها ، دون التقديم النثري التي قدم بها الشاعر لتلقى قصيدته ، وفي " بيت يتكلم " - كما يقول مندور - نراه يترك البيت إلى ما يتصور من أن ساكنيه قد تعاقبوا علي الإقامة فيه ، في شريط سينمائي يذكرنا بذلك الشريط الذي استهل به شوقي مسرحية " الست هدي " حيث نرى الأزواج السابقين لتلك السيدة يتعاقبون علي هذا الشريط بحيث لا ندري كيف يمكن أن تتدرج مثل هذه الأشرطة تحت اللوحات التي يلتقطها " عابر سبيل " !! (٤٣) .

ثم ينهي الدكتور مندور عرضه ومناقشته بما يكشف عن عدم رضاه ، بل رفضه لمنهج هذه القصائد كلها ، التي لا تفهم إلا بعد تقديم وتعليق نثري يفسح الطريق إلي كشف مراميها ، إذ يقول : " بل إننا لنخشى أن يدفع منهج " عابر سبيل " الشعر العربي نحو الانتكاس إلي الهوة التي كان قد وصل إليها قبل البارودي ، عندما كان الأمر قد انتهى به إلي معالجة التوافه ، مثل وصف القلم أو المحبرة أو هدية عنب ، أو ما شاكل ذلك من موضوعات

كان الشعراء يفتعلون فيها الشعر ويتسابقون في إظهار المهارة اللفظية أو توليدات الخيال ، دون أن يحفزهم إلى قول الشعر حافز إنساني قوي ، أو عاطفة حانية ، أو خيال خلاق ، في غير تصنع أو اجتلاب . (٤٤) .

أما الدكتور شوقي ضيف فإن منهجه التاريخي يسيطر على طرح القضية ، إذ يبدأ من العصر الجاهلي ، وكيف سيطر تصور ذلك العصر على أغراض الشعر ، وأقسامه ، ثم كيف ظهرت ملامح الحياة اليومية في الشعر ، أول ما ظهرت ، في العصر العباسي ، مقترنة ببعض أشعار المجون . وكيف قارم النقاد هذه النزعة بتثبيت " ما ينبغي أن يقال " وإلزام الشعراء به ، ورفض تصوير الواقع تحت شعار " أبلغ الشعر أكذبه " والحرص على المثل الأعلى . ثم يبين كيف أن " مدرسة الديوان " قادت حركة التجديد ، واستجدت في فترتها - دوافع وتغيرات داخلية أدت إلى ابتكار أغراض لم تكن موجودة ، أو لم تكن واسعة الانتشار بين الشعراء ، مثل الشعر السياسي والاجتماعي ، والتاريخ ، وقضايا العلم ، كما يسجل الدكتور شوقي ضيف لمدرسة الديوان أنها التي وجهت الشعر - بوجه عام - إلى الواقع ، وإلى الدقة في رصد المشاعر والصفات ، ثم يختم هذا العرض العام بتقرير أن الذي ثبت واستمر يدافع عن مبادئ المدرسة ، ويوضح خصائص التيار ويبدع ما يدعمه هو عباس محمود العقاد (٤٥) .

بعد هذا المدخل " التاريخي " العربي لطرح قضية " عابر سبيل " يبدأ الدكتور شوقي ضيف من مدخل آخر ، يمكن أن يوصف بأنه " اجتماعي " لأنه يراقب التغير أو التطور الحضاري ويرصد انعكاسه على الشعر ، أو موضوعات الشعر بصفة خاصة ، فهذا النوع من القصائد يتجه إلى الحاضر ، المتغير ، الذي يشهد كل يوم (في أوروبا) آلات ومخترعات جديدة ،

"وبذلك تحرر الشعر الغربي في بعض جوانبه من الماضي والموضوع الخاص ، وأخذ يُعنى بالحاضر وكل ما يندمج فيه من دقائق وجزئيات تبو سطحية أو تافهة لاتلفت الذهن ، ولكن الشاعر ما يزال بها حتي تتحول إلي مجموعة من الإشعاعات الفنية ، والتأملات العقلية والنفسية " (٤٦) . بهذا انضوي الدكتور شوقي بروافد التجربة الخاصة في " عابر سبيل " من منبعها العربي عند ابن الرومي ، إلي منبعها الغربي ، ثم مهد لإظهار إعجابه بها ، بالقول إن المحاولة في ذاتها صعبة ، لا يستطيع النهوض بها إلا الشاعر الممتاز ، وهو يرى أن العقاد قد تحقق فيه هذا الشرط ، إذ استطاع " أن يحول لنا كل ماحولنا شعراً عذباً ، فيه جمال ويصر بالحياة ، ومجاميع من اللفظات الوجدانية والذهنية " (٤٧) ويعد أن يسجل نصاً كاملاً ، هو قصيدة " كواء الثياب ليلة الأحد " يقول إن الشاعر استطاع أن يؤثر فينا تأثيراً لا يقل عن تأثير الشعر الآخر المستمد من الماضي ، أو من الأبراج العاجية ، وما فوق مستوى حياتنا العادية (٤٨) . وقيل أن يحدد الدكتور شوقي ضيف تصويره الخاص لتجربة هذا الديوان ، لا يلاحظ ما لاحظته الدكتور مندر علي قصيدة "بيت يتكلم" من قبل ، إذ يرى أنه من الطبيعي أن يتحدث البيت عن سكان مختلفين ، " ولذلك لانحس في القصيدة بنقلة من عالم المادة إلي عالم الخيال ونقصد النقلة الواسعة ، كما لانحس بشيء من الحاضر ، بل إن نفس البيت يتحدث عن سكانه الماضين (٤٩) " ، وهكذا لم يجد في خطة هذه القصيدة ومحتواها ما لاحظته منور من مجافاة للمبدأ المعلن عنه في الأساس النظري للموضوعات اليومية وما تستلزم من شروط ، غير أنه يأخذ علي شعر العقاد ما هو أشبه بالرأي العام النقدي في هذا الشعر ، وهو أنه يقلب جانب المنطق علي جانب العاطفة ، وأنه يعيش في وعيه ، ويمنطق حاد لا يتخلف أبداً .

لا يبدي الدكتور شوقي ضيف تخوفاً من التوسع في المحاولة ، بل على العكس ، يراها تطوراً مطلوباً للشعر الشعبي ، إنها شعر شعبي جدي ، وهو لذلك خليق بأن يكون له أساليبه الخاصة في الوزن والموسيقى ، أساليب لا تبعد عنا ، بل تقرب منا كما يقرب موضوعها * (٥٠) .

ونحن نعرف أن الشعر الشعبي له شروطه ، أولها ألا يكون معروف القائل ، بمعنى أنه يحتاج جماعى للبيئة ، وأنه يروي مشافهة ، وهذا ما تجاوزه الدكتور شوقي ضيف ، حين وضع كتابه : " الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور " (٥١) إذ يحدد " الشعبية " في الشعر بأنه يفصل بين قلوب شعوبه وأندتها ، وأنه يصور حياتها وآمالها وآلامها ، وأنه يترجم عن مشاعر الأمة ، ويرى - لهذا - أن هذا الشعر هو الأحق بأن يحمل صفة الشعبية ، وإن يكن فصيح اللغة ، وليس ذلك الزجل وما أشبهه من أشعار عامية اتجهت إلي الفكاهة والهزل إزجاء للفراغ وتظرفاً وتملحاً (٥٢) .

أما الدكتور عبد الحى دياب ، الذي عرف بشغفه بفكر العقاد وشعره ، ودارت دراساته حول نتاجه (٥٣) . فإن الإعجاب بشخص العقاد ينسحب علي كل ما كتب العقاد ، فدوره في دراسته بعنوان " شاعرية العقاد " أن يضع أمامنا كل إشارات العقاد النظرية ، وإبداعاته الشعرية ، بشكل تراكمى يتتابع دون توقف ، فلم نأخذ فرصة لنعرف معالم هذه الشاعرية أو مميزاتها أو حدودها ، إن شاعرية العقاد - في رأيه - موجودة في كل ما كتب العقاد من شعر ونثر ونقد . ولكن الإضاءة الحقيقية التي أعطت هذا الكتاب أهميته ، هي تلك المقابلة الوافية بين مقدمة الشاعر الإنجليزي الرومانسى ، وردزورث ، لليونان Lyrical Ballads الذي أصدره مع صديقه الشاعر كولردج ، وكان سبباً في حدوث قطيعة طويلة بينهما . إن الأستاذ محمد خلف الله أحمد ،

في كتابه " من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده " قد أعطي تصوراً رافياً لخطه الشاعرين وتصورهما للإبداع الشعري ، وما آل إليه هذا التصور (٥٤) . ومعيننا هنا رأى وردزورث - الذي وجد صداه في نفس العقاد ، وقد كان نور الشاعر وردزورث في الديوان - كما يقول خلف الله : أن يحول المؤلف الساتع إلي جذاب غير عادي ، فيتناول أشياء الحياة اليومية وأشخاصها ، ويخلع عليها ثوباً من الجدة والطرافة ، وينب في النفوس إحساساً بها شبيهاً بإحساس ما فرق الطبيعة ، ذلك بأن يوقظ العقل من غفوة العادة والتقليد ، ويوجه انتباهه إلي ما في الحياة المحيطة به من عجب وجمال (٥٥) . هذا هو الإطار العام ، والهدف الذي طمح وردزورث أن يحققه في أغانيه الروعية أو الشعبية ، وإذا كنا لانستطيع أن نقرر أنه - بتمامه - هو ما طمح إليه العقاد في تجربة " عابر سبيل " وما استهدفه ، فإنه لم يكن عنه ببعيد ، ولعل هذا الأمر يتطلب وقفة علي شيء من التفصيل ، وهذا هو الجانب الذي عني به الدكتور عبد الحي دياب فيما كتبه عن " عابر سبيل " .

أما مقدمة وردزورث في ذاتها ، فنجد عرضاً تحليلياً وافياً

لها في : Wordsworth : The Norton Anthology of English Literature .:

وتد أثارت الجوانب الآتية :

١ - الشعر انطلق ذاتي لأحاسيس قوية ، والشاعر رجل يخاطب الرجال ، يتمتع بالحساسية والحماسة والوقفة ، وتتوافر لديه خبرة أكبر ومعرفة بالطبيعة الإنسانية ، وإدراك للروح البشرية التي يجب أن تكون سائدة بين البشر ، وهو رجل يعرف أحاسيسه ويعيشها ويسعد بها ، رجل يتفوق الحياة في داخله ، ويعرف كيف يخلق من هذه الأحاسيس والانفعالات

فنأ ، فيصف أدق المشاعر في يسر ، بعيد عن التصنع والتكلف .

٢ - موضوع الشعر له أهميته ، ولكن الجمود عند الموضوعات السائدة ، الهادفة إلى إحياء الأنماط الكلاسيكية (اليونانية - الرومانية) وما تحرص عليه من جدية وأسلوب مرتفع متكلف باعتباره الأسلوب الذي يصلح للشعر (للتراجيديا والملاحم بصفة خاصة) وما يتطلب هذا الديكور التقليدي الشعري من اتجاه إلى حياة الملوك والنبلاء ، كما يباعد بين الشعر والصدق الشعري ، فإنه يباعد بين الشاعر والحياة . فموضوع الشعر يجب أن يتجه إلى أحداث أو مواقف من الحياة اليومية ولن يكون في هذا التوجه تخلياً عن الجدية ، فالشعر الجاد يمكن أيضاً أن يتناول حياة البسطاء من المزارعين والأطفال ، وحتى المجرمين والمعتمدين وكل فئات البشر . إن العقل البشري يمكن أن تحركه أمور ليست بالضرورة ضخمة أو عنيفة . فالأحداث العادية ، وتلك المواقف اليومية المتكررة ، وتجارب الأحداث في حياة الناس ، في مختلف المهن ، والطريقة التي يعبرون بها عن خبراتهم يمكن أن تشكل أعمدة هذا الأسلوب الشعري في مفهومه .

٣ - أما عن اللغة فإنها تناسب الموضوع ، اللغة التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية ، اللغة التي يتكلم بها الرجال ، وهي ليست لغة النحو وقواعد اللغة ، إنها لغة تنبعث من جنود سيكولوجية ، وأحاسيس غريزية إنها تتطرق وتختار مفرداتها معبرة عن مشاعر حقيقية . لهذا لا يحرص ووردزورث على أن يحشد في قصائده تلك الألفاظ التي اصطلاح على تسميتها " ألفاظاً شعرية " فإنه لا يعترف بتلك الألفاظ الشعرية إلا إذا كانت تصدر علي ألسنة الناس عامة . وانطلاقاً من هذا التصور ، فإنه

لا يقرّ بوجود فارق حيوي وجوهري بين لغة النثر ولغة الشعر . إن هذا يعني أن التحدّي اللغوي الذي واجهه وردزورث هو كيف يجعل لغة المحادثة اليومية بين الطبقات الوسطى وما دونها من طبقات المجتمع لغة شعرية . ولقد استطاع أن يحقق هذا ، بدرجة جعلت هذه اللغة تعتمد - من نقاد عصره - علي أنها أساس للشعر الجديد (٥٦) !!

أما الدكتور عبد الحي دياب ، قبل أن يجرى مقابلته النصية بين ما كتب وردزورث وما كتب العقاد ، فإنه سجل بعض الأسس الفارقة ، فالشاعر الإنجليزي اختار تجارب قصائده من حياة الريف السانحة المتواضعة ، لأن هذه الحياة تهيب العواطف القلبية المتأصلة تربة أصلح لاكتمال نضجها ، وكذلك تشف نظرتة عن إيمان بأن الإنسان والطبيعة وكأنما قد أعد كلاهما في جوهرهما ليكونا عنصرين متلائمين ، كما يُعد عقل الإنسان مرآة طبيعية تعكس أجمل خصائص الطبيعة وأمتعها (٥٧) . كما يسجل وجه تشابه في الدافع العقلي أو النفسي بين الشاعرين ، فقد كانت حركة وردزورث استجابة لإيمانه بالثورة الفرنسية التي أوجدت الأدمية (٥٨) ، وقد كان العقاد أواسط الثلاثينات ، وقد أحبطت أحلام ثورة سعد زغلول (١٩١٩م) وبعثرت إيجابياتها بسبب طموح السياسيين إلى السلطة والتسلط ، كان العقاد متعلق العقل والقلب بإحياء قيم تلك الثورة .

ثم تتم المقابلة ، التي يجملها بقوله عن مقدمة "عابر سبيل" :
"الدارس لهذه المقدمة يرى أنها لا تبعد كثيراً عن مقدمة وردزورث لديوانه "Lyrical Ballads" (٥٩) ."

وبعد هذا الحكم العام يدخل إلى بعض التفاصيل ، فيحدد عبارات

ومبادئ، يعينها توضح وتؤكد أن العقاد كان يستعيد أويأخذ من مقدمة الشاعر الإنجليزي ، ومن أهمها :

١ - تركيز العقاد علي " الإحساس " في صلاحية الموضوع للشعر ، فهذا الإحساس هو الذي يخلق في الموضوع اللذة ويبث فيه الروح ويجعله معني شعرياً تهتز له النفس ... إلخ .

٢ - اتجاهه إلي الواقع ، والشائع ، والعام المألوف ، في عبارته المشهورة "فإن كنا لا نصدق بواق الواق فلنصدق بالبيوت ... إلخ" وصرف الشعراء عن الاهتمام بالملوك والنبلاء والموضوعات الجليلة باعتبارها الوحيدة التي تسبغ الأهمية علي الشعر (٦٠) .

غير أن الدكتور عبد الحي دياب يسجل للعقاد أصالته ، حتي في استقائه من مقدمة وردزورث ، كما يسجل عليه تقصيره الفني عن مجازاة الشاعر الإنجليزي .

أما الأصالة فتأتي من أن قصائد " عابر سبيل " وما أثارته من نهج خاص ، لم تكن مجرد صدي ، أو هبة مفاجئة ، سببها أن العقاد قرأ مقدمة وردزورث ، فأعاد علينا بعض أفكارها ، وصنع قصائد علي نهجها ليؤكد انتماسها إليه ... إن هذا الاتجاه نحو المألوف ، والشائع ، والتافه ، موجود في " شعر العقاد " منذ بواكير تجاربه . إذ اشتملت المرحلة الأولى علي قصائد : الشاعر الأعمي - صلاة عابد المال - غيرة طفلة - رثاء طفلة - أسبوع فلورة (كلية) بمناسبة ولادتها - الخط - ... إلخ ، كما نجد في ديوان " وحي الأربعين " - وقد صدر عام ١٩٣٢م قصيبتين هما : رثاء كلب - و كلب ضائع ، أو ديوجين الكلب . وفي " هدية الكروان " - الذي صعر في

نفس العام نجد قصيدة ساعى البريد ، وأسود يلتحي ، والبيللا ، وهى فى طفل تعبت معدته (٦١) .

إن هذا يؤكد أن الاتجاه إلى تجارب بسيطة ، وحياة مألوفة ، ومشاهد عادية أو تافهة ، لم يكن اتجاهاً مستجلباً عند العقاد بفعل قراءته أو إعجابه بمقدمة وردزورث وقصائده الفناثية ، إنه " رافد " قديم ، ومستمر ، ولكنه حين التقى بتلك المقدمة وجد أساسه الفكرى ، وأهدافه الجمالية .

أما التقصير الفنى فيظهر فى أمرين : أن قصائد العقاد لم تحمل فى ثناياها فلسفة معينة نابعة من تركيز عينيه فى وجه الحياة ، ولم يستخدم المؤثرات السماوية ، أو يأخذ أبسط العناصر الطبيعية والعقل البشرى ، وأبسط المجردات التى لا تتفصل عن كياننا ، ويحاول أن يؤلف منها نظاماً شعرياً جديداً يختلف عن شعره الآخر كما فعل وردزورث (٦٢) ، وكذلك خلت قصائده " عابر سبيل " من " الحدث " ولهذا انتقدت الشكل الدرامى فى بنائها ، فلا نجد لديه قصة شعرية ، بعكس وردزورث الذى غنى كثيراً بالشعر القصصى (٦٣) .

أما الدكتور زكى نجيب محمود الذى صدر كتابه " مع الشعراء " بأربع مقالات عن العقاد الشاعر (٦٤) فإنه لم يتوقف عند ديوان ، وإنما عند قصيدة - كما فعل فى : ترجمة شيطان والعقاب الهرم ، وأنس الوجرد ، وفرضة البحر ، مثلاً ، لكنه - وشعر العقاد محور اهتمامه ، لم يلتفت إلى تجربة " عابر سبيل " - الخاصة فى أسلوبها ، ووصف شعر العقاد بما يناقضها حيناً ، ويقترب منها حيناً آخر ، فحين يقول : " القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم فى يده هو إزميل النحات ، إنه لا يصوغ

قطعة من العجين اللين ، ولا يقيم بناء من الطين الطرى المطواع ، فلا الفكرة عنده قريبة المثال ، ولا المادة سهلة التشكيل (٦٥) " فإن هذا لا يصدق علي " عابر سبيل " بأى درجة ، وحين يفرق " الجميل والجليل " فيما يثير كل منهما في الوجدان ، ثم يرتب علي هذه التفرقة أن شعر العقاد أدخل في باب الجليل منه في باب الجميل (٦٦) فإنه لا يكون قد أدخل " عابر سبيل " في هذا التصنيف الخاص . غير أننا نلاحظ أن من بين القصائد التي أعجب بها زكي نجيب محمود ، وتوقف عندها محلاً شارحاً ما يمكن أن يقارب منهج العقاد في " عابر سبيل " مع أنها ليست من أوائل ما صنع من شعر ، بل هي " أول " ما صنع من شعر ، فالقصيدة الأولى من الجزء الأول من ديوان العقاد بعنوان " فرضة البحر " - أى الميناء ، وهناك أيضاً قصيدة : : العُقاب الهرم " ، وفي هذه القصيدة ، كما في سابقتها ، يحقق العقاد وظيفة الشاعر كما يراها الفيلسوف : " الشاعر حلقة وسطي بين عالم المعاني الخالدة من ناحية ، وعالم الحياة الجارية ، العابرة ، من ناحية أخرى " (٦٧) .

هكذا تعددت زوايا الرؤية ، فأطل كل ناقد من موقعه المميز ، ليصف التجربة ، ويصدر الحكم عليها . وقد تعددت المواقع فتعددت الرؤية واختلفت الأحكام . ونحن بعودنا لا نفكر في إضافة حكم خامس ، ولا نملك أن نضع أنفسنا حكماً علي الحكم ، أو ناقداً للنقاد ، وإذا لم نجد بينهم من فرص الاتفاق غير القليل ، فإن هذا يجعلنا نتحفظ في إضافة شئ يتفق أو يختلف ، ويكفي أن هذه الآراء قد ميزت المنهج ، وكشفت عن جذوره الممتدة في تربتنا الثقافية التراثية ، وبواقعه الحالية ، وأهم منجزات قدمها العقاد ، وأنواع التقصير التي تسالت إلي بعض قصائده فشغلته حماسه للنظرية عن تدبر مطالبها العملية ، غير أننا نريد أن نضع بعض الملاحظات العامة ،

نفس العام نجد قصيدة سامى البريد ، وأسود يلتحي ، والبيلا ، وهى فى طفل تعبت معدته (٦١) .

إن هذا يؤكد أن الاتجاه إلى تجارب بسيطة ، وحياة مألوفة ، ومشاهد عادية أو تافهة ، لم يكن اتجاهاً مستجلباً عند العقاد بفعل قراءته أو إعجابه بمقدمة وردزورث وقصائده الغنائية ، إنه " رافد " قديم ، مستمر ، ولكنه حين التقى بتلك المقدمة وجد أساسه الفكرى ، وأهدافه الجمالية .

أما التقصير الفنى فيظهر فى أمرين : أن قصائد العقاد لم تحمل فى ثناياها فلسفة معينة نابعة من تركيز عينيه فى وجه الحياة ، ولم يستخدم المؤثرات السماوية ، أو يأخذ أبسط العناصر الطبيعية والعقل البشرى ، وأبسط المجردات التى لا تنفصل عن كياننا ، ويحاول أن يؤلف منها نظاماً شعرياً جديداً يختلف عن شعره الآخر كما فعل وردزورث (٦٢) ، وكذلك خلقت قصائد " عابر سبيل " من " الحدث " ولهذا افتقدت الشكل الدرامى فى بنائها ، فلا نجد لديه قصة شعرية ، بعكس وردزورث الذى عني كثيراً بالشعر القصصى (٦٣) .

أما الدكتور زكى نجيب محمود الذى صدر كتابه " مع الشعراء " بأربع مقالات عن العقاد الشاعر (٦٤) فإنه لم يتوقف عند ديوان ، وإنما عند قصيدة - كما فعل فى : ترجمة شيطان والعقاب الهرم ، وأنس الوجود ، وفرضة البحر ، مثلاً ، لكنه - وشعر العقاد محور اهتمامه ، لم يلتفت إلى تجربة " عابر سبيل " - الخاصة فى أسلوبها ، ووصف شعر العقاد بما يناقضها حيناً ، ويقترب منها حيناً آخر ، فحين يقول : " القصيدة عند العقاد بناء من الصوان ، والقلم فى يده هو إزميل النحات ، إنه لا يصوغ

قطعة من العجين اللين ، ولا يقيم بناء من الطين الطرى المطواع ، فلا الفكرة عنده قريبة المنال ، ولا المادة سهلة التشكيل (٦٥) " فإن هذا لا يصدق علي " عابر سبيل " بأي درجة ، وحين يفرق " الجميل والجليل " فيما يثير كل منهما في الوجدان ، ثم يرتب علي هذه التفرقة أن شعر العقاد أدخل في باب الجليل منه في باب الجميل (٦٦) فإنه لا يكون قد أدخل " عابر سبيل " في هذا التصنيف الخاص . غير أننا نلاحظ أن من بين القصائد التي أعجب بها زكي نجيب محمود ، وتوقف عندها محلاً شارحاً ما يمكن أن يقارب منهج العقاد في " عابر سبيل " مع أنها ليست من أوائل ما صنع من شعر ، بل هي " أول " ما صنع من شعر ، فالقصيدة الأولى من الجزء الأول من ديوان العقاد بعنوان " فرضة البحر " - أي الميناء ، وهناك أيضاً قصيدة : : العُقاب الهرم " ، وفي هذه القصيدة ، كما في سابقتها ، يحقق العقاد وظيفة الشاعر كما يراها الفيلسوف : " الشاعر حلقة وسطي بين عالم المعاني الخالدة من ناحية ، وعالم الحياة الجارية ، العابرة ، من ناحية أخرى " (٦٧) .

هكذا تعددت زوايا الرؤية ، فأطل كل ناقد من موقعه المميز ، ليصف التجربة ، ويصدر الحكم عليها . وقد تعددت المواقع فتعددت الرؤية واختلفت الأحكام . ونحن بدورنا لا نفكر في إضافة حكم خامس ، ولا نملك أن نضع أنفسنا حكماً علي الحكم ، أو ناقداً للنقاد ، وإذا لم نجد بينهم من فرص الاتفاق غير القليل ، فإن هذا يجعلنا نتحفظ في إضافة شيء يتفق أو يختلف ، ويكفي أن هذه الآراء قد ميزت المنهج ، وكشفت عن جنوره الممتدة في تربتنا الثقافية التراثية ، وبنافعه الحالية ، وأهم منجزات قدمها العقاد ، وأنواع التقصير التي تسلت إلي بعض قصائده فشغلته حماسه للنظرية عن تدبر مطالبها العملية ، غير أننا نريد أن نضع بعض الملاحظات العامة ،

ونرصد آثار هذه التجربة النادرة في موقعها الزمني ، وهذا ما نخصص له
الفقرة الأخيرة .

٥ - تعقيب :

في هذه الصفحات الختامية ، حول تجربة " عابر سبيل " وموضوعات
الشعر ، سنحاول أن نوضح بعض الجوانب التي تتعلق بالديوان ، وأثر منهجه
في الشعر العربي الحديث ، وبعض ما يتصل بما ذكره النقاد الأربعة الذين
وقفنا عند رأيهم في التجربة ومدى رضاهم عن القصائد .

١ - وأول ما نري من واجبتنا أن نوضحه ، هو : إلى أي مدى يصطدم
أو يتصل رأي العقاد الذي دعا إليه في مقدمة " عابر سبيل " (بصرف النظر
عن استقلال رأيه فيها أو استمداده لأراء وريزورث) برأيه في معنى الشعر ،
وخصائصه ، ومهمة الشاعر ؟

لقد جمع لنا أحد مريدي العقاد (العوضي الوكيل) اقتباسات شتى
من كتابات العقاد ، يمكن أن نجد فيها مؤشراً صادقاً لجواب هذه المسألة .
ونضع في اعتبارنا أن هذه الكتابات سابقة علي ظهور " عابر سبيل " وما
تضمن من دعوة .

يقول (في : خلاصة اليومية ، وقد نشر عام ١٩١٢م) " فليست
المعاني منطقية في أحرف كلماتها ، ولكنها ترمز إليها ، ولا مجرد النطق بكلمة
تكفي لاستحضار معناها عند كل من يسمعها علي السواء ، فتختلف الكلمة
الواحدة في قوة استحضار المعنى باختلاف مدلولاتها وملابساتها عند
السامعين ، والتفطن إلي الفرق الدقيق بين معاني الألفاظ ، والتلطف في أداء

كل منها في موضعه يدخلان في الملكة التي يحتاجها الشاعر ليكون شاعراً مجيداً ...^(٦٨) فهذه العبارة المبكرة أساس لعبارة نشرت بعد ذلك بربع قرن من الزمان ، التي استهل بها العقاد مقدمته لعابر سبيل ، حين قال كلمة : " أنا حاضرة اليوم " إذ كتبتها معشوقة إلي عاشق حملت إليه من الفرح والاشوق ، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ، ماتضيق عنه أشعار العبقرين ورسائل البلغاء ، وهي بعد من أنفه الجمل التي يتألف منها الكلام المركب المفيد ...^(٦٩) وكذلك نستعيد هنا جملة التي رصد اختلاف صداها علي أساس الاختلاف في نفسية المتلقي وعلاقته بمضمونها ، وهي عبارة : " فلان يحترق " وقد سبقت الإشارة إلي أن العقاد - فيما يتعلق بوصف المخترعات الحديثة - الذي سبق إليه شعراء قبل جيل العقاد - لايري العبارة في الوصف ، بل بأسلوب الوصف ، وينطوي هذا كله في المطلب الأساسي من الشاعر : " التعبير الجميل عن الشعور الصادق " وفي " خلاصة اليومية " أيضاً ، ذلك الكتاب المبكر جداً ، يطرح العقاد السؤال البدهي الصعب : من هو الشاعر؟ ويرفض أن يكون المقصد (صانع القصائد) الذي يبهل ويخلب ويرصع ، إنه ليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، إنما هو الشاعر من يشعر ، ويشعر^(٧٠) . وفي كتابه المبكر أيضاً " مطالعات في الكتب والحياة " مقالة بعنوان " الشعر ومزاياه " ^(٧١) وقد كان وضعها مقدمة للجزء الثاني من ديوان صديقه ورفيق مدرسته الشعرية عبد الرحمن شكري قبل أن تدب الجفوة بينهما ، وقد طبع الديوان تنصده مقدمة العقاد عام ١٩١٣ م . فما مزية الشعر كما يراه العقاد في هذا الوقت المبكر ؟ " إنما الشعر حقيقة الحقائق ، لب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها ... وقد

ونرصده آثار هذه التجربة النادرة في موقعها الزمني ، وهذا ما نخصص له
الفقرة الأخيرة .

هـ - تعليق :

في هذه الصفحات الختامية ، حول تجربة " عابر سبيل " وموضوعات
الشعر ، سنحاول أن نوضح بعض الجوانب التي تتعلق بالديوان ، وأثر منهجه
في الشعر العربي الحديث ، وبعض ما يتصل بما ذكره النقاد الأربعة الذين
وقفنا عند رأيهم في التجربة ومدى رضاهم عن القصائد .

١ - وأول ما نري من واجبنا أن نوضحه ، هو : إلى أي مدى يصطدم
أو يتصل رأي العقاد الذي دعا إليه في مقدمة " عابر سبيل " (بصرف النظر
عن استقلال رأيه فيها أو استمداده لأراء وردزورث) برأيه في معنى الشعر ،
وخواصه ، ومهمة الشاعر ؟

لقد جمع لنا أحد مریدی العقاد (العوضي الوكيل) اقتباسات شتى
من كتابات العقاد ، يمكن أن نجد فيها مؤشراً صادقاً لجواب هذه المسألة .
ونضع في اعتبارنا أن هذه الكتابات سابقة علي ظهور " عابر سبيل " وما
تضمن من دعوة .

يقول (في : خلاصة اليومية ، وقد نشر عام ١٩١٢م) " فليست
المعاني منظورية في أحرف كلماتها ، ولكنها ترمز إليها ، ولا مجرد النطق بكلمة
تكفي لاستحضار معناها عند كل من يسمعها علي السواء ، فتختلف الكلمة
الواحدة في قوة استحضار المعنى باختلاف مدلولاتها وملابساتها عند
السامعين ، والتقطن إلي الفرق الدقيق بين معاني الألفاظ ، والتلطف في أداء

كل منها في موضعه يدخلان في الملّكة التي يحتاجها الشاعر ليكون شاعراً مجيداً ... (٦٨) فهذه العبارة المبكرة أساس عبارة نشرت بعد ذلك بربع قرن من الزمان ، التي استهل بها العقاد مقدمته لعابر سبيل ، حين قال كلمة : " أنا حاضرة اليوم " إذ كتبتها معشوقة إلي عاشق حملت إليه من الفرح والاشوق ، وأشاعت في نفسه من الأمل واللذة ، ماتضيق عنه أشعار العبقرين ورسائل البلغاء ، وهي بعد من أطفه الجمل التي يتألف منها الكلام المركب المفيد ... (٦٩) وكذلك نستعيد هنا جملة التي رصد اختلاف صداها علي أساس الاختلاف في نفسية المتلقي وعلاقته بمضمونها ، وهي عبارة : " فلان يحترق " وقد سبقت الإشارة إلي أن العقاد - فيما يتعلق بوصف المخترعات الحديثة - الذي سبق إليه شعراء قبل جيل العقاد - لايري العبرة في الوصف ، بل بأسلوب الوصف ، وينطوي هذا كله في المطلب الأساسي من الشاعر : " التعبير الجميل عن الشعور الصادق " وفي " خلاصة اليومية " أيضاً ، ذلك الكتاب المبكر جداً ، يطرح العقاد السؤال البدهي الصعب : من هو الشاعر؟ ويرفض أن يكون المقصد (صانع القصائد) الذي يبهر ويخلب ويرّصع ، إنه ليس بصاحب الكلام الفخم واللفظ الجزل ، إنما هو الشاعر من يشعر ، ويشعر (٧٠) . وفي كتابه المبكر أيضاً " مطالعات في الكتب والحياة " مقالة بعنوان " الشعر ومزاياه " (٧١) وقد كان وضعها مقدمة للجزء الثاني من ديوان صديقه ورفيق مدرسته الشعرية عبد الرحمن شكري قبل أن تدب الجفوة بينهما ، وقد طُبع الديوان تنصده مقدمة العقاد عام ١٩١٣م . فما مزية الشعر كما يراه العقاد في هذا الوقت المبكر؟ " إنما الشعر حقيقة الحقائق ، ولب اللباب ، والجوهر الصميم من كل ماله ظاهر في متناول الحواس والعقول ، وهو ترجمان النفس والناقل الأمين عن لسانها ... وقد

يخالف الشعر الحقيقة في صورته ، ولكن الحر الأصيل منه لا يتعداها ،
ولا تخالف روحه روحها ، لأنه لا حقيقة للإنسان إلا بما ثبت في النفس
واحتواء الحسن .

ولكن : أى حقيقة تلك التي يقوم عليها الشعر ؟ هل هى حقيقة
" مادية " ، " خارجية " تتحقق في الشيء ذاته ، أو هي الموضوع ؟ هنا يأتي
جواب العقاد : " الشعر بهذه المثابة باب كبير من أبواب السعادة ، لأنه ما من
شئ في هذه الدنيا يسر لذاته ، أو يحزن لذاته ، وإنما تسر الأشياء أو تحزن
بما تكسوها الخواطر في الهيئات وتغيرها الأذهان من الصور . فالشئ
الواحد قد يكون مدعاة للبهجة والرضا في بعض الأوقات ، ثم يكون في غير
ذلك الوقت مجلبة للأسى والأسف ، وطريقاً إلى الشجن والجوى . والشعر
وحده كفيل بأن يبدى لنا الأشياء في الصورة التي ترضاها خواطرنا وتأنس
بها أرواحنا ، لأنه هو ناسج الصور ، وخالع الأجسام علي المعاني النفسية ،
وهو سلطان متربع في عرش النفس ، يخلق الحلل علي كل سائحة تمثل بين
يديه ، ويغض الطرف عن كل ما لا يحب النظر إليه " .

فهنا إشارات صريحة واضحة إلي علاقة الشاعر بالأشياء ، إنه لا يبدأ
من فراغ ، وهذه " السوانح " تمثل بين يديه ، فيخلق عليها ما يشاء من حلل ،
فهنا تفاعل بين الذات والموضوع ، فإذا كان " الموضوع " ثابتاً ساكناً ،
فإن ذات الشاعر لها أحوال ، ولهذا قد تجد في هذا الموضوع ما يسر حيناً
وما يحزن حيناً آخر . وهذه الإشارات تقرينا من منهج عابر سبيل .

ولعلنا نتذكر كيف رفضت مدرسة الديوان أبواب الشعر المتوارثة ،
ويخاصة ما له علاقة بالمجتمع والحياة المادية ، وكان شعارها

قول عبد الرحمن شكرى السالف :

ألا ياطائر القربى سى إن الشعر وجدان

وقول العقاد :

والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس ، رحمن
فهنا ارتفاع بالشعر والشاعر فوق المألوف والعادي ، بل المادى أيضاً ،
لكن العقاد يقول فى مقالته السابقة :

" الشعر لا تنحصر مزيته في الفكاكة العاجلة ، والترفيه عن الخواطر ،
لا ، بل ولا في تهذيب الأخلاق وتلطيف الإحساسات - ولكنه يعين الأمة أيضاً
في حياتها المادية ، والسياسية ، وإن لم ترد فيه كلمة عن الاقتصاد
والاجتماع ، فإنما هو كيف كانت موضوعاته وأبوابه مظهر من مظاهر
الشعور النفسانى ، وإن تذهب حركة في النفس بغير أثر ظاهر في العالم
الخارجى .

هنا نجد نصاً علي إعانة الأمة (الفاس) في حياتهم المادية
والسياسية ، وتوجيهها علي أن هذا لا يكون بذكر المادة أو السياسة أو
الاقتصاد والاجتماع بشكل مباشر ، وإنما يكون ويتحقق بأن يمرّ هذا كله
بالفن الشعري ، بالشعور النفسانى ، الذي يتولد في النفس ، ويتجه إلي
العالم الخارجى . وهذا القول يقربنا من جوهر ما دعا العقاد إليه في
مقدمته ، وقصائده ، فى " عابر سبيل " .

٢ - وإذا كانت المقابلة بين مقدمة وردزورث ، ومقدمة العقاد أدت إلى
أنه قرأه ، وأفاد منه ، فإننا نقبل هذا ، ولا تقتصر عليه ، لأن العقاد في كل

ما ينادى به لم يكن يستسلم بفكره لمصدر واحد ، مهما كانت قوة هذا المصدر أو درجة الإعجاب به ، وفي الاتجاه إلى الماكوف والتافه ، لابد أن نجد تأثيراً للزعة الإنسانية السائدة في الآداب العالمية ، وأساسها التعاطف ، بل التقديس لكافة مظاهر الحياة . علي أن إشارة الدكتور محمد مندور إلي تأثير قادم من ابن الرومي ، ليست مما يستبعد ، وللعقاد دراسة عن ابن الرومي : " ابن الرومي : حياته من شعره " تعد مؤسسة للنقد النفسي في نقدنا العربي الحديث (٧٢) . كما يكشف الدكتور عبد الحى دياب عن جانب من معارضات العقاد - في شعره - لشعراء سبقوه ، وأنه عارض ابن الرومي في قصيدته الشهيرة التي يصف فيها المرأة بأنواع الفراكه ، إذ يقول :

أجنت لك الوجد أغصانٌ وكتبانٌ فيهن نوعان تفاح ورمّان
وفوق ذينك أنسابٌ مهدلةٌ سودّ لهن من الظلماء ألوان
فقال العقاد يعارضها ، علي وزنها وقافيتها ، وقد أهدها لابن الرومي :

يهنيك يا زهر أطوار وأفنان الطير ينشد والأفنان عيدان
طوباك لست بإنسان فتشبهني إني ظمعت ، وأنت اليوم ريان (٧٣)

بل نستبعد أن يكون العقاد قد التفت إلي هذا الفن من ضروب الشعر ، أول أمره من خلال حملته علي وصف المخترعات الحديثة الذي قدمنا له أمثلة عند البارودي وشوقي وحافظ وغيرهم ، فإن العقاد وصف المخترعات عامة ، حديثة وقديمة ، وغير في طبيعة الوصف - كما قال هو في نص سابق - فلم يصف الأشياء ، بل يصف شعوره بالأشياء ، علي نحو ما بيّن هذا في كتاب " الديوان " في سياق تعليقه ونقده اللاذع لتشبيهات أحمد شوقي ، فقال :

"وما ابتدع التشبيه لرسم الاشكال والألوان ، فإن الناس جميعاً يرون الاشكال والألوان من نفس إلى نفس ، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر علي سواء ، ولهذا لا لغيره كان كلامه مطرباً مؤثراً" (٧٤) .

وهكذا يمكن أن تتعدد النتائج ، لتؤدي إلى اكتشاف شيء جديد أو أسلوب مستحدث بالنسبة إلينا ، وحديث العقاد عن تجربته في القراءة والاطلاع ، وتجربة جيله من أدباء العصر الحديث ، تشير إلى هذا التعدد ، والنص المتداول في هذا المعنى مصدره كتاب " شعراء مصر وبيناتهم في الجيل الماضي " وفيه يقول العقاد إن الجيل الناشئ بعد شوقي كان وليد مدرسة لا شبه بينها وبين ما سبقها في تاريخ الأدب العربي الحديث ، فهي مدرسة أوغلت في القراءة الإنجليزية ، ولم تقصر قراءتها على أطراف من الأدب الفرنسي ، كما كان يغلب على أدباء الشرق الناشئين في أواخر القرن الغابر ، وهي علي إغفالها في قراءة الأدباء والشعراء الإنجليز لم تنس الألمان والطلليان والروس والأسبان والبرناب واللاتين الأقدمين !! . ثم إنه بعد أن يذكر تأثر مدرسته بمدرسة النبوة والمجاز ، وإليها ينتمي ربنزورث ، يذكر أنه خلفتها مدرسة قريبة منها تجمع بين الواقعية والمجازية ، ويذكر أسماء شعراء هذه المدرسة ، وينكر بينهم الشاعر الأمريكي والت ويتمان .

هنا نلتقط هذه الإشارة ، ونمضي معها ، لنري أن " ويتمان " كان الخطوة الحاسمة في وضع النموذج الذي ارتضاه العقاد في قصائد " عابر سبيل " حتي وإن كانت أفكار المقدمة تتجه إلى ربنزورث أكثر من غيره . يقول جيمس ميلر عن لغة ويتمان : إن الفطنة تلازم لغته ، في مزجه في غير تمييز بين مستويات الاستخدام ، " وديوانه بوتقة تنصهر فيها لغة أمريكا ،

وفي هذه البوتقة تختلط جميع لغات الشعب بأسره ، لتتضح طعاماً شهياً
محبوباً ، وحكمته هي الحكمة الشعبية التي تعيش في أقوال الناس الماثورة ،
في أناشيدهم وتعاويذهم ورقاهم ، وباختصار في لغتهم (٧٥) . وفي ديوانه
" أوراق العشب " نجد هذا الاحتفاء باليومي البسيط المأكوف ، ونجد الواقعية
في العناية بالتفاصيل النافذة أو التي لا تلفت النظر ، لكن الشاعر التفت
إليها ، ووصفها في سياق شعري يزيل عنها غبار الالفه ويظهر ما فيها من
عبق خاص ، اكتسبته بامتدادها المتغلغل في الاستخدام العام . من قصيدة
" أغنية لنفسى " أختار بعض المقاطع :

صبي القصاب ينزع ملابس الذبح

أو يحدّ سكينه علي دكة السوق

وأنا ألتسكع معجباً ببديعته الحاضرة

وحركته الخفيفة ...

وتوقفه

الحدائون ذوو الصدور الشعراء المسخمة

يحيطون بالسندان

كلٌ ومطرقته الثقيلة

إنهم يطرقون معاً

والنار لاهبة الحرارة

.....

أيتها الثيران التي تضيق بالنير والسلسلة
أو تتوقف عند الظلة الظليلة

مالذي تعبر عنه عيونك ؟

يتراعى لي أنه أكثر من كل ما قرأته مطبوعاً طوال حياتي .

.....

الشقيقة الصغرى تمسك بشلة الخيوط

بينما تلفها الكبرى كرة

وتتوقف ، بين أن وأن ، لتعقد الخيوط

والمتزوجة منذ عام

تستعيد عافيتها

فرحة بانها وضعت وليدها الأول قبل أسبوع

والفتاة اليانكية ذات الشعر النظيف

تعمل على ماكينة الخياطة

أو في المصنع

أو في المطحنة

وعامل التلبيط يعتمد علي عريته ذات الذراعين

تقرير الصحفي يندفع علي دفتر الملاحظات

والخطاط يخط حروفه بالأزرق والذهب

وفتي القناة نجب علي درب جر القوارب

والمحاسب يعد علي منضدته

والحذاء يعالج خيطه بالشمع ... (٧٦)

إننا هنا نجد مظاهر الحياة البسيطة ، (القاسية ، كما نجد تزامن الصور ، تلك التي بثها العقاد في ثلاث من قصائده تصف أصدقاء الشارع ، أو حين تحل الساعة الثامنة وينطلق الباعة في البحث عن المشتريين ، أو حين يصف نماذج مختلفة من الناس انصرفوا حالاً في صلاة الجمعة ، ووقفوا في ساحة المسجد .

٢ - فما الذي بقي من دعوة العقاد إلي شعر الموضوعات اليومية ؟

إن الجواب يعتمد علي مبدأ يتجاوز السؤال المحدد المباشر ، إلي قضية العلاقة بين الشعر وتفاصيل الحياة وشواخصها المألوفة . ولعل الدكتور محمد غنيمي هلال يعبر عن موقف الشعر بقوله : " إننا لا نستطيع أن نخرج من نطاق الشعر التجارب التي موضوعها هي القيمة ، متى استطاع الشاعر أن يضفي عليها من شعوره ، وتصويره ، وأخيلته القوية ما تنفذ به الي ما فيها من معانٍ جمالية أو إنسانية ، وبقوة الملكة الشعرية يستطيع الشاعر أن يجد موضوعات للتجارب الصادقة في كل ما حوله متى ما خلع عليها من إحساسه ، وفاض عليها من خياله . وفي هذه لابد من قدرة شعرية تفوق المؤلف ، لتنتقل هذه المشاهد اليومية إلي عالم الشعر بقوة الإحساس ، والتصوير الفني (٧٧) " ، ثم ينتهي الناقد إلي أنه لا يمكن أن تحدد موضوعات لتكون شعرية بطبيعتها ، وأخري لتكون خارجة عن نطاق الشعر ، فقد ينفذ الشاعر ببصيرته ليرى - خلال ما يبدو تافهاً في بادئ الأمر - ما ينم عن مسألة

نفسية أو مشكلة اجتماعية ، أو يرى فيه مجالاً لتصوير فني رائع يبين عن مشاعره أو عواطفه " وإذن لا نحكم على الموضوع إلا على حسب ما عالجه الشاعر من جهة التصوير ، ثم من جهة قوة المعاني وجلالها (٧٨) " . ومع هذا يقرر أن الموضوعات ليست أمام الشعراء سواء ، " فموضوع مثل خروج آدم من الجنة قد هبأ لكثير من العباقرة فرصاً شعرية لا يمكن أن تتاح لهم في وصف نافذة مثلاً . ذلك أن الموضوع الأول ذو قيمة فنية تثير الخيال بعبارة أكثر مما يثيره الموضوع الثاني . فالذي يهيج الخيال ليس الفكرة المجردة ، أو الحقيقة المعزولة ، ولكن مجموع صور ومناظر وأعمال وحوادث تستدعي سابقاً الخيال الانفعالي لتنظيمها وتصويرها ، فإذا نظم شاعر فيه شعراً رديئاً كان لنا أن نقول إنه قد قعدت به موهبته الشعرية ، ولا ينبغي أن نهمله بذلك لو أنه لم يجد في وصف محبرة مثلاً ، علي أن الشاعر قد يحكى تجربة عميقة لا تمت بصلة كبيرة إلى عنوانها ، فيكون موضوعها تملة لذكر خواطره ، كما فعل بودلير مثلاً في وصف النافذة ، أو وصف طائفة " الألباتروس " ، ومثل خواطر الموت والحياة والفناء في قصيدة ميخائيل نعيمة : " إلى نودة " (٧٩) إن هذا التصور للقضية يرفض أن يحصر استلهاقات الشعراء في مستوي معين ، ويجعل المعول عليه هو قوة الشاعرية قوة الإحساس بالشئ ، وليس الشئ في ذاته ، مما يؤدي إلى أن يظل باب " الموضوعات الشعرية " مفتوحاً ، متجدداً ، يتقبل إضافة أى جديد ، لأنه مرهون بنظرة الشاعر إلى هذا الجديد (أو قراءته الجديدة لشئ قديم) وقدرته على النفاذ فيه وتصويره تصويراً مؤثراً .

لكن القدر الذي تسرب إلى الشعر الحديث ، حتي تشبّع به في مرحلة أعقبت ظهور " عابر سبيل " هو مسحة الواقعية التي أصبح الشعراء الجدد

في تلك الفترة يحرصون علي أن يتلمسوا التأثير من دقة تصوير الواقع ،
وطرافته ، أكثر مما يتلمسونه من التحليق في الخيال ، والإغراب في
التصوّر ، أو التصوير :

في قصيدة بعنوان : " الحزن " يقول صلاح عبد الصبور :

يا صاحبي إننى حزين

طلع الصباح فما ابتسمت ، ولم ينر وجهي الصباح

وخرجت من جوف المدينة أطلب الرزق المتاح

وغمست فى ماء القناعة خبز أيامي الكفاف

ورجعت بعد الظهر فى جيبي قروش

فشربت شاياً فى الطريق

ورتقت نعلي

ولعبت بالنرد الموزّع بين كفي والصديق

قل ساعة أو ساعتين

قل عشرة أو عشرين

وضحكت من أسطورة حمقاء ردها الصديق

ودموع شحاذ صفيق

وأتى المساء ... (٨٠)

فهنا نجد الاستعانة بأسلوب الحكاء الشعبي ، أو طريقة العامة في
افتتاح أى حديث : " يا صاحبي " ثم الإنباء عن الشعور بطريقة تقريرية هي

معاكسة لروح الشعر ونزعت التصويرية "إني حزين" لكنها محاكاة للغة العامة وأساليب الكلام اليومي المعتاد ، ثم هذه التفاصيل الخالية من الشاعرية : عن الشاي وإصلاح النعل ولعب الترد والاستهانة بالشحاذ علي المقهى ... أما أحمد عبد المعطي حجازي (٨١) ، في قصيدة " الطريق إلى السيدة " فيصور شخصية الريفي الذي نزل العاصمة الواسعة ، فلم يجد من يرشده إلى طريقه ، إذ يقصد زيارة ضريح السيدة زينب - رضي الله عنها - أو الحي المنسوب إلى اسمها :

- ياعم

من أين الطريق ؟

أين طريق السيدة ؟

- أيمن قليلاً ، ثم أيسر بابني

قال ، ولم ينظر إلى !! (٨٢)

وتمضي القصيدة لتعبر عن الضياع والقهقير للغريب في ليل المدينة ذات القلب القاسي . ولا بد أن نراقب طريقة الشاعر في إدارة الحوار - في مدخل قصيدته - ومحاكاته للغة العامة ، وأساليبهم . وتحت عنوان " سلة الليمون " يلتقط من شوارع المدينة " ضائعاً " آخر ، إنه الطفل الذي يدور يبحث عن مشتر ، يبيع له الليمون ، وقد جاء به من الريف :

سلة ليمون

تحت شعاع الشمس المسنون

والولد ينادي بالصوت المحزون :

" عشرون بقرش "

" بالقرش الواحد عشرون " (٨٢)

ومن قصيدة " مقتل صبي " يظهر الضائع في المدينة - للمرة الثالثة
في ديوان عبد المعطى حجازي الأول - إنه هنا يلقي مصرعه تحت عجلات
سيارة طائشة ولأن المدن مزدحمة ، ولأن الصبي غريب ، فإن أحداً لم
يأبه الحادث :

الموت في الميدان طنّ

الصمت حطّ كالكفن

وأقبلت ذبابة خضراء

جاءت من المقابر الريفية الحزينة

ولولبت جناحها علي صبي مات في المدينة

فما بكت عليه عين

الموت في الميدان طنّ

العجلات صفّرت ، توقفت

قالوا : ابن من ؟

ولم يجب أحد

فليس يعرف اسمه هنا سواء

يا ولداه !!

قيلت ، وغاب القاتل الحزين ،

والتقت العيون بالعيون ،

ولم يجب أحد

فالناس في المدائن الكبرى عدد

جاء ولد

مات ولد ... (٨٤)

فهنا أيضاً : الحرص علي التفاصيل ، ومحاكاة طريقة العامة في التساؤل والإجابة ، فضلاً عن رصد الشاعر ، هذا مع نوعية " الإنسان " الذي سجلت هذه القصائد لمحة من حياته ، إنه الإنسان البسيط الذي لم يلتفت إليه الشعراء قبل " عابر سبيل " فإذا صَوَّرَ العقاد الباعة ، وساعي البريد ، وعسكري المرور ، فقد صور صلاح عبد الصبور الإنسان الفقير المجهد ، الذي يرتق نعله ويأكل خبزَه مغموساً بالقناعة ، كما صور عبد المعطي حجازي بائع الليمون ، والرفي التائه في شوارع المدينة ، وأبناء الشوارع الذين لا يعرفهم أحد ، لأنهم وفلوا إلي المدينة يطلبون الرزق ، فام تقسح لهم مكاناً بين زحامها الذي لا يرحم .

الهوامش :

(١) انظر في رأى أفلاطون محاورته مع أيون ، في كتاب : (نصوص النقد الأدبي) : اليونان للدكتور لويس عوض ، ما كتب تحت عنوان : في الإلهام : ص ١٨ - تسلسل الإلهام : ص ٢١ - دار المعارف بمصر ١٩٦٥ م .

(٢) أرسطوطاليس : فن الشعر : ص ٢٢ - ترجمة د. شكري عياد ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٧ م .

(٣) السابق نفسه : ص ٢٦ .

(٤) السابق نفسه : ص ٦٤ .

(٥) في كتابه نقد الشعر ، تحقيق كمال مصطفى - ط الثالثة ، مكتبة الخانجي بالقاهرة - ١٩٧٨ م ، وقد توفي قدامة بن جعفر عام ٣٢٧ هـ .

(٦) حازم القرطاجنى (توفي عام ٦٨٤ هـ) مؤلف كتاب : منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، وهو أقرب النقاد العرب القدماء أخذاً وتأثراً بأفكار أرسطو - منهاج تحقيق : محمد الحبيب بن الخوجة - تونس - ١٩٦٦ م .

(٧) الشعر والشعراء : ج ١ - ص ٦٤ (توفي ابن قتيبة عام ٢٧٦ هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر - دار المعارف - مصر ١٩٦٦ م .

(٨) السابق نفسه : ص ٦٥ - ونقصد مما مثل للضرب الأول قول أبي نؤيب :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا تردّ إلي قليل تقنع

- (٩) السابق نفسه : ص ٦٦ .
- (١٠) السابق نفسه : ص ٦٦ ، ٦٧ .
- (١١) في كتابه " الخصائص " (توفي أبن جني عام ٣٩٢هـ) وجاء شرحه للآبيات في " باب في الرد علي من ادعى علي العرب عنايتها بالألفاظ وإغفالها المعاني " : ج ١ - ص ٢١٨ ، ٢١٩ .
- (١٢) في كتابه " أسرار البلاغة " : ص ٢١ وما بعدها ، تحقيق هـ ريتز - ط استانبول - مطبعة وزارة المعارف عام ١٩٥٤ م .
- (١٣) نقد الشعر : ص ٦٥ ، ٦٦ .
- (١٤) السابق نفسه : ص ٨٢ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ .
- (١٥) السابق نفسه : ص ١٩ .
- (١٦) السابق نفسه : ص ٦٢ .
- (١٧) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، للكمدى الحسن بن بشر (توفي عام ٢٧٠هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر - ج ١ - ص ٥٧ - دار المعارف بمصر - ١٩٧٢ م .
- (١٨) كالأبتدعات بنكر الوقوف على الديار ، والتسليم علي الديار ، وذكر الشيب ... إلخ .
- (١٩) إحسان عباس : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : ص ٥٥١ - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧١ م .
- (٢٠) منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

- (٢١) انظر : الأسس الجمالية في النقد العربي : عز الدين إسماعيل -
ص ٢٥٢ ، ٣٥٤ ، ٢٧٠ .
- (٢٢) اعتمدنا علي نسخة ديوان " عابر سبيل " المطبوعة ضمن " خمسة
نواوين للعقاد " - الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣م -
انظر مقدمة " عابر سبيل " ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .
- (٢٣) راجع مقالة محمد مندور عن الشاعر " عبد الرحمن شكري - شاعر
الاستبطن الذاتي " - من كتاب الشعر المصري بعد شوقي - الحلقة
الأولى - ص ٩١ وما بعدها - مكتبة نهضة مصر - (بدون تاريخ) .
- (٢٤) لأن الواقع ارتبط بالمحسوسات ووصف موضوعي لها - والشعرية
إدراك وارتفاع عن الواقع المباشر ، ولهذا تجنب النقد الغربي وصف
الشعر بالواقعية ، وحين سادت النزعة إلي الواقع قالوا : " الشعر
البرناسي " .
- (٢٥) نفوسه زكريا سعيد : البارودي - حياته وشعره : ص ٦٧٤ - ٢٧٠ .
الناشر مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري - ١٩٩٢م .
- (٢٦) انظر " الشوقيات " تحت هذه العناوين ، في الأجزاء الثلاثة الأولى .
- (٢٧) ديوان حافظ إبراهيم : ج ١ - ص ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٧١ ، ١٨٧ -
المطبعة الأميرية بالقاهرة - ١٩٥٦م .
- (٢٨) العوضى الركيل : العقاد والتجديد في الشعر : ص ٤٠ - دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٦٦م .
- (٢٩) القصيدة من ديوان عابر سبيل ، ص ٢٩٢ ، ونلاحظ إيقاعها السريع

المتعثر - وصورها المتلاحقة ، فكأنما تجسّد الإحساس بالسرعة .

(٢٠) وجه المفارقة في هذه القصيدة أن الشاعر أسند لكل فريق مالا يناسبه أو يتصل به ، مثل أبناء جرجا (صعيد مصر) الذين يبيعون القفاح الأمريكي - والإسرائيلي الذي يمزج بين العربية والتركية في حديثه - واليوناني الذي يبيع أوراق (اليانصيب) لصالح الجمعيات الخيرية الإسلامية ، وأهل اليابان الذين يحيون بالعربية .

(٢١) هي : بعد صلاة الجمعة - المصرف - سلع الدكاكين - معرض البيت .

(٢٢) هما : أمام قفص الجييون - الطريق في الصباح .

(٢٣) وهي قصيدة كواء الثياب .

(٢٤) عبد الله الطيب - المرشد إلي فهم أشعار العرب وصناعتها - ج ١ - ص ١٠٧ .

(٢٥) الناشر : مكتبة نهضة مصر ومطبعتها - وهي بدون تاريخ - الحلقة الثانية - التالية لهذه نشرت عام ١٩٦٩ م .

(٢٦) الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى) - ص ٤٩ - ٩٠ .

(٢٧) السابق نفسه : ص ٥٠ ، ٥١ .

(٢٨) السابق نفسه : ص ٥٦ .

(٢٩) السابق نفسه : ص ٦٢ .

(٤٠) هدية الكروان (نشر ضمن " خمسة نواوين للعقاد " - مرجع سابق) انظر المقدمة ص ٨ ، ٩ .

(٤١) وهنا يقدم الدكتور مندور نموذجاً من شعر ابن الرومي - وصفه للخباز صانع الرقاق ، ثم يقول : " في هذه الأبيات استطاع ابن الرومي أن يخلق شيئاً من لاشيء ، وذلك بفضل براعة التصوير " - ص ٤٢ .

(٤٢) السابق نفسه : ص ٧٤ .

(٤٣) السابق نفسه : ص ٧٥ ، ٧٦ - أما " الست هدي " فهي الملهة الوحيدة التي كتبها أحمد شوقي بين ست مسرحيات مأسوية ، والمشهد الذي يقصده الدكتور مندور في بداية الفصل الأول وفيه تجلس الست هدي مع صديقتها زينب ، تدافع عن نفسها - تجاه أقاويل الجيران - وقد تزوجت تسعة رجال ، وراحت تعدد كيف خلصها " عزيريل " منهم واحداً بعد الآخر ، لتبريء نفسها من صفة البخل .

(٤٤) الشعر المصري بعد شوقي (الحلقة الأولى) - ص ٧٨ .

(٤٥) دراسات في الشعر العربي المعاصر - دار المعارف بمصر - ط خامسة ١٩٧٤م ، وقد عقد فيه فصلاً بعنوان : " الموضوعات اليومية في عابر سبيل للعقاد " - ص ٨٧ - ١٠٤ .

(٤٦) السابق نفسه : ص ٩٤ .

(٤٧) السابق نفسه : ص ٩٧ .

(٤٨) السابق نفسه : ص ٩٩ .

(٤٩) السابق نفسه : ص ١٠٣ .

(٥٠) السابق نفسه : ص ١٠٢ .

(٥١) الشعر وطوايعه الشعبية علي مر العصور - دار المعارف بمصر - ١٩٧٧م .

(٥٢) السابق نفسه : ص ٦٠٥ .

(٥٣) في مقدمة هذه الدراسات كتابه : عباس العقاد ناقدًا ، دار الشعب بالقاهرة - ١٩٧٠م - وكتابه شاعرية العقاد في ميزان النقد الحديث - دار النهضة العربية - ١٩٦٩م - وهو مصدرنا الذي نعتمد عليه في إيراد رأيه .

(٥٤) من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده - ط ثانية - معهد البحوث والدراسات العربية - ١٩٧٠م - ص ٧٤ - ١٠٤ .

(٥٥) السابق نفسه : ص ٧٥ .

(٥٦) Wordsworth : The Norton Anthology of English Literature p 100
- 133. Norton and Company. INC. 1968.

(٥٧) شاعرية العقاد : ص ٢٢٨ .

(٥٨) السابق نفسه : ص ٢٢٩ .

(٥٩) السابق نفسه : ص ٢٣٠ .

(٦٠) السابق نفسه : ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

(٦١) السابق نفسه : ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٦٢) السابق نفسه : ص ٢٣٥ .

(٦٣) السابق نفسه : ص ٢٣٨ ، والمراجع بالهامش .

(٦٤) " مع الشعراء " مقالات في نقد الشعر ، جمعها وصدرت في كتاب عام ١٩٧٨م - الناشر : دار الشروق بالقاهرة ، وقد اختص العقاد

الشاعر بأربع مقالات تصدرت الكتاب ، وهي العقاد - ساعر ، كيف
ترجم العقاد للشيطان ، العقاد كما عرفت ، فلسفة العقاد من
شعره (ص ٥ - ٦٥) .

(٦٥) السابق نفسه : ص ١٠ .

(٦٦) السابق نفسه : ص ١٧ ، ١٨ .

(٦٧) السابق نفسه : ص ٦ .

(٦٨) العقاد والتجديد في الشعر : ص ٢٨ .

(٦٩) مقدمة " عابر سبيل " : ص ٢٧٧ .

(٧٠) العقاد والتجديد في الشعر : ص ٢٩ .

(٧١) مطالعات في الكتب والحياة - دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ -
١٩٦٦م - ص ٤٢٢ وما بعدها .

(٧٢) " ابن الرومي - " حياته من شعره " أتبعه العقاد بمختارات من شعر
ابن الرومي من بينها هذه القصيدة التي عارضها ، ووضع لها عنوان "
النساء " انظر ص ٢٧٠ - ط الثالثة - ١٩٥٠م - مطبعة حجازي
بالقاهرة (بدون تاريخ) .

(٧٣) شاعرية العقاد : ص ٧١ .

(٧٤) الديوان : ج ١ - ص ٢١ - الناشر : دار الشعب بالقاهرة -
ط الثالثة .

(٧٥) وأت ويتمان شاعر أصيل : تأليف جيمس ميلر - ترجمة : د. محمد
فتحى الشنيطي - مكتبة الوعي العربي - القاهرة (بدون تاريخ) .

(٧٦) ديوان "أوراق العشب" ترجمة : سعدى يوسف - منشورات وزارة الإعلام العراقية - ١٩٧٦م - ص ٧٦ - ٧٨ ، ٨٢ .

(٧٧) النقد الأدبي الحديث - دار النهضة العربية - ط الثالثة - ١٩٦٩م - القاهرة - ص ٢٨٨ .

(٧٨) السابق نفسه : ص ٢٩٠ .

(٧٩) السابق نفسه : ص ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٨٠) من ديوان : الناس في بلادي - انظر ديوان صلاح عبد الصبور : ص ٢٦ ، ٢٧ - الناشر : دار العودة - بيروت - ١٩٧٢م .

(٨١) ديوان أحمد عبد المعطي حجازي ، والقصائد من ديوانه الأول بعنوان " مدينة بلا قلب " - الناشر : دار العودة - بيروت - ١٩٧٣م .

(٨٢) ديوان أحمد عبد المعطي حجازي : ص ١١٢ .

(٨٣) السابق نفسه : ص ١٢٥ .

(٨٤) السابق نفسه : ص ١٤٢ - ١٤٤ .

إيران فى عصر البىشداديين والكيانيين بين المسعودى والفردوسى

د. سميرة عبد السلام عاشور

المدرس بقسم اللغة العربية واللغات الشرقية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:

أثناء اشتغالي ببحث عن تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي لاحظت أن معظم مؤرخينا القدامى ساروا على نمط واحد فيما يخص تاريخ هذه الحقبة من اعتماد على مصادر فارسية اختلط فيها القصص الشعبي الشائع عن أبطال قدامى بالأساطير الدينية المستمدة من تراثهم القديمة، وانقلبت فيه الآلهة وقوى الطبيعة في النيات الأرية إلى ملوك البسوا ثوب التاريخ، ورويت الأساطير عنهم في شكل وقائع تاريخية بعد أن اختلطت بسيرة بعضهم بسيرة ملوك تاريخيين عاشوا في العصر الهخامنشي.

وقد اختلفت مواقف مؤرخينا من هذه المادة فعنهم من أثبتها واستقصى رواياتها المتعددة نون إعمال للعقل أو استنصاء للفكر في صحتها مثلما فعل الطبري (ت سنة ٣١٠ هـ)، ومنهم من استبشعها ورفض إثباتها كاليقوبى (ت سنة ٢٩٢ هـ)، ومنهم من انتكدها، ولكنه أثبتها في كتابه بشكل مختصر مثلما فعل حمزة الأصفهاني (ت سنة ٣٦٠ هـ) والبيروني (ت سنة ٤١٠ هـ) ومثلما فعل المسعودي (ت سنة ٦٤٣ هـ) موضوع هذا البحث.

وقد لاحظت أن المسعودي في كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر" قد سلك لنفسه منهاجا واضحا بين المؤرخين، وبرزت لديه حاسة تاريخية واضحة.

فقد رجع لأقدم المصادر عن تاريخ الفرس، ثم اختار من الروايات الكثيرة المتعددة رواية واحدة شديدة الإيجاز، مبينا في إيجاز شديد أن هناك روايات أخرى

تقول غير هذا دون أن يتوقف لتفضيل إحداهما على الأخرى، إذ كان موقفاً أن علم الحوادث الموهلة في التقدم من شأن الله تعالى وحده، وأن ما يرويه عن الفرس هو ما رواه مؤرخو الفرس عن ملوكهم. وقد انتقد بعض الروايات ودفعها بمقياس العقل، ولكن هذا لم يدفعه إلى رفض تام لهذه الروايات، فظل منحازاً للفرس مردداً بشقة: "إن الفرس أحق أن يؤخذ عنها إذ كانوا أهل العز والشامخ والشرف الباذخ والسياسة والرئاسة".

وقد رأيت أنه رغم أهمية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" للباحثين في التاريخ عامة، وللباحثين في تاريخ إيران خاصة، إلا أنني لم أجد من الباحثين من اهتم بتمحيص ما ورد فيه عن إيران وتاريخها الأسطوري، ولا من اهتم ببيان منهج المسعودي فيه ومصادره التي اعتمد عليها، وهذا ما أحاول القيام به في هذا البحث. وقد قسمت هذا البحث إلى قسمين:

- تحدثت في القسم الأول عن منهج المسعودي في كتابه ومصادره التي اعتمد عليها.
- وفي القسم الثاني قارنت بين ما جاء عند المسعودي والفردوسي بما جاء في الأستاق والمصادر النهلوية، التي استقيتها من كتاب "حماسة سرائي در ايران" لذيبيح الله صفاء.

وتجنباً للتكرار بين الباحثين، فقد ابتعدت عن الحديث عن منهج الفردوسي ومصادره في الشاهنامه، وأشرت في الهامش لقيامي بهذا في بحث سابق. كما أوردت شواهد من الشاهنامه تختلف عن الشواهد التي سبق أن أوردتها في بحثي السابق.

والله وفي التوفيق،

أولاً: منهج المسعودي في إيراد تاريخ إيران الأسطوري: (١)

خصص "المسعودي" (٢) في "مروج الذهب ومعادن الجوهر" باباً للحديث عن ملوك "الفرس الأسطوريين" وهم ملوك "الشيديين" والكيانيين تحت عنوان "ذكر ملوك الفرس الأولى وجعل من سيرهم".

(١) تحدثت في بحث سابق عن منهج الفردوسي ومصانفه - ولمزيد من التفصيل يرجع لكتاب تاريخ الفرس الأسطوري عند الطبري والفردوسي للباحثة.

(٢) هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي للمسعودي، لقب بالمسعودي نسبة إلى الصحابي "عبد الله بن مسعود" رضي الله عنه. ولم يشر المسعودي نفسه إلى هذا الانتساب في التتبيه والإشراف ولا في مروج الذهب. ونشأ في بغداد وقد أخطأ "ابن النديم" عندما ذكر أنه رجل من أهل المغرب تتلمذ على يد (نظريه ت سنة ٢١٢ هـ) وأبي خليفة الجعفي (ت سنة ٣٠٤ هـ). وأبى العباس (كان من أساطين المذهب الشافعي (ت سنة ٣٠٦ هـ)). رحل إلى كثير من البلاد مشاهداً مستظلاً متعرفاً بنفسه على صحة الأخبار. ووصل في رحلته إلى بلاد كنهاية من أرض الهند، وركب بحر الزنج إلى مدينة زنجار، وذهب إلى دمشق والقاهرة وبلاد فلسطين والأردن، ووصل إلى سرنديب، وأبحر إلى الصين. ألف العديد من الكتب في مختلف فروع العلم. ألف الإبانة حول أصول الديانة والمقالات في أصول الديانات، وسر الحياه، والاستبصار في الإمامه. والصفوة في الإمامة وكتاب السياسة المدنية. ومن أشهر مؤلفاته التاريخية كتاب "مروج الذهب ومعادن الجوهر" وانتهى من تأليفه سنة ٣٢٦ هـ وكتاب التتبيه والإشراف وانتهى منه سنة ٣٤٥ هـ وقد توفي سنة ٣٤٦ هـ.

(شذرات الذهب: لابن العماد دار المسيرة بيروت الطبعة الثانية ٢٧٧/٢ فهرست لابن النديم المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ ص ٢١٩. مروج الذهب ط بيروت، التتبيه والإشراف ط لندن مطبعة بريل ١٨٩٢).

وقد أورد فيه أخبار هؤلاء الملوك في أخبار متتابعة غير مقطوعة بأسانيد الرواة، والروايات المتعددة مثلما فعل الطبرى. وهو في هذا متأثر بطريقة الفرس مثل البلاغرى والدينورى كما ذكر محمد غنيمى هلال^(١) ولم يهتم "المسعودى" بإيراد الروايات المتعددة للحائثة الواحدة إلا في أضيق الحدود فإنه يذكر مسائل الخلاف بايجاز شديد معلقا على بعض الروايات، أو معلقا على أبواب كتابه في نهاية كل باب. مثال ذلك قوله عن كيومرت: "وقد تنوزع في مقدار عمر كيومرت هذا، فمن الناس من رأى أن عمره ألف سنة، وقيل دون ذلك"^(٢).

والمسعودى لا يذكر المصادر التي ينقل عنها كل خير أو رواية من رواياته إلا إذا كان ينقل عن بعض الرواة. وقد اكتفى بذكر مصانره في مقدمة كتابه، مبدئا رأيه فيها موضحا الأسس التي يحكم بناء عليها بجودة الكتاب أو ردايته. فنذكر أسماء عشرات من كتب التاريخ والسير والجغرافيا، وأسماء الرواة والعلماء والإخباريين الذين اشتهروا في كافة العلوم، والذين استفاد من كتبهم ونقل عن رواياتهم. هذا بالإضافة إلى العديد من الكتب والرواة الذين نكرمهم في ثنايا كتابه والذين استفاد من علمهم في كل باب، من أبواب كتابه، وكانت مؤلفاتهم وثيقة الصلة بهذا الباب.

(١) الألب المقارن: محمد غنيمى هلال، مكتبة الأنجلو الطبعة الثالثة سنة ١٩٦٢
ص ٢٥٤

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

أما إذا تحدثنا عن المصادر التي استفاد منها في كتاباته عن تاريخ الفرس وأخبارهم فنجد أهم هذه المصادر هي الكتب الفارسية التي تحدث عنها في "مروج الذهب" وفي "التنبيه والإشراف" مثل كتاب "خدای ناماه"^(١) و"آیین ناماه"^(٢) و"كاهناماه"^(٣) وكتاب "الكارناماج"^(٤) بالإضافة إلى هذه المصادر هناك كتاب "السكيكين" وقد ذكره المسعودي في معرض حديثه عن مقتل "سياوخش" وخبر "رستم بن نستان" وأخذه بطائلة سباوش، قتل: وهذا كله مشروح في كتاب السكيكين^(٥) ويرى ذبيح الله صفا أن أصل كلمة سكيكين سكرين سكرين "وموضوعه أهل سيستان واخيار رستم"^(٦). ويضيف المسعودي أن ابن المقفع ترجمه إلى العربية، وأن الفرس

-
- (١) خدای ناماه: أصل اسمه في البهلوية "خونای نامك" وهو كتاب في سير ملوك الفرس من عهد كيومرث حتى عهد يزدجرد الثالث (٦٢٣-٦٢٥م) وقد ترجم عدة ترجمات إلى العربية منها ترجمة ابن المقفع. وقد أضاف علماء المجوس إليه زيادات تتصل بنهاية الدولة الساسانية (إيران في عهد الساسانيين: ص ٤٧-٤٨).
- (٢) آیین ناماه: وهو كتاب الرسوم وهو عظيم في الألف من الأوراق ولا يوجد كاملاً إلا عند الموايزة وغيرهم. وقد نقله ابن المقفع من البهلوية إلى العربية (التنبيه والإشراف: ص ١٠٤، الفهرست: ص ٣٤٢).
- (٣) كاهناماه "كاهنامك" وهو جزء من الآیین وفيه مراتب عظماء الفرس وانها ستماته مرتبة (التنبيه والإشراف: ص ١٠٦).
- (٤) الكارناماج: ذكر هكذا في بعض النسخ، وفي البعض الآخر ذكر الكاريامج، وأعتقد أن الأولى أصح. والمقصود به كتاب كارناماه اردشير بابكان" ويحتوى على اخبار اردشير وجروبه وسيره (مروج الذهب ١/ ٢٤٨).
- (٥) مروج الذهب: ٢٤٨/١
- (٦) حماسة سرائي: د. ذبيح الله صفا، جاب خود كار ايران سنة ١٣٢٤م ص ٤٣.

تعظمه لما قد تضمن من خبر أسلافهم، وسير ملوكهم^(١).

وقد تحدث المسعودي عن كتاب آخر قال إنه رآه بمدينة اصطخر، يقول عنه إنه كتاب عظيم يشتمل على كثير من علومهم، وأخبار ملوكهم، وأبنيتهم، وسياساتهم مما لم يجدها في كتبهم الأخرى. وفيه صور لسبعة وعشرين ملكا من آل ساسان، خمسة وعشرون رجلا وامرأتان صور الواحد منهم يوم مات: شيخا كان أو شابا وحليته وتاجه، ومخط لحيته، وصورة وجهه كما يوجد فيه أن ملوك الساسانيين ملكوا الأرض أربع مائة سنة وثلاث وثلاثين سنة وشهرا، وسبعة أيام. وأن الفرس كانوا إذا مات ملك من ملوكهم صوروه على هيئته. ورفعوه إلى الخزائن كي لا يخفى على الحي منهم صفة الميت وبينوا صورة كل ملك كان في حرب قتلا. وكل من كثر في أمر جالس، وسيرة كل واحد منهم في خواصه وهوامه، وما حدث في ملكه من الأمور العظيمة والأحداث الجلية، ويبين أن تاريخ تأليف هذا الكتاب سنة ١١٢ هـ مما وجد في خزائن ملوك فارس، ونقل لهشام بن عبد الملك مروان من الفارسية إلى العربية. ويبين أنه استفاد من هذا الكتاب عند حديثه عن ملوك الفرس الأولى في كتاب مروج الذهب^(٢) وقد بين صاحب مجمل التواريخ كما ينكر نبيح الله صفا أن هذا هو كتاب الصور أو كتاب "صور تان شاهان بني ساسان"^(٣).

ومن مصادر المسعودي المهمة أيضا الرواية التي سمعها من علماء الفرس الذين اتصل بهم خلال رحلاته وأسفاره إلى بلاد الفرس من فارس وكرمان وخوزستان

(١) مروج الذهب: ٢٤٨/١

(٢) التنبيه والأشراف: ص ١٠٦-١٠٧

(٣) حماسة سرائي: ص ٥٤

وسجستان والمهات^(١) وغيرها مسجلا مشاهداته وما سمعه من علمائهم وموابذتهم
وهراذلتهم، وغيرهم من نوى المعرفة يأخبارهم^(٢). وقد استمد "المسعودى" أيضا
أخباره عن الفرس من علماء العرب الذين اشتهروا بمعرفة أخبار الفرس وانسابهم،
ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى^(٣) وهو يروى بدوره كما يذكر المسعودى عن أحد
الرواة المشهورين بطم فارس حتى لقب بعمر كسرى ومنهم "هشام بن محمد السائب
الكلبي"^(٤).

ويبدو من أقوال المسعودى فى مواضع متفرقة أنه أطلع على مصادر أخرى
غير المصادر الفارسية منها التوراه ومصادر يونانية ورومية، ويتضح هذا مثلا من
حديثه عن كوروش. فيقول وفى وجه آخر من الروايات أن كوروش كان ملكا براسه.
لا من قبل بهم. وأنه من ملوك الفرس الأولى، ويعلق على هذا قائلا: وليس هذا عاما
فى كتب التواريخ^(٥).

-
- (١) المهات: قال ياقوت: الماء بالهاء خالصة، نصبة البلد ويقال لنهاوند وهمدان ولم
ماء البصرة (معجم البلدان: ياقوت الحموى)
- (٢) التنبيه والاشراف: ص ١٠٥
- (٣) أبو عبيدة معمر بن المثنى: فارسى الأصل يهودى الأباء، على جانب كبير من
الثقافة وهو من طلائع مؤرخى العرب فى الجاهلية والاسلام. أهتم بصفة خاصة
ببلاد العرب الشمالية. وذكر فى الفهرست أنه كان شعبيا يطعن فى الانساب،
ويؤلف فى مثالب العرب (التاريخ والمؤرخون العرب: ص ٢٠)
- (٤) هشام بن محمد بن السائب الكلبي: كان أبوه عالما بالانساب واللغة والتاريخ،
وخطه ابنه فى هذا العلم، وقد تعرض لتاريخ الأنبياء، وتاريخ العرب فى الجاهلية،
وتناول تاريخ الفرس من الترجمات الفارسية، ومن الأخبار والقصص المتداولة
(التاريخ والمؤرخون العرب).
- (٥) مروج الذهب: ٢٣١/١.

ويقول في مروج الذهب مطلقا على ما جاء من روايات بخصوص ملوك الطوائف بهذا وجه آخر غير ما قدمنا، وقد قيل في تاريخ منى ملوك الطوائف غير ما وصفنا الأول أشهر وأوضح.

ويبين في التتبيه والاشراف أنه ذكر في كتبه ما ذكره عن تاريخ الفرس وملوكها معتمدا على كتب الفرس دون غيرهم من الأمم من إسرائيليين ويونانيين وروم^(١) ويبدو أن المسعودي وجد الأخبار التي جاءت في هذه الكتب عن الفرس شديدة الاختلاف كثيرا عن الأخبار التي وردت في المصادر الفارسية ناعتمد على الرواية المأخوذة من علماء الفرس إذ لن الفرس في رأيه الحق أن يؤخذ عنهم^(٢) كما أنهم كما ينكر أيضا يراعون من تواريخ من سلف ما لا يراعيه غيرهم، لأن الفرس في رأيه تدن بما وصف قولاً وعملاً^(٣).

واضح من كلام المسعودي هذا أنه منحاز لرواية الفرس مقتنع بها لميله لهم إذ كانوا أهل العز الشامخ كما يقول والشرف الباذخ والسليسة والرئاسة^(٤) وهو يثق في رأى علمائهم إذ يعتقد كما قلنا أنهم يراعون في ضبط التواريخ وحفظها ما لا يراعيه غيرهم.

والمسعودي في هذا يخالف نفسه أولاً؛ إذ أنه يروى بنفسه حادثة تنقض كل ما قاله عن مراعاة الفرس لتواريخ من سلف سوابقتها بهذا قولاً وعملاً. فيقول المسعودي:

(١) التتبيه والاشراف: ص ١٠٥

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٥

(٣) مروج الذهب: ١/٢٢٦

(٤) التتبيه والاشراف: ص ١٠٥

إن هناك تفاوتاً في تاريخ الإسكندر بين الفرس وبين غيرهم من الأمم ويعتل هذا أنه يوجد سر من أسرار الفرس يعرفه الموابدة والهرابذة ولا يوجد في كتب الفرس المولفة، وهو أن "زردشت" ذكر في "الأبستاق" أن ملكهم يضطرب بعد ثلاثمائة سنة، وبعد ألف سنة يذهب الدين والملك جميعاً، وأنه كان بين زرادشت والإسكندر نحو ثلثمائة سنة، وأن "أرندشير ابن بابك" جاء بعد "الإسكندر" بخمسمائة سنة، فنظر فوجد أن الذي بقي بينه إلى تمام الألف سنة حوالي مائتي سنة، فأراد أن يمد الملك مائتي سنة أخرى خوفاً أن يترك الناس نصرة دينه وثقة في خبر نبيهم في زواله، فنقص من الخمسمائة منه التي بينه وبين الإسكندر نحواً من نصفها.

ويقول المسعودي لهذا وقع الخلاف بين الفرس وغيرهم من الأمم^(١) ومعنى كلام المسعودي هذا أن تاريخ هؤلاء الملوك عند الأمم الأخرى أضبط مما هو عليه عند الفرس، ومعناه أيضاً أن الفرس لا تدين بالمحافظة على تواريخها قولا وعملا كما ذكر.

كما يخالف المسعودي في ثقته بتواريخ الفرس وإيمانه بصحتها رأى المؤرخين الذين حاولوا تحييص تاريخ الفرس القديم، ولم يأخذوا الأخبار على علتها وكان من نتيجة ذلك أنهم وجدوا اختلافاً شديداً في تاريخ هذا القسم. ومن هؤلاء المؤرخين: "حمزه الاصفهاني" (ت قبل ٣٦٠ هـ) الذي راجع العديد من نسخ "خدای نامه" وراجعها على الأبستاق، وصحح تواريخه من نسخة الموبد فوجد أن تواريخهم

(١) للتبیه والإشراف ص ٩٧-٩٨

كلها منخولة غير صحيحة لأنها كما يذكر نقلت بعد مائة وخمسين سنة من لسان إلى لسان ومن خط متشابه رقوم الأعداد إلى خط متشابه رقوم العقود^(١).

ومنهم البيروني (ت ٤٤٠ هـ) وقد حاول أن يسير على نهج حمزة الأصفهاني فنظر في الأمتلئ وما ذكر عند غيره ثم قال: "وقد يوجد ما ذكرناه من تواريخ هذا القسم في كتب السير المختلفة الحال جدا إلا أن الذي أورنته هو الأقرب إلى ما أجمعوا عليه"^(٢).

وقد اكتفى المسعودي في حديثه عن ملوك الفرس بذكر ما قبل عن سني ملك كل واحد منهم من غير أن يعلق أو يبين الصحيح منها من وجهة نظره، فيقول مثلا عن جمشيد: "وكان ملك جمشيد إلى أن ملك ستمائة سنة، وأيل: تسعمائة سنة وستة أشهر"^(٣) بل كان يذكر في التنبيه والإشراف روايات تخالف ما ذكره في "مروج الذهب" دون أن ينبه إلى هذا الاختلاف ويبين سببه، وكان المسألة بالنسبة إليه غير ذات بال. كما كان اختلاف المصادر التي رجع إليها -فيما أرى- سببا في اختلاف بعض رواياته: من ذلك مثلا أنه يقول عن ملك أفريدون: إنه ملك عشرين سنة^(٤) وفي التنبيه والإشراف يذكر أنه ملك مائة وعشرين سنة^(٥).

(١) مقدمة تاريخ سني ملوك الأرض: حمزة بن الحسن الأصفهاني: مطبعة كلوياني بيرلين ص ٩.

(٢) الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ریحان البيروني. مكتبة المتنى ببغداد ص ١٠٥.

(٣) مروج الذهب: ٢٢٣/١

(٤) المرجع السابق: ٢٢٥/١

(٥) التنبيه والإشراف: ص ٨٨

وفى مروج الذهب ذكر أن "بهماسف" كان شريكا "لكرشاسف" لمدة ثلاث سنوات^(١) بينما ورد فى التنبية والإشراف أنه ملك بعد "زو" لمدة ثلاث سنين^(٢). ويتضح هذا أكثر من الطريقة المسعودى فى الحديث عن ملوك الفرس فى كتابه مروج الذهب فقد قسمهم الى العناوين الآتية باب عن "ملوك الفرس الأولى" ويتحدث فيه عن ملوك الفرس من لنن كيومرت الى "دارا بن دارا" أى أنه يجمع ملوك اليشداديين والكيانيين فى باب واحد دونما تفرقة بينهما. وباب ثان عن ملوك الطوائف، ثم باب ثالث عن أنساب الفرس، وباب رابع عن ملوك الساسانية وهم الفرس الثانية. ومضى هذا أنه يرى أن ملوك الفرس ينقسمون الى قسمين: أولى، وثانية. وفى موضع آخر من مروج الذهب أيضا يرى أن الفرس من بدء الدهر إلى أن جاء الإسلام كانت أربعة أصناف: الصنف الأول يقال له "الخداهان" وهم الأرباب^(٣) كما يقال رب المتاع ورب الدار وذلك من كيومرت إلى أفريدون ثم الكيان من أفريدون إلى دارا بن دارا، ثم الأشغان وهم ملوك الطوائف، ثم الساسانية وهم الفرس الثانية^(٤) ويذكر المسعودى تقسيما آخر فى التنبية والإشراف خاص بملوك الفرس الأولى فيقول: إن الطبقة الأولى منهم من جيومرت الى أفريدون تسمى الهزارىكة أى الألف سنة،

(١) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٢) التنبية والإشراف: ص ٩٠

(٣) يؤكد هذه التسمية أكثر ما ورد على لسان لهراسف فى الغرر للتعاليى قوله: 'جرت العادة من المتقدمين أن يسموا أسلافنا الملوك أربابا. فالإلهية ربوبية سملوية، والملكية ربوبية لرضية (الغرر فى أخبار ملوك الفرس: التعاليى - طبع روتنبرج ص ٢٣٩).

(٤) مروج الذهب: ٢٨٢/١

والطبقة الثانية وهم بلان أى العلويون أولهم منوشهر وآخرهم كرشاسب، والطبقة الثالثة وهم الكيانيون وتفسيرها الأعزاء أولهم كيقباد وآخرهم دارا بن دارا^(١).

كل هذا يوضح أن المسعودى كان متأثراً فى هذا القسم بالمصادر التى ينقل عنها، وأنه لم يقتنع بأحدى هذه التقسيمات، فiaأخذها منها لى يسير عليه فى كتابه، ويؤكد هذا أيضا أن المسعودى فى طريقة ضبطه لأسماء ملوك الفرس لم يلتزم ضبطاً محدداً يسير عليه فى كتابه، فكان ما يذكره فى "التنبية والاشراف" يخالف أحياناً ما قد ذكره فى "مروج الذهب" فى مروج الذهب يضبط اسم "كيومرت"^(٢). بينما يضبطه على النحو التالى فى التنبية والاشراف "جيومرت"^(٣) وفى مروج الذهب يذكر اسم "فريذون" أنه فريذون^(٤) وفى التنبية والاشراف يذكر أنه "فريذون"^(٥) وعن منوهر يذكره فى مروج الذهب "منوهر"^(٦) وفى التنبية والاشراف يقول "منوشهر"^(٧) بل يذكر فى مروج الذهب فى موضع آخر أن اسمه "منوشهر"^(٨).

كل هذا يؤكد أن "المسعودى" لم يقتنع برواية واحدة، أو تقسيم واحد أو ضبط واحد للأسماء فيذكره ويسير عليه فى كتابه، وأن الاختلاف كان يقع فى كتابه لاختلاف

(١) التنبية والاشراف: ص ٨٥-٩٠

(٢) مروج الذهب: ٢٢٠/١

(٣) التنبية والاشراف: ص ٨٥

(٤) مروج الذهب: ٢٢٤/١

(٥) التنبية والاشراف: ص ٨٨

(٦) مروج الذهب: ٢٢٥/١

(٧) التنبية والاشراف: ص ٩٠

(٨) مروج الذهب: ٢٢٨/١، ٢٤٠

المصادر التي ينقل عنها كما ذكرنا، وربما كان المسعودى أيضا في قرارة نفسه غير مقتنع بصحة ما يذكر من اخبار وجدما في كتب من قبله.

ويوضح هذا ما ذكره في التنبيه والاشراف معلقا على تتلوع الاخباريين بشأن الفرس الأولى وهل هم من الكلدانيين أو من غيرهم فيقول: "وغير ذلك من التنازع في الأمم الذين بعثت عنا أعصارهم، ونقطعت أخبارهم، وأن الله تعالى نفى الاحاطة بعلم أحوال القرون الخالية، والأمم السائفة عن سواه لتقدم زمانها وبعد أيامها"^(١).

لعل التنازع المسعودى في داخله بأن علم الحوادث السابقة من شأن الله تعالى كما ذكر، أو لعله رأى غلبة الاساطير على الأحداث المروية عن القرون الماضية، ورأى اختلاف الرواة الشديد في شأنها كل هذا جعله غير مقتنع برواية واحدة يثبت عليها فوقف هذا الموقف السلبي الى حد ما في إيراده أخبار ملوك الفرس في هذا العصر البيشدادى والكيانى. والمسعودى لم يفصل في ذكر الأساطير المروية عن هؤلاء الملوك مثلما فعل الطبرى (ت ٣١٠ هـ)، والثعالبي (ت ٤٢٩ هـ)، والقرطوبسى (ت ٤١٤ هـ). كما انتقد بعض هذه الروايات في مواضعها مبينا ما فيها من مبالغات فيقول مثلا معلقا على أخبار كيومرت: "وللمجوس في كيومرت هذا خطب طويل في انه مبدأ النسل، وأنه نبت من نيات الأرض ... وغير ذلك مما يفحش إيراده"^(٢).

ويقول معلقا على ما تزعمه الفرس من أن ويرك (اسحاق) هو ابن ابرك من يورك ابن سبع نسوة تولدن من غير ذكر إلى أن يلحقن في نسبهن بايرج ابن افرينون

(١) التنبيه والاشراف: ص ٩٤

(٢) مروج الذهب: ١/٢٢٢

يقول المسعودى: "وهذا مما يدفعه العقل ويأباه الحس ويخرج عن العادة وتنبو عنه المشاهدة، إلا ما خص الله تعالى به السيد المسيح"^(١) يقول إن نقد المسعودى لهذه الروايات فى مواضعها لم يدفعه الى انتقاد أكبر لما ذكره الفرس عن تاريخ ملوكهم، ولما امتزج به من أساطير، ولم يرفضها مثلما فعل اليعقوبى (ت ٢٨٢ هـ) فى تاريخه حيث قال معلقا على أخبار هذه الحقبة من تاريخ الفرس "ولهم أخبار قد اثبتت، ورأينا أكثر الناس ينكرونها ويستبشعونها، وتركناها لأن مذهبنا حذف كل مستبمع"^(٢).

وكان موقف المسعودى فى هذا شبيها بموقف كثير من المؤرخين القدامى الذين لم يعطوا عقولهم فى الروايات التى نقلوها عن غيرهم، وإنما نقلوها عن الآخرين كما سمعوها، دون أن يقوموا بتصنيفتها من شوائبها وتقيحها كما يقول "ابن خلدون"^(٣) وقد بين الطبرى فى مقدمته أنه يعتمد على الرواة فى الأخبار التى يذكرها دون إعمال للعقل، ولا استنباط بفكر النفوس^(٤) "وحزمة الاصفهائى" رغم انتقاده لتواريخ الأمم السابقة ووصفها بأنها كحلم الناسم إلا أنه يحكيها تقليدا "لرواتها"^(٥) أما البيرونى فيرى أن مقصده من كتابه هو تحصيل للتواريخ لا انتقاد الأخبار لذلك نراه يثبت ما وجده فى كتبهم رغم استبشاعه له وقوله عنه إنه مما ثججه الأذان ولا تقبله العقول^(٦).

(١) مروج الذهب: ٢٤٠/١

(٢) تاريخ اليعقوبى: اليعقوبى، مطبعة المزيى النجف سنة ١٣٥٨ : ١٢٩/١

(٣) ابن خلدون: المقدمة. مطبعة مصطفى محمد بدير سند طبع ١٠٠٩/١

(٤) تاريخ الطبرى: المقدمة. طبع دار المعارف سنة ١٩٦٠ ج ١/ ص ٧

(٥) تاريخ سنن فلوك الارض: ص ٦

(٦) الآثار الباقية: ص ١٠٠

نقول إنه رغم انتقاد المسعودي لبعض الروايات في مواضعها كما ذكرنا فإنه يبدو منحازاً للفرس مخفياً لأمرهم، ويبدو أن سبب انحيازهم هذا للفرس اعتماده كما ذكر في أكثر من مناسبة على مؤرخي الفرس، وثقته التامة في رواياتهم وأخبارهم، كما اعتمد على رواية اشتهروا بتحيزهم للفرس، وتعصبهم لهم، منهم: أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي^(١) وقد ذكرنا أنه فارسي الأصل يهودى الآباء، كما ذكر صاحب الفهرس أنه كان شعوبياً يطعن في الانساب.

وهناك سبب آخر ربما يفسر هذا التحيز للفرس وهو ما ذكره صاحب كتاب الرجال عن أن المسعودي كان شيعياً إمامياً^(٢). ويبدو هذا واضحاً من مؤلفاته المتعددة في الإمامة منها: الاستبصار في الإمامة، والصفوة في الإمامة، ومقالة في إثبات الوصية لعلي بن أبي طالب، كما ذكر عقّلت الطالبين في كتابه "مروج الذهب".

ولقد رتب المسعودي هذا الباب "ملوك الفرس الأولى" ترتيباً تاريخياً يبدأ بذكر الملك الأول "كيومرث" ثم الذي يليه وهكذا إلى أن يصل إلى آخر ملك من ملوك هذه اللبقة وهو "دارا بن دارا" مبيناً أهم أعمال كل ملك وسنى ملكه وما أثر عنه من القوال أو آثار، وما استحدث في عهده من معتقدات أو ديانات. مثلاً ذكر أن مذهب الصابئة أحدث في ملك "بوداسف"^(٣) وقال إن "زردشت" دعا "يشتاسف" إلى دينه فقبله منه^(٤) وقد يستطرد "المسعودي" عند هذه المعتقدات فيوضحها، كما قد يبين ما اشتهرت به

(١) كتاب الرجال نقلاً عن تاريخ الألب العربي: كارل بروكلمان ترجمة د. عبد الحليم النجار دار المعارف سنة ١٩٦٢ : ٥٧/٣

(٢) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٣) مروج الذهب: ٢٢٩/١

بعض البلاد من صناعات مثلما ذكر أن قرية من قرى بابل يقال لها "بابل" أيضا وهي شاطئ "نهر النرس" الذي إليه تنسب الثياب النرسية^(١) كما قد يذكر بعض مشاهداته في البلدان التي يتكلم عنها مثلما تحدث عن كتاب "الصور" كما سبق أن بينا، ويوضح أيضا أنه رأى فيه صورة أرشير^(٢) ويهتم بوصف بعض الآثار التي بصانديها.

كل هذا يوضح أن "المسعودي" اهتم بالمعارف العامة وبالشعوب وأثرها ومعتقداتها ولم يجعل كل عنايته موكوفة على الملوك وحدهم في كتابه هذا وهذا عكس ما فعل الطبري الذي بين أن عنايته في كتابه خاصة بالملوك وما يتصل بها أما ما عدا ذلك فلا يوليه اهتمامه^(٣) ويتميز هذا الباب عند المسعودي بالإيجاز، والبعد عن تفاصيل الأساطير التي يمثلها هذا القسم من تاريخ الفرس عند المؤرخين الآخرين أمثال الطبري والثعالبى والدينورى (ت ٢٨٢ و) في الأخبار الطوال. والمسعودي يشير إلى هذه الأساطير بشكل مختصر ولكنه لا يفصل فيها كما قد يتجنب ذكر بعضها مثلما فعل مع "اوشهنج" و"طهمورث" و"جمشيد" حيث ذكر أسماءهم وسنى ملكهم فقط.

ثانيا: تاريخ إيران بين المسعودي والمردوسي:-

عدد ملوك الفرس الأولى كما جاء عند المسعودي ثمانية عشر ملكا. بينما عددهم عند الطبري والفرنوسى تسعة عشر ملكا. والسبب في هذا أن المسعودي أغفل

(١) مروج الذهب: ٢٢٤/١

(٢) التقييه والإشراف: ص ١٠٦

(٣) تاريخ الطبرى: ١٤٦/١

ذكر كيقياد أول ملوك الكيانيين، واعتقد أن سبب هذا الإغفال كان سهوا من المسعودي وقد ذكر المسعودي "كيقياد" هذا في التنبيه والإشراف^(١).

وقد جاء ترتيبهم ورسم أسمائهم على النحو التالي:-

- | | |
|-----------------|---|
| ١ - كيومرت | ملك أربعين سنة |
| ٢ - أوشهنج | ملك أربعين سنة |
| ٣ - طهمورث | ملك ثلاثين سنة |
| ٤ - جمشيد | ملك ستمائة سنة وقيل تسعمائة سنة وستة أشهر |
| ٥ - بيوراسب | ملك ألف سنة |
| الدهاك | |
| الضحاك | |
| ٦ - أفريدون | ملك خمسمائة سنة |
| ٧ - منوچهر | ملك عشرين سنة |
| ٨ - سهراب | ملك ستين سنة |
| ٩ - فراسياب | كان تملكه على ما غلب عليه اثنتي عشر سنة |
| ١٠ - زوبن بهاست | ملك ثلاث مئين |

ومن مقارنة ما ورد عن سني ملك هؤلاء الملوك عند المسعودي مع ما جاء عنهم عند الفريديسي يتضح الآتي:-

(١) التنبيه والإشراف: ص ٩٠

أولاً: أنهما يتفقان على أسماء الملوك وترتيبهم من أول "كيومرت" إلى منوجهر وإن كانا يختلفان في ذكر سني بعضهم مثل "كيومرت" حيث يذكر الفردوسي أنه ملك ثلاثين سنة^(١) كما يذكر أن جمشيد حكم سبعمائة سنة^(٢) وأن منوجهر ملك مائة وعشرين سنة^(٣) كل هذا خلاف ما ذكره المسعودي.

ثانياً: أنهما يختلفان في الملوك الثلاثة المتأخرين من ملوك البيشداديين فيذكر المسعودي أن الملك الثامن منهم هو "سهم بن أبان" بينما يذكر الفردوسي أن اسمه "تودر"^(٤) كما أن الفردوسي لا يذكر "افراسياب" ضمن ملوك إيران. في حين ذكره المسعودي وإن كان يقر أنه لم يسيطر على إيران كلها. ويذكر الفردوسي أن ملك "كرشاسب" كان لمدة تسع سنين^(٥) بينما لم يذكره المسعودي إلا في تعليقه على هذا الباب مبيناً وجهاً آخر من الروايات، فيذكر أن "بهماسف" و "كرشاسب" كانا شريكين في الملك لمدة ثلاث سنوات^(٦).

أما عن ملوك الكيانيين وسني ملكهم فلقد جاء ترتيبهم كما يلي:

١- كيقباد وقد ذكر في التتبيه والإشراف أنه ملك مائة وعشرين سنة

(١) شاهنامه فردوسي: أبو القاسم الفردوسي. كتابخانه بروخيم سنة ١٣١٣ ٢٢/١

(٢) المرجع السابق: ٢٣/١

(٣) شاهنامه فردوسي: ١٢٩/١

(٤) المرجع نفسه: ٢٤٢/١

(٥) نفس المرجع: ٢٨٢/١

(٦) مروج الذهب: ٢٣٢/١

- ٢- كيكأوس ملك مائة وخمسين سنة
 ٣- كيخسرو ملك ستين سنة
 ٤- بهرامسف ملك مائة وعشرين سنة والمسعودى يتكفلن عليه
 ٥- يسناسف ملك مائة وعشرين سنة
 ٦- بهمن بن اسفنديار ملك مائة واثنى عشرة سنة
 ٧- حماية بنت بهمن ملكت ثلاثين سنة
 ٨- دارا بن بهمن ملك اثنتى عشرة سنة
 ٩- دارا بن دارا ملك ثلاثين سنة

والمطالع لما ورد عن هؤلاء الملوك فى الشاهنامه يلاحظ أن الفردوسى
 والمسعودى ينفقان على ترتيب ملوك الكياتيين السابق وعلى عددهم، وإن كانا يختلفان
 أحيانا بالنسبة لسنوات ملك بعض الملوك، فالفردوسى مثلا ينكر أن كيقباد تولى الملك
 مئة سنة فقط^(١)، وأن بهمن ملك لمدة تسع وتسعين سنة^(٢) وأن "همای" ملكت اثنتين
 وثلاثين سنة^(٣) وأن دارا بن دارا حكم اثنتى عشرة سنة فقط^(٤).

هذه بعض أوجه الاتفاق والاختلاف بين "المسعودى" والفردوسى بخصوص
 أسماء ملوك "البيشدايين والكياتيين" وترتيبهم وسلى ملكهم.

(١) شاهنامه فردوسى: ٢٩٨/٢

(٢) المرجع السابق: ١٧٤٨/٦

(٣) المرجع نفسه: ١٧٥٨/٦

(٤) نفس المرجع: ١٧٧٥/٦

أما عن أخبار وأعمال هؤلاء الملوك واتفاق المسعودى أو اختلافه مع ما جاء عند الفردوسى فيتضح ما يلى:-

بالتسوية لكيومرت أول ملوكهم كما تتفق روايات الطبرى والمسعودى والشعائى والكرديزى (ت ٤٤٢ هـ) صاحب (زين الأخبار) والفردوسى وغيرهم. يفكر المسعودى عنهم روايتين واحدة منها متأثرة بالأراء السامية التى تجعل "كيومرت" بن آدم هو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح^(١) وأخرى مجوسية فيها أنه مبدأ النسل وأنه نبت من نبات الأرض، وهو الرزباس هو وزوجته، وهما شابه ومنشأ^(٢) ورغم الاضطراب الواضح فى رواية "المسعودى" فمن البين أنه استقى هذه الرواية من مصادر اعتمدت على الأستق، وفيها أشياء مما ذكره البيرونى عن كيومرت، وأنه أصل العالم إذ ذكر أنه قطرت منه قطرتان على الأرض فنبت منهما رييستان تولد منهما ميشى وميشانه^(٣) كما يذكر المسعودى: أن المجوس تذكر خبره مع إبليس، وقتله إياه وأنه كان ينزل بإصطخر فارس وهذا هو الخبر الذى يتفق فيه الفردوسى مع المسعودى، أما الإخبار عن أنه مبدأ النسل وغيره، فلم يذكر الفردوسى هذه الأساطير المجوسية.

وملخص هذا الخبر كما جاء عند "الفردوسى" كما يأتى:-

"أن كيومرت صار ملكا على العالم، وكان من قبل مقبما بالجبل، وأنه كان يرتدى هو ومن معه جلود الحيوانات، وأن جميع المخلوقات من جن وإنس وحيوان كانت تتخذ

(١) مروج الذهب : ٢٢٠/١

(٢) مروج الذهب : ٢٢٢/١

(٣) الآثار الباقية : ص ٩٩

مكاتها بالتقرب منه وكانت مسخرة لأمره. ولم يكن له عدو في الدنيا إلا "أهرمن" الذي كان محتال في الخفاء، وكان عنده ابن كالثنب اللجوج، كما كان شجاعا يقود جيشا كبيرا^(١).

ثم يذكر تفاصيل حربه مع "سيامك بن كيومرت" ومقتل "سيامك" على يد هذا الشيطان ابن "أهرمن" وحزن كيومرت على هذا ثم إستعماده مع "هوشنك ابن سيامك" لأخذ بثأر "سيامك" بناء على رسالة الخالق التي حملها له الملك "سروش"^(٢).

وأما عن "أوشهنج" فيذكر المسعودي أنه ابن فروال بن سيامك ابن يرنيق ابن كيومرت الملك. وأنه كان ينزل الهند^(٣). وتوافق رواية المسعودي تماما رواية حمزة الاصفهاني إذ يذكر عن نسب "هوشنك" أنه ابن "فرواك بن سيامك" ابن ميثي بن كيومرت^(٤). فكلاهما يجعل بن شنك "أوشهنج" ثلاثة آباء وكلاهما يذكر أنه ابن "فرواك"، بينما يذكر الفردوسي أن "هوشنك" هو "ابن سيامك بن كيومرت"^(٥).

أما عن رواية المسعودي عن إقامة "أوشهنج" في الهند. فإن التعالبي يذكر ذلك

-
- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) كيومرت شد برجهان كيخداي | نخستيني بگوه اندرون ساخت حاي |
| سر تخت وبختش برآمدزگوه | بلنگينه يوشيد خود ياكروه |
| ددودام هرجاتوركش بديد | زكيني ينزديك او ارميد |
| برسم غاز آمدنديش بيش | ازان جايكه برگر فتندكيش |
| بگيئي نبودش كس دشمن | مگر در نهان ريمن اهرمن |
| بيكي بجه بونش جوكر ك سترك | دلور شده باسمياه بزرگ |
- (٢) شاهنامه فردوسي ١/١٥-١٦
(٣) مروج الذهب : ١/٢٢٢
(٤) تاريخ سني ملوك الارض: ص ١٩
(٥) شاهنامه فردوسي : ١/١٦

أيضا^(١) ويبدو أنهما يشيران إلى وجوده في الأمم الآرية القديمة قبل نزوحها إلى إيران، وتوافق هذه الرواية ما ذهب إليه "ذبيح الله صفا" بأن هؤلاء الملوك القدامى من هوشنك وطهمورث وجمشيد وغيرهم كانوا من الرجال الذين يشترك فيهم كل من الهند وإيران، ويوضح هذا أنهم ربما قدموا خدمات عظيمة لأهلهم عندما كانوا يعيشون معا بقيت لهم في أذهان مواطنيهم تلك الذكريات العظيمة ثم اختلطت سيرتهم فيما بعد بالأساطير والتقصص الديني والقومي^(٢).

أما أهم شيء نكره الفردوسي عن "هوشنك" أنه اكتشف النار واتخذ تلك الليلة عيداً لهم وهو عيد "السّدق"^(٣) وأنه عرف الناس بعض الحرف البدائية وكانت رواية المسعودي مختصرة جداً عن "طهمورث" فذكر نسبه قائلاً إنه ابن نوبجهان بن أرفخشذ بن اوشهنج^(٤) أما الفردوس فيذكر أنه ابن "هوشنكك" والمسعودي لا يذكر شيئاً عن طهمورث إلا أن مذهب الصابئة قد أحدث في أيامه، أحدثه رجل يقال له "بوداسف"^(٥) ويتفق الطبري معه في هذا الأمر عدا أن اسم الرجل عند الطبري "بيوراسب"^(٦).

(١) الغرر في أخبار ملوك الفرس : ص ٦

(٢) حماسة سمراني : ص ٣٦٨

(٣) يكنى جشن كرد آن شب وياده خورد سده نام آن جشن فرخنده كرد
(شاهنامه فردوس: ١٩/١)

(٤) مروج الذهب: ٢٢٢/١

(٥) نفس المرجع والصفحة

(٦) تاريخ الطبري: ١٧٢/١

بينما يذكر الفردوسي عن "طهمورث" "مقيد الشياطين" قصة صراعه مع الشيطان وركوبه إياه ثم صراعه مع الجن وتقييده لجماعة منهم بالسحر والرقى، وإخضاعه للآخرين بقوة الجرز، وأنه استذلهم وأخضعهم فطلبوا الأمان، وسأله ألا يقتلهم على أن يعلموه فنا جديدا، وأنهم علموه الكتابة بثلاثين لغة من رومية وعربية وفارسية^(١).

وبين المسعودي أن "جمشيد" أخو "طهمورث"^(٢) بينما يذكر الفردوسي أنه ابنه^(٣) وعن "جمشيد" يقول المسعودي إنه أحدث في الأرض أنواعا من الصناعات والأبنية والمهن، كما ادعى الإلهية. ويذكر أيضا أنه كان في زمنه طوقان^(٤).

أما ذكر المسعودي للطوقان الذي كان في زمان "جمشيد" فإن المسعودي يوافق المصادر الدينية القديمة للفرس (الونيداد - الأبتاق) حيث جاء فيها أن اهورمزد الخالق. قال لجمشيد: أي جم الجميل ابن ويونكهوت إن شئت شديد القسوة سوف يأتي على الدنيا مصحوبا ببرد شديد ودمار، وأنه سوف يغرق الجبال العالية والوديان

- | | |
|--|---|
| (١) ازیشان در بهره باقمون بیت
کشید ندشان خفته و بسته خوار
که مار امکش تا یکی نوهنر
نبشتی یکی نه که نزویک سی | دکرشان بکرزکران کردیست
بجان جواستد آن زمان زینهار
بیاموزی از ماکت ایدبیر
جه رومی تازی وجه پارمسی
(شاهنامه فردوسی: ۲۲/۱) |
|--|---|

(٢) مروج الذهب: ۲۲۲/۱

(٣) شاهنامه فردوسی: ۲۳/۱

(٤) مروج الذهب: ۲۲۳/۱

المنخفضة^(١) وهذا الطوفان الذى ذكره "المسعودى" والذى استمدّه من المصادر الدينية الفارسية القديمة لم أجد فى المصادر الأخرى ذكرا له مثل تاريخ الطبرى والغرر والشاهنامة أما ذكر المسعودى للصناعات والأبنية والمهن وأدعائه وأدعاء جمشيد الالهية فكل هذا جاء فى المصادر ساقفة الذكر مع كثير من التفصيل.

أما قول المسعودى أنه أخو "طهمورث بن نوبجهان" فهو أقرب لما جاء فى المصادر الدينية والبهلوية من قول الفرنوس إنه ابن طهمورث حيث جاء ذكره فى الابهستاق أنه "يم بن ويونكهان"^(٢).

"بيوراسب" وهو "الده أك" وقد عربت أسماؤه جموعا وصارت "الضحاك" أما عن نسبه فيقول عنه المسعودى "ابن اروارسب بن رستورات ابن طاج بن فرواك بن ساهر فرس بن كيومرث" فالمسعودى يرجع نسب الضحاك إلى الفرس، ثم يذكر باختصار تنازع الفرس والعرب فيه^(٣).

ثم تبين أنه كان ساحرا ويغى فى الأرض، وتعمده، وأنه مقيد فى جبل دياوند^(٤) فالمسعودى لم يذكر فى "مروج الذهب" شيئا عن "حيتى الضحاك" ولكنه بين هذا فى التقييد والإشراف فقال "إن حيتين كانتا فى كتفيه تحترقانه لا تهدنان إلا بأدعامة الناس" وفيه أيضا يذكر ثورة الناس عليه بقيادة "كاسى الاسكافى" وهو من عوام

(١) الرندياد نقلا عن حماسة سرانى ص ٤٠٤

(٢) حماسة سرانى: ص ٤٠٨

(٣) مروج الذهب: ٢٢٤/١

(٤) جبل "دناوند" بين الرى وطبرستان يرى من مائة فرسخ لعلوه وذهابه فى الجو ويرتفع فى أعاليه الدخان والتلوج مترافعة عليه. (مروج الذهب : ٩٢/١)

اصيهان. وسر تعظيم الفرس للراية المسماة بـ "درفش كايان"^(١) ويقول عنه في موضع آخر من مروج الذهب: "إن الضحاك ذا الأقواء موثق في أغالى دنباوى بالحديد"^(٢) واختصار اسطورة الضحاك كما جاء عند "الفردوسى" على النحو التالى:

يقول الفردوسى: فى عهد جمشيد كان هناك رجل عربى من بين الضاربين بالرمح اسمه مردايس، كان له ابن سيمى السيرة قاس سفيه، ولكنه كان شجاعا طموحا اسمه "الضحاك" وكان ملقباً بلقب "بيوراسب" لأنه كان يملك عشرة آلاف حصان. وقد قتل "بيوراسب" هذا أباه نتيجة لاحتياال ابليس عليه. ثم تبدى له ابليس فى صورة شاب جميل وطاهر احتال حتى قبل كتفيه فنبتت فيهما خيتان، ثم ظهر له ثانية فى صورة طبيب وأشار عليه أن يقتل كل يوم اثنين من الأعميين ويطعم أدمغتهما لحيتيه حتى تمكنا. وفى هذه الأثناء ثار الإيرانيون على "جمشيد" وتولى "الضحاك" الملك فهرب جمشيد منه وأسر بعد مائة سنة نقشه الضحاك نصفين، وقد تزوج الضحاك أختى جمشيد "ارنواز" و"شرتاز" وعندما بقى على ملكه أربعين سنة رأى ثلاثة ممن يملكون "البهاء الملكى" (فركيانى). فأعلمه المنجمون عن ظهور "أنريدون" فأخذ يبحث عنه. وفى تلك الأثناء ثار عليه "كاوه الحداد" واختار "أنريدون" للملك وقبض على "الضحاك" ولديه بحبل "بيناوند"^(٣).

(١) التبيين والإشراف: ص ٨٦

(٢) مروج الذهب: ٩٣/١

(٣) شاهنامه فردوسى : ٥٨-٢٧/١

قد جاء في الأبتاق أن "أرى دهاك" ذا الألقوا الثلاثة قرب لآناهيتا في إقليم بوزي (بابل) القرايين لتجعله مسلطا على الأقاليم السبعة ليخربها ويخليها من الأدميين، ولكنها لم تساعد^(١).

ويستفاد من الأبتاق أيضا أن معنى "أرى دهاك" مخلوق شيطاني أو حيوان شيطاني شديد الخطورة له ثلاثة أقواء وستة أعين وأن كلمة أرى معناها "الحية" وأن هذا الحيوان سبب الإذى والفتنة والفساد. ومركز الضحك كما يؤخذ من الأبتاق هو إقليم (بودي) وهو نفسه أرض بابل. ومعنى هذا أن الضحك من رجال الممالك الواقعة غربي إيران وأنه من نشور أو كلدة كما يبدو. وأغار على إيران وأن الأساطير المروية عنه ترجع كما يذكر "ذبيح الله صفا" إلى ذكرى إغارات الآشوريين والكلدانيين على إيران^(٢) وعندما نسى الفرس تاريخ الكلدانيين نسبوه صراحة إلى العرب.

ويرجح كلام المسعودي هذا الرأي إذ يقول: وقد ذهب كثير من ذوي المعرفة بأخبار الأمم السابقة وملوكها إلى أن الضحك كان من أوائل ملوك الكلدانيين التبت^(٣) أما نسب الضحك كما جاء في المصادر البهلوية (البندھشن) فهو على النحو التالي: "الدهاك" بن أرونداسب بن زني نى كاويسن وبرفشك ابن تازين بن سيامك بن مشيه بن كيومرد^(٤).

والنسب الذي ساقه للمسعودي لبوراسب في مروج الذهب قريب لما جاء في

(١) الأبتاق نقلا عن حماسة سرائي: ص ٤٢٢

(٢) حماسة سرائي: ص ٤٢٦.

(٣) مروج الذهب: ٨٨/١.

(٤) حماسة سرائي: ص ٤٢٦.

الأبستاق. حيث يبدأ "بلروناسب" وينتهي بكيومرت، ويشارك في تاز "طاج" وسيامك (سياهر).

أما ماجاء في الأبستاق عن الضحاك ذي الأفياء الثلاثة. فقد ذكره المسعودي أيضا بقوله "الضحاك ذو الأفياء". ومعنى هذا أن "المسعودي" كان أقرب لما ذكر في المصادر الدينية عن "الضحاك" وغيره من الفردوسي.

وقد عرض المسعودي الآراء المختلفة عن نسب الضحاك، بينما إختار الفردوسي رواية واحدة وفي أنه من أصل عربي واستمر عليها إلى النهاية، بينما ذكر المسعودي للضحاك نسبا لربما مما جاء في الأبستاق. وإختار له صفات أيضا ذكرت عنه في المصادر الدينية. مثل صفة "ذو الأفياء" وقد اتفق المسعودي والفردوسي في ذكر الحيتين اللتين نبتتا له وتطلبتا طعاما لهما من أدمة الأدميين، وثورة كاوه "كابي" عليه إلا أن المسعودي كعنته ساق هذه الأمور وبإيجاز شديد.

والفردوسي على عادته أيضا فصل فيها وجعل من كل أمر منها قصة طويلة.

أفريدون :-

وقد ملك بعد "الضحاك" يقول عنه "المسعودي" إنه : ابن ابقايان بن جمشيد وهو ملك الأقاليم السبعة وقد بُدِ الضحاك في جبل "دينلوند" وأنه جعل اليوم الذي بُدِ فيه الضحاك عيداً له وسماه المهرجان. كما يبين أن دار ملكه كانت بأقليم "بابل" ويذكر أيضا أنه قسم الأرض بين أبنائه الثلاثة^(١) أما خلاصة ماجاء عنه في الشاهنامه أن

(١) مروج الذهب : ٢٢٤/١

"فريدون بن أبتين" من نسل جمشيد وأن أمه فرانك. وعندما وضعت فريدون ولدت بقرة لها اسمها "برمايه" أيضا. أما أبتين فقد قتله الضحاك وأطعم مخه للحيات فهربت فرانك إلى مزرعة تركت فيها فريدون في رعاية "برمايه" التي تربي على لبنها وفرت من إيران فقتل الضحاك "برمايه" وعندما كبر فريدون أستعد للمطالبة بشكر أبيه وفي تلك الأثناء كان "كاوه" الحداد قد ثار على الضحاك وجاء إلى فريدون واختار للملك فهجم فريدون على مقر الضحاك وعبر دجلة بلا سفينة وحرر "شهرياز" و "ارنواز" اختى جمشيد في أسره وكان الضحاك في تلك الأثناء في الهند فوصله الخبر فرجع إلى قصره حيث وجد "فريدون" بين محظيته فهجم عليه أما "فريدون" فقد ضربه بجزره ضربة أذهلته وألقته على الأرض وأراد "فريدون" قتله ولكنه كف عن ذلك بأمر الملك "سروش" فقيده وحبسه في جبل دماوند وقد رزق فريدون هذا بثلاثة أبناء هم "ايرج" و"سلم" و "تور" وقد زوجهم ببنات "سرو" ملك اليمن وقسم الممالك بينهم فأعطى توران لتور، وإيرن لأبرج، والروم لسلم فحسد تور و "سلم" و"ايرج" وقتلوا غدرا وقد ثار منهما الفريدون بمساعدة منوچهر^(١).

وقد جاء عنه في الأستاق أن النبهاء الملكي بعد أن إتفصل عن جمشيد إتحق بـ "ترانتون" وهو من أسرة "أثوية" وهو أكثر ظفرا من كل الناس بعد زريشت^(٢). وجاء فيه أيضا أن ترانتون بن أثوية وهو من أسرة الأبطال بالآقليم قرب القرابين لأناهيتا (أناهيد) طالبا منها أن تمكنه من الظفر بالضحاك (أزى دهاك)

(١) شاهنامه فردوسي: ١/٤٠-١٢٤

(٢) حماسة سرائي : ٤٣١.

واستلاب أمرأته (ارنوك) و(سنگهوك) منه. وفي النصوص البهلوية أنه في بداية الألف الثانية قام الضحاك وتملك لمدة ألف سنة، وفي نهاية الألف امسك به (فريتون) وحبسه وفي الألف الثالثة قسم "فريتون" الإقليم^(١). وقد جاء فيها نسبة على النحو التالي: فريتون أنقيان بن بورتورا صاحب البقر التي (بلون حمير الوحشي) (بوركاو) ابن سيك تورا (صاحب البقر السود) (سيك كاو) ابن سيتورا (صاحب البقر البيض) (سبيد كاو) بن كفر تورا (كفر كاو) بن راما تورا (كل درب من الأنوان) ابن ونفرغن بن حمشيد وأن اجداد "فريدون" إلى "ونفر غيشن" كانوا جميعا بلقبون بانقيان وكانوا جميعا يعيشون في مدة سلطنة الضحاك البالغة ألف سنة^(٢).

ومن عرض الروايات السابقة يتضح لنا أن المسعودي والفردوسي يتفقان في الخطوط العامة وفي أن "فريدون" من نسل حمشيد وأنه من قيد الضحاك في جبل "دنياوند" وقسم الأرض بين ابنائه واتخذ من يوم خلاصه من الضحاك وجلسه على العرش عيداً سماه "عيد المهرجان" ويوافق هذا أيضاً ما جاء عنه في الأستاق. أما قول المسعودي عن نسب "فريدون" أنه ابن "انقيان" فهو أقرب لما جاء في المصادر البهلوية من قول الفردوسي أنه ابن "أبتي" هذا ولم يرد عند "المسعودي" ذكر لقصة محظيتي الضحاك أختي حمشيد اللتين ذكرهما "الفردوسي" واللتين ذكرتا أيضاً في الأستاق ولكن الأستاق لم يذكر أيضاً أنهما أختي حمشيد، ولم يرد في الأستاق شيء عن البقرة برمائية التي تحدث عنها الفردوسي. ويعتقد "نبيح الله صفا" أن هناك ارتباطاً بين البقرة "برماية" التي ذكرها الفردوس وبين لقب والد "فريدون" "بركاو" أي صاحب

(١) حماسة سرائي : ص ٢١

(٢) المرجع السابق : ص ٢٢

البقر الكثير وإن وجود كلمة "كاو" (البقرة) في أسماء أجداد "أفريدون" هو أساس ظهور أسطورة البقرة "برماية" في العصور الإسلامية^(١) ويؤيد هذا قول "عبد الوهاب عزام" أن أسطورة أفريدون ترتبط بالبقر في كل رواياتها^(٢) وقد رأينا ما جاء في الأيستاق عن تسمى أبناء أفريدون بأسماء تدل على بقرة وصفتها. وقد جاء في تاريخ طبرستان أيضا إن "أفريدون" لما بلغ السابعة من عمره كان يركب الأبقار فكان شمسا ثانية تطلع من الثور^(٣).

ملك منوشهر (منوشهر) :

يقول المسعودي عنه إنه ملك بعد أفريدون ويبين أن هناك تنازعا في نسبه وأن بعضهم يلحقونه "بإيران بن أفريدون" وأن مدة ملكه كانت عشرين سنة وكان ينزل ببابل وأن "موسى ابن عمران" عليه السلام ظهر في أيامه ويضيف أيضا أنه كانت له حروب مع عميه اللذين قتلأباه^(٤). ويبين المسعودي أيضا في موضع آخر أن للفرس منازعات في نسب "منوشهر" واضطراب في كيفية إلحاقه بأفريدون وفي تزوج أفريدون ببنت إيرج وتزوجه ببنت البنت إلى السبع متهن ويقول أيضا إنه بين ملك "منوشهر" وبين ملك "أفريدون" مدة خلت من الدهر وعدة من الملوك لتخرب كان بتأليم بابل^(٥).

(١) حماسة سرائي : ص ٤٣٥

(٢) حاشية الشاهنامة العربية : ص ٣٩

(٣) تاريخ طبرستان : ابن اسفنديار جابخانة مجلس تصحيح عباس اقبال ٥٧/١

(٤) مروج الذهب : ٢٢٥/١

(٥) مروج الذهب : ١٤٠/١

أما اختصار ما جاء عن "منوهر" في الشاهنامة إنه بعد مقتل إيرج ولدت إحدى جواريه (ماه أنريد) بنتا فزوجها "فريدون" لابن أخيه "بشنك" فولدت له ولدا أسماه "منوهر" وعندما بلغ سن الرشد جمع "فريدون" الجيش والعدة والسلاح بهدف الأخذ بثأر "إيرج" وقد ساعد "منوهر" في أخذه بثأر "إيرج" جماعة من الأبطال أمثال "كرشاسب" و "سام" و "تريمان" و "قارن" وفي البداية قتل "تورا" وأرسل رأسه إلى "فريدون" ثم قبض على "سلم" أثناء فراره إلى قلعة "الآن" وقتله ثم عاد "منوهر" إلى إيران حيث تنازل له جده عن العرش وأن مدة ملك منوهر كانت مائة وعشرين سنة^(١).

ولا يوجد ذكر لقصة منوهر في الأستاق وكل ما جاء فيه عنه أنه "منوش جيتز" هو واحد من نسل "انيري" أي "إيرج" وقد جاء في المصادر البيهلولية أنه ابن مينوش كرلر بن مينوش كرنك بن كم تورا بن نوشا بن فركوزك بن "كوزك" وهي ابنة إيرج بن فريتون. وفي موضع آخر من "البندش" أن سلما وتورا قتلا أولاد "إيرج" ولكن "فريدون" أخفى "كوزك" ابنة "إيرج" التي ولدت بنتا هي أيضا وأخفى "فريدون" ابنة "كوزك" وحفظ أولادها إلى أن جاء منه "منوهر" وفيها أيضا أنه في الألف الثالثة ولد منوهر وتشمم للأخذ بثأر إيرج ثم جاء "أنرأساب" واستولى على إيران ثم استردها منه ثانية منوهر وفي تلك الحروب قتل "توتر" (نوذر) ابن منوهر^(٢).

(١) شاهنامة فردوس : ٩٢/١ - ١٢٩

(٢) حماسة سرائي : ٤٤٢ - ٤٤٣

وبمقارنة تلك الروايات التي تكرت عن منوجهر نلاحظ أن رواية "المسعودي" عنه أقرب لما جاء في "البندھشن" من رواية الفردوس حيث ذكر أنه بين "فريدون" و"منوجهر" مدة خلت من الدهر وعدد من الملوك، وفي المصادر البهلوية مسألة أبناء بين منوجهر وإيرج بن أفريدون، وهذا يبين أن هناك فترة طويلة تولى فيها ملوك لايرد نكرهم عند المسعودي ولا عند غيره من المؤرخين بينما توضح رواية الشاهنامه أن الملك متصل بين "أفريدون" و"منوجهر" وأن "أفريدون" تنازل له عن الملك. هذا ويتفق كل من "المسعودي" و"الفردوسي" على أخذ "منوجهر" بثار "إرج" من عمه تور وسلم. أما حكاية ظهور "موسى بن عمران" في زمان منوجهر فقد ذكرها حمزة الأصفهاني^(١) أيضا وذكر هذا أيضا الطبري^(٢).

ويختلف كل من "المسعودي" و"الفردوس" حول من تملك بعد "منوجهر" ليذكر المسعودي أن الذي ملك بعد "منوجهر" هو "سهل بن أبان بن اتقبان ابن بود ابن منوجهر" وأنه نزل ببابل وملك ستين سنة^(٣).

بينما يرد عند الفردوس أن الذي ملك بعد "منوجهر" ابنه "توزر" وأن "بشنك" ملك توران عندما علم بموت منوجهر وجلس "توزر" مكانه أرسل جيشا عظيما يقوده ولداه "أفراسياب" و"اغريزث" مع عظماء توران وأن "أفراسياب" أسير "توزر" وقتله وأن الأمور اضطربت إلى أن جاء "زال بن سمام" وحارب أفراسياب

(١) تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء : حمزة الأصفهاني، مطبعة كاوياني برلين ص ٢٥

(٢) تاريخ الطبري : ١/ ٣٧٦

(٣) مروج الذهب : ١/ ٢٢٥

وولي "زو" الملك^(١).

ورواية الفردوس هذه تختلف رواية الأستاق التي ذكرناها منذ قليل والتي جاء فيها أن "تور" هذا قتل في الحروب التي إشتعلت بين "منوجهر" و "أفراسياب"، كما يتفق كل من حمزة الأصفهاني والطبري والبيروني^(٢) أن الذي ملك بعد "منوجهر" هو "أفراسياب" التركي وبين حمزة الأصفهاني أن أفراسياب هذا تغلب على إيران في زمان ملك "منوجهر" فأزعجه عن سرير ملكه وأنه بقي مستوليا على إيران مدة اثنتي عشرة سنة^(٣).

أما الطبري فيذكر أنه لما هلك "منوجهر" استولى "أفراسياب" على خنيارث (بابل) ومملكة أهل قارس^(٤).

ويتفقون جميعا على أن الذي تولى بعد "أفراسياب" هو "زوين طهماسب" وقد عمر ما خربه "أفراسياب" وإن كانوا يختلفون في أمر "كرشاسب" هل كان شريكا له في الملك أم تولى للملك بعده، فيذكر الفردوس أن "كرشاسب" تولى الملك خلفا "زوين" وأنه ظل على عرش إيران لمدة تسع سنوات وفي آخر سنة من ملكه أغلر "أفراسياب" على إيران بأمر أبيه "بشنگ" وعندما مات "كرشاسب" ظل عرش إيران خاليا إلى أن قام "زال بن رستم" إلى جبال ألبرز وأحضر كيقباد منها^(٥).

(١) شاهنامه فردوس : ٢٨٤/١ - ٢٧٩

(٢) الآثار الباقية : ص ١٠٦

(٣) تاريخ سني ملوك الأرض : ص ٢٦

(٤) تاريخ الطبري : ٤٥٣/١

(٥) شاهنامه فردوس : ٢٨٢/١ - ٢٩٠

وبإنتهاء عهد "كرشاسب" ينتهى التاريخ الأسطورى "البيشداديين" ويبدأ عهد الكياتيين وقد سمي ملوك الكياتيين بهذا الاسم لأن اسم كل ملك منهم يسبق بافضة كى مثل كى قباد وكى كاوس وكى خسرو. وعهد الكياتيين كما يذكر "طه ندا" عهد تمتزج به بعض الحقائق بالخرافات السائدة فيه، وتزداد هذه الحقائق التاريخية كلما اقتربنا من نهايته. أما عن حوادث الشاهنامه فهي متصلة الحلقات فيما يتصل بهذين العهدين، ولا توجد معالم واضحة لكل منهما^(١).

وبين المسعودى أن تفسير الكياتيين هو "الأعزاء"^(٢) وتعنى كما يذكر تذييح الله صفا "ملك" أو "أمير" وكانت تطلق على "كيقباد" والملوك الذين هم من عائلته أو على ملوك وأمراء آخرين من الذين كانوا يحكمون فى أجزاء من إيران الشرقية^(٣) وأولهم كيقباد وملك مائة وعشرين سنة ثم كيقاوس وقد ملك مائة وخمسين سنة. ويقول عنه المسعودى إنه أول من نزل من الملوك ببلخ وانتقل عن العراق وإنه سار نحو اليمن بعد أن كان له بالعراق تمرد على الله، وبينان بفناء لحرب السماء ثم يذكر أنه تحارب مع "ثمر بن فريقس" ملك اليمن الذى أسره وجبسه فى أضيق محبس إلى أن خلاصه "رستم بن دستان" وقتله "ثمر" ورد كيقاوس إلى ملكه وسعدى معه^(٤). ثم يذكر أيضا قصة سعدى مع "سياوخشى" ابنه الذى فر إلى فراسياب التركى وتزوج ابنته التى

(١) دراسات فى الشاهنامه : د. طه ندا ، الدار المصرية للطباعة والنشر ١٩٥٤ ص ٦٠

(٢) مروج الذهب : ٩٠/١

(٣) حماسة سرانى : ص ٤٥٧

(٤) مروج الذهب : ٩٠/١ - ٩١

حملت بكيخسرو وما كان من قتل فراميباب لسياوخشي وقتل رستم "لسعدى" وثأره من الترك لسياوخش وبين أن كل هذا مسجل فى كتاب السكيكين^(١).

مما جاء عند القردوسى يتضح أن "كيكاوس" تولى الملك خلفا لأبيه "كيتبالا" وفى البداية إتجه لفتح "مازندران" ولم يقبل نصائح "زال" وأغار عليها ومعه مجموعة من القادة والأبطال الإيرانيين فطلب "أرزنگ" المدد والمساعدة من "الشيطان الأبيض" الذى سحر "كيكاوس" وجنده وسبب لهم العصى، وعندما علم رستم بالخبر توجه إلى مازندران وقتل الجنى الأبيض وأخذ كبده نداوى به الإيرانيين الذين عادوا مبصرين ثانية، وبعد حين إتجه لفتح توران والصين ومكران وزرة، وتقبل ملوك تلك النواحي دفع الخراج والجزية له ثم إتجه لمحاربة ملك البربر الذى استعان بملك "هاموران" (حمير) وملك مصر ولكن كيكاوس هزم ثلاثتهم وتقبلوا دفع الخراج والجزية له ثم رغب كيكاوس فى التزواج من "سودابة" بنت ملك "هاماوران" فأوقع به ملك "هاموران" هو وكبار قادة إيران وعندما شاع هذا الخبر هجم العرب والعرب على إيران فجاء "أفراسياب" إلى إيران بجيش كثيف وتحارب مع العرب، وأخرجهم من إيران وتملك هو على هذه الديار ثم ذهب رستم إلى "هاماوران" وأنتقد "كيكاوس" فعاد مع "سودابة" والأبطال إلى إيران وأخرج "أفراسياب" من إيران وبني قصرا شاهقا على جبل "البرز" وبعد حين صعد للسماء بناء على حيلة الشيطان فسقط بالقرب من الصين وعندما علم العلماء بحاله ذهبوا إليه ولاموه وكان خجلا وناما. ثم يذكر قصة سودابة واحتيالها على سياوخش ثم فراره إلى توران ومقتله على يد "أفراسياب" وولاده

(١) مروج الذهب : ٩٠/١ - ٩١

"كخسرو" ابن سيابوخشى من زوجته التركية إينة "إفراسياب" وجلسه على العرش وتحاربه مع إفراسياب للأخذ بثأر والده ومقتل "إفراسياب" على يده^(١).

وقد ورد اسم كيكالوس فى الأستاق بالشكل التالى "كوى اوسن" أو "كوى اوسدن" وقد ذكر اسمه فى الأستاق قبل اسم "كيتباد" وخلاصة ما جاء عنه أن "كوى اوسن" القوى القدير قرب القرابين لأناهيد وطلب منها أن تساعد ليصبح ملك الممالك الأعظم وتجعله مسيطرا على الناس والجن والصحراء وقد ساعدته أناهيد على ذلك^(٢).

وفى المصادر البهلوية معلومات أكثر عن "كيكاوس" التى بقيت منذ الأزمنة القديمة. ومن هذه الروايات أن "كى اوس" (كيكاوس) كان أكبر أخوته الثلاثة وأنه ملك الأقاليم السبعة بما فيها من جن وإنس وأن أوامره كانت مجابة وتنفذ فى الحال وقد بنى سبعة قصور أعلى جبل "البرز" أحدها من الذهب وأثنان من الفضة وأخران من الحديد وأثنان من الزجاج ومن تلك الثلاثة كان يحكم شياطين مارنتران ومنعهم من تخريب العالم وأن أى إنسان يعاني من ضعف الشيخوخة ويقترب من الموت إذا دخل هذا القصر يعود شابا مرة أخرى كما لو كان ابن خمس عشرة سنة^(٣).

وقد جاء ذكر هذا القصر أيضا فى الـ "بندھشن" ولديه أن قصر "كى اوس" مركب من عدة منازل واحد منها من الذهب ويعيش فيه "كى اوس" وأثنان من البلور وهما أسطبل لخياله وإثنان من الحديد من أجل قطعان ماشيته وكل ما فى هذا القصر

(١) شاهنامه فردوس : جلد سوم و جہارم

(٢) حماسة سرائى : ص ٤٦٦

(٣) حماسة سرائى : ص ٤٦٧

من طعام وشراب يمنح الإنسان الخلود، وإذا نخل شيع من باب فإنه يخرج من الباب الآخر شاباً في الخامسة عشرة. وجاء أيضاً في المصادر البهلوية أن "جما" و "كاوس" خلق كلاهما للخلود ولكن حكم عليهما بالإنهاء بسبب وقوعهم في الخطأ والخطأ الذي وقع فيه "كياكوس" هو عدم قناعته بملك الأقاليم السبعة وتطلعه إلى السماء. وقد جاء في الدينكرت تفصيل لصعود "كياكوس" لحرب السماء من أجل السيطرة عليها وأنه جهز جيشاً من الشياطين والمردة وصعد أعلى قمة جبل "البرز" ووصل إلى آخر حد بين الظلمة والنور وهناك انفصل عن مرافقيه ولكنه لم يكف عن اللجاجة وبقي في عناده لهذا سلبه "أهورمزدا" (الخالق) البهاء الملكي ومن هذا المكان العالي سقط جيشه على الأرض ونسب فيه الإنهاء وفر "كي أوس" نفسه إلى بحر "وروكش" وأثناء فراره جاء منك "كبخسرو" الذي لم يكن قد ولد بعد فأنقذه من أجل أنه كان مقدراً أن يخرج "سياوش" من صلبه ويخرج كيخرو من صلب سياوش وجاء عنه أيضاً أن مدة ملكه مائة وخمسون سنة^(١). وجاء عنه في المصادر البهلوية أيضاً أنه قتل وزيره "أوشذ"، وبعد حربه مع السماء ونقله مدحوراً عنها انفصل عنه البهاء الملكي ودخل في حروب مع الشعوب وذهب لحرب ملك شميران. وهناك على حدود شميران خدعوا ووقعوا في الأسر فتحرك "زنگياب" من بلاد العرب متجهاً إلى إيران ليستولي على ملكها فدعا الإيرانيون "أفراسياب" إلى بلادهم فقتل "زنگياب" واستولى على ملك إيران وحمل الناس من إيران وأسكنهم في غي ران وخرب إيران إلى أن تحرك "رستم" من سيستان متوجهاً إلى شميران "حمير" وأطلق كياكوس والقادة الآخرين من الحبس،

(١) حماسة سرائي : ص ٤٦٧ - ٤٦٨

وتحاربوا مع "أتراسياب" الى أن أخرجوه من "إيران" وأجبروه على التقهقر الى "توران" وبدأوا في إعادة تعمير إيران^(١).

تلك أهم الأخبار التي ورثت عن كيكائوس في الأستاق وفي المصادر البهلوية وبمقارنتها بما ورد عند المسعودي والفردوس يتضح أن رواية المسعودي والفردوسي توافق رواية المصادر البهلوية من حيث سلى ملكه فجميعهم ينكرون أنه تملك مائة وخمسين سنة. كما يذكر المسعودي خبر حرب كيكائوس مع السماء والبنيان الذي بناه لحرب السماء، بختنصر شديد، بينما يورد الفردوس هذا الخبر بالتفصيل. كما يصف الفردوس قصر كيكائوس الذي ابتناه على جبال ألبرز قائلا: "إنه أمر فبنى به منزلا للخيول والبغال، ومنزلا من الزجاج المرصع بالزبرجد ليكونا مكان طعامه وشرابه، وقبة من الجزع اليعاقى لتكون مجلسا للموید، ومنزلا من الفضة رسم الصلاح ومنزلا من الذهب مجلسا له وقد زينوه بالزبرجد والياقوت وفي هذا القصر لا بطول الليل ولا يقصر النهار، وجوه ربيع دائم لا يظهر فيه أثر لصيف ولا شتاء هراوه عنبر وأمطاره خمر وفي ذلك المكان استراح كيكائوس من الحزن والألم ولم ير التعب والعناء وكان كل الألم والعناء واقع على الجن^(٢).

(١) حماسة مراثي : ص ٤٦٨ - ٤٦٩

(٢) بفرمود تاسنك خاركنند
ببستد اسبن جنكي دروي
يكي خانه رازيگينه بساخت
جنين جاي بودش خرام وخورش
زجرج يمثي يكي كنبدي
از ايراجنين جاكيه كردراست

دوخاته بروهريكي ده كمند
هم اشتر عماري كش وراه جوي
زبرجد بهرجاي لدرنشاخت
كه بلشدش ازخوردني برورش
نشستكه نامور موبدي
كه دانش ازان جاي هرگز نكاست

أما تحارب كيكائوس مع ملك اليمين فإن المسعودي يذكر أن إسم الملك الذي تحارب مع كيكائوس هو "شمر بن فريقس" وقد جاء في المصادر البهلوية أن كيكائوس قد تحارب مع ملك "شمران" ويرى ذبيح الله صفا أن إضافة الألف والنون إلى نهاية الكلمة في اللغة البهلوية هو من علامات النسبة ومعنى هذا أن "شمران" هو الإقليم المنسوب إلى "شمر"^(١). وعليه يكون المسعودي أقرب لما جاء في المصادر البهلوية من "الطبري" و"الثعالبى" الذين ذكرا أن ملك اليمين هو "نو الأذعار"^(٢). أما الفردوس فلم يذكر أسم الملك الذي حاربه "كيكائوس" واكتفى بقوله إنه ملك "هاموران". كما يتفقون جميعاً على أن ملك اليمين أسر "كيكائوس" وكبار قانته وإن الفردوس يجعل هذا الأمر يأتي بعد انتصار "كيكائوس" على ملك هاموران الذي كادله وألعه في أسره غمراً؛ فقد دعا "كيكائوس" إلى ضيافته بعد مضي أسبوع من زواجه بإبنته قاتلاً؛ إن رأى الملك أن يشرف عبده بضيافته ويصير إلى هاموران ويضيقها بجمال محياه وهو يحتال في كل ذلك ويظهر خلاف ما يضر، وفهمت "سوزابة" مقصد والدها الذي يضر الغدر فقالت "كيكائوس" ليس من الرأي قبولك لضيافته ولكنه لم يلتفت لحديثها

بفرمود از نقره خام كرد	دوخته ز بهر سايح نبرد
بر آورد بالاشرا بر دوش است	يكى كاخ زرین ز بهر نشست
در ايوانش ياقوت برده يكار	ز بيروزه كرده بر او بر او برنگار
كه روزى بيفزود و هر كز نكاست	چنين جاىگاهى كه دل خواست راست
هواعتبرين بود برانش مى	نبودى تموز ايچ بيدانه دى
بديراتن ديو رنجور بود	زرد و غم و رنج دل نور بود

(شاهنامه فردوس: ٤٠٨/٢-٤٠٩)

(١) حماسة سرائى: ص ٤٧١

(٢) تاريخ الطبري: ٥٠٨/١ و الغرر فى أخبار ملوك الفرس: ص ١٥٨.

ولم يكن له رجل من بينهم ينصحه فذهب مع قائده ومعاونيه الى ضيافة ملك "حمير"^(١) ويتفقون جميعا على ان الذي خلص "كيكاوس" من الامر هو "رستم" البطل الإيراني ويتفقون على زواجه من "سعدى" او "سوانبه" ابنة ملك اليمن وعلى غرام "سوانبه" بابنه "سياوخش" وكيدها له إلى أن فر الى "أفراسياب" الذي قتله غله وغدرا بعد أن بواه وأكرمه وزوجه ابنته التي ولدت "كيخسرو" الذي انتقم من "أفراسياب" فيما بعد وقتله أخذا بثأر والده.

كما يتفق الفردوسي مع المصادر البهلوية في ذكر إشارة "زنگياب" الملك العربي على إيران وتحارب "أفراسياب" ملك "توران" معه وإبعاده له عن عرش إيران واستيلائه عليه. بينما تذكر المصادر البهلوية إن الذي دعا "أفراسياب" الى هذا هم الإيرانيون أنفسهم. أما الفردوس فيذكر أن "أفراسياب" قام بهذا لأنه رأى انه أحق من غيره إذ ينتمي الى تور ابن أفريدون^(٢) ولا يشير المسعودي إلى هذه الحادثة.

-
- | | |
|---|---|
| (١) جويك هفتة بگنشت هشتم بگاه
که کرشاه بیند بمهمان من
شودشهر هملوران ارجمند
بران گونه بااوهمی جاره جست
بدانست سودابه رای بستر
بگاوس کی گفت کین رای نیست
زسودابه گفتار باور نکرد
بشدبا دلیران وکندا اوران | فرستاده آمد بنزدیک شاه
بیاید خرامان سوی خان من
جو بیننخر خساره شاه بلند
نهاتیش بدبودورایش درست
که باسود برخاش دلردیر
تراخویدیمهمان اوجای نیست
نمیداشت زیشان کسیرا بمرد
بهماتی شاه هاماوران
(شاهنشاه فردوس: ۲/۳۸۷-۳۸۸) |
| (٢) همه شهر ایران سرای منست | که تود فریدون نیای منست
(شاهنامه فردوس: ۲/۴۰۶) |

ومن هذا يتضح أن المسعودى والفردوسى يتفقان مع الأستاق والمصادر
البهلوية فى معظم ما جاء عن "كيكاوس" وإن كان الفردوسى يميل دائما إلى التفصيل
وإيراد الأخبار على شكل قصص متصل الحلقات.
كيخسرو:

وتولى الملك ستين سنة وتبدأ قصة "كيخسرو" مباشرة بعد مقتل سياوش فيذكر
المسعودى أن "كيخسرو" تولى الملك خلفا لجده لأبيه وهو "كيكاوس"^(١) ولا يضيف
المسعودى فى التنبية والإشراف أى خبر عنه عدا أنه ملك ستين سنة^(٢) وقصة
"كيخسرو" فى الشاهنامه متصلة أيضا بقصة سياوش وتبدأ بعد مقتله مباشرة وفيها أن
"فرنكيس" ابنة "أفراسياب" وأمرأة "سياوش" وضعت ولدا بعد مقتله مباشرة وفيها أن
"كيخسرو" فأمر "أفراسياب" أن يودع لدى الرعاة حتى لا يعلم بقتله لأبيه وقد أودعه
وزيره "بيران" لدى الرعاة عند جبل "كلو"، وقد تربي "كيخسرو" فى هذا الإقليم، وبعد
حين ذهب "بيران" إليه متفقدا أحواله وقد أخذه إلى حضرته وعطف عليه ثم أرسله إلى
قلعة "كك تز" هو وأمه "فرنكيس" بأمر "أفراسياب" وفى النهاية جاء "جيو بن جوزرز"
بأمر والده للبحث عن "كيخسرو"، وعندما وجدته بعد سبع سنين من البحث والتتقيب عاد
به وبأمه إلى إيران وبعد وصوله إلى إيران وقع خلاف بين القادة على من يتولى
الملك، وفى النهاية إتفقوا أن من يتمكن من فتح قلعة "بهمن" يكون جنيرا بالملك، وقد

(١) مروج الذهب: ٢٢٧/١

(٢) التنبية والإشراف: ٩٠

استطاع "كيخسرو" وحده المصاحب بالمجد الملكي القيام بهذه المهمة، حينئذ نهض كيخسرو بأمر كيكائوس للأخذ بثأر والده وبعد سنين من التحارب وإراقة الدماء استطاع أن يمسك "بأفراسياب" الذي كان مختفيا في غار وقتله هو وأخاه "كرسيوز" ثأرا لوالده وبعدمقتل "أفراسياب" تنازل "كيكائوس" عن العرش لـ"كيخسرو" ومات بعد سلطنة دامت مائة وستين سنة، وقد أطلق "كيخسرو" سراح "جهن بن أفراسياب" وولاه ملك "توران" أما هو فقد تملكه الحزن، وزهد في الدنيا، فولى "لهراسيب" مكانه وأختفى هو و"طوس" و"جورز" و"قريبرز" في أحد الجبال^(١).

هذا ملخص ما جاء عن "كيخسرو" في الشاهنامه وقد جاء اسمه في الأبياتاق عدة مرات وبعد واحدا من كبار الأبطال والملوك وقد جاء عنه أنه قرب القرابين "لأناهيد" طالبا منها أن تساعد ليصبح ملكا على كل الأقاليم وما فيها من إتنس وجن ومخلوقات وحيوانات. وجاء أيضا أن "هوم" المحارب قرب القرابين طالبا مساعدته حتى أمسك "بأفراسياب" الطوراني الأتيم وعندما أمسكه قيده وأسلمه لـ"كيخسرو" الذي قتله منتكما منه لمقتل والده "سيائوش" الشجاع الذي قتل غدرا وينتقم منه لأخيه "أغريزث" الشجاع. وقد ساعدته الآلهة على ذلك. وقد جاء في الأبياتاق أيضا أن كيخسرو "قرب القرابين لنفس السبب وإن الآلهة ساعدته على ذلك"^(٢).

ومن هنا نرى أن معظم ما ورد في الأبياتاق عنه دأب حول حروبه مع "أفراسياب" مطالبا بثأر أبيه، وهو نفس ما جاء في الشاهنامه وكتب التاريخ مثل كتب الطبري والعرر في أخبار ملوك الفرس لشعالي.

(١) شاهنامه فردوسي : ٦٧٥/٣ - ٨٦٧ ، ج ٤

(٢) حماسة مرائي : ٤٨٠ - ٤٨١

يقول عنه المسعودی: "ثم كان بعد كيخسرو بن سیاوخش بن كيكاس" الملك الى لهراسب بن قنوح بن كيمس بن كيناس بن كيناسة بن كيقباد" الملك فعمر البلاد وأحسن السيرة لرعيته وشملهم عدله وبضيف إلى هذا أن بنى إسرائيل نالهم في عهده محن وشنتهم في البلاد ويقول أيضا أن ملكه كان مائة وعشرين سنة وإن خبر مقتله مع الترك وما كان منهم من حصاره ومن أخذه بثأره بعد قتله مذكور في كتب الفرس. ويذكر أيضا أن "بهاراسف" لهراسب أرسل "سناحارب" وكان خليفته على العراق إلى حرب بنى إسرائيل فلم يصنع شيئا فأرسل بعده البختنصر^(١).

وقد جاء نسبه عند الفريسيين على النحو التالي "لهراسب بن أورنشاه ابن كي بشين بن كي قباد"^(٢) الملك العادل وفي الشاهنامه إنه ملك مائة وعشرين سنة بعد أن زهد كيخسرو في الدنيا واتجه نحو العالم الآخر وأوصى بالملك "لهراسب" الذي كان شخصا خامل الذكر في بلاط كيخسرو" فوقع الخلاف بين العظماء والأبطال الذين احتجوا بأنه ليس من سلالة الملوك أما كيخسرو" فقد أوضح لهم إنه من عقب كيقباد وصاحب البهاء الملكي، ثم أنقاد له العظماء ووافقوا على تملكه وليس التاج، وبنى بلخ عاصمة له، وبنى بيت نار باسم "آزربوزين"، وقد أعقب لهراسب ولدين أحدهما

(١) مروج الذهب: ٢٢٨/١

که اورابدی آن زمان نام وجاء
که کردی پدر برپشین آفرین
خرمند شاهی ولس برز داد
(شاهنامه فردوس : ١٦٧٠/٦)

(٢) که لهراسب بدیوار اورنشاه
هم اورنداز تخمه کی بشین
بشین بوداز تخمه کيقباد

"زريز" والآخر "كشتاسب"، كما كان في بلاطه أثنان من أحفاد "كيكاوس" وبسببهما لم يعترف بولديه، وقد تقل هذا على "كشتاسب" وسخط على والده واعتزم على مفارقتها والتوجه إلى الهند ثم إلى الروم وهناك تزوج من "كتايون" ابنة قيصر، وفي النهاية تصالح مع والده الذي دفع إليه "لهراسب" بكرسى العرش. وذهب هو نفسه إلى "توبهاربلخ" وانتشغل بالعبادة. وعندما أظهر "زردشت" دينه آمن به وأخلص له وهكذا ظل يمضي أيامه في التبعيد إلى أن ظهر "زردشت" ودعاه لقبول دينه وصار من أتباعه إلى أن قتل في إحدى حملات "أرجاسب التوراني" على بلخ^(١) وقد جاء ذكره في الأستاق مرة واحدة كما يذكر ذبيح الله صفا في معرض طلب "زردشت" من "أناهيد" أن تجعل "كي كشتاسب" معينا له. وجاء اسمه على النحو التالي "كوى ويشتاسب بن أنوردت اسب" أي أن اسم لهراسب (أنورون سب) جاء في الأستاق بدون ذكر كلمة كوى ومعنى (أنوردت سب) أي صاحب الجياد السريعة، ويرى ذبيح الله صفا أن هناك دلائل تشير إلى عدم وجود هذا الملك تاريخيا، من بينها المرور على اسمه في ال "يشتها" (الأدعية) الأساسية من الكرام ومنها أيضا أن اسمه لم يرد في ال "كاتاهما"^(٢) مع أن الروايات المتأخرة عنه تقول أنه كان معاصرا لـ "زردشت" ودخل في دينه فبما كان هذا حقيقيا لكان من الواجب أن يذكر اسمه مثل عظماء ومشاهير هذا العصر الآخرين ويستند إلى رأى "كريستن" القائل بأن لهراسب قد أضيف ليكون رابطة بين سلطنة "كيخرو" و "كيكاشتاب"^(٣) وقد جاء نسبه في المتن البهلوية على النحو التالي

(١) شاهنامه فردوس : ١٤٤٥/٦ - ١٥٥٦

(٢) الفصول المنظومة من الأغاني زردشت

(٣) حماسة سرائي : ص ٤٨٨ - ٤٨٩

لهراسب بن آر بن منوش ابن كي بيشين أخو كي اوس" وقد جاء عنه أيضا أنه أغل على اورشليم بمساعدة "بوخت نرسيه" (بختصر - بنوكذ نصر) ويرى نبيح الله صفا أنه من الجائز أن تكون هذه الروايات قد أضيفت بعد العهد الساساني^(١).

ومن مقارنة هذه الروايات يتضح أن المسعودي والفردوس يتفقان على اختيار "كيخسرو" للهراسب ليتولى الملك خلفا له، ويتفقان على أن "لهراسب" لم يك من عقب "كيخسرو". ويذكران أيضا أنه تولى الملك مائة وعشرين سنة. ويذكر المسعودي باختصار قصة حصار الفرس للهراسب ومقتله على أيديهم، وأخذ الفرس بثاره دون ذكر للأسماء أو التفاصيل مبينا أن هذا مذكور في كتب الفرس. أما الفردوس فيذكر قصة هجوم "أرجاسب التوراني" على بلخ منتهزا فرصة غياب "كشتاسب" عنها وقد تحارب فيها مع "لهراسب" وكان شيخا مسنا لكنه تصدى لهم ببصالة وقد تحبب الملك من سهام الترك وانتقلب حظ ذلك العابد لله، وعندما سقط على الأرض تكاثروا عليه ومزقوا مخفره، ومزقوا جسده بسيوفهم، وكانوا يحسبونه فارسا شابا فلما رفعوا الخوذة عن رأسه رأوا وجهها والوتيا وشعرا كأنه الكقور ولد بدا جمال وجهه أظهره الحديد الأسود^(٢) وبين الفردوس أيضا أن الذي أخذ بثكر "لهراسب" هو أسفنديار بن كشتاسب

(١) حماسة سراتي : ص ٤٨٩

(٢) جهاتديده از تهر تركان بخت

بخاك اندر آمد سرتاجدلر

بكرند جاك آن كيي جوشنش

همي نو مولریش بندا شتند

بدبندر خ لعل وكافور موي

نكونمار شدمرد بزبان پرست

يروا نجمن شد فراوان سوار

بشمشير شد باره باره تنش

جو خود از سر شاه بر داشتند

از آهن مياہ آن بهشتيش روي

(شاهنامه فردوس : ١٥٥٨/٦)

وقد غزا بلاد الترك ودخل بلادهم ووصل إلى قلعة "أرجاسب" في زمن قياسي بعد أن خاض المنازل السبعة الخطرة حتى وصلها وأحتال في الدخول إليها وقتل "أرجاسب" وأخاه "كهرم" وحرر أخيه من الأسر^(١).

أما رواية المسعودي عن أمر "الهراسب" "بختصر" بتخريب بيت المقدس فلم ترد عند الفريديس وإن كانت وردت في كتب التواريخ العربية الأخرى مثل تاريخ سني ملوك الأرض وتاريخ الطبري والآثار الباقية وغيرهما. وقد رأينا أنها ذكرت في المصادر البهلوية وإن كان "ذبيح الله صفا" يبين أنها أضيفت بعد العهد الساساني كما بينا من قبل.

كشتاسب (بشتاسب) :

وهو ابن "الهراسب" الذي تولى الملك بعده كما ينكر المسعودي وكان منزله بلخ ويضيف أيضا أنه بعد ثلاثين سنة من ملكه ظهر "زردشت" نبي المجوس الذي اتهم بكتاب تمناه^(١) (بستاق) وقد أتى بالمعجزات الباهرات للعقول ويستطرد المسعودي للحديث عن هذا الكتاب وتقاسيره وأن الملوك لم تزل تعمل به إلى عهد الإسكندر الذي أحرق بعضه وأن "أردشير بن بابك" جمع الفرس على قراءة سورة منه يقال لها إسناد وأن المجوس إلى هذا الوقت لا يقرأون غيرها. ولا يذكر المسعودي شيئا عن "كشتاسب" غير أن ملكه إلى أن تمجس ثم هلك كان مائة وعشرين سنة، كما يبين أن "كشتاسب"

(١) شاهنامه فردوس : ١٥٨٢/٦ - ١٦٢١

(یشناسب) نصب "خاناس العالم" مكان "زردشت" بعد أن هلك "زردشت" وإن خناس هذا كان أول "مويذ" قام فيهم^(١).

أما خلاصة ما جاء عند الفردوس عن "كشتاسب" أنه بعد دخوله في دين زردشت دعا إليه الملك التوراني "أرجاسب" الذي أرسل إليه يوبخه على ترك دين الآباء وأتباع هذا الشيخ ووقع الخلاف بينهما لهذا وتحارب "كشتاسب" مع "أرجاسب" إطاعة لأمر "زردشت" الذي دعاه إلى رفض دفع الجزية لأرجاسب وقال له "من غير المقبول في ديننا أن تعطى الجزية لملك الصين فهذا أمر لا يليق في الدنيا ولا في الدين"^(٢) "تقبل كشتاسب" كلامه ورفض أن يعطى تلك الجزية ووقعت بينهما حرب أغار فيها "أرجاسب" على بلخ في غيبة "كشتاسب" وقتل فيها "هراشب" وأغار "أسفنديار" ابن كشتاسب على بلاد الصين وقتل أرجاسب كما سبق وأن أشرنا وكان "أسفنديار" كوالده راغباً في الحكم والسلطان وطلب من والده أن يتنازل له عن العرش مثلما فعل "هراشب" معه ولم يرحب كشتاسب بطلبه فأرسله ليحارب "رستم" بسيستان وقال له : "يجب عليك أن تنهض الآن إلى سيستان وتجهذ في الحرب والحيلة والسحر وتجرد حسامك ومقرعتك وتحضر لي رستم أين زال مكبلاً في قيوده، كذا تمسك بزواجرة وفرازمز ولا تبق أحداً جالساً هناك"^(٣). ويعمل الطبري سبب إرسال "كشتاسب"

(١) مروج الذهب: ٢٢٩/١-٢٣٠

(٢) بشاه جهان گفت زردشت پير كه تو ياز بد هي بسالار جين

(٣) سوي سيستان رفت بايدكنون
برهنه گني تيغ وكوبال را
زواره فرامرز را همچنين

كه در دين ما اين نباشد هزير
نه اندرخور آيد باين وديـن
(شاهنامه فردوس: ١٥٠٠/٦)
بكار آوري جنگ ورنك وفسون
به بند آوري رستم زال را
نماني كه گس برنشيند بريـن
(شاهنامه فردوسي: ١٦٢٨/٦)

ابنه أسفنديار ليحارب رستم بأن كشتاسب حسد ابنه أسفنديار لما ظهر منه فوجهه
لحرب رستم بسجستان^(١). أما أبو حنيفة الدينوري فيذكر أن رستم عندما بلغه خبر
دخول كشتاسب في المجوسية غضب غضبا شديدا وجمع أهل سيستان (سجستان)
وزين لهم خلع كشتاسب (بشتاسف)^(٢). أما الفردوس فيبرر إرسال كشتاسب ابنه
لحرب رستم مع علمه مسبقا بهلاكه كما أخبره جاساس العالم بأن الكائن سيكون
ولامفر منه حتى للعالم بالزمان^(٣). وقد قتل أسفنديار بيد رستم الذي ضم إليه
بهمن ابن أسفنديار ليربيه ويرعاه تبعاً للرغبة التي أبداها والده قبل مماته ثم التحق
بهمن هذا بجده الذي دفع إليه بالتخت والتاج^(٤). وفي رأى نبيح الله صفا أن اسم
كشتاسب قد ذكر أكثر من سائر ملوك الكيانيين في الأستاق وفي النصوص البهلوية
واسمه في الأستاق ووشناسب أي صاحب الجياد النافرة. وخلاصة ما جاء عنه أنه :
وشناسب على الهمة صاحب الجياد السريعة وهو من أسره نوتقيثر نوزري التابع
والمحب لزريشت النبي. الملك العابد لمزداء التابع طاهر الخلق. الصديق صاحب
المجد الملكي. المعان بالمجد. الذي أصبح قوله وعمله وفكره تابعا لدين الحق والذي
أعلى شأن دين أهورا مزدا والظاهر بأعدائه والمخلص لبناته من أسر التورانيين
والعائد لبلاده مكللا بالظفر والنصر^(٥).

(١) تاريخ الطبري: ٥٦٤/١

(٢) الأخبار الطوال:

(٣) بياضد همه بوننى بى كمان

نجستت ازو مرد دانا زملن

(شاهنامه فردوس: ١٦٢٤/٦)

(٤) شاهنامه فردوسى: ١٧١١/٦ ج ١٧٥٢

(٥) حماسة سرائى : ص ٤٩١-٤٩٢

وبناء على رواية المتون البهلوية (البندهش) فإن كشتاسب جلس على العرش خلفا للهراسب الكياتي في أواخر الألف الثالثة، وعندما مر من ملكه ثلاثون سنة ختمت الألف الثالثة وبدأت الألف الرابعة وفيها ظهر "زردشت" وقد قبل كشتاسب دينه وأعلن ذلك وتجارب مع أرجاسب وقد تعادى "انيران" مع الإيرانيين عداوة شديدة. كما تنسب لـ "كشتاسب" بناء اثنين من بيوت النيران الثلاثة المقدسة عند الفرس. وهناك أيضا اشارات عن حروبه المختلفة، ومن أهمها حروبه مع "أرجاسب" ملك التورانيين. كما ينسب لكشتاسب في المتون البهلوية كثير من الأبناء وأهمهم على الإطلاق هو "اسنديار" كما ورد الحديث فيها عن "جاماسب" وزير كشتاسب، وهناك كتاب عنه بالبهلوية والفارسية اسمه "جاماسب نامك"، وفي منظومة (ياتكار زر بران) ذكر لاسمه وحديث عن علمه^(١) وفضله ومن مقارنة ما جاء عن "كشتاسب" أو "يشتاسب" عند "المسعودي" وفي الشاهنامه وفي المنون البهلوية يتضح لنا ما يأتي:

أن أهم ما ذكر عنه في جميع المصادر هو ظهور "زردشت" في عصره وقبوله لثين زردشت ودفاعه عنه ويتفق رواية المسعودي ورواية البندهش عن ظهور "زردشت" بعد مرور ثلاثين سنة من ملك كشتاسب ويتفق المسعودي والفردوسي على أن مدة حكم كشتاسب مائة وعشرون سنة. ويذكر المسعودي مقتل زرادشت أثناء حكم كشتاسب، وبين الفردوسي أن التورانيين عندما استولوا على "بلخ" دخلوا بيت النار وأحرقوا كتاب الزند والأبستاق، كما أحرقوا القصر والأيوان وقتلوا فيها ثمانين هربدا كانوا مشغولين بذكر الله ومن دمائهم أطفأوا نار زردشت ولا انرى لما تكلوا

(١) حماسة سرائي : ص ٤٩٢ - ٥٠٠

الهرابذة^(١) أما قصة مقتل زردشت أثناء تلك الغارة فغير واضحة في نسخة الشاهنامه التي بين يدي بينما يذكر "طه ندا" أنه قد ورد عند الفردوسي أن النورانيين بعد أن استولوا على بلخ دخلوا بيت النار وقتلوا "الهراسب" و"زردشت" والهربذ^(٢). وهذا غير متطابق مع النسخة التي اعتمد عليها حيث سبق أن بينت أن الفردوسي قد ذكر أن "الهراسب" قتل في مواجهة مع النورانيين، وأنهم قتلوا الهرابذة في بيت النار هذا، ولم يذكر شيئا عن زردشت. كما تتفق رواية الشاهنامه مع الروايات البهلوية في معظم ما أورده الفردوسي عن "كشتاسب" مثل حروبه مع أرجاسب الثوراني ومقتل "الهراسب" على أيديهم وإسراع إسفنديار للأخذ بثأره منهم وغزوه بلاد الترك، وتخليص اخته من أسرهم وقد أورد الثعالبي أيضا قصة مروره بالمنزل السبعة واجتيازه أخطارها^(٣) كما أوردها الفردوسي وأشار إليها الطبري^(٤) وهي في رأي من القصص التي أضيفت في عصور متأخرة وتشبه المنازل السبعة "هفتخان رستم" التي خاضها رستم من قبل كما يذكر "نبيح الله صفا".

-
- | | |
|----------------------------|----------------------------|
| (١) نهال نيمرسوى آشكده | بدان كاخ وايلون زرازده |
| همه زند واستابرا فروختند | همه كاخ وايلون همي سوجتند |
| دراهير بدبود هشتاد مرد | زبان شان زيزدان براز ياكرد |
| زجون شان بمرد آتشي زردهشتا | ندانم جراهير بدرا بكشت |
| | (شاهنامه فردوس : ١٥٥٩/٦) |

(٢) دراسات في الشاهنامه : ص ٢٤٢

(٣) الفرر في أخبار ملوك الفرس : ص ٣٠٥ - ٣٥٥

(٤) تاريخ الطبري : ٥٦٣/١

كل هذا يدل على اعتماد الفردوسي على مصادر تاريخية عن تاريخ الفرس
القديم وعدم لجوئه لخياله ليخترع تلك القصص أو يخبر فيها ويبدل. كما يتحدث كل
من المسعودي والفردوسي عن "جاماسب" العالم ويبين الفردوسي أنه وزير "كشتاسب"
بينما يذكر المسعودي أنه أول موبد قام فيهم بعد موت زردشت.

هذا ويتفق رواية الشاهنامه أيضا مع المصادر البهلوية عن كثرة أولاد
كشتاسب من زوجته "هوتوس" ثلاثون ابنا وإبنة^(١) وقد جاء في الشاهنامه أيضا أن
ثمانية وثلاثين من أبنائه قد قتلوا في الحرب مع "أرجاسب" التوراني^(٢).
بهمن بن إسفنديار:

يقول المسعودي عنه إنه ملك بعد كشتاسب (يشتاسب) وكفت له حروب
كثيرة مع رستم صاحب "سجستان" إلى أن قتل "رستم" ووالده "مستان" ويبين أنه ملك
مائة واثنى عشرة سنة. ويضيف إلى هذا أن أم بهمن كفت من بنى إسرائيل من ولد
طالوت الملك. وأن بهمن هو الذي بحث بالبختصر مرزيان العراق إلى بنى إسرائيل
فخر بها. وأنهم قد ردوا إلى ديارهم أيضا في زمانه. وأن كورش كان ملكا فارسيا
ملك على العراق من قبل بهمن^(٣) أما ما جاء عن "بهمن" في الشاهنامه فقد أشرنا

(١) حماسة سرائي : ص ٤٩٨

(٢) جربود كشتاسب راسي وهشت
بيكاركي تيره شديخت شاه
(شاهنامه فردوسي : ١٥٦٢/٦)

(٣) مروج الذهب : ٢٣٠/١ - ٢٣١

إلى جزء منه عند حديثنا عن قضية "اسفنديار" وذهابه لحرب "رستم" بأمر والده "كشتاسب" وقد جاء في نهاية قصة "اسفنديار" انه أودع "بهمن" ابنه عند رستم. موصيا إياه أن يربيه ويعلمه فنون القول والحرب، وأداب المجالس في السلم والحرب والصيد، ويعلمه جميع فنون القتال ليصبح جنيرا يتولى الملك^(١) وقد ارتحلت الجيوش من سيستان وظل "بهمن" عند رستم الذي بذل جهدا في تعليمه وتربيته. وبعد حين طلب "كشتاسب" من رستم أن يرسل إليه حفيده. وعندما وصل بهمن إلى حضرة جده أجلسه على العرش وسماه "ارنشير" وأول عمل حرص عليه "بهمن" بعد تولي الملك أنه طأب بئار أبيه من أسيرة "رستم" لأن رستم كان قد قتل بيد أخيه "شفاذ" فذهب إلى سيستان على رأس جيش جرار وتحارب مع "قرامرز" ابن رستم فانهزم جيش "قرامرز" وقتل كثير من أكاريه، كما جرح هو جروحا كثيرة، وفي النهاية أسر، وقتل بأمر بهمن. وقد طلب "يشتون بن كشتاسب" وزير بهمن منه أن يعفو عن زال، ويكف عن أسيرة "رستم" ويعيدهم إلى بلادهم، وهذا هو ما فعله "بهمن" ثم عاد إلى إيران. وكان لبهمن ابن اسماء "ساسان" وابنة اسمها "همای" وتلقب بـ "جهرازاد" وكانت رائعة الجمال وقد تزوجها "بهمن" تبعا للشرعية البهلوية لحملت منه، وفي هذا الوقت مرض بهمن مرض الموت، وعلى فراش الموت اختار "همای" لتخلفه على العرش وكانت مدة ملكه تسعا وتسعين سنة^(٢). ويذكر "نبيح الله صفا" أن سيرة "بهمن" لم ترد في الأستاق، وأن هذه أول مرة تنفصل فيها الروايات القومية عن الأستاق. وتختلط بتاريخ الأسرة الهخامنشية^(٣)

(١) شاهنامه فرنوسي : ١٧١٧/٦

(٢) شاهنامه فرنوسي : ١٧٤٦/٦ - ١٧٥٨

(٣) حماسة سرائي : ص ٥٠١

ويقارن بعض الباحثين بين سيرة بهمن أردشير الملك الكياني وسيرة أردشير دراز دست بن خشابا رشا (إكرسس) الملك الهخامنشي.

وقد جاءت قصة بهمن في المتن البهلوية على النحو التالي:

أنه في الألف الرابعة عندما وصلت نوبة الملك إلى بهمن بن اسفنديار كانت إيران خرابا والإيرانيون يتطاحنون مع بعضهم البعض ولم يبق أحد من عقب الملك يستطيع أن يتولى الملك لهذا تولى الملك كل من "هماي" وأخوها "هومن" وفيها أيضا أن مدة ملك بهمن مائة وأثنا عشرة سنة^(١) ومن عرض ما جاء عند بهمن عند "المسودي" و"الفردوسي" وفي المتن البهلوية، يتضح لنا أن "المسودي" و"الفردوسي" منفقان على تولى "بهمن" العرش بعد جده "كشناسبا" ويتفقان على ذكر حروبه مع "رستم بن دستان" في سحيتان. وإن كانت رواية المسودي تبين أن رستم قتل في هذه الحروب، بينما يذكر الفردوسي أن الذي قتل رستم هو أخوه "شفاذ" في مؤامرة له مع صهره ملك "كابل"^(٢) أما مسألة حروبه مع بني إسرائيل وإرساله "بختنصر" مرزبان العراق لحربهم وتخريب ديارهم فلم ترد في الشاهنامه. كما لم يرد فيها أيضا حديث عن انتساب أم بهمن لبني إسرائيل بينما تتفق رواية التوراة مع رواية "المسودي" فقد جاء في التوراة أن خثبا رشا والد أردشير تزوج من "استر" اليهودية وهي ابنة أخى مردخائلم اليهودي^(٣) كما يذكر الدينوري أن بهمن نفسه تزوج امرأة يهودية، ودخل

(١) حماسة مراني : ص ٥٠١

(٢) شاهنامه فردوسي : ١٧٣٥/٦

(٣) حاشية تاريخ إيران از اغازتا انقراضى قاجاريه: حصن بيرنيا كتابخانه خيام: ص ٩٩ - ١٠٠

في دين بنى إسرائيل ثم رفضه وعاد إلى دين أبائه.

هذا ويتفق المسعودى مع المصادر البهلوية في مدة ملك بهمن، ويخالف هذا قول الفردوسى. ويلقب أردشير بهمن في المصادر الإسلامية أيضا بلقب "دراز دست" أو "امقروشر" أى طويل اليدين^(١) وطويل الباع. يقول عنه الطبرى إنه لقب بذلك لتناوله كل ما مد إليه يده من الممالك التى حوله^(٢) وعند الفردوسى أنه لقب بهذا اللقب لطول أصابعه^(٣) أما ما جاء في المصادر البهلوية عن الاضطراب، والتطاحن الذى كان بين الإيرانيين قبل تولي بهمن للملك، فيتفق إلى حد ما مع ما جاء في المراجع التاريخية عن الزعامتين ويتضح منها أن الوهن بدأ يتطرق إلى إيران في عهد 'خشا بارشا' (إكزرسبسى) والد أردشير دراز دست الهخامنشى. وأن عهده كان مملوءا بالفساوس والتهاون في الإدارة، وانتهى أمره بالقتل على يد واحد من رجال القصر ويدعى اردوان (أرتاياتوس) سنة ٤٢٤ هـ. ولد انتقم أردشير من قاتل 'خشا بارشا' (٤) وأصه 'أردوان' قائد الحرس وقاتل 'خشا بارشا' والمعين 'لأردشير دراز دست' على تولي العرش، تشبه من بعض الوجود أصه 'رستم' قاتل 'اسفنديار' الذى ساعده بهمن على تولي العرش^(٥) ثم كان أول عمل لكليهما أيضا الأخذ بالنار وقتل القاتل كما رأينا

(١) الآثار الباقية : ص ١١١٠

(٢) تاريخ الطبرى : ٥١٨/١

(٣) حماسة سرائى : ص ٥٠١

(٤) تاريخ إيران: سيريرس سايكس، ترجمة محمد تقى فخر داعى كيلاتى،

فانجانز نكسيس باب أول : ١٣٢٣ ش ٢٨٢/١ ، الإيرانيون القدماء : د.عبدالنعميم

حسين. دار الراشد العربى سنة ١٩٧٤ ص ٢٢

(٥) كلرنام إيرانيات /١

(همادي) (خماي) ملكت بعد بهمن، يقول عنها المسعودي انها بنت بهمن ابن اسفنديار بن يستاسف بن بهراسف، ويقول انها تعرف باسمها "شهرزاد" وإن لها سيرا وحروبا مع الروم وغيرهم من ملوك الأرض، وأنها كانت حمنة السياسة لأهل ملكها. زملكة لمدة ثلاثين سنة^(١) يقول عنها الفردوسي إن "هماي" "جهرزاد" بنت بهمن تولت الملك خلفا لأبيها مدة ثلاثين سنة. وقد جاء عنده أن بهمن تزوج إبنته هماي وجعلها ولاية لمعهده، واستأثرت بالملك، ثم امرت فوضعوه في تابوت، وألقوه في الفرات إلى أن وجده لصار فرباه. إلى أن كبر واتصل بمرزبان الناحية التي كان يعيش، وفي إحدى الحروب مع الروم خرجت "هماي" بنفسها لعرض الجند، فرأته وتعرفت عليه، فحكمت لأهل مملكتها حكايته ونفعت إليه بالناج والتخت^(٢).

ونرى أن المسعودي والفردوسي يتفقان على مدة ملكها، وكونها بنت بهمن وعلى تلقيها "شهرزاد" أو "جهرزاد" ويذكر المسعودي أن هذا لقب امها عرفت به بينما يذكر الفردوسي أنه لقبها هي.

وتتحدث جميع المصادر تقريبا عن حروبها مع الروم، ذكر هذا المسعودي والفردوسي والدينوري والطبري، والشعالي وغيرهم كما يتفق الفردوسي والدينوري والطبري والشعالي على تفضيل بهمن لها ولاية عهده على ابنه ساسان، الذي انف من

(١) مروج الذهب : ٢٢١/١

(٢) شاهنامه فردوس : ١٧٥٥/٦ - ١٧٧٢.

ذلك، فأتطلق وأنتى غنما، وصار مع الأكراد فى الجبل^(١) كما يضيف ذبيح الله صفا
أن فى الحديث عن سلطنة "همائى" وحروبها مع الروم، وبناء المعابر فى اصطخر بيد
بنائى الروم اثرا بينا وواضعا لتاريخ العصر الهخامنشى^(٢)

دارا - داراب:

ابن بهمن بن إسفنديار، وكان ملكه كما يذكر المسعودى إثنى عشرة سنة،
وكان ينزل ببابل^(٣) وبين المسعودى أنه أخو "همائى" أما الفردوسى فيذكر أنه ابن
"همائى" وابن بهمن. وقد بينا من قبل أن "بهمن" قد تزوج ابنته "همائى" على الشريعة
البهلوية. وبين أنه سعى "داراب" لوضع أمه له فى صندوق وإلقائه فى اليم. وقد جاء
فى الشهنامه انه بنى مدينة "داراب كرد" كما هزم جيش "شعيب بن قتيب" بل قتل
شعيب نفسه وتحارب مع فيلقوس ملك الروم وهزمه وحاصر عمورية إلى أن
راسله ملك الروم وطلب منه الصلح واتفقا على أن يودى فيلقوس إليه كل
سنة مائة ألف بيضة وزن كل بيضة أربعون مثقالا من الذهب^(٤) كما

(١) الأخبار الطوال: نص ٢٧ تاريخ الطبرى : ٥٦٩/١، الفرر: ص ٢٣٩، شاهنامه
فردوس ١٧٥٦/٦ - ١٧٥٧.

(٢) حملة سرائى : ص ٥٠٥

(٣) مروج الذهب ٢٣١/١

(٤) ززر خاچه ريخته صد هزار
جهل کرده متقل هر خاچه

أباهير بكى كوهر شاهوار
همان نير كوهر كرا نمایه
(شاهنامه فردوسى : ١٧٧٩/٦)

تزوج "ناهيد" ابنة "فيلفوس" وذات ليلة كان نائما، فشم من فيها رائحة كريهة، واشتم هذا وأرسل يطلب الأطباء لمداواتها فداووها بدواء اسمه "الإسكندر" ولكن قلب الملك رغب عن عروسه فردها لوالدها، وكانت مشتملة على حمل منه ولم تطلع عليه أحدا ولما ولدت إينا سمته "الأسكندر" ولم يذكر ملك الروم أنه ابن "داراب" وأظهرت أنه ولده، أما: "داراب" بعد مضي اثنتي عشرة سنة من ملكه، فعهد بالملك من بعده لإبنه "دارا"^(١) ويتفق جميع المؤرخين تقريبا على مدة ملك "دارا" التي نكرها المسعودي والفردوسي وهي اثنتي عشرة سنة ويتفق هذا كما يذكر "نبيح الله صفا" مع ما جاء مع المصادر البهلوية^(٢) أما قول المسعودي أنه أخر "همای" "حمایة" فيخالف ما ذكره الفردوسي أنه ابنها وما ذكره الطبري والدينوري والثعالبي والكرديزي صاحب زين الأخبار حيث يجمع كل هؤلاء أنه ابن "همای" "حمائی" من أبيها ويبدو أن إنتساب كل من "همای" "دارا" إلى بهمن هي التي جعلت الأمر يشبهه على المسعودي فيذكر أنه اخوها وليس ابنها.

أما القصة التي حكاها الفردوسي عن "داراب" وحربه مع "فيلفوس" ملك الروم وتزوجه ابنته التي حملت منه بالإسكندر فقد جاء أيضا عند الطبري والدينوري والثعالبي وغيرهم من المؤرخين العرب الذين استمدوها بدورهم من المصادر الفارسية التي حاولت جعل الإسكندر منغيا في الأصل لملوك الفرس وجعلته ابن ملوكها "دارا" الأكبر وأخا ملوكها "دارا" الأصغر ليحمو عن الفرس هزيمتها أمام الإسكندر كما يرى عبد الوهاب عزام أنه إذا كان صحيحا أن "بهمن أردشير" هو نفسه "أرتكزر كس"

(١) شاهنامه فردوسي : ١٧٧٥/٦ - ١٧٨٢

(٢) حماسة سرائي : ص ٥٠٦.

"أرستشير دار از نست" فيمكن أيضا تشبيه "دارا بن بهمن" "داراب" بدارايوش الثاني
الذي ولي سنة ٤٢٤ - ٤٠٤ ق.م والذي يلقب بأخوس^(١)
دارا بن دارا "داراب":

آخر ملوك الكيانيين يقول المسعودي: إنه دارا بن دارا بن بهمن بن إسفنديار
بن يتاسف بن بهاست والفرس تسميه في لغتهم الأولى "دارايوش" وهو الذي قتله
الإسكندر بن فيليبس المقدوني وكان ملكه إلى أن قتل ثلاثين سنة^(٢).

يقول القردوسي أنه ملك أربع عشرة سنة كما كان قويا شديد البطش وبنى
مدينة بالأهول سماها "زرنوش" وبنى مدينة أخرى سماها "دارانو" وفي عصره مات
فيلفوس ملك الروم وتولى الإسكندر ملكهم فجاءه رسول دارا يطلب الخراج فأخبره
بموت الطائر الذي كان يبيض ذهابا ثم استعد الإسكندر في جموعه وأغار على مصر
ثم إتجه إلى إيران فخرج "دارا" في جيوشه لملاقاته، ولما تحاربا إتصلت الحرب بينهما
ثلاثة أيام: قتل من الإيرانيين فيها خلق كثير وانهمزموا فيها، وفر "دارا" ومضى إلى
اصطخر، ثم جمع جموعه وجهز نفسه لحرب أخرى إنهمزم فيها "دارا" أيضا وفر إلى
"كرمان" واستولى الإسكندر على اصطخر ولما عجز "دارا" عن مقاومته كتب كتابا
لملك الهند يطلب منه النجدة والمساعدة فأسرع إليه الإسكندر فتفرق أصحاب "دارا" من
حوله وفر ثمانمائة من جنوده، فأتهم به إثنان من وزرائه "مهيبار" و"جهاتومبار" فقتلاه

(١) حاشية الشاهنامة العربية : ص ٣٩٧.

(٢) مروج الذهب : ٢٢٢/١

تقريباً بقتله إلى الإسكندر. وعندما علم الإسكندر بقتله أسرع إليه وأبدى حزنه عليه وقتل قاتليه وتزوج ابنته "روشنك" تحقيقاً لرغبته^(١) وهكذا إنتهى عصر "دارا بن دارا" وبانتهاء عهده إنتهى عهد ملوك الكيانيين. أما قول المسعودى ان مدة ملكه كانت ثلاثين سنة فيخالف ماجاء فى الشهنامه وما جاء عند الطبرى والثعالبي والبيروني أيضاً حيث ذكروا أنه ملك أربع عشرة سنة؛ وما جاء عن حرويه مع الإسكندر المقدوني ونهاية ملكه على يديه يتفق فى خطوطه العريضة مع مذكر عن الملك الهخامنش دارايوش الثالث سنة ٣٦٦ - ٣٣٠ ق.م" فى المراجع التاريخية مما يؤكد الخلط الذى وقع بين ملوك الكيانيين المتأخرين خاصة وملوك الهخامنشين ويؤكد هذا القول المسعودى إنه سمى فى لغتهم الأولى "دارايوش" وقول الدينورى إنه "دارايوش" مقارع الاسكندر^(٢) وبانتهاء عهد "دارا بن دارا" نكون قد وصلنا إلى نهاية عصر الكيانيين كما جاء عند القردوسى والمسعودى ونكون أيضاً قد وصلنا إلى ختام هذا البحث عن تاريخ إيران فى عهد البيشدايين والكيانيين.

(١) شاهنامه فردوسى : ١٧٨٤/٦ - ١٨٠٠.

(٢) الأخبار الطوال : ٢٩.

الخاتمة

من مقارنة ماجاء عن تاريخ إيران في عصر "البيشدايين" و "الكيانيين" عند "المسعودي" في "مروج الذهب" وعند "الفردوسي" في "الشاهنامه" بما جاء في الأبيات والمصادر البهلوية يتضح لنا ما يأتي:

أولاً: كانت روايات المسعودي شديدة الإيجاز عن ملوك هذين العصرين، وفي أحيان كثيرة لم يذكر إلا اسم الملك ونسبه فقط وسنى ملكه. وكان يكتفى في أحيان كثيرة بذكر جملة موجزة عن أهم حدث وقع في عصره، ومع هذا فإن ما نكره عن هؤلاء الملوك من نسب أو سنى ملك أو حدث موجز كانت أقرب لما جاء في الأبيات والمصادر البهلوية عن هؤلاء الملوك مما جاء عند الفردوسي، وكانت كل كلمة للمسعودي عن هذا الملك أو ذاك البطل هي إشارة لأسطورة قديمة مستمدة من أقدم المصادر عن هؤلاء الملوك.

أما الفردوسي فقد أطنب في سرد الوقائع والأحداث الخاصة بكل ملك وبطل من الأبطال، وبين بطولاته وأهم أعماله، وروى الأحداث على شكل قصص لها بداية ونهاية، ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا أنه قد إختلق الوقائع من عند نفسه أو غير في الأحداث فحول الهزيمة إلى إنتصار أو العكس، أو ألصق صفات للأشخاص التي وردت عنهم في كتب التاريخ، إن شئنا من هذا لم يحدث، فالفردوسي بشهادة دارسي شاهنامه كان أميناً تجاه المصدر الذي ينقل منه، والتزم بكل ماجاء فيه عن شخصية كل ملك وبطل من الأبطال، وقد إقتصصر فضله كما يذكر "نبيح الله صفاء" على جمال العرض وقوة التخيل وترتيب القصص، وجعل حكايات ملوكها متصلة. أما إبتعاده عن

نذكر بعض الأساطير المجوسية مثل أسطورة بدء الخليقة وغيرها فهو في هذا متابع للمصدر الذي اعتمد عليه أيضا وهو شاهنامه المنصوري المؤلفة سنة ٣٤٦هـ. ويبدو هذا واضحا من مراجعة كتاب "الغرر في أخبار ملوك الفرس للشعالي" الذي اعتمد فيه على شاهنامه المنصوري أيضا ويبدو جليا أن ما ذكر في الغرر من أحداث ووقائع وأساطير، وترتيب للأبواب وصفات الملوك هو نفس ما ذكر الفردوسي في شاهنامته. وكليهما لاحظ "حمزة الأصفهاني" قيام "ابن المقفع" و "ابن الجهم البرقي" بحذف بعض الأساطير الدينية عند قيامهما بترجمة "خداي نامه" فقام هو بإثباتها لجريها من يقرأها مجرى أحاديث "تلمن بن عاد". وهكذا أثبتنا المسعودي أيضا في كتابه.

وقد اتفق الكاتبين في موقفيهما من تعدد الروايات على أن يختلرا رواية واحدة أثرا أن يكتفيا بها. أما دافع المسعودي لهذا فرغبته الشديدة في الإيجاز، والإبتعاد عن تعدد الروايات وتضاربها، أما الفردوسي فهو شاعر غير راغب في إسقصاء هذه الروايات بقدر ما هو راغب في إختيار الرواية التي تبرز مآثر قومه وتوضح جوانب عظمتهم، الأمر الذي يوافق غرضه من نظم ملحمة قومية تثير حماس مواطنيه وفخرهم.

ويتضح أيضا إهتمام "المسعودي" بإبراز بعض جوانب معتقدات الفرس وحضارتهم ومعارفهم العامة، وهو أمر قلما اهتم به المؤرخون القدامى.

المصادر والمراجع

أولا : المصادر والمراجع العربية:

- ١- الآثار الباقية عن القرون الخالية: أبو ریحان البیرونی. مكتبة المثنى ببغداد.
- ٢- الأخبار الطوال: أبو حنیفة الدینوری. تحقیق عبد المنعم عامر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- ٣- الأدب المقارن: محمد غنیمة هلال. مكتبة الأنجلو. الطبعة الثالثة ١٩٦٢م.
- ٤- ایران فی عهد الساسانیین: آرثر کرستمن. ترجمة يحيى الخشاب. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. ١٩٥٧م.
- ٥- الإیرانیون القدماء: د. عبد النعم محمد حسنین. دار الرائد العربی ١٩٧٤م.
- ٦- تاریخ الأدب فی ایران: إدوارد براون: ترجمة د. أحمد كمال الدين حلمی. منشورات جامعة الكويت ١٩٨٤م.
- ٧- تاریخ الرسل والأنبیاء "تاریخ الطبری": أبو جعفر محمد بن جریر الطبری، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم، الطبعة الرابعة. دار المعارف .
- ٨- تاریخ سنی ملوك الأرض والأنبیاء: حمزة بن الحسن الأصفهانی. مطبعة كاریانی، برلین.
- ٩- تاریخ یعقوبی: أحمد بن أبی یعقوب بن جعفر المعروف بابن واضح. مطبعة العزی. النجف ١٢٥٨هـ.
- ١٠- التنبيه والإشراف: أبو الحسن المصمودی، لیدن، مطبعة بریل ١٨٦٣م.

- ١١- دراسات في الشاهنامة: د. طه ندا، الدار المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٤م.
 - ١٢- الشاهنامة العربية: الفردوسي، ترجمة الفتح البندراي، تحقيق عبد الوهاب طه، مطبعة دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى ١٩٣٢م.
 - ١٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، دار المصيرة، بيروت، الطبعة الثانية.
 - ١٤- طبقات الشافعية: السبكي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية.
 - ١٥- الغرر في أخبار ملوك الفرس: أبو منصور الثعالبي، روتنبرج بلريس.
 - ١٦- الفهرست: ابن النديم، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٣٤٨هـ.
 - ١٧- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مطبعة بولاق، ١٣٤٦هـ.
 - ١٨- مروج الذهب ومعادن الجوهر: أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة الإسلامية، بيروت.
 - ١٩- المقامة: ابن خلدون، تحقيق لجنة العلماء، مصر، مطبعة مصطفى محمد.
- ثانياً: المراجع الفارسية:

-
- ٢٠- تاريخ إيران از آغاز تا انقراض قاجاریه: حسن بیرینا، کتابخانه خیام.
 - ٢١- تاریخ ایران: سیورسی سایکس، ترجمة سيد محمد ثقی کیلاتی، جلد اول، جاب اول جائزانه رنکین ١٣٢٢ش.
 - ٢٢- تاریخ طبرستان: ابن سفندیار، تصحیح عباس اقبال، جابخانه نجلر.
 - ٢٣- حماسه سرائی در ایران: دزدیبع الله صفا حورس ١٣٢٤س.
 - ٢٤- شاهنامه فردوسی: أبو القاسم فردوسی کتابخانه ومطبعة بروخیم طهران ١٣١٢س.

رؤية نقدية
لمقامات بديع الزمان الهمذاني

دكتورة/ نسيمه الغيث
مدرس بقسم اللغة العربية
كلية الآداب - جامعة الكويت

رؤية نقدية لمقامات بدیع الزمان الهمدانی "الوجه والقناع"

مدخل:

لاأريد أن استبعد انحيازى المسبق، ربما كان ثمرة لعلاقة دراسية سابقة،
فى الاهتمام ببعض فنون النثر العباسى نتيجة شعور ببعض الحيف أو التجاهل
لإبداعات النثرين عبر ذلك الزمان الممتد ما بين منتصف القرن الثانى الهجرى
ومنتصف القرن السابع. ونحن فى غنى عن التفكير بأن هذه القرون الممتدة تضمنت
فيما تضمنت خير ما أبدع الخيال العربى وأقوى ما قدم الفكر العربى من تصورات
ومآثر من لضيائا، غير أن الشعر الذى وصف دائما بأنه ديوان العرب ومجمع
محاسن فنونهم وخلاصة لغتهم المكثفة قد حظى بالنصيب الأوفر من غناية الرواد
والدارسين قديما وحديثا، ولم يقبل فيه التشكيك أو التهوين فى أى عصر مهما قل
نصيب التشكيك أو التهوين^(١). فى حين أحاطت بالنثر القديم شكوك كثيرة فلم يقبل
عليه الدارسون بالحمامة الولوجية، أحيانا تحت دعاوى أن الرواد القنماء نقلوا النثر
القديم إلينا بالمعنى وليس بالنلفظ، وأحيانا بدعوى أنه تغلب عليه طوابع المعاملات
الرسمية وبخاصة حين يحصر فى إطار الرسائل الدبلوماسية والمواظظ الدينية، ولكن
ماحجبتنا فى إهمال فنون النثر القديم حين نجد أنفسنا فى صميم العصر العباسى
والعقل العربى فى أوج توجهه يسكب إبداعاته كلها فى أساليب النثر بأشكاله الفنية
المختلفة وبخاصة الشكل القصصى الذى نجده فى المقامات وما يشبهها من كتب
الرحلة إلى الدنيا المشاهدة أو إلى عالم الغيب كما نجد عند أبى العلاء المعرى فى
المشرق وأبن شهيد الأندلسى فى المغرب^(٢). وإذا لم يكن من نصيب هذه المقدمة
الموجزة أن تخوض فى هذه الآثار الأدبية ذات القيمة فإننا نستخلص من ذكرها مدى

مألفت بعض فنون النثر من تجاهل مطلق من الدارسين أو تجاهل نسبي حيال بعض آخر، على أن حجة (الرواية بالمعنى) تسقط تماما فيما يتعلق بالمقامات وبالنثر الإسلامى بصفة عامة إذ أخذ طريقه إلى التسجيل الكتابى فى عصر مبدعيه أنفسهم فى أغلب الأحيان.

أما انحيازى المسبق للاهتمام بفنون النثر العباسى فلأنى بدأت فيه دراستى العالية حين أجريت بحثى عن خصائص السخرية فى أدب الجاحظ^(٣). غير أنى أثرت الاتجاه إلى الشعر فى أطروحتى للدكتوراه وقد كانت بعنوان "التجديد فى وصف الطبيعة بين أبى تمام والمتنبى"^(٤). ولست أريد أن أنسلف اهتمامى بالشعر العباسى بعد البداية مع فنون النثر العباسى أيضا، فلعل الراى العام الأدبى غلب على مشاعرى الخاصة بأهمية أن نعطى النثر أهمية أكبر ببرز صورته من يكشف خفاياه لأننا نعتقد أن النثر العربى القديم لم يكشف بعد بالقدر الكافى، أو على الأقل بالقدر الذى تم به اكتشاف الشعر القديم وتحديد معالمه وأطواره، حتى رسخت صورته واستقرت فى عقول الدارسين وأنواق المثلثين مما نجد مايشبهه أو يقاربه بالنسبة لفنون النثر. لقد كان البدء بفن الجاحظ مغريا تماما بأن أستمع فى خدمة النثر العباسى وهذا اعتذار شخصى أقدمه إلى الجاحظ الذى اعتقد أنه يتسامحه الإنسانى الواضح وطبعة الساخر اللين لأبد سيقبل منى هذا الاعتذار كما أمل أن تكون دراستى عن فنون المقامة عند مؤسسيها أو أهم اعلامها بمثابة الاستمرار لاهتمامى السابق بفنون النثر العباسى.

لقد أثرت حول المقامات قضايا متعددة، فمن صاحب بداية هذه الفن؟ وماأساس هذه التسمية (المقامة)؟ وماالوفاغ والمعانى التى دارت حولها مقامات الشيخين المؤسسين الهمذانى والحريرى؟ وماالأساس أو العنصر الجانبى فى

المقامة، هل هو بناؤها اللغوى أم نزعتها التهكمية، أم عنايتها بالطبقة الوسطى ومعانيها؟ كل هذا قد أثير فى دراسات مشهورة، غير أن أكثرها يتجه إلى الاهتمام بالمعنى أو المضمون فى داخل المقامة أو المقامات، وظل "التشكيل الفنى" غالبا يحظى بالاهتمام الأقل أو بضيع فى زحام قضايا الفكر ومشكلات اللغة. ومن هنا كان توجهى إلى التشكيل الفنى بصفة خاصة وإعطائه الصدارة فى هذه المقالة، مع هذا لا أغفل إشارة واجبة ومهمة قد تكون المفتاح لكثير مما ولجته من أبواب هذه الدراسة، وهى تتمثل فيما أشار إليه الدكتور محمد غنيمى هلال فى كتابه "النماذج الإنسانية فى الدراسات الأدبية المقارنة"^(٥). فقد بدأ الأستاذ الفاضل بتعريف مفهوم "النموذج الإنسانى" وتحديد معالمه، وبعد أن طوف بين النماذج الإنسانية العالمية منذ عصر الإغريق وحتى عصرنا الحاضر توقف عند عدد قليل جدا من النماذج الإنسانية التى جاد بها الأدب العربى. وإذا كانت كليوباترا أو هيباتيا ترجعان إلى تراثنا القديم (المصرى القديم تحديدا) فإتبعهما قد تحولتا إلى نماذج إنسانية بجهود أدباء الغرب وليس بجهود أدبائنا، وربما كان الأمر كذلك أو قريبا منه بالنسبة للشخصية الأسطورية "تمهزاد" والشخصية التاريخية كـ"يس بن الملوح" التى نالت حظها "الفنى" على يد شعراء الفرس قبل أن يظن إليها شوقى بمئات السنين^(٦). وهكذا سنكتشف على ضوء عناية محمد غنيمى هلال أن بطل المقامة عند الهمدانى وبطل المقامة عند الحريرى من بعده هما وحدهما دون غيرهما الأحق بوصف النموذج الإنسانى. ونعتقد أن هذه اعظم تحية توجه إلى فن المقامة ومؤسسيه الهمدانى والحريرى، وهذه النقطة هى التى تستحق لدرا من عنايتنا بعد أن نستجلى معنى النموذج الإنسانى وحدوده كما أرادها محمد غنيمى هلال. يقول: النموذج الإنسانى فى الأدب يقصد به تقديم صورة متكاملة الأبعاد لشخصية أدبية بحيث

تتمثل فيها مجموعة من الفضائل أو النقائص كانت متفرقة من قبل فى عالم التجريد أو فى مختلف الأشخاص. وليس لهذا النموذج قيمة فنية إلا حين يستطيع الكاتب أن يجعل منه مثالا ينبض بالحياة من ثانيا التصوير الفنى حين يظهر أغنى فى نواحيه النفسية، وأجمل فى التصوير وأوضح فى معالمة مما نرى فى المجتمع. وهذا النموذج الفنى - فى كل حالاته - أكثر إقناعا وأكمل مصيرا من نظائره فى الطبيعة^(٧). ومن الواضح أن التحديد السابق يجمع بين مضمون الشخصية الذى يعتمد على تكثيف الجوانب المميزة الفاضلة أو الخسيسة بأكثر مما كانت تدعو الكلاسيكية فى إلحاحها على تأكيد المحاكاة بأن يبدو الفضلاء أحسن مما هم فى الواقع وأن يبدو أهل النقص بأحسن مما هم فى الواقع ليرتاكذ الطابع التراجيدى فى الأولى والطابع الكوميدي فى الثانية. إننا هنا - فى النموذج الإنسانى - نقدم صورة مبالغا فيها هى تكثيف وتجميع "حتى يصير النموذج ملحوظا فيما يراد جعله مثالا من حيث الكمال أو من حيث النقص". كما تقول عبارة محمد غنيمى هلال^(٨) هذا بالنسبة للمحتوى أو المضمون أو بعبارة أدق: جانب الأخلاق فى الشخصية. أما بالنسبة للأسلوب أو التشكيل الفنى ففى التحديد إشارة صريحة إلى أهمية أن يكون النموذج نابضا بالحياة من ثانيا التصوير الفنى ويتأكد هذا المعنى بإشارة أخرى حيث يفكر أن الشخصية النموذج يمكن أن تكون ذات أصل واقعى أو أسطورى أو تاريخى ولكن هذا الأصل ليس مجازا إلى عالم الفن كنموذج إنسانى لأن الاجتياز يتم عبر وسيلة واحدة هى الأسلوب الأدبى، من هنا نجد شخصية مثل الإسكندر الأكبر حظيت بالشهرة التاريخية والبطولة ولكنها ظلت فى حدود تناول البطولى الملحمى ولم تتحول إلى نموذج إنسانى، فليما كتب عنه تجلت بطولاته وانتصاراته على عوانق قاهرة ولكننا لم نر أبدا المعاناة الإنسانية التى تجعل منه مثالا للشخصية

والطبيعة البشرية في بعض جوانب معانيها، وهنا تفوق بطل المقامات، وقد أشارت المصادر إلى أنه مستمد من أصل واقعي سواء عند الهمداني أو عند الحريري فقد ذكرت هذه المصادر أن بطل مقامات بديع الزمان الملقب بأبي الفتح الإسكندري هو في الأصل شاعر بائس من المتسولين بالشعر يسمى أبي نلف الخزرجي البنيوي مسعر بن مهلهل وكان معاصرا لبديع الزمان وكان يعجب به ويستدعيه إلى مجلسه ويحسن إليه ويحفظ من شعره وقد ضمن مقاماته بعض أشعاره، ويذكر محمد غنيمي هلال فيما يذكر أن لأبي نلف قصيدة تسمي القصيدة الماسائية يفاخر فيها بمهنة التسول ويذكر فيها حيله العديدة فيها^(٩) ولا يختلف الأمر بالنسبة لبطل مقامات الحريري أبي زيد السروجي فهو منسوب إلى قرية حقيقية هي قرية سروج القريبة من البصرة وقد خربها الصليبيون عام ٤٤٩م وقد اتقى الحريري (البصري) بهذا الشاعر السروجي الفازح يبحث عن رزقه بين الخرائب في ذروة المحنة فرأى فيه رجلا قصيحا بانسا ضائق الذرع بما آلت إليه الأحوال يمتحن التسول وهو لذلك ساخر مستهتر^(١٠) ثم يمدنا محمد غنيمي هلال بأخر ملاحظاته وأهمها فيما يتعلق ببطل المقامات وهو أن مقامات الحريري أقرب إلى صحة التكوين والبنية من مقامات الهمداني ذلك لما لاحظته الباحث الفاضل من أن بديع الزمان لم يحافظ على السياق الزمني لتطوير شخصية بطله أو كما جاء في عبارة محمد غنيمي هلال لم يلتزم منها لنبا لتصوير نموذج وتطوره، فمثلا يبدأ مقاماته بالمقامة القريضية وقد بدا فيها أبو الفتح هرما متفخص الوجه بعد الشباب، ثم بعد ذلك نراه شابا ومهلا في مغامرات ليس فيها نوع من التطوير الذي يدل على ضرب من التضج الفني على نحو ما يظهر عند الحريري^(١١) وهذا يعني أن الحريري قد رتب تسلسل مقاماته الواحدة بعد الأخرى وفق ملهج معين راعى فيه تطوير شخصية أبي

زيد السروجي ولذلك وضع المقامة "الحرامية" تحت رقم ثمان وأربعين في تسلسل المقامات في حين أنها كانت أول ملكتب عن السروجي لأنها كانت من وحى لقاء الحريري به في مسجد بنى حرام بالبصرة حين شاهده لأول مرة^(١٢).

هذه إشارة مهمة فيما نرى بالنسبة لبناء الشخصية ليس في المقامة الواحدة معزولة عن سياقها وإنما عبر تسلسل هذه المقامات كما وصلت إلينا مطبوعة ومحققة. ومن الواضح أن إشارة محمد غنيمي هلال السابقة إلى ترتيب المقامات حسب تطور الشخصية عند الحريري واضطراب هذا الترتيب أو قصوره عند لهماذاني يستند إلى مبدأ مستقر من مبادئ الفن القصصى وهو الفن الروائي (أو القصصى بوجه عام) يعتمد على الشخصية في الزمان. والحبكة الفنية للقصة أو الرواية تقوم عادة على رعاية هذا الجانب "امتداد الشخصية في الزمن" وكأننا نقدم سلسلة من الأحداث المتعاقبة تجيب على سؤال مفترض: ثم ماذا حدث بعد ذلك؟ هذا ما نجده عند ناقد مهم في تاريخ الفن القصصى مثل فورستر^(١٣) ولكن هذا المبدأ الذي رسخ طويلا وجد من يعارضه بأن يضع المكان موضع الزمان مثل آثن روب جرييه الذي أشار إلى هذا في كتابه بعنوان "تحو رواية جديدة"^(١٤) بل نجد قبل هذه الدعوة إلى وضع المكان موضع الزمان أي في بؤرة الاهتمام بالتصوير والرعاية في السرد الروائي وترتيب الأحداث، نجد من يقدم مفهوما خاصا للزمان ونعني به الزمن الخاص المختلف بالضرورة عن الزمن الموضوعي الخارجي، فالزمن الخاص محكوم بتتابع الوحدات: الأيام والأشهر والسنين. أما الزمن الخاص فهو ينبع من إدراك الشخصية لذاتها ووعيها بما تجتاز من محن وتجارب، ولهذا يتجلى في مضامين يحكمها تيار الشعور والإحساس الخاص. إننا لانفامر بادعاء أن الهمذاني، ربعا في عدم اهتمامه بترتيب مقاماته لتكون مواكبة للتطور الزمني

للشخصية، ربما كان يفكر فى أمر آخر لانقول إنه محكوم بالتداعى أو تبار الشعور ولكن يمكن أن نقول إنه يعبر عن اضطراب الشخصية المجسدة لاضطراب زمانها حتى اختلط عليه الزمان وفقد منطقته وسياقه.

هذه مجرد إشارة تنفتح أمامنا باب التحليل للتركيب البنائى للمقامات لدى الهمذانى ثم الحريرى على أمل أن نكتشف جوانب أخرى جمالية وفلسفية تغنى إحساننا بعمق التجربة والوعى بجماليات الفن القصصى فى فترة مبكرة لم تكن تستخدم فيها هذه الاصطلاحات الحديثة بالنسبة إلينا وربما لم يفكر فيها النقد العربى ولكن الأديب المبدع قاربها أو خاضها ببصيرته الفنية ومقدرته التقنية.

وبالإضافة إلى ماسبق ملاحظته من أن رد فعل الراوية عيسى بن هشام تحاه مايمكن أن نكتشف من انحراف أفعال الإسكندرى وحيله وخداعه للآخرين وادعاءاته وأن رد الفعل لم يكن يتناسب أبدا مع الفعل ذاته ومافسرنا به هذا السلوك فى دلالة على الرضا الداخلى أو على الأقل وضع العتاب موضع العقوبة والتشهير ولزوم الصمت فى موضع وجوب الإعلان عن الانحراف والتجريف بالإضافة إلى هذا نلاحظ أن وصف عيسى بن هشام للإسكندرى وصفا حسيا، (الجسد والهيئة) يبعد به عن الإزراء والرغبة فى التحقير أو التشويه. نقرر مبدئيا أن الإسكندرى بطل المقامة كان لابد أن يكون فصيحاً نلق اللسان ثابت القلب، لأن هذا من طبع أهل الكدية ولأنه من الأشكال الضرورية لإحكام شكل المقامة وإكسابها منطقها الخاص بها المقنع لتأريخها من حيث هى حيلة وأن ختامها إتمام الخدعة للعمامة حتى وإن اكتشفها الراوية، أما ما نلاحظه فهو أن الأوصاف الحسية لأهل الكدية لاثتم أن يكونوا على ما وصفهم عيسى بن هشام فإذا قبلنا أن يصف أبا الفتح الإسكندرى بأنه كان "رجلا يطأ القصاحة بنعليه"^(١٥) فإننا سنكتشف فى الأوصاف الجسدية نوعا من

مهانة الشخصية أو تجميلها إن لم يكن تلقاها. وكان عيسى بن هشام يصف نفسه من خلال الإسكندري (ولعلنا ندهش أن المؤلف لم يصف عيسى بغير الصفات العامة) أما أبو الفتح فهو في إحدى المقامات قتي ذو لثة بلسانه وقلج بأسنانه^(١٦) وهو أيضا "رجل لطيف البنية مليح الحلية في صورة النملة"^(١٧) "وهو رجل رخي الصدر منشرح القلب مرحه"^(١٨) "وهو رجل ليس بالطويل المتمدد ولا القصير المتردد"^(١٩) "وهو شاب في زى ملئ العين ولحية تشوك الأخدعين وطرف شرب ماء الرافدين"^(٢٠) فهو إجمالا ذو شارة وجمال وهينة وكمال^(٢١). وأثر في النفس بجملة هذا التقشيه "شاب كأنه العاقية في البدن"^(٢٢).

كل هذه الأوصاف التي أسبقت بإسراف على الإسكندري قد تكون داخلية في باب "تحسين القبيح" الذي تحدث عنه النقاد القدماء وجعلوه أحد معايير تأكيد القدرة لدى الشاعر الخطيب، ولكن المطلب الفني قد يستدعي تجميل القبح في بعض المواقف إعمالا لقاعدة "أن الشيء من غير معدنه يستغرب" فإذا كان انشاز أو صاحب الكنية جميلا ذا هبة ووقار ثم كشفت الأحوال عن عكس مايتزين به كان هذا ادعى للدهشة وإثارة للأعجاب، مع هذا نرى أن الأمر يمكن أن يستدعي عكس ذلك وقد أثار الجاحظ في البيان والتبيين قضية صورة الخطيب أو هيئته ومدى تأثيره على المستمعين^(٢٣) مما قد يعني فيما نحن بصدد أن عيسى بن هشام في تقديمه ووصفه لشخصية الإسكندري كان يتطوى على إعجاب به ورغبة في تجميله وستر معايبه مما يرجح عندنا قرب المسألة بين الرجلين أو اتحاء المساقاة بدرجة تجعل منهما شخصا واحدا.

الوجه والقناع:

أشار أديب معاصر ممن لهم قدم في صناعة الرواية (٢٤) في مقدمته لمقامات بديع الزمان الهمداني إلى أن هذه المقامات يمكن أن تقرأ على أنها رواية، ولص عبارته "إن المقامة شكل قصي خاص وأن مقامات بديع الزمان بالتحديد عمل روائي إذا جاز التعبير" (٢٥). وهذا القول فيما يرى الغيطاني جديد بالنسبة لمقامات الهمداني بصفة خاصة ولكنه ليس كذلك فيما يتعلق بالبحث عن عناصر روائية مستتبطة في شكل مقامات فقد درس الدكتور عبد المحسن طه بدر حديث عيسى بن هشام لمحمد المولحي في نطاق بحثه عن عناصر روائية ونشأة فن الرواية في الأدب العربي الحديث (٢٦). فالعبداء موجود في دراسات سابقة وإن كانت العودة به إلى التراث الحكائي العربي في اللغة الجديدة نسييا، لكن مألوفاته الروائي جمال الغيطاني هو عملية الربط بين التشكيل الفني للمقامات باعتبارها حكايات صغيرة يتحقق لكل منها نوع من الاستقلال في الشكل والمضمون، ومع ذلك لا تكون الحكاية المفردة بمعزل عن سابقتها ولاحتقتها، وهذا التصرف في الشكل الفني وتوازن وحداته بين الاتصال والانفصال له نظائره في فنون "تشكيلية" أخرى، فيمكن الربط بين هذا العنصر وبين فلسفة النقش والزخرفة الإسلاميين كما نشاهد في المساجد والقصور التي أبدعتها العمارة الإسلامية، يقول "إنني لأأمل إلى اعتبار هذه المقامات وحدات منفصلة بل إنها عمل فني متصل وإنني لأشبهها بوحدات الزخرفة العربية في فن "الأرابيسك" حيث تبدو لكل وحدة زخرفية استقلالها وعالمها الخاص، ولكنها تتكامل وتبدو في صورة أخرى عندما تتصل بوحدات أخرى، وأحيانا يكون الوصل بخط نحيل لا يكاد يلحظ، لكنه يغير من إيقاع العمل الفني كله" (٢٧). ستكون لنا وقفة مع قضية الشكل الفني في المقامات وما يعنيه الاتصال والانفصال في

الوحدات (المقامات) لأننا نعتقد أن هذا المطلب يحتاج - كى يتحقق - إلى توافر عدة عناصر فى انتقاء الأماكن وترتيب الأحداث والحيل فى كل مقامة على حدة، وفى سياقها مما قبلها وبعدها، ونؤثر أن نتوقف الآن عند عنصر أساسى من عناصر الرواية كما نظر لها نقادها فى العصر الحديث ونعنى عنصر "الشخصية" فقد استحدثت "الرواية"^(٢٨) هذا الوصف حين تحقق لها شرط الشخصية الإنسانية المتحركة فى المجتمع التى تعيش زمانها العام والخاص ومن الواضح أن عنصر "الشخصية" يفرض نفسه عند قارئ المقامات عند بديع الزمان كما عند غيره من ساروا على طريقته. وبالتسبة لبديع الزمان - الذى نعنى به فى هذه الدراسة - فإنه قدمها من خلال رواية هو "عيسى بن هشام" الذى سيصبح بتكرار اسمه فى صدر جميع المقامات الإحدى والخمسين كما وصلتنا فى صورتها الراهنة - أهم شخصية فى هذه المقامات (ربما لدرجة أن محمد المولحى حين كتب مقاملته الحديثة سماها: حديث عيسى بن هشام فنسبها إلى راويها ولوس إلى بطلها الإسكندرى) بما يطغى على شخصية بطل هذه المقامات أبى الفتح الإسكندرى الذى لم يكن موجودا فى بعض هذه المقامات، وإن يكن هو صاحب الحيلة الذى يصل بالخدعة إلى مداها ويمنح المقامة - كل مقامة - مذاقا الخاص. إنه شخصية متلونة تماما تقنعت بعدد كبير من الأكنعة وتصنعت من لغة الأداء بأساليبها المغلوطة، واصطنعت من المهن والصناعات وادعت من المبادئ والأهداف ما يكاد يحيط بكافة أنماط العمل السائد فى عصره فى حدود ما يدل على زمن الأرمنة والضياع. رغم هذا التلون بالأصباغ الزاهية فى شخص الإسكندرى فإن عيسى بن هشام الذى قام بصناعة الخط الموازى، الثابت الراسخ الذى لا يعرف التلون يبقى أكثر وضوحا فى وجدان القارئ وعقله. فإذا استأثر الإسكندرى بالطرافة فإن عيسى بن هشام هو الذى يمنح المقامات

معناها المحدد وفكرتها الراسخة. وهنا سنفكر في شخصيتين وقد يكون مصدرنا للإعجاب بهذه الأشكال الحكائية العربية المبكرة أن نجد الحكاية فيها متداولة بين بطلين وليس من صنع بطل واحد كما هو الشأن في الحكايات البسيطة، وربما اثار هذا في إحساسنا تساؤلا عن أهمية الشخص الآخر وبصرف النظر عن من هو الشخص الأول الذي يتمتع بالأهمية والشخص الآخر المساند له وهل هو الإسكندري أو عيسى بن هشام فإن التساؤل الأهم كان - انطلاقا من هذا المبدأ نفسه - عن العلاقة بين هذين الشخصين. إن "الأزدواجية" أو "الثنائية" قديمة جدا في الضمير الإنساني وفي الفكر فالأشياء من مادة وصورة. والإنسان من جسد وروح والفكر الأفلاطوني قام على أسطورة (الصندوق)^(٢٩) إلى آخره. فهل يمكن اعتبار عيسى ابن هشام الوجه الآخر لأبي الفتح الإسكندري. وأنهما في حقيقتهما شخص واحد أحدهما يعيش في الواقع والآخر يجسد المثال، أو أن أحدهما يتحرك في الممكن والآخر يحلم بالأمنية. أو أنهما معا طبقتان من طبقات النفس الإنسانية التي لا تلتزم حالة واحدة. ولد فطن الإسكندري نفسه إلى هذا المعنى "الوجودي" للمعاناة الإنسانية حين قال:

لا تلتزم حالة ولكن در بائليالى كما تدور

وهنا نلاحظ أن هذا البيت قد جاء فى ختام المقامة الأولى "القرىضية" التي تعتبر بمثابة "خطبة الكتاب" أو مقدمته، وهذا البيت الختامي سجل بلا تعقيب من الراوية مما يعنى التسليم بهذا المبدأ أو عدم الاعتراض عليه، وقد تردد هذا المعنى نفسه مع اختلاف الصياغة لى أكثر من مقامة، فالمقامة الثانية "الأزادية" تنتهى بثلاثة أبيات:

ففض العمر تطيبها على الناس وتمويها
أرى الأيام لا تبقي على حال فأحكيها

ويوم شرى فيها

ليوما شرها في

والمقامة الثالثة "البلخية" تنتهى بهذين البيتين:

أخذوا العصر خليطاً

إن لله عبيداً

وبضحون نبيطاً

فهم يعمسون أعراب

وفى ختام المقامة السابعة عشر "المكفوفية" يقول:

فى كل لون أكون

أنا أهو فكمــــون

فإن دهرك دون

أختر من الكسب دوناً

إن الزمان زبون

زج الزمان بحمق

ما العقل إلا الجنون

لا تكذب بعقل

فهذا المعنى يتردد فى كثير من المقامات إن لم يكن فى جميعها بدرجة تدفعنا إلى غلبة الظن بأن هذه الفكرة عن الشخصية الإنسانية هى الأساس والمحرك الذى قامت عليه كل المقامات. ونلاحظ أن هذه الأبيات جميعها جاءت فى ختام المقامات ولم يتبعها تعقيب ما وكنتها "الحكم النهائى" أو الرأى الذى لا ينقض مما قد يعنى أن الراوية عيسى بن هشام والبطل الإسكندرى يلتقيان عند هذه النقطة بالذات - وجوب التلون وضرورته، أو مستويات الشخصية الإنسانية - ويختلفان حول أشياء أخرى سلوكية أو مظهرية لاتمس جوهر الفكرة.

هذه التساؤلات عن العلاقة بين عيسى بن هشام راوية المقامات وأبى الفتح الإسكندرى بطلها أو بطل أكثرها، لها دلالتها المستمدة من بناء المقامات ذاتها ونحن لا نطرح هذا التساؤل ونبحث عن جوابه فى المقامات لبلوغ هدف سيكولوجى وحسب وإنما - الأهم من هذا - أنه فى حالة القول بأن العلاقة بين الشخصيتين هى العلاقة بين الواقع والأمنية أو الذاتى والاجتماعى أو الحقيقة والوهم سيكون اعترافاً

يسبق الفن الحكائي العربي إلى إنجاز فنى متميز وإقراراً بأن الشخصية ذات الأبعاد التى يقوم عليها فن الرواية الحديثة قد سبقت إليه المقامات وبلغت به المدى الذى يتجاوز قدرات صناع القصص والأخبار والحكايات فى ذلك العصر.

ولكن من أين تستمد العلاقة التكوينية أو العضوية بين الراوية والبطل أسباب إمكانها؟ لقد قرأنا المقامات قراءة متأنية وفصلنا عناصرها ومكوناتها وطرحنا التساؤلات حول مايمكن اعتباره بعض المسلمات، بمعنى أننا قرأناها دون التسليم بأية بديهة من بديهياتها، ومن هذا المنطلق كان اكتشاف العنصر الأول الذى يكشف لنا عن أن العلاقة بين الراوية والبطل - ابن هشام والإسكندرى - هى العلاقة بين الوجه والقناع دون أن نجزم تماماً أى الرجلين "الوجه" وإيهما "القناع" وذلك للأسباب الآتية:

أولاً: لقد روى عيسى بن هشام جميع المقامات فهو يقوم بدور "المقدم" أما أبو الفتح فإنه الشخص جواب الآفاق الذى تنقل بين مدن ومناطق ومنازل متباعدة جداً قد تكون بمساحة الدولة الإسلامية أو مناطقها الخاضعة للخلافة العباسية فى عهد الهمدانى، وفى كل مقامة اشترك فيها الرجلان كان الإسكندرى يتخفى وكان عيسى يتولى الكشف عن الحيلة وجلاء حقيقة الشخص المتخفى مما يعنى بداهة أن الراوية والبطل موجودان معاً فى نفس المكان.

وليس من الممكن أن ننظر إلى هذا التلازم على أنه مصادفة تتكرر، إلا فى حدود اصطلاح فنى أو مسامحة شخصية ليست مستغربة على أساليب الفن القصصى بصفة خاصة^(٣٠). غير أننا نلاحظ أن التكرار يتجاوز المدى الممكن قبله فالمصادفة تتحول إلى إلحاح، والاحتمال إلى

تلازم فإينما وجد الإسكندري وجد عيسى بن هشام مما يحمل على الظن أنهما وجهان لشخص واحد أو هو "الوجه والقناع". أما تكملة هذه الفكرة بالبحث في أيهما الوجه وأيهما القناع فإن هذه ليس بالأمر الجوهري بالنسبة للبناء الفني وهو الذي نهتم به أكثر مما نهتم بالمعنى أو المضمون على أنه ليس من الصعب أن نرصد ونتتبع حالة الفوضى الضاربة في الأخلاق والمعاملات والسلوك والقيم وعلاقة الطبقات إلى آخره، مما يدمع العصر كله بأنه عصر الفوضى وضياع المعالم، مما يسترتب عليه أن يكون الإسكندري هو الواقع، هو الأصل، هو الوجه العملى المهموم بالحياة، الذى قست عليه طبائع زمانه الضارى، ويبقى الراوية بمثابة القناع أو الضمير المختفى أو الحلم أو الأمنية، إن عيسى بن هشام هو ما يحلم به الإسكندري وما يمتنى أن يكونه ولكنه لا يستطيع. ومن الطريف أن نلاحظ أن عيسى بن هشام يكاد يسلم لأبى الفتح بأنه ابن الضرورة وأنه متلائم مع زمانه ولا مناص أن يكون كما هو وعلى ما هو عليه من سلوك وحيلة وهذا هو السبب الثانى الذى نبسط القول فيه.

ثانياً: قد لاحظنا أن عيسى هو الذى يتولى كشف حيلة أبى الفتح وإظهار تخفيه. ولكننا نلاحظ أيضاً أنه لم يفعل ذلك أبداً علانية بين الناس، ومن ثم لم يعمل على فضحه والتدبير به والتحذير من تدليسه. إنه يكتفى بمراقبته بل قد يظهر منه نوع من الإعجاب بقدرة الإسكندري على اصطناع المهن وادعاء القدرات ولا يقف حائلاً أبداً دون أن يحظى الإسكندري فى تخفيه بإعجاب الناس وباقتناص ما تيسر معلنا له - دون غيره - أنه قد فطن إلى حقيقته، وأنه يعرفه، وفى كل مرة لا يراوغ أبو الفتح ولا يتهرب بل يسلم له دون

ملاحاة، ويعتذر عن ادعائه اعتذارا هينا طريفا يكون خاتمة المقال مما يحى أنه ليس فى نيته أن يقلع، وأن عيسى بن هشام ليس فى نيته أن يتجاوز مهلاته فى كشف الشخصية ومفاجأتها بأنه يعرفها - إلى فضحها أمام الآخرين أو تحذيرهم منها - فهذا القدر من "حسن الفهم" لظروف الشخصية والبول تأويلها لمعنى الضرورة أو التسليم برأيها فى العصر ورجائة وأدانة وأسلوب التعامل معه كل هذا سيدفع إلى الاعتقاد بأن ابن هشام ليس شخصية أخرى تختلف عن شخصية الإسكندري، إنهما يعودان إلى أصل واحد وإن يكن أحدهما يؤثر العمل ومواجهة الزمان بما يتطلب، والآخر يعبر عن قلق الضمير أو الرغبة فى الاعتذار، ونقدم مثلا توضيحيا لما نعنيه بهذا العنصر الثانى الكاشف عن العلاقة بين الوجه والقناع. فى المقامة "السحبتانية" وفى موضع غريب وغير متوقع يلتقى الراوية والبطل ويتجسد الموقف منبرة عالية حادة تناسب مآلعيه الشخصية المتكررة من صفات وإمكانات، بهذه الصياغة الحادة الجهيرة يقدمها الهمذانى كما يتصورها عيسى بن هشام راوية المقامة:

"خرق سمعى صوت له من كل عرى معنى، فانتحيت ولده. حتى وقلت عنده، فإذا رجل على فرسه. مختلق بنلمسه. قد ولانى قذاله. وهو يقول من عرفنى فقد عرفنى. ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنلمسى. أنا باكورة اليمن. وأحدوثه الزمن. أنا أدعية الرجال. وأحجية ريت الحجال، سلوا عنى البلاد وحصونها، والجبال وحزونها، والأودية وبطونها، والبحار وعيونها، والخيول ومتونها، من الذى ملك أسوارها، وعرف أسرارها ونهج سمعتها، وولج حرتها. سلوا عنى الملوك وجزالنها،

والأغلق ومعذنها، والأمور وبواطنها، والعلوم ومواطنها، والخطوب ومقاتلها، والحروب ومضايقتها، من الذى أخذ مختزنها ولم يؤد ثمنها، ومن الذى ملك مفاتيحها وعرف مصالحها؟ أنا والله فعلت ذلك... (٣١).

حين نتأمل صياغة هذا النص ومضمونه، سنضع فى اعتبارنا الآثار الواضحة لعصر الإزدهار الفكرى والنشاط السياسى فى القرن الرابع الهجرى (عصر الهمذانى) وماواكبه من غزوات وحروب وإيام دويلات وسقوط أخرى ونشاط الدعوات السرية والباطنية مما نجد له ملامح واضحة. ونضع فى اعتبارنا أيضا الأسلوب الذى تكلم به وما تجلى به من دلائل الثقة بالنفس واليقين بالدعوى: "من عرفنى فقد عرفنى ومن لم يعرفنى فأنا أعرفه بنفسى" وتفتح هذه "الأنا" الأولى الباب إلى "أنوات" أخرى مثل "أنا باكورة اليمن" - أنا أدعية الرجال - أنا والله فعلت - أنا والله شهدت .. ويتصدر القسم أكثر من جملة ويحيل على مشاهديه ومستمعية أن يبحثوا عن هويته حين يطرحها فى صيغة "من الذى فعل كذا وكذا" ثم يتجاوز هذا الجانب الصياعى إلى تحليل المضمون فنجد أن حجم الادعاء كبير جدا، ولم يكن غريبا على ادعاءات عصره الذى عرف علم الباطن وعرف ادعاء النبوة وأشباههم. فأبو الفتح فيما يدعيه يكاد يكون جامعا لكل ألوان النشاط وكل مستويات الأنوار فى عصره رغم تناقضها أو تناقضها الواضح، ومن الوجهة المنطقية كيف يمكن أن يكون سفر بين الملوك وشهد مصارع العشاق ومصر الغصون الناعمات وخاض الخطوب والحروب فى نفس الوقت، وكيف يكون باكورة اليمن وأحدثة الزمن ومع هذا اجتسب ورد الحدود المورديات؟! خلاصة القول أن هذه الادعاءات

المريضة - المراقبة في نفس الوقت - لا تستقيم لشخص واحد، هي أقرب ما تكون إلى حديث النفس أو الأمنية أو شطحات الخيال ومغامرات اللاشعور الذي قد يعبر عن معاناة عكسية كحلم الجائع بالخبز مما يعنى أن الإسكندري في حقيقته (وهنا يكون عيسى بن هشام هو المتحدث الحقيقي أو الوجه) يعاني الضيق والحصار والضياع والفقر وأنه إنسان بلا دور، إنسان هامشي من سواد الناس ممن لا تعبأ بهم سلطة ولا تهتم بهم سياسة ولا تنحسب لهم جيوش غزوية أو منحورة وإنما يدهمهم كل غير ويدوسهم الخاسر والظافر. هذه نقطة سيكولوجية مهمة في اعتبارنا ونحن نقرأ وصف الشخصية لنفسها وطريقتها لإقناع الآخرين بأهميتها، ولكن ما يشغل الآن هو استجابة عيسى بن هشام أو رد فعله على ادعاءات الإسكندري، تقول عبارته في وصف تلك اللحظة، قال عيسى بن هشام: "لذرت إلى وجهه لأعلم علمه فإذا هو والله شخيلاً أبو الفتح الإسكندري، وانتظرت إجلال اللعامة بين يديه. ثم تعرضت فقلت: كم يحل دوازي هذا؟ فقال يحل الكيس ماشئت. فتركته وانصرفت" (٢٢).

نلاحظ. أولاً المسافة الشاسعة بين الثمن لمطلوب لخبرة الشخصية (المدعاة) بالحياة والناس والأحداث والثمن الذي ارتضاه بالفعل لهذه الخبرة المدعاة، وهو ثمن متواضع جداً دلت عليه عبارة "يحل الكيس ماشئت!..". وكذلك المسافة الشاسعة بين حجم الادعاء وتواضع رد فعل الراوية الذي اكتفى بأن يقرر أنه تركه وانصرف. فهذا لا تجد في عيسى بن هشام معاني الغضب لكرامة الصديق أو مزاعم الأديباء ومبالغات المفاسرين، هذه الثورة التي تصدر عن رفض لملوكهم وإيمان بأنهم على خطأ. إن موقف

عيسى بن هشام من رحيل أبي الفتح الإسكندري وادعاءاته لا يتجاوز أبدا عبارات العتب وإظهار الدهشة بل قد تصل إلى الاستطراف والاستطراف، وقد يكفي بأنه قد عرف حقيقة هذا المدعى ثم ينصرف عنه دون تعليق كما في نهاية هذه المقامة "السجستية" فهذه المساحة الشاسعة بين ما يمكن أن يعتبر ذنباً وما يمكن أن يعتبر عقوبة على هذا الذنب وانعدام التناسب بينهما له دلالة أخلاقية إنسانية: "التسامح والعطف على الضعف الإنساني" وهو ملمح أصيل ونبيل ينبغى أن يعتز به الفكر العربي الإسلامي وقد وثقت عند وجه من أوجهه في دراستي للفن السخرية عند الجاحظ^(٣٣) ولكن الدلالة التي نعتني بها الآن فهذا القدر من التسامح قد ينم عن الرضى بل قد ينم عن تملق الذات أو الاعتذار عن السلوك الخاص مما يعنى في النهاية أن شخصية أبي الفتح ليست بعيدة أبداً عن شخصية عيسى بن هشام، إنها قريبة منها جداً وقد تكون الوجه الآخر لها، أو القناع الذي ترتكبه لتمارس حياتها العملية في زمن التحريف والترريف فلا تجد بأساً من ممارسة التحريف والترريف ومن ثم لا تجد ضرورة لمعاقبة النفس على ما هو مضطرة إليه.

ويتكرر هذا الصنيع الذي يؤكد تسامح الراوية مع البطل (تملق الشخصية لذاتها وغفرانها لذنوبها وتجنبها التشهير بمعاييبها) في مقامات متعددة مما يجعل هذه سمة أساسية من سمات العلاقة بين الوجه والقناع، ففي المقامة "الأصفهانية" - وهذا مجرد مثال - يدعى الإسكندري أنه رأى رسول الله (ص) في المقام وينتحل عنه أدعية يستجلب بها عطايا المصلين في المسجد، قال عيسى بن هشام: "فقد انثالت عليه الدراهم حتى حيرته

وخرج فتبعته متعجباً من حذقه بزرته وتعلل رزقه، وهمت بمساعلته عن حاله، فألمست، وبمكالمته لمست، وتأملت فصاحته فى وقاحته، وملاحته فى استماحته، وربطه الناس بحيلته، وأخذ المال بوسيلته، ونظرت فإذا هو أبو الفتح الإسكندرى، فقلت كيف اهتديت إلى هذه الحيلة، فتبسم وأنشأ يقول:

الناس حمر فجوز وبرز عليهم وبرز
حتى إذا نلت منهم ما تشتهيهِ فلروز^(٣٤)

نستطيع أن نستخلص من وصف عيسى بن هشام للموقف النهائى للمقامة ثلاثة أمور مهمة تتصل بالكشف عن العلاقة بين الشخصيتين:

أ - أنه لم يمسارع إلى مكالمته وتكرر عبارة "ألمست، لمست" وهذا يناقض تماماً لم يستوجب موقف الادعاء والكذب فى مجال الدين وشخص الرسول (ص) بصفة أساسية.

ب - أنه قرن كل صفة سيئة بوصف حسن وقد رجع هذا إلى ماثور ثرائى حيث نظر بعض النقاد إلى أن مقدرة الشعر تتجلى فى تحسين القبيح وتقيب الحسن ولكنها هنا تقصد إلى تحسين القبيح "فصاحته فى وقاحته، ملاحته فى استماحته" فهى وقاحة نصيحة واستماحة مليحة. هكذا برز المرفوض فى ثياب المقبول بل المرغوب.

ج - ثم هذا التعليق الأخير حين سأله كيف اهتديت إلى هذه الحيلة، فكان جوابه أنه "تبسم" ثم نظم البيتين السابقين يسخر فيهما من ادعاء الناس ويعترف بانتهازيته صراحة.

وبهذه العناصر الثلاثة المحددة يتأكد لنا أن رد الفعل لا يتناسب مطلقاً مع الفعل في ختام هذه المقامة وأن العقوبة ليست في حجم الخطأ وهنا كما في المقامة السابقة وفي مقامات أخرى لا يصعب الاهتداء إليها.

ثالثاً: نقابلنا في سائر المقامات صياغة واحدة لا تختلف على لسان عيسى بن هشام حين يتحدث عن أبي الفتح وذلك بأن يصفه بأنه "شيخنا" بصيغة التوقير والريادة والانتساب للشيخ دلالة على الجلالة والشيخ هو المعلم وإضافتها إلى ضمير المتكلم (نا) يؤكد ذلك، كما تعنى التعظيم للمتحدث عنه وتعنى الانتساب إليه، وهذه الصياغة مضطردة في جميع المقامات التي ظهرت فيها شخصية الإسكندري، وعلى سبيل المثال:

"فإذا والله شيخنا أبو الفتح"

"فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح"

"فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري"

"فإذا والله شيخنا أبو الفتح الإسكندري".^(٣٥)

ففي هذه الصيغ المتكررة في الدلالة يتجلى القرب والأنس والتوقير والقرح باكتشاف الشخص ولقائه. ثم نجد في مدخل المقامة "الأسدية"^(٣٦) ما يدعم مانراه من هذه العلاقة الخاصة أو المطابقة ما بين الراوية والبطل حيث يقول:

"حدثنا عيسى بن هشام قال: كان يلقى من مقامات الإسكندري ومقالاته ما يصفى إليه النور، ويتلصص له العصور، ويروى لنا من شعره ما يمتزج بأجزاء النفس رقة ويفض عن أوهام الكهنة دقة، وأنا أسأل

الله بقائه حتى أزلق لقاءه، وأعجب من تعود همته بحالته، مع حسن الله^١

فهنا نجد الدليل على اهتمام الراوية باليطل اهتماما يتجاوز الاعجاب المجرد لأنه يتطور إلى نوع من الحرص على لقائه والعناية به حتى يدعو له بطول اللقاء ويعتبر أن تحقيق هذا اللقاء بمثابة رزق وتوفيق من الله. فهذا القدر من الرضا ينفي اختلاف الملهج كما يدل على رغبة دفينية في النفس أن يتوافق الوجه المعلن للشخصية أو الوجه المضمّر أو الخبي لها. فكان الإنسان في الحقيقة يعيش الحيرة بين ما يستطيع وما يمتنى، بين ما يتوق إليه بدوافعه الداخلية واستعداده الفطري وما يتولعه المجتمع منه ولا يقبل سواه، فهنا نجد الراوية عالما بحقيقة أبي الفتح ومتعجبا من أنه يرضى قمود الهمة (أي الكدبة والحيلة) رغم توافر نواعي انفجاح والسطوع (حسن الآلة والفصاحة والقدرة على الإبداع) فهذا هو التمزق بين الواقع والممكن أو الأمنية، ومع هذا التوق إلى التوحد والحرص على السلامة يرجح أننا نرى الحقيقة نواجه شخصا واحدا وجهه المعلن الاجتماعي هو الراوية بما يمارس من انضباط وما يمتن من نشاط يقره المجتمع وتقبله آداب الجماعة، ووجهه الخفي الذاتي هو أبو الفتح بما يمارس من حيلة وما تضطره إليه قسوة الحياة من ادعاءات وكاذيب.

رابعا: وعلى ضوء هذه العبارة الأخيرة من العنصر السابق نصل إلى هذه السمة الأخيرة من مؤشرات اكتشاف علاقة الوجه بالقناع، فقد رأينا أن عيسى بن هشام يتحرك في إطار المواصفات الاجتماعية ويلتزم الآداب العامة والذوق السائد، وعلى العكس منه أبو الفتح الإسكندري الذي يستريح أي شيء لبلوغ

غاياته غير عابئ بأدب أو أعراف أولئك، وقد اطرده هذان النسقان حيث تواجد الراوى والبطل فى المقامة الواحدة، ولكن يحدث فى عدد قليل من المقامات أن يكون الراوية والبطل هو نفسه عيسى بن هشام ويختفى ذكر أبى الفتح أو الإشارة إليه، وقد حدث هذا فى مقامتين على وجه التجديد هما "البغدادية" و "الدينارية"^(٣٧). وفى المقامة الأولى يغزر عيسى بن هشام بفلاح قادم إلى بغداد (المدينة) ليأكل وجبة غذاء دسمة ويترك هذا الفلاح لينفع الثمن ضرباً مبرحاً ثم يدفع من ماله أيضاً فى حين يشاهده عيسى بن هشام عن بعد تتملكه روح التشفى والقسوة التى لا مبرر لها. وهنا فى هذه المقامة لا يحتفظ عيسى بن هشام بصفاته النمطية المأثورة وإنما يحل فى ثياب أبى الفتح الإسكندرى الانتهازى اللبق الذكى الذى لا يتردد فى اصطناع أى شئ للحصول على ما يبتغيه. وفى المقامة "الدينارية" يظهر هذا الطابع المنحرف الحاد حين يظهر عيسى بن هشام ديناراً ويعلن أنه سيهبه لمن يكون أشد إلذاً على هجائه لشخص آخر ومن خلال هذه الحيلة الخبيثة يتشكل سياق المقامة كهجائية حوارية غلبة فى الإكذاع والطرافة معاً فهذه الحيلة الشريرة التى تغرى بالعداوة والهزاء والانتقاص من الناس لاتناسب شخصية عيسى بن هشام ودوره المأثور فى المقامات الأخرى، وإنما تناسب أبى الفتح الإسكندرى فى صورته المعهودة التى نعرف، وقد يدل هذا فى النهاية أنه عندما يغيب القناع فإن الوجه الحقيقى يمكن أن يقوم بنفس الدور أو أنه يشى بملامح القناع ويحاول أن يودى وظيفته.

ويتفرع عن هذا الجانب أن نتأمل الوضع أو الصفة الثابتة التي يكون عليها عيسى بن هشام الراوية لحظة لقائه بالإسكندري وعلاقة هذا الوضع أو تلك الصفة المنتحلة التي يكون عليها الإسكندري في نفس المؤلف. ولا بد أن نضع بعض المحاذير فقد أشارت دراسات القدماء والمحدثين إلى أن مقامات بديع الزمان تتجاوز هذا العدد المحدود الذي وصلنا بأضعافه (ذكروا أنها تجاوزت الأربعمائة في حين أم عدد المقامات المنشورة في النسخة التي نعتمد عليها إحدى وخمسون مقامة)^(٣٨). مما يترتب علية أن نتحفظ في تقبل النظام الذي ظهرت به في هذه المقامات الإحدى والخمسين في تسلسلها، فإذا كان محمد غنيمي هلال قد أخذ عليها أنها لم تترع الجانب الزماني في تصوير شخصية الإسكندري الذي ظهر في بعض المقامات المتقدمة شيخاً أو كهلاً ثم ظهر في مقامات أخرى بعدها شاباً أو فتى مما يعنى في نظر الدكتور هلال أن الهمداني لم يكن يفكر في "شخصية واحدة" تتحرك في زمن محدد المسافة بقرى ما كان يستجيب للحادثة أو الموقف الذي يستدعي "الشخصية" في لحظة ما منقطعة عما قبلها وما بعدها، لقد ناقشنا هذا الأمر من قبل ورأينا أن مفهوم الزمن في الرواية الحديثة يكتب مرونة بحيث تبدأ بعض الروايات من آخرها أو من وسطها أو في أي لحظة من حياة بطلها دون أن ينظر إلى هذا على أنه عائق دون إدراك "الشخصية" واكتشاف جوانبها الإنسانية لإعادة تركيب العمل الفني وفق التسلسل العام للزمن الخارجي. ونضيف هنا احتمالاً قائم عليه الدليل هو هذه المقامات المفقودة التي نقرأ عنها ولا نعرف نصها ولا موقعها من السياق. مع هذين التحفظين نحاول أن نضع صفات الراوية ووضعها الاجتماعي في مقابل أو مواجهة صفات الإسكندري ووضعها المنتحل في كل مقامة لنرى هل يكشف هذا عن توافق أو تناقض بين الشخصيتين، ولعله من الطريف حقاً أن نعرف بداية أن الإسكندري

الذى وضع على وجهه فى كل مقامة قناعا وانتحل فى كل مقامة مهنة مختلفة تنتهى إلى غاية واحدة أنه مجرد شحاذ بائس يحتال على العيش. يتولى الكشف عن مكنون شخصيته راويه هو أيضا فى كل مقامة يعلن عن صفة أو مهنة مختلفة عن المقامات الأخرى. فهو تاجر مرة وحاج مرة أخرى. وطالب علم، ومسالق فى قافلة مجهولة الهوية، وشاعر فى حضرة سلطان، ومطارد متهم فى غيرها... إلخ. مما يعنى أن الادعاء بدرجة ما لاصق بالأصل والصورة معا ولكن هل توجد علاقة تحكم النسبة أو الصفة بين الشخصين؟.

فى المقامة الأولى يصف الراوية نفسه بأنه صاحب عيشة موفورة له ضياع وأموال وحائوت ورفقة. أما الإسكندرى فهو شاب متقف له يد فى الشعر وأهله، انقلب عليه الدهر فجعل يتسول بهذه الثقافة.

وفى المقامة الثانية كان عيسى بن هشام فى بغداد إبان موسم التمور يختار من أنواعها وصادف الإسكندرى الذى جمع حوله عددا من الأطفال وبسط يده يطلب التسول.

وفى المقامة الثالثة كان عيسى تاجر يز ثريا وكان الإسكندرى شابا فى رى ملئ العين يدعى الشرف.

وفى المقامة الرابعة يتسم وضع الراوية بالغموض ونص عبارته "حدا بى إلى سجستان أرب" فى حين كان الإسكندرى قد امتطى فرسا وأرسل ادعاءاته العريضة وكأته رجل كل المصور وكل المهمات. الرجل الذى يعرف كل شئ.

وفى المقامة الخامسة كان عيسى فتى السن يركض وراء الغرايات فى حين كان الإسكندرى يملك المال الكثير ويدعى الفقر ليزداد غنى¹¹.

وفى المقامة الثامنة كان عيسى مطاردة بتهمة أنه سلب كنزاً وأصاب مالا ليس له فغادر موطنه إلى أثريبيجان فصادف الإسكندري الذى كان مجرد عابر سبيل يتسول.

وفى المقامة العاشرة يأخذ عيسى موقع عابر السبيل ونص عبارته "كنت بأصفهان أعتزم المسير إلى الري" ويلتقى بالإسكندري الذى زعم أنه رأى الرسول (ص) فى المنام وأخذ عنه دعاء وراح يتاجر ببيع هذا الدعاء مستقرا الورع والخوف لدى الحاضرين.

وهكذا تمضى سائر المقامات حين يتوافر الراوية والعشكندري معا ونحاول أن نكتشف خطأ محمداً أو علاقة ثابتة بين الوجه والقناع - من حيث الصفة والوضع - فلا نكاد نستقر على قاعدة، ونحب أن ننبه إلى أن غياب القاعدة فى هذه العلاقة لا يودى إلى رفض المبدأ الأساسى وهو علاقة الوجه بالقناع، ولكن يودى إلى عدم ثبات هذه العلاقة على قاعدة منطقية مضطربة وهذا مما هو مقرر الآن لدى الكتاب الرمزيين فحين يستخدم الروائى الرمز فى روايته لا يلزم أن يكون هذا الرمز متسقاً مع سائر الرموز أو موحداً فى دلالاته وكأنه المفتاح الذى يفتح جميع الأبواب. إن الرمز يودى وظيفته مرتبطاً بالموقف ولا يحول هذا دون حق الروائى فى استخدام رمز آخر فى موقف آخر.

أما العلاقة العامة - الأساسية لفن الرواية - وهو أن "الشخصية" أهم دعائم الفن الروائى وأنه ينبغى أن تكون الشخصية إنسانية، قادرة على استدعاء الواقع يزمنها متفاعلة مع الأحداث التى تعيشها فإن هذه الشروط جميعها متوفرة فى بطل المقامة "الإسكندري" ومتوفرة على نحو أكثر عمقا وأغزر فنا حين ننظر إلى عيسى

ابن هشام والإسكندري على أنهما شخصية واحدة نطل عليها من مستويين الواقع
والمُخيل أو المحتمل.

وإذا كان فن الحكاية، في مقاربته لفن الرواية، ينهض على دعائمين:
الشخصية في الزمان، ثم المكان، فإننا نتوقف عند هذا العنصر الثاني بعد وقفنا مع
الشخصية.

الزمن:

ارتبط فن القصة عند العرب بالرواية، ومن ثم فإنه مجرد ناقل لأحداث مضى زمانها حتى وإن تدخل في سياقها بإيضاح أو تحفظ من عنده، وقد استدعى هذا الطابع الحكائي أمرين:

أولهما سبادة صيغة الماضي في استخدام الفعل، لأن الرواية ينظر إلى الأحداث على أنها قد انقضت كفعل وأنه مجرد ناقل حتى وإن نس بعض مشاعره أو تعقيباته وشروحه في سياق الحكاية.

ثانيهما مآدى إليه وجود هذا الرواية من غلبة الطابع السردى فالحكاية العربية التقليدية حكاية سردية، يؤدي فيها الحوار وظائف محددة أو عابرة، في حين يستمر الرواية في متابعة التطور الزمني للأحداث وتتبع سلوكيات الأشخاص متحركين في هذا الزمن ذاته. قد نجد المشهد الحوارى ولكنه لن يكون متضمنا لجوهر الحكاية فضلا عن أن يكون القالب الفنى لها على نحو ما نجد عند الإغريق في مآثورهم المسرحى.

على أن الرواية القديم في عصر المشافهة والكاتب في عصر التنوير لم يعدما طريقة بتغلبان بها على الإحساس بسيطرة السرد وغلبة الشعور بالزمن الماضى، فلابد أن صانع الحكاية يشعر بأن صيغ الحضور، وكذلك مشاهد الحوار يمكن أن تستأثر بانتباه أكبر عدد من المتلقين من خلال شعورهم بالمشاركة أو على الأقل بأن الأحداث المروية لاتزال حية أو قريبة عهد بالحياة، لذلك حاول أن ينوع فى صيغ اللغة (الأفعال بصفة خاصة) كما لجأ إلى الحوار أحيانا ليقطع تسلسل السرد، ويبث مزيدا من المـ في حكايته.

ويشعرنا الكاتب الذكي دائما بالمشاركة في المشاهدة عندما يروي حكايته أو قصته، أي ينتقل من الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر بطريقة لا يظهر فيها أثر لانفصال أجزاء الحكاية ولا يكشف هذا الانتقال عن أى فجوة تخل ببناء هذه الحكاية أو تضعف من توالى الأحداث فيها.

ولايموز الهمداني هذا الذكاء الفنى الواضح الذى يأخذ به قارنه إلى مقاماته. فعندما يكون الراوية موجودا فإن هذا يضى أن الحكاية حدثت فى الزمن الماضى، ولابد أن تلقى كل صيغ الأفعال فيها ماضية. وعلى الرغم من ذلك فإن مشاهد بعض مقامات الهمداني إن لم تكن أغلبها تأخذ قارئها رويدا رويدا إلى صيغة الحاضر حتى يتحول المشهد من حدث مروى إلى حدث مشاهد دون تكلف أو إغراب. ويتم للمؤلف ذلك عندما تكثر المشاهد الحوارية فى المقامة فهى تتيح الفرصة لهذا الانتقال التكرجى من الزمن الماضى إلى الزمن الحاضر، وليس المهم أن تتوالى تعبيرات المشهد الحوارى مثل "قال، قلت" ولكن يجب أن يكون لذلك نور فى كشف دخلة الشخصية أو مهمتها، أو الكشف عن جانب من جوانب الحدث، فإذا لم يود المشهد الحوارى هاتين الوظيفتين أو إحداهما فليس له من الحوار إلا مظهره الخارجى الذى لا يؤثر فى تغيير صيغة الزمن الماضى إلى الحاضر.

يخلط الهمداني خلطا نكيا بين صيغة الماضى وصيغة الحاضر، الأمر الذى يشعر معه القارئ بأن الحدث يجرى أمامه بل يحفره على الاشتراك فيه - وإن لم يكن المجال متاحا - فى المقامة "السجستانية"^(٣٩) يشدا لاتباه رجل على فرسه مختق بنفسه، له صوت فى كل عرق منه معنى، يردد كلامه بكل ثقه بالنفس ويسخر من كل من لا يعرفه ويستمر فى وصف نفسه إلى أن يفاجئنا بما يؤكد تحول الزمن من الماضى إلى الحاضر فى المقامة.. فمدخل هذه المقامة السجستانية تنقيدى تماما على

النحو المألوف في سائر المقامات، "حدثنا ... قال ... " فبعد سلسلة من الأفعال الماضية التي تؤكد الطابع الحكائي السردى نجد في مواجهتنا "إذا" الفجائية التي تضعنا في قلب مشهد حي وكأننا بعد الاستماع إلى الراوية قد أزيح أمامنا السائر عن مشهد تمثيلي، ويتأكد هذا الطابع مرة أخرى باستخدام ضمير شديد الحضور والإلحاح عليه إلحاحا بينا هو "أنا" التي تكررت ست مرات بصيغتها، ومرة واحدة استخدم "كنى" هذا فضلا عن أفعال الأمر التي تجسد المشاهدة، إذ لا يصدر الأمر عن حاضر ولا يوجه إلا لمن يفترض فيه سماعه.

وفي نهاية خطبته يتحول بسامعيه إلى صيغة المضارعة تأكيداً لهذا الجانب الذي يعنى حيوية المشهد وتكامل ركنيه من قائل ومستمع.

وفي المقامة "الأسدية" يلجأ إلى تصرف آخر ليغير في الزمن والصيغة فهي تبدأ على النحو التقليدي بصيغة الماضي، ولكن الراوية عيسى بن هشام لا يلبث أن يستخدم صيغة المستقبل يعبر من خلالها عن تشوقه لحدوث فعل في الزمن الآتي ويكون من حظنا أن يتحقق هذا الأمل ويلتقى الراوية والبطل فيكون من المفهوم ضمناً أننا نواكب تطور هذا الحدث في الزمان.

تصدر صيغة "حدثنا ... قال ... " مطلع المقامة "الأسدية" وإلى ذلك مجموعة من الأفعال التي تؤكد الطابع الحكائي السردى، نجد بعدها أداة "حتى" التي لها معنى "مكانى" والتي تعيد المستقبل في حالة استخدامها في معنى الزمان ويعقبها فعل مضارع أيضاً مما يتأكد به تحولها إلى صيغة المستقبل^(٤٠). وتنتهى الأمنية المعلقة بقاء مصادفة في مدينة "حمص" وكان الإسكندري كمهده متكرراً يستعين على حيلته بطقلين يرفق بهما قلب الجمهور، وعلى الرغم من أن هذا المشهد مروي بصيغة الماضي - وهذا غفلة ما كان يصح أن يقع الهمداني فيها بسهولة - فإن

مفردات المشهد لها حضورها وبخاصة حين يلتقي الإسكندري ثلاثة آيات من الشعر تشير إلى الطفلين، مما يؤكد الحضور الجماعي في المشهد. وفي هذه المقامة "الأسدية" ذاتها نستخلص مايمكن أن يعتبر استخداما خاصا للهمداني للفعل الماضى بحيث يوم من خلاله الإحساس بالحضور وتكامل المشهد بتعبيرات سريعة خاطفة أننا نعيش المشهد ذاته، ولما نسمع رواية منقولة عنه، ففى مشهد هجوم الأسد على القافلة العابرة تتتابع الأوصاف فى جمل قصيرة متنفقة كأنها "حصوات" تلقى تباعا فى ماء ساكن فترسم دوائرها المستمرة وكأنها دائرة واحدة. ففى وصفه لهجمة الأسد على رجال القافلة تلى العبارات بهذه الصيغ المقتضبة المتنفقة يقول : فخائنه أرض قلعه حتى سقط ليداه وقعاه، وتجاوز الأسد مصرعه إلى من كان معه ". ونكاد نطمئن إلى هذا المسلك اللغوى فى صياغة الجملة يتكرر عند الهمداني كلما أراد أن يصف منظرا حيا يقوم على الحركة أو تؤدى الحركة فيه دورا فعالا ، مثلا فى نفس المقامة يصف لحظة انقلاب قاطع الطريق على سيده وإظهار هويته بهذه العبارات: "فقلت ويحك ماتصنع؟ قال: اسكت بالكع، والله ليشدن كل منكم يد رفيقه، أو لأغصنه بريقه، فلم ندر مانصنع وأقراسنا مربوطة، وسروجنا محطوطة". إن طول الجملة يتفق والفعل المتضمن فيها أو المطلوب إحدائه. ونجد سندا فيما نراه فى وصفه لحادث قتل قاطع الطريق، إن هذا لابد أن يتم فى خفة ومباغطة وهكذا يوحى إيقاع الجمل، يقول: "ثم ننا إلى ليتزع الخف، ومننت يدي إلى مكين كان معى فى الخف وهو فى شغله، فأثبتته فى بطنه وأبنته من منته، فما زاد على فم فغره وألقمه حجرة"^(٤١) ولقد بلغ الحوار أعلى درجات تداخله بالسرد ومن ثم الانتقال به من صيغة الماضى إلى مشهد الحضور نجده فى المقامة "البغدادية" التى تؤكد أن تكون حوارا مستمرا إذا تغاضينا عن طريقة التقديم الضرورية وجملتين عقب بهما على

الحادثة، أما جسد المقامة فقد نهض على حوار مستمر بين المحتال والطامع (الراويّة - والصوادي) زكماً ذكرنا سابقاً في المقامة "المجستانية" فإن صيغة الماضي تنصدر ثم تظهر إذا الفجائية وكأنما يزاح الستار عن مشهد متوقع مهد له السرد، وعلى النحو الذي شاهدناه أيضاً في المقامة "المجستانية" فيما بعد إذ يقوم في جوهرة على الحوار الذي يؤكد طابع الحضور حتى وإن كان بصيغة الماضي.

المكان :

فى تعرضنا لعنصر المكان فى مقامات بديع الزمان الهمذانى نذكر أربع

ملاحظات:

الأولى: أن الاهتمام بالمكان من خصائص الفن القصصى بصفة خاصة سواء فى القديم أو فى الحديث. وفى العصر الحديث كان الاهتمام بالمكان فى سبيل تأكيد إمكانية التجربة وواقعية المضمون، فحيث لايتصور حدوث الممكن فى غير زمان ومكان معينين اعتبر النص على الزمان والمكان بمثابة دليل إقناع على واقعية الحدث والشخصيات والمضمون بصفة عامة. أما فى القصص القديمة فإن الاهتمام بالمكان يفرض نفسه بغيرزة القص لدى القاص ولكنه يكتفى بالإشارة المجملة كقوله يقول: كنا فى أرض كذا أو بلاد كذا فيحدد المواقع دون الموضع.

الثانية: أن المكان فى الأدب العربى القديم كان دائما يتمتع بذاتية خاصة تتبع من إحساس المتكلم به ولعلنا نذكر بيتى المطلع فى معاقبة امرئ القيس وماتضمنا من أسماء الأماكن مما استدعى تهكم الباقلاى منهما ومن الشاعر (٤٢) والباقلانى لم يضع فى اعتباره العلاقة الخاصة التى تربط الشاعر بتلك الأماكن ومايدل عليه التردد والإطالة من الشغف وشدة القلق.

الثالثة: نكرر فيما سبقت الإشارة اليه من احتمال أن ترتيب مقامات الهمذانى كما جاءت إلينا عبر المخطوط والمحقق ليس هو الترتيب النهائى أو الذى صدر عن المؤلف وهذا مترتب بالضرورة على إقرار من مؤرخى حياته وسيرته العلمية أنه كتب فى المقامات أضعاف ماانتهى إلينا منها.

الرابعة: أننا سنستخدم المكان في هذه الفقرة على مستويين "المكان العام" أي المنطقة أو المدينة التي يجري فيها الحدث في داخل المقامة ويحدث غالباً أن تحمل المقامة اسمها عنواناً مثل المقامة "البلخية" نسبة إلى مدينة بلخ والمقامة "السجستانية" نسبة إلى مدينة سجستان ... إلخ.

أما المستوى الثاني فنقصد به "المكان الخاص" الذي ارتبط به حدث المقامة ذاته، كأن يذكر أنها جرت بين جبلين أو في غابة أو داخل مسجد أو على قارعة الطريق.

ثم نعود إلى تأمل ما بين أيدينا من مقامات ودرجتها حسب النسخة المنشورة فنجد أننا إزاء إحدى وخمسين مقامة حملت كل منها عنواناً هو اسم شخصية أو مكان أو صفة غالبية وبصفة عامة سنجد أن أسماء الأماكن - المناطق والمدن - تأخذ المكان الأول في اهتمام الهمداني بدرجة تغري بأن نتبع هذه الأماكن علناً نصل من هذا التتبع إلى تصور أو اكتشاف فكرة عن علاقة من نوع خاص أو مميز بين الكاتب وهذه المواقع التي أثرها، مع هذا فإننا لا نترغب في أن نحمل ما لم يكن يقصد إليه من ذكر هذه الأماكن.

والآن نتقصى المقامات وعناوينها لنكتشف مدى أهمية المكان فيها. فمن بين إحدى وخمسين مقامة سنجد إحدى وعشرين مقامة تحمل أسماء أماكن ونقسمها مبدئياً إلى:

أسماء مدن، وأسماء مناطق، فمن أسماء المدن: بلخ، الكوفة، أصفهان، بغداد، البصرة، بخارى، الموصل، شيراز، حلوان، نيسابور.

أما المقامات التي حملت أسماء مناطق فهي: سجستان، أنريجان، جرجان، الأهواز، قزوين، العراق، أرمينية. وبعض هذه الأماكن توجد مدن بأسمائها أيضاً

مثل: بخارى، وسجستان، وحلوان، وشيراز. وهناك أماكن مثل المارستان (المقامة المارستانية).

ونتجاوز عناوين المقامات إلى مدخلها فنجد النص على المكان فى مقدمة هذه المدخل ولابأس من أن نجد إشارة إلى أماكن ومدن سبقت الإشارة إليها أو جاءت بعد ذلك فى عناوين أخرى، فالبصرة مثلا هى المكان المناسب لأربع مقامات أخرى غير المقامة البصرية فقد جرت فيها المقامة "المضيرية" والمقامة "الوعظية" والمقامة "المخزلية" والمقامة "الخلفية" أما بغداد فليما عدا المقامة "البغدادية" جرت فيها المقامة "الأزائية" والمقامة "المجاعية" والمقامة "الدينارية" والمقامة "القرية". وكذلك تجرى المقامة "الغيلانية" فى جرجان وتشاركها المقامة "القرية" وإن كان ينص على أنها فى جرجان الأقصى، وتجرى المقامة "المكفوية" فى بعض بلاد الأهواز فهى تشارك الأهواز فى بيئتها وتنوز بلاد الشام بخمس مقامات. فقد جرت المقامة "السامانية" فى دمشق والمقامة "الشعرية" فى بلاد الشام بصفة عامة، وجرت المقامة "الحمدانية" بمجلس سيف الدولة أى بحلب، وجرت المقامة "الأسدية" فى مدينة حمص، والمقامة "التميمية" التى تجرى أيضا فى بلاد الشام.

وهكذا يفرض "المكان" نفسه على سائر المقامات تقريبا فالمقامة "الغزيرية" تبدأ بعبارة "كنت ببعض بلاد فزرة"، و"الإليسية" تجرى فى واد أخضر، و"الملوكية" تحدث أثناء منصرفه من اليمن، و"الصفورية" عند القول من الحج، ويمكن أن نقول إن استقرارها لهذا الجانب انتهى إلى أن سبع مقامات فقط من بين إحدى وخمسين مقامة هى التى خلت من ذكر مكان واقعى حقيقى يمكن العثور عليه وتحديده على خريطة العالم الإسلامى. وهذه المقامات هى تحديدًا: "النهيدية" و"الناجمية" و"العلمية" و"الوصية" و"الخميرية" و"المطلبية" و"البشرية" فلدينا إحدى

وعشرون مقامة تحمل أسماء مناطق أو مدن، وهى نسبة عالية لاشك. وإذا نتأمل موقع همدان مدينة المؤلف بين المناطق التى ورد ذكرها فى مقاماته سنجد أنها تقريبا مركز دائرة تكون محيطها من سمرقند وبلخ فى الشمال الشرقى من همدان، وسجستان فى الشرق، والأهواز فى الغرب، وأذربيجان فى الشمال، ولن تخرج بقية المدن والمناطق التى ذكرها عن محيط هذه الدائرة، ثم نتأمل تتابع الأماكن والمناطق على الترتيب الذى وردت به المقامة التى بين أيدينا فلا نجد أنها تخضع لاعتبار معين من التدرج أو الانتشار أو التحرك فى اتجاه، أو التراجع عن اتجاه غيره. فبلخ هى أولى المدن ذكرا ثم تليها منطقة سجستان وفى المقامة التالية تكون فى الكوفة لنعود إلى أذربيجان فخرجان وأصفهان وهكذا يغيب أى منطق فى ترتيب هذه المدن والمناطق مما يعنى أن الهمداني لم يرد أكثر من الطرافة والإغراب وذكر بلاد بعيدة عن إدراك القارئ العام ومشاهدته، يرغب فى أن يقرأ عنها ويتعرف عليها. والحقبة أن الهمداني لم يقرب صورة هذه المدن إلى القارئ ولم يعرف بها ولم يهتم بأن تكون الحادثة الجارية على أرضها مما يترافق وطباع أهلها أو ينتسب بالضرورة إلى أخلاقها أو تاريخها. إنه لم يرق نفسه بطلب شئ من هذا ويعنى ذلك كله أن مطلبه قد انحصر فى الطرافة وإثارة الرغبة فى المعرفة ولكنه بصفة عامة تحرك فى حدود المناطق التى له بها علم وإن لم يستخدم علمه بها لتأكيد واقعية التجربة أو واقعية التصوير، إنها مجرد أسماء لأماكن كان يمكن أن تختلف دون أن يلحق بالمقامة أى ضرر أو يصيبها أى نقص، فيما نرجح.

لقد نشأ الهمداني فى "همدان" كما تدل النسبة، وهى إحدى مدن فارس الشمالية، وكما يقول الذين ترجموا له: فقد أقدم جرجان وذهب إلى نيسابور وزار

خوارزم وخراسان وسجستان، ولم تبق بلدة من بلاد هذين المصرين إلا دخلها. ثم استوطن هراة وهي إلى الشرق من همدان وليها كانت نهايته.

وخلاصة هذا كله أن الأماكن أو المدن أو المناطق التي ذكرها الهمداني في مقاماته لم تتجاوز حدود خبرته الشخصية المباشرة وإن لم يحسن الاستفادة من هذه الخبرة كما أشرنا من قبل، إذ لم يصف هذه المدن أو الأماكن أو المناطق كما لم يترث في اختيار الحيل والأحداث والمفاجآت التي تجرى في كل منطقة بحيث تناسب طبيعة هذه المنطقة أو طبائع أهلها^(٤٣). وليس من شك في أنه لو كان لعل لقدم إلينا شكلا فريدا من الأدب القصصي النثري لم يسبق إليه ولم يفكر فيه أديب قبله. وهناك أماكن أخرى ومناطق لم يذكر المترجمون له أنه دخلها أو عاش بها مثل الموصل وبغداد والبصرة والكوفة، لكن هذه المدن كانت في صميم التراث اللغوي والفقهى والأدبي الذي تكونت منه عقلية الهمداني وصقلت به شخصيته الأدبية. ومن هنا جرت على قلمه دون أن يشعر بأنه يردد أسماء ليست له بها خبرة ثم نتوقف عند المكان بالمعنى الخاص الذي يقصد منه أن يرسم "أرض الحدث" وهذا الجانب مهم جدا في الأعمال القصصية لأنه يتجاوز أن يكون مجرد شارة رمزية أو إشارة عامة إلى كونه عنصرا من عناصر الإقناع بالحدث لى ذاته، فحين تكون الحادثة سرقة مثلا فإن هذا يستدعي أن يوصف المكان وصفا تمهيدا يعد القارئ ويهيئ خياله لتقبل مفاجأة هجوم العنسر أو اللصوص، أما إن كانت الحادثة على نحو ما نشاهد لى المقامة: الخمرية حيث يسهر النهران لاحتساء الخمر فإن وصف المكان يتطلب ألفاظا وصورا تتناسب وأجواء اللهو والترفيه. فإلى أى مدى كان الهمداني يراعى جانب التلاوم والتكامل بين المكان والشخصيات والحادثة المنتقاه ليقسم عليها حكاية المقامة؟.

لم يكن الهمداني يقصد قصدا إلى تحريك شخصياته تبعاً للمكان - كما تبين لنا من رصد المواقع والمواضع التي تردد ذكرها في مقاماته وإنها على تعددها وحرصه على ذكرها لم يلتزم بتكوين المقامة الشامل التحاماً بنائها - كما أنه لم يضع في اعتباره أن يجعل المكان مناسباً للحدث وحقيقته إلى جانب ماأراده الهمداني من إحداث الإغراب والطرافة. ولا معنى بذلك أن الهمداني لم يناسب مطلقاً بين المكان والشخصية والحدث وإنما فعل ذلك بوضوح يبدو في مجموعة من المقامات قد نحصرها في تسع مقامات هي: الأسدية والجاحظية والبخارية والقروينية والحلوانية والإبليسية والصيمرية والخمرية.

يتوافق وجود الراوية أحياناً في مكان ما مع حلول موسم من المواسم مثل وجوده ببغداد وقت الأرز^(٤٤) أو حين نهوض تجارة البزبه إلى بلخ^(٤٥) أو عندما يحدو به أرب إلى سجستان^(٤٦)... إلخ.

وهو في كل ذلك لا يقصد إلى ربط هذه الأماكن بالأشخاص أو بالأحداث الجارية، وإنما يتفق جريان الحدث مصادفة، يستشعرها القارئ من خلال لراعيته للقصة أو المقامة.. لأن الكاتب يركز على الحدث نفسه دون أن يكون للمكان أي ارتباط به من حيث الشخصيات أو حركة الأفعال، ويكون ذلك مصادفة، وعند حلوله في هذا المكان (المنطقة أو المدينة) ... وهي مصادفة قصد إليها الهمداني قصداً لينبئ أساس الحدث عليها، وماعداً ذلك يكون مجرد استكمال للقصة أو للمشاهد الحادث... ونرى في بعض مقدمات المقامات نوعاً من التوازن بين اندفاع الراوية نحو وجهة معينة (المنطقة أو المدينة) وبين حركة الأفعال المؤدية إلى تحقيق هذا الأمر من جهة وبين الحادثة ومتضمنه من عنصرى التشويق والمفاجأة من جهة أخرى. ويمكننا ملاحظة هذا الأمر في معظم المقامات وبالتحديد في مقدماتها.

ويظهر أثر المكان وعلاقته بالشخصيات والأحداث في المقامات التي عدناها سابقاً، ويتبلور ذلك في ثلاث مستويات أو محاور هي:

أولاً: وصف المكان وصفاً جمالياً لذاته دون علاقة له بالحدث أو الشخصيات.

ثانياً: وصف المكان مرتبطاً بالشخصيات من حيث وجهة نظرها والحالة التي تكون عليها.

ثالثاً: وصف المكان مرتبطاً بالحدث وبحالة الشخصيات.

ولابد لنا أن نفرق بين المكان بالمعنى العام وهو الحيز أو المساحة الجغرافية، والمكان بالمعنى الخاص وهو الموضع التي تحل فيه الشخصية وينطلق منه الحدث. فالمكان العام هو الذي يخدم جميع الأغراض كوصف الطبيعة في المقامة الإبلسية^(٤٧) والمكان الخاص هو الذي يكون مهياً للحدث "كالحمام" في المقامة "الحلوانية"^(٤٨)، أو دار التاجر البخيل (البغدادي) في المقامة "المضيرية"^(٤٩) أو حانة الخمر في المقامة "الخمرية"^(٥٠) وقد يلتقي العام والخاص أو الموقع والموضع في آن واحد كما في المقامة "الأسدية"^(٥١). وفي بعض المقامات يلجأ الهمداني من المكان العام إلى المكان الخاص الذي يجري فيه الحدث. وسيكون حديثنا في البداية عن المستوى الثالث لأهميته، ثم ننتقل إلى المستوى الأول فالثاني. وعندما نتبع هذه المقامات وعلاقة المكان بالشخصية والحدث فيها فإن أول ما يواجهنا هو المقامة "الأسدية" التي يعمد فيها الهمداني إلى إبراز حدثين قد لا يجد القارئ لأول وهلة أي علاقة لهما بالمكان الذي ينوي الراوية الاتجاه إليه (حمص)، وقد لا يجد أي أهمية لهذين الحدثين العارضين فيهما. ولكن الهمداني في هذه المقامة يقصد إلى إبراز المعاناة والصعوبة التي يواجهها راويته (عيسى بن هشام) ليصل إلى هدفه ويحاول الملاءمة بين المكان ومجرى الأحداث فيها، يقول عيسى بن

هشام: "انقلت لى حاجة بحمص فشحت إليها الحرص. فى صحبة أفراد كنجوم الليل، أحلاس لظهور الخيل. وأخذنا الطريق ننتهب مسافته. ونستأصل شافته. ولم نزل نفرى أسمة النجاد بتلك الجياد. حتى صرن كالعصى. ورجعن كالتسى" (٥٢).

فبهذه العبارات نستطيع أن نتصور وعورة الطريق ومشقة بين موطنه حمص التى يقصدها مستخدما الألفاظ المناسبة لذلك: شحت الحرص... ننتهب مسافته... نستأصل شافته... نفرى أسمة النجاد... فالطريق طويل وشاق ووعر. ولكنهم لا يعمدون الفرصة للاستراحة عندما يتاح لهم واد فى سفح جبل ذى الآء وأتل، كالعدارى يسرحن الضفائر وينشرن الغدائر، ولابد أن نلاحظ علاقة الضحية بين الوصفين وليس بين المكانين فحصب، فالمشقة فى جانب والراحة فى الجانب الآخر ويوصف مكان الراحة كما يتبدى للمتعب الذى عانى المشاق. ثم تميل بهم الهاجرة إلى ذلك المكان فينزلون ويغورون ويغورون. وبعد هذا الهدوء النسبى وهذا المكان الظليل... تحت المفاجأة... اضطراب الخيل، وتقطيعها للحبال، وتوجهها نحو الجبال، فالأسد قائم بعزم صارم وإقدام لا يردع. وهدوء المكان وراحته وسكونه تمهيد للحدث الأتى بعده، فهو أشبه بالسكون الذى يسبق العاصفة. فقد هجم الأسد فى وقت كانت فيه الرفقة تتط فى سبات عميق. من أثر وعشاء السفر. فى مكان ظليل بفعل الآء والأكل المشبع بالعدارى اللاتى يسرحن شعورهن وينشرن غدائهن فى دعة وهدوء... فيشير هجوم الإضطراب والخوف ويتحول الهدوء إلى صراع وثورة، ولعل الهمدانى يقصد من جانب آخر إلى أن شجر الآء بالذات له منظر جميل ومخير ليبيع، فهو حسن الخضرة ولكنه مر الطعم كالعقم. وهنا يرمز الهمدانى إلى أن ما يخفى على الرفقة أشد خطورة مما ماجذبهم إلى هذه الشجيرات ليستظلوا بظلها... وبعد انتهاء الحدث ينتقل الراوية إلى استكمال حكايته بقوله: وعدنا إلى

الفلاة وهبطنا أرضها وسرنا ... إلخ. فكأنه بهذه الكلمات يعبر عن استعادته ورفقته
رباطة جأشهم وهذوء نفوسهم نسبياً بعد ما حدث لهم "قعدنا إلى الفلاة" ليس معناها
أنهم كانوا بمكان غيرهما وإنما هم واجهوا الحدث فأخرجهم من حالتهم الأولى إلى
حالة المواجهة وصد الاعتداء من قبل الأسد ويعودتهم إلى الفلاة عود إلى مألوف
الفعل "المسير باتجاه الهدف" وبعد مضي وقت لم يحدده الراوية، لكنه يبدو طويلاً
بعض الشيء - كما تشير اللفاظ في الحكاية - يحدث لهم ما يثير دهشتهم واستغرابهم
وإعجابهم في البداية ثم يوقعهم في مشكلة جديدة أو هجوم جديد (قاطع طريق) فينال
منهم الخوف والجهد والإعياء إلى أن تخلصهم حيلة الراوية^(٥٣) من هذا المأزق.
ولا يزال تأثير المكان الأول مرابطاً بالحادثة الثانية فالرقعة مازالت في الفلاة الواسعة
مترامية الأطراف (لم نملك الذهاب والرجوع) كثيرة الأخطار والأهوال. وفي
المقامة "المضيرية" نموذج آخر من نماذج علاقة المكان بالحدث وبالشخصيات
عندما يبدأ عيسى بن هشام من "البصرة" حيث يجمعه بأبي الفتح الإسكندري دعوة
إلى مضيرة عند بعض التجار تذكره بدعوة مماثلة لكنها كانت السبب في بغضه
للمضيرة وكل ما يمت إليها بصلة. وفي هذه المقامة يفضي المكان العام إلى المكان
الخاص عندما يلتقى أبو الفتح الإسكندري بالتاجر البغدادي الذي يدعوه بإلحاح إلى
طعام الغداء "المضيرة" في دارة في إحدى محال بغداد فيستجيب الإسكندري لهذه
الدعوة ويبدأ التاجر بالكلام والحديث من بداية الطريق إلى الدار وحتى يبلغ الجهد
بأبي الفتح الإسكندري نهايته ويحدث له ما يحدث في نهاية المقامة^(٥٤). والمكان
الخاص هنا ينقسم إلى تسمين: فمن العام "وسط المدينة" (بغداد) إلى المحلة التي تقع
داره في وسطها إلى الأكثر خصوصية وهو "الدار" التي يقيم فيها التاجر البغدادي
البخيل. ويلجأ التاجر إلى وصف هذه الدار بكل دقة وتفصيل، ولا يغفل عن صغيرة

ولا كبيرة إلا وتقع من غسه موقع المهم والضرورى والمتميز، فيطنب في وصفه وشرحه من الناقذة (الطاقة) إلى الباب، ثم حلقة الباب، كل ذلك وهو لا يزال خارج "الدار" ولم يدخلها بعد. وعندما قرع الباب ودخل شرع في مخاطبة الدار بإعجاب وفيه: الجدران والمعارض والبنيان والأساس والمداخل والمخارج ثم يبدأ بطرح أسئلته على ضيفه "كيف حصلت بها، وكم حيلة احتلتها حتى عقدتها؟ وهو يتوقع أن الإسكندري لن يستطيع الإجابة، ولكنه أراد فقط أن يشغله عن جوعة، ويطيل معه الوقت لينسيه ملجاء من أجله "المضيرة".

ووصف المكان في هذه المقامة غاية في ذاته، فهذه الأوصاف الاستطرادية على جمالها ووظيفتها الفنية تبدو غاية في ذاتها إذا كنا ننظر إليها من زاوية المحتوى أو المضمون إذ كان قليلها يكفى للتخلص من دعوة الإسكندري للغذاء، مع كل ملاحظاته من إلحاح لتناجر عليه ليقل دعوته: "دعاني بعض التجار إلى مضيرة وأنا ببغداد ولزمني ملازمة الغريم والكلب لأصحاب الرقيم إلى أن أجبتة إليها"^(٥٥).

ونعني بهذا أن وصف الأماكن المتعددة داخل الدار هذا الوصف الجمالى البديع التفصيلى المسرف فى التفاصيل الذى يسبغ الأهمية على كل جزئية مهما كانت ضاليتها أو هوان شأنها قد لا يكون مقصودا لإضاعة الوقت والبلوغ بالضيف الجائع إلى حالة اليأس من الحصول على حاجته ولكننا نشعر أن هذا الوصف الجمالى البديع كأنما قصد به الهمذاني أن يستعرض قدرته الفائقة على الاستطراد وتجميل الأشياء العادية وإكسابها حياة خاصة بها وكأنه سمسار ذكى تعود للعب بعواطف المشتريين وبإبراز جوانب الجمال فيما يعرض عليهم وتغطية الجوانب القبيحة التى لا بد أنه يراها أكثر مما يرونها، ولكنه يملك القدرة على تضليلهم عنها.

ألسنا نجده يقارب حقيقة المطلوب حين يصف الخوان والطست وألة الطعام وصفا بديعا مغريا دون أن ترد كلمة "الطعام" ذاتها على لسانه.

وهذا ضرب من المهارة الخاصة والدقة في انتقاء المشهد وتسليط الضوء على مفرداته غير المطلوبة والتعتم على الجوانب المطلوبة.

وليس المكان وحده في هذه المقامة الذى يعد غاية لخلاص البخيل مما يكره، وإنما كل ما تفرق إليه من وصف للزوجة وطريقتها في طهي الطعام ما ترتديه من ملابس، وحبهما لبعضهما وصلة القرابة بينهما، ووصف المحلة التي تقع بها الدار ثم وصف الدار وكل وما يتصل بها، وكيف احتال لشرائها ثم وصف حاله في التجارة وحذقه فيها^(٥٦). ثم تطرق إلى وصف الحصير الذى يجلسون عليه والعلام الذى يخدمهم والطست والإبريق والماء والمنديل ثم وصف الخوان وهو وصف يقع في نهاية المطاف من الوصف عندما يتوقف فجأة عند وصف الكنيف ويشيد بنظامته وراحته وكيف بنى ومم رمم؟ فنجد انه يستخدم وصفا غير مناسب يخرج به من اللياقة والدلالة إلى الجلفة ومجافاة اللياقة ومن ثم يصل بضيقه إلى قمة الضيق واليأس، إنه يقول: "يتمنى الضيف أن يأكل فيه". فيستشيط الإسكندري غضبا ويقول "كل أنت من هذا الجراب... لم يكن الكنيف في الحساب". والتاجر هنا أراد أن يؤكد على ضيق الإسكندري بإطنابه في الوصف ودلته فيه... عندما جعل وصف الكنيف في النهاية، ليتخلص من الضيف الذى شعر باشمزاز شديد إضافة لطول الصبر على الجوع وتحمل حديث التاجر الممل، الذى لم يحصل منه في النهاية على شيء، وإنما امتهزىء به من قبل الصبية فضربهم وانتهزهم وأصاب أحدهم بحجر فضربوه ضربا مبرحا كثت "المضيرة" هي السبب فيه. وبوصف المكان في المقامة "المضيرة" تظهر العلاقة بينه وبين الحدث (الدعوة إلى الطعام) وبين شخصية

البخيل من جهة ومُخصّية المحتال (الإسكندري) الذي يبدو في هذه المقامة لاحول له ولا قوة في مواجهة هذا البخيل الثرثار، الذي جعل في وصف الدار حجة للتخلص من غرم ثقيل عزم على الخلاص منه.

وفي هذا المستوى أيضا ينقلنا الهمداني إلى حانة خمر في المقامة "الخميرية" واصفا المكان (الحانة) والقائمين عليه، والقادمين إليه (عيسى بن هشام ورفقته) ومطربه (أبا الفتح الإسكندري). والحانة هنا مكان خاص محدد تصده الرفقة (عيسى بن هشام ومن معه) بعد جلسة سكر طويلة شربوا فيها كل مالدبيهم من خمر فعزموا على استكمال شربهم في هذه الحانة وفي طريقهم إليها دعا داعي الفجر فأجابوه وهو سكارى فلحق بهم من الضيم ماساءهم^(٥٧) عندما عرفهم الإمام فحرض عليهم الناس الذين انهالوا عليهم ضربا وتكيلا إلى جانب ما هم عليه من السكر. وظلت فكرة ذهابهم إلى الحانة تلح عليهم، فما إن انتهى النهار حتى تطلعوا بشوق إلى رايات الحانات وكلنها النجوم في الليل الدامس. وحالتهم النفسية (الاستهتار لزاما) هي التي قادتهم إلى هذه الحانة لما راوه من نخامة أبوابها التي تدل على أنها من أكبر الحانات وأشهرها، ويتناسب ذلك مع ما عندهم من مال (الدينار إماما).

ومن وصف المكان يلج إلى وصف القائمين عليه ربة الحانة الجميلة الغزلة التي تمزح باللهجر بالوصل والبخل بالبذل^(٥٨). فهي من الدافن التي تجعل الرواد يتمسكون بالبقاء وطلب المزيد من الخمر - إلى جانب ما أشعرتهم به من حسن ضيافة واستقبال وبشر وترحاب، فهذا المكان لا يطيب إلا بهذه الحركات. والمكان هنا متعلق بالحدث وبحالة الشخصية.

وعلى المستوى الأول يبدو المكان بشكله الطبيعي الجميل الذي لاهلاقة له بالحدث أو بالشخصيات فالهمداني هنا أراد وصف المكان وصفا جماليا لذاته فأورده

فى بداية المقامة "القروينية" قاتلا على لسان عيسى بن هشام: "تمالت الهاجرة بنا إلى ظل اثلاث فى حجرتها عين كلسان الشمعة، أصفى من الدمعة، تسيع فى الرضراض، سيع التضناض". لقد صور جمال المكان تصويرا تتخلله الحركة التى تصفى عليه الحيوية والطبيعية، فالعين ينبع منها الماء كفتيل الشمعة صافيا غير كدر يتدفق من الأرض الممتلئة بالحصى، كحبة تسعى لاستنقر فى مكانها. حركة هائلة وحذرة ورتيبة تدل على هوء المكان وصلاحته للقبولة والاستراحة. أما الحدث الآتى بعد ذلك فهو صوت جبار ليبح أنكر من صوت الحمار، وأضعف من رجع الحوار، يشغفه طبل كانه خارج من ماضى أسد، هو صوت المتسول (أبى الفتح الإسكندري).

وفى المقامة الإبليسية" يصف الهمذاني على لسان عيسى بن هشام المكان الذى التقى به مع الشيخ المنتحل للشعر وصفا لاعلاقة له بالحدث أو بالشخصية، وإنما هو وصف جمالى لذاته أراد به التعبير عن إحساسه بجمال المكان ورومانسيته، يقول: "تحللت بواد أخضر فإذا أنهار مصردة، وأشجار ياسقة، وأنمار يابغة، وأزهار منورة وانماط مبسوطة". وهذا النوع من الوصف يشعر برويا نائم أكثر من إشعاره بمكان على أرض الواقع. ولعل ظهور إبليس فى هذه المقامة لم يكن يستدعى هذا الوصف الذى لا يصلح تمهيدا لظهور هذه الشخصية الغريبة الملهبة للخيال المثيرة للتوقعات غير الممكنة وإذا جاز لنا أن نستخدم اصطلاحات النقد الحديث فإن هذا الوصف الخيالى (الرومانسى) لم يكن النغمة المناسبة لظهور إبليس ولعل الوصف (السريالى) المهوش المغرب فى تفاصيله وتناقضاته كان هو الأنسب لإعداد مسرح الحدث لظهور الشخصية الغريبة. بل إن طريقته فى الإنعاز

بوصف السراج في تلك الفقرات التي تبدأ بقوله: "لكني على حوت مصرور. في بعض البحور. مخطف الخصور. بلدغ كالزنبور. ويعتم بالنور" ... إلخ.

هذا الوصف الذي يبدو للوهلة الأولى مستغلقا غير ممكن (إلا على سبيل الإنجاز) كان يناسبه أن يكون وصف المكان الذي جلس فيه الشيخ جاريا على نفس النسق، فإن هذا كان يؤكد الطابع الغرائبي للمقامة ويحافظ على وحدة النسيج الفني فيها، ومن ثم يكون الجو العام "إبليسيا" في كافة مفرداته وتفصيله من البداية إلى النهاية.

وعلى المستوى الثاني بطالعنا وصف المكان مرتبطا بالشخصية من حيث الحالة التي نكون عليها والمقامة "الجوانية" تمثل ذلك خير تمثيل، وإن كان المكان لم يهيا كما طلبه الراوية (عيسى بن هشام) الذي كان عائدا لتوه من الحج فأراد أن يزيل الثقل من رأسه، والوسخ من جسده، فطلب حماما نظيفا وواسعا، معتدل الماء طيب الهواء ليحقق لنفسه الراحة التي ينشدها. ومجرد وصفه للمكان يدعونا إلى الإحساس بحالته النفسية التي تطلبت هذا المستوى من الحمامات. فالوصف متخيل يصدر عن حالة نفسية تستولي على تلك الشخصية. وسيكون المتحقق صورة تناقض المطلوب، ولكن هذا التناقض لن يكون هو الذي اثبتق عنه الحدث، فقد تحقق لعيسى بن هشام ماطلب من شروط ولكن الحادثة الطريفة تستجد بمعزل عن هذا الوصف لأنها تنبع من سلوك الخدم في الحمام (الحجامين).

أما في المقامة "الجاحظية" فنراه يصف دار دعى فيها إلى وليمة، وصفا لا يرتبط بالحدث بقدر ما هو وسيلة للولوج إليه، فنراه ينتقل من وصف الدار إلى وصف ما فيها من فرش وهيئة واستعداد واضح لهذه الوليمة، ثم الخوان وما عليه من أصناف والأوان وزينات... إلخ. فكان الراوية يأخذنا عبر عين سحرية وينقل من

مشهد إلى مشهد ليحبر بعد ذلك إلى الموضوع الأساسى وهو الحدث الذى لا يتعلق بالوصف المكائى ولا يتصل به، غير أن هذا الوصف يتكرج فنيا بطريقة تأتفها الآن من حركة "الكاميرا" فى الأعمال الدرامية أو التسجيلية حيث يبدأ المشهد "لقطة" عامة من بعيد تعقبها "لقطة" مقربة لجزء معين أو لشيء محدد ثم ندخل إلى ذلك المكان لنراه من الداخل بمفرداته فى حالة تجاور وتقابل تناسب حركة العين فى المكان من زاوية الداخل إليه. إن هذا يعرف الآن بفن السيناريو كما يطلق عليه أهل الفن فى زماننا، لكن الهمدانى بفطرته الصحيحة وتعمقه فى حركة الإنسان وتطور طريقته فى إدراك الأشياء قد اهتدى إلى شيء من ذلك. وإن كانت وميلته إلى التصوير هى الكلمة وليس الكاميرا، فإذا تأملنا ترادف الصفات وتقاليفها فى مدخل هذه المقامة "الجاحظية" سنجد أنه يبدأ بوصف الدار إجمالاً أو فى عمومها ثم يدخل بنا إلى الدار ليوجه كاميرا الكلمات إلى المجلس العام بادنا بالبساط ثم النمارق والخوان، وينتقل عن المكان إلى شاغليه فنراه فى "لقطة" مقربة وهم يتحدثون ويتجادلون ويقصصون بين ورد وذن وعود، ثم يختلط الداخل بالمقيم فى "لقطة" جماعية من بعيد لنرى الجميع مقبلين على الطعام. وينفس التسلسل السابق من العام إلى الخاص إلى الأخص يتابع حالة هؤلاء الأكليين، فيتخير من بينهم لقطات مقربة فمن حالك بإزالة ناصع، ومن كان تلقاه نافع (المكان العام) أما البشر فمنهم رجل تسافر يده على الخوان وتسفر بين الألوان... إلخ. وينبغى أن نلاحظ هنا أن هذه المقامة المسماة بالجاحظية (نسبة إلى الجاحظ) بدأيتها إشادة بهذا الأديب المتميز، وخلصتها أن الاقتداء به أو الاقتفاء به دون غيره لا يصح، فلكل زمان أسلوبه كما أن لكل عصر جاحظه!! فمن طريف ما يلاحظ على هذه المقامة أنها اقتبست عن الجاحظ طريقته فى وصف الشخصيات وتصوير المواقف النادرة والمشاهد الطريفة،

ومن يراجع كتاب البخلاء لن تخطيء عينه أن تجد هذا المشهد ذاته لإنسان نهم يتعامل مع طعام الآخرين بصراوة لاترحم البخيل ولاترأف بأعصاب الرقيب^(٥٩) فكان الهمذاني عادل بين الرأيين، بل عليه انتصف للجاحظ وانتصر لأسلوبه حين جعل جوهر المقامة قائما على الطريقة الجاحظية مطبقا لمنهجه في تشكيل الحكاية وصياغة النادرة كما نجدها في كتاب البخلاء بصفة خاصة.

ومما ينبغي ملاحظته في وصف بعض الأماكن - على هذا المستوى الثاني في الوصف - نجد الهمذاني يبدأ بتقديم أوصاف موجزة للمكان، وهي في إيجازها تكفي للإحاطة بعلامحه الأساسية، ثم يستدرجنا في عبارات خاطفة إلى وصف الأشخاص الذين يشغلون المكان بحيث تبدو تلك الأوصاف وكأنها استمرار لوصف المكان ذاته، في حين أننا نكون قد دخلنا في مرحلة جديدة هي مرحلة التعريف بالظنصر البشري (النموذج الإنساني) باعتباره جوهر المقامة ومناخ المعنى فيها، وبهذا التحوير يتغلب الهمذاني على احتمال الوقوع في التكرار لتقارب أوصاف الأماكن. وفي نفس الوقت يكون قد شغل فضاء المقامة بمادة حية لأنها تتعلق بالإنسان، وأكثر حيوية لأنها تتفاعل مع أفكار القارئ عن الشخصية الإنسانية ومن ثم يمهّد للحدث تمهيدا تدرجيا طبيعيا. وكل ما يؤخذ على هذا المستوى من الوصف أن "المكان" ستكون صورته نابعه من إدراك الشخصية له ولكن هذا الإدراك لن يكون عاملا فعالا في صناعة الحدث أو توجيهه وهذا فرق ما بين المستوى الثاني والمستوى الثالث الذي عرضنا له في بداية الموضوع.

هذه أهم عناصر البناء الفني في المقامة: الشخصية ومستويات حضورها، وألوان صورها، والزمان وكيف حاول الهمذاني أن يتغلب على صيغة الماضي المقروضة على تقاليد القص العربي عبر الراوية، والمكان ما بين الموضع والموضع،

ومدى مناسبته للشخصية والحدث، ونرى أن نتوقف عند إحدى المقامات لنفرسها
من كالة جوانبها، نتكامل لدينا المعرفة بعناصر التكوين وجماليات الأداء.

المقامة الخمرية:

ونؤثر هذه المقامة بدراسة خاصة على نحو من التفصيل لأسباب تميزها في ذاتها وفي سياقها أو علاقتها بما قبلها من مقامات، ولأنها تعضد رأينا وتبرهن على بعض مائدتنا في الصفحات السابقة من إشارات فنية تتصل بالشخصية وبالحدث بصفة خاصة، وأول مايلفتنا في هذه المقامة تعدد المواقف أو لحظات التوير "التي تصلح ختاماً للمقامة وغاية للحدث فيها مما قد يعنى أننا - في الحقيقة - إزاء مقامة مركبة، وكأنها محاولة تطوير لشكل المقامة الذي عهدناه في البداية ويتضح هذا حين نتعرف على "الحكاية" في داخل المقامة إذ نصادف جماعة من أصدقاء الأس والبهجة في ليلة نشوة ينتهى مألديهم من شراب فيقررون الارتحال إلى "الحان" آخر الليل غير أن نداء الفجر يستولفهم فيتجهون إلى المسجد لأداء الصلاة، ويتخذون موقفهم خلف الإمام الذي يؤدي صلاته ببطء ملحوظ (على الأقل من زاوية إتراك السكارى من خلفه) وتنتهى الصلاة بأن يكون الإمام قد فطن لسكرهم بسبب رائحة الخمر المنبعثة منهم، فيشهر بهم مما يؤدي إلى أن تنهال عليهم المصلون ضرباً وصفعاً وتمزيقاً، فيفادرون المسجد بأسوأ حال. ثم تبدأ مرحلة أخرى في المقامة بأن يسأل هؤلاء السكارى بعض الصبية عن إمام القرية. فيوصف بصفات التقى الورع وتكون المفاجأة أنه أبو الفتح الإسكندرى، مما يشير استغراب الجماعة، ولكن لاغرابة في إمكان التوبة والنسك، غير أن الحكاية تمتد لتختتم بلقاء مباشر - وجها لوجه - بين الجماعة وعلى رأسها رواية الحكاية عيسى بن هشام وبين الإسكندرى. فما كان الليل يقبل حتى تذهب الجماعة إلى إحدى الحانات للشرب والسماع والترفيه، وهناك تتعرف على مطرب شيخ حسن الصوت وتكون المفاجأة الختامية أنه هو نفسه أبو الفتح الإسكندرى الذي يستكر عن سلوكه هذا بما

اعتذر به في سائر مقاماته من ضرورة اصطناع الحيلة للتغلب على عثرات الزمان القاسد.

ونطرح هذه المقامة من زاويتين متميزتين: الأولى ما نراه على أنها انطوت على خلاصات وعناصر الشخصيات والأحداث والحيل التي سبقت بها المقامات المتقدمة عليها في الترتيب، وكأنها الخميرة أو البذرة التي انطوت على "سر الصنعة" أو أسرار التركيب الفني، والثانية تحليل عناصر البناء الفني وكيف تحقق لها قدر من التكامل وجمال التركيب بدرجة تجعل منها عملاً فنياً عصرياً يقوم على أسس جمالية فلسفية.

وبالنسبة للقضية الأولى، وهي أنها انطوت على خلاصات وعناصر الشخصيات والأحداث والحيل الموزعة في مقامات أخرى عديدة سابقة، سنلاحظ أولاً أنها من رواية عيسى بن هشام الذي قدم جميع المقامات. وفي هذه المقامة المتأخرة يروي حدثاً عن الماضي فيخبر أنه "شاب" مما يعني أنه ليس كذلك الآن، ولهذا يطمح له التوازي والتلازم الزمني مع شخص الإسكندري الذي سيظهر في نهاية المقامة في صورة شيخ يحترف الغناء، تقول مقدمة المقامة: حدثنا عيسى بن هشام قل "اتفق لي في عنفوان الشبيبة خلقٌ مسجيج وراي صحيح" فالصياغة تدل على أنه يحكى عن ماضيه وليس عن حاضره فالتقدم في العمر يتلامح ومائل إليه أبو الفتح دون نص على التحديد، لكنه مفهوم من صيغة الماضي "اتفق" والإشارة إلى عنفوان الشبيبة على أنه مما كان من صفاته.

وقد تكررت صيغة الحكاية عن الماضي في مدخل أكثر من مقامة، بل قد تكون طريقة ثابتة في سائر المقامات فهو يبدأ المقامة "الكوفية" بقوله: "كنت وأنا فتى من أشد رحلى لكل عماية وأركض طرفي إلى كل غواية". وفي المقامة "البصرية"

يقول: دخلت البصرة وأنا من منى فى فتاء ومن الزى فى حبر ووشاء ومن الغنى فى بقر وشاء^(٦٠) ولعل هذا الجانب يحتاج إلى مبحث خاص عن الزمن فى مقامات بدیع الهمداني. وإمكان إعادة ترتيب المقامات على مراحل العمر أو على الأقل من زاوية مايرويه حاضرا ومايرويه عن ماضيه.

والى هذا الجانب المختص بطريقة الدخول إلى الحدث سنجد جماعة السكارى وقد اصطفوا وراء الإمام وقد استولى عليهم السكر، فأحسوا بتقل الصلاة وطولها، وهذا الجانب قد تكرر من زاوية أخرى فى المقامة "الأصفهانية" وكان عيسى بن هشام على وشك الرحيل ضمن قافلته أدركته الصلاة فمأش لحظة حيرة بين فوت الجماعة وفوت القافلة، فأثر الدخول لأداء الصلاة، لكنه لتوتر حالته كان شديد الإحساس بطول الصلاة^(٦١). وقد وصف عيسى بن هشام هذا المشهد من زاوية إحساسه بطريقة دقيقة جدا فى الإحياء بالملل والإحساس بالبطء والضيق بالانتظار وتوقع الخسارة من حيث أراد الأجر^(٦٢). وتكرر صورة الإمام البطيئ إلى درجة الإملال فى المقامة "الموصلية"^(٦٣). لكنه هذه المرة أمام محتال لاضير أم يكون أبا الفتح نفسه، وأن إمامته مجرد حيلة للفوز بغنيمة حتى لا يجد حرجا فى أن يترك المصلين سجودا ويهرب. وإذا دل هذا على ضيق بعض الناس بالوعاظ أو أن الوعظ قد تحول إلى مهنة فى ذلك العصر وكل مهنة عرضة للتحريف، فإن ما يعيننا هنا "اللازمة" المتكررة فى مشهد الصلاة البطيئة وضيق بعض المصلين ومللهم لدوافع داخلية خاصة بهم.

وفى هذه المقامة الخمرية يعبر عيسى بن هشام عن أبى الفتح الإسكندري حين يكشف أمره بصيغة: "إسكندرينا أبو الفتح" بكل ما تحمل العبارة من ود وإحساس بالقرب ووحدة العنيت مما أشرنا إليه فى فقرة الوجه والتنازع. ثم يذكر

عيسى بن هشام أبا الفتح بأبيات سمعها منه قديماً، اعترف فيها بتكرره وتقله بين
المهين ورضائه عن ملوكه، مع إضمار التوبة فيما لو طال به العمر هذه الأبيات
المدحاة هي:

كان لي فيما مضى	عقل ودين واستقامه
ثم قد بعنا بحمد	الله ففاتها بحجامة
ولئن عشنا فكبلا	فاسأل الله السلامه

والأبيات بمعناها قد تكررت على لسان أبي الفتح مراراً، لأنها تعبر عن
جوهر شخصيته، أما الإشارة إلى مهنة الحجامة وأنها كانت المهنة الأولى لأبي
الفتح التي تحول عنها إلى الكنية تحت ألقاب لمهين أخرى فإننا نجد النص عليها في
عدة مقامات مثل "الطوانية" التي يظهر فيها أبو الفتح ممتهناً الحجامة صراحة وليس
تخفياً، ويتمتع بالطرافة وخفة الظل ونعرف من حديث الشخصية عن نفسها أنه
يجمع حدة الذكاء إلى الهلوسة والتخليط^(٦٤). وفي المقامة "الأرمينية" يدعى أبو
الفتح أنه حجام ليحصل على بعض الألم بعد أن وضع إصبعه فيه فتقرز منه
صاحبه بعد أن أعلن أبو الفتح إدعاءه الحجامة^(٦٥).

وتتأمل عناصر البناء الفني في هذه المقامة فتجد الهمزاني قد استخدم
"المانور" من الحبل والوسائل التي يبت بها التشويق ويحدد من خلالها الشكل
والهدف: فالمقامة مروية عن عيسى بن هشام وهو مشارك في صناعة الحدث وليس
مجرد راوية له، بل نستطيع أن نلمح قدراً من التوازن في الوجود وفي التأثير
وكانها مناصفة نقيطة بين ابن هشام والإسكندري وقد دل تلخيصنا السابق للحكاية
على أنها تبدأ بفعل يصنعه عيسى وقد وصل بهذا الفعل إلى غايته حين أدى به
السكر والظهور في المسجد إبان صلاة الجماعة إلى عقوبته مع أصحابه وطردهم،

وإذا يكتمل هذا الحدث ويصل إلى غايته ينتقل عيسى من موضع الفاعل المؤثر إلى الراوية المراقب المتلقى لحدث يصنعه غيره، أما هذا التغير فكان الإسكندري نفسه الذى تولى صنع الحدث التالى، ونحن نطلق عليه هذه الصفة من قبيل التوسع والتسهيل، وليس فى النصف الثانى من المقامة أحداث وإنما فيها حيلة أو شخصية متخفية تتكشف عن واقع مناقض، وبذلك تختم المقامة وتكتسب مغزاها النهائى.

أما عناصر التشويق الموزعة بين المرحلتين فإنها تدور فى الصيغ المألوفة من المفاجأة والتكرار والمغامرة والتعرض للعقوبة ... إلخ، على أن البناء هنا يتسم بصفة أساسية نجعلها فى أنه قام على نوع من الثنائية والتقابل بين الأضداد، وقد لاحظنا أن الحكاية الممتدة قد قسمت مناصفة بين الراوية والبطل، قام كل منهما بأداء دوره فى حين كان يقوم الآخر بالدور المساند. ولكن ما نقصده بالثنائية أو التوازى بين النقيضين يتجاوز هذه القسمة فى الإطار الفنى إلى توزيع الصفات وتصوير الشخصيات واستخدام اللغة. فمن ناحية تصوير الشخصيات سنجد أن شخصية عيسى بن هشام توصف بصفات متقابلة متضادة تجعل منها شخصية ذات ظاهر وباطن أو كأنها مصابة بالانقسام على نفسها^(٦٦). فهي تمارس الحياة على مستويين متباعدين وتحرك بين فريقين من الأصدقاء متباينين بالطبيعة. فقد كان لديه إخوان للمقة وآخرون للنفقة، أى أن لدينا فريقا للمحبة الصافية وفريقا للأفس والقصف. ويقابل هذا سلوكا أنه كان يرتع ويلعب وأيضا يتعبد ويؤدى الفروض، وكما سبقنا الإشارة فإن الواقعة قد حدثت حين خلط بين الشخصيتين المتباعتين. هذه الازدواجية بين الجد والهزل، بين نوعى الأصدقاء قد تحققت لدى أبى الفتح الإسكندري بطريقة أخرى فقد كان إمام مسجد القرية ولكننا بعد حين نجده يعمل مغنيا فى إحدى الحانات. فهذا التقابل أو التضاد بين إمام المسجد ومطرب الحانة

يوازى التضاد الآخر السابق فى شخصية عيسى بن هشام بين فريقين من الأصدقاء
 أو سلوكين فى الليل والنهار. وإذا كان عيسى بن هشام قد وقع فى المأزق حين خلط
 أوراق الصلاح بأوراق الفساد فإن الإسكندرى - ذا الأعصاب الثابتة والتمرس
 بالحيلة والمكابرة - لم يطرف به جنن حين كشف عيسى بن هشام حيلته وتخفيه، بل
 راح يدافع عن سلوكه ويفاخر باحتياله: "أى ذكاك ترانى" (٦٧). ويقول:

أنا من كل غبار أنا من كل مكان
 ساعة ألزم محرا يا، وأخرى بيت خان
 وكذا بفعل من يعقل فى هذا الزمان

وهكذا يتخلص الإسكندرى من قلق الشعور بالذنب - إن كان لديه مثل هذا الشعور -
 بالاعتراف به وتسويغه والدفاع عنه.

وهكذا تتوازى وتتوازن الثنائية الأخلاقية عند عيسى بن هشام بالثنائية
 الوظيفية عند الإسكندرى لتتقم نمطا فريدا من البناء الفنى فى مقامات الهمدانى، وقد
 قامت الصفات الجزئية بهذا الدور الثنائى نفسه حين عبرت عن صفات متضادة
 حينئذ، وحين جاء الجواب مخالفا لمطلب السؤال حينئذ آخر، فنجد عددا من الصفات
 المتضادة أو المتقابلة مثل:

جـ	_____	هـ
العتقة	_____	النفقة
النهار - الناس	_____	الليل - الكاس
وراء	_____	أمام
حشرج	_____	تباشر وتناشر
قتلت	_____	أحييت

فتاة كالبرق ————— عجوز الملق
 كالهـب ————— كبرد النسيم

فهذا ليس من قبيل اللعب اللغوى بقدر ما هو تأكيد لتلك الثنائية التى نلمحها فى الصفات بعامة وفى طبائع الأشخاص.

وحين يذهب عيسى بن هشام إلى الحان ويسأل عن مطرب التنادى تخبره فتاة الحان عن وجود مطرب شيخ طريف الطبع طريف المجون^(٦٨). ثم تروى عن بدء علاقتها بهذا المطرب الشيخ وكيف تعرفت به فتذكر من صفاته ما لا ينفد من صناعته، بل لعله أن يعاكس ويضاد المطلوب حين تصف كيف امتدت الثقة بينهما بقولها: "وذكر لى وفور عرضه وشرف ثومه فى أرضه ما عطف به ودى وحظى به عندى". فليس وفور العرض وشرف الأرومة مما يتفاخر به المطربون أو يدخل فى سر صناعتهم وتقولهم فيها. وهذا ضرب من الثنائية طريف ودقيق، وكذلك تقوم الأوصاف بدورها المؤكدة لطبيعة التجربة، فليل السكارى أخضر وموج البحر فى عيونهم مختلف، هذا الوصف ينبع من شعور المخمور أن الظلام يتحرك ويتصاعد فى طبقات كالأمواج، كما أن الوصف بالاعتلال له ظلاله الجنسية التى تدل على اضطراب الباطن وانتهاء شئ ما مجهول^(٦٩). ثم نلاحظ أخيرا كيف ربط الهمدانى أول هذه المقامة بنهايتها ربطا فنيا جيدا يعطى إحساسا بالرمز، فقد بدأت المقامة بليلة سكر وانتهت بجلسة سكر فى حضرة مطرب يتلون بكل الألوان، وقد يعنى هذا أن كل ما جرى لم يكن إلا أحداثا تجرى فى خيال سكير، وبخاصة أن الهمدانى فى طريقة دخوله إلى الحدث لم يحدد الواقع بالطريقة الصلبة التى تجعلنا نتقبل التجربة وكأنه لا محيد عنها فهذه الثنائية فى المدخل وتقسيم حياة عيسى بن هشام بين الجد والهزل والصحو والسكر، وأصدقاء المحبة، وأصدقاء الأس تجعلنا لانطمئن تماما

إلى دقته فى رواية مايجرى عليه لأنه يرويه من زاوية المشاركة فيه، وهو من نعرف إيماناً، وعبثاً فى تلك الليلة التى يختارها ليروى حكايتها، يذكر أنه مع رفائله تعاطوا نجوم الأكداح حتى نفذ مامعهم، فترأى لهم أن يستكملوا سكرهم بما أخروا من الدنان، فشرّبوا حتى أتوا عليها. فسول بهم شطط السكر أن يستكملوا متعتهم عند الخمار وكأنا لم يكنهم ماشربوا، وفى الطريق ثوب "منادى الصبح" وهكذا يظهر الوجه الآخر للشخصية فى مؤلف لا يحتمل الوجهين ولا يقبل التعامل بينهما، وهكذا دخل السكارى لاصطفوا وراء الإمام كما يزعم عيسى بن هشام قيام البررة للكرام بوقار ومكينة وحركات موزونة" ونحن نعرف أن هذا ممكن بالنسبة لمن كان فى حالتهم لكن الهمدانى لا يجد حرجاً فى تقديم هذه الأوصاف فى غير موقعها وسياقها استجلاباً للفكاهة من جانب وإيماء إلى كل ما يروونه مكبر عن نفسه هو محض خيال وأوهام.

فى هذه المقامة بصفة خاصة تتأكد العلاقة العضوية المباشرة بين الوجه والتعاقب بل تكاد المسافة تختفى بينهما، فإذا لم يكونا قد التقيا لصلح حدث واحد أو حادثة واحدة فإيهما معا يصدران عن هذه ازدواجية التى أشرنا إليها من قبل. وهذه ليست ازدواجية السلوك والأخلاق وإنما ازدواجية التكوين فى صميم الشخصية. هذه رؤية نقدية للمقامة "الخمرية" التى نرى أنها تتطوى على أكمل أشكال المقامة، وأنها استجمعت أهم خصائص هذا الفن عند بدیع الزمان الهمدانى.

٥- نشر معهد الدراسات العربية العالية بالقاهرة (جامعة الدول العربية) عام ١٩٦٤م.

٦- كليوباترا ملكة بطلمية حكمت مصر في القرن الأول ق.م وانتهت حياتها بمأساة وكانت ملهمة لكثير من المسرحيات والرويات في آداب مختلفة. أما هيباتيا التي يصفها الدكتور محمد غنيمي هلال بأنها أول فيلسوفة مصرية وقد عاشت في أوائل القرن الرابع الميلادي بالاسكندرية وكتبت عنها مسرحيات ودراسات مختلفة. راجع ما كتب بشأن هاتين الشخصيتين في كتاب دراسات أدبية مقارنة، د. محمد غنيمي هلال - دار نهضة مصر - عام ١٩٨٥. أما فيما يتعلق بشخصية شهر زاد، وليس بن الملوح فلنظر ما كتب عنهما في كتاب النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة، للدكتور محمد غنيمي هلال - معهد الدراسات العربية العالية (جامعة الدول العربية) ١٩٦٤ - وفيما يتعلق بشخصية ليس وموقف شعراء الفرس منها وتطويرهم لها بحيث تحول ليس من محب عفرى إلى عاشق صوفى فاستقر بها نموذجاً إنسانياً، انظر لغنيمي هلال "اللى والمجنون" ترجمة لنص الشاعر الصوفى الفارسى عبد الرحمن الجامى الذى ولد عام ٨١٧هـ - ١٤١٤م - دار نهضة مصر للطبع والنشر.

٧- محمد غنيمي هلال - النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة معهد الدراسات العربية العالية - جامعة الدول العربية - ١٩٦٤ - ص ٧.

- ٨ - المصدر السابق ص ٨.
- ٩ - المصدر السابق - ص ٢٤. وراجع أيضا الثعالبي (أبو منصور عبد الملك النيسابوري) يتيمة الدهر ج ٣ - ص ٣٢١، ٣٢٢ - القاهرة - ١٢٥٣ هـ، ١٩٤٣ م. وليست شخصية أبي دلف الأولى بين الشعراء الذين دافعوا عن منهجهم في الحياة القاتم على التمول والحيلة ومخادعة الناس، فقد كتب ابن المعتز في دراسته عن طبقات الشعراء المحدثين فصولا عن النوكي والحمقى من الشعراء، انظر ابن المعتز - ص ٢٤٨، ص ٣٨٢، ٣٤٠ وما بعدها - وهو مسبق أيضا بإشارات من الجاحظ إلى شعراء من نفس الصفة، انظر البيان والتبيين - ج ٢ - ص ٣٤٤، ٣٦٤ - ج ٤ ص ١٠٦، ١ - فأبو دلف كشخصية أو نمط سلوكي مسبق بأشباه كثيرين ولكن الأهم أن هذه الشخصية كانت معاصرة لفنان مبدع لم يضيع فرصته في استخدام النموذج وتطويره وبهذا تحول من شخصية واقعية محددة إلى نموذج إنساني عام يجسد محنة الضائعين في عصور الأزمات عبر التاريخ.

١٠ - النماذج الإنسانية في الدراسات الأدبية المقارنة - ص ٢٨.

١١ - المصدر السابق ص ٢٦.

١٢ - المصدر السابق ص ٢٧.

١٣ - ا.م فورستر - انظر كتاب E.M. Forster, Aspects of Novel P. 82,83 & 55, 45 وفى هذه الصفحات يعرض للشخصية الجاهزة والشخصية النامية وعلاقتها بالحبكة وإمتداد الشخصية فى الزمن.

١٤ - ألكن روب جرييه "تحو رواية جديدة" دراسات فى الآداب الأجنبية - ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى وتقديم الدكتور لويس عوض - دار المعارف - ص ١١. ويشير الدكتور لويس عوض فى مقدمته لترجمة كتاب "جرييه" ملخصا خصائص مدرسة الرواية الجديدة وهو يعتبر أحد دعائمها بأنها ثورة على المدرسة النفسية فى القصة وثورة على المدرسة التقليدية أيضا، ويقول بعبارة أكثر تحديدا "وربما كان المقياس هنا (فى الرواية الجديدة) ليس فعل الإنسان فى الشئ وإنما انفعاله به... وأتباع مدرسة الرواية الجديدة يحطمون الزمان أيضا كمقياس لمنغزى الحياة ويحلون المكان محل الزمان لأن وجود الأشياء فى المكان أوضح وأرسخ من وجودها فى الزمان.

١٥ - شرح مقامات بديع الزمان الهمذاني - تح/محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - المقامة الحمدانية ٢٩ - ص ٢٠٧.

١٦ - المقامة المجاعية ٢٥ - ص ١٦٢.

- ١٧ - المقامة الحلوانية ٢٢ - ص ٢٣٦، ٢٣٧.
- ١٨ - المقامة الحرزية ٢٣ - ص ١٤٦.
- ١٩ - المقامة الجرجانية ٩ - ص ٥٦.
- ٢٠ - المقامة البلخية ٣ - ص ٢١.
- ٢١ - المقامة الشيرازية ٣٢ - ص ٢٧، ٢٢٨.
- ٢٢ - المقامة الخلفية ٣٨ - ص ٢٩٨.
- ٢٣ - الجاحظ - البيان والتبيين - نج/ عبد السلام هارون - ص ٨٩، ٩٠ ذكر هذا منسوباً إلى سهل بن هارون ونص عبارته: "لو أن رجلين خطبا أو تحدثا أو احتجا أو وصفا، وكان أحدهما جميلا جليلا بهيما ولباسا نبيلًا وذا حسب شريفًا، وكان الآخر قليلا قمينا وباذ الهيئة دميما وخامل النكر مجهولا ثم كان كلاهما في مقدار واحد من البلاغة وفي وزن واحد من الصواب لتصدع عنهما الجمع وعامتهم تقضى للقليل النميم على النبيل الجسيم. وللباذ الهيئة على ذي الهيئة، ويشغلهم التعجب منه على مساواة صاحبه به ولصار التعجب منه سببا للعجب به ولصار الإكثار في شأنه علة للإكثار في مدحه لأن النفوس كانت أحقر ومن بيانه أيأس ومن حسده

أبعد فإذا هجموا منه على ما لم يكونوا يحتسبونه وظهر منه خلاف ماقدروه
تضاعف حسن كلامه في صدورهم وكبر في عيونهم لأن الشيء من غير
معناه أغرب وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم وكلما كان أبعد في
الوهم كان أطرف وكلما كان أطرف كان أعجب. وكلما كان أعجب كان
أبعد'. والجاحظ في هذا الاقتباس الذي نقله عن سهل بن هارون يضع أمام
أعيننا إحدى وسائل التأثير الدرامي بصفة عامة من حيث تقوم الدراما على
التناقض والكوميديا بصفة خاصة التي من أهم وسائلها مفاجأة المشاهد
بعكس ما يتولعه من الشخصية كلاما وسلوكا.

٢٤ - هو الأديب الروائي جمال الغيطاني (الصحفي بدار أخبار اليوم بالقاهرة)
صاحب رواية الزينى بركات المشهورة وما بعدها من أعمال مثل وقائع
حارة الزعفراني، رسالة في الصباية والوجد - البصائر في المصائر - شطح
العذبة وغيرها. ويذل أسلوبه في الزينى بركات بخاصة، وتسميته رواياته
المأخرة، على اهتمام بالجانب التراثي. ولعله من هذا المنطلق حتى
بإخراج مقامات بدیع الزمان الهمداني - انظر طبعة مؤسسة أخبار اليوم
١٩٨٨ - وقدم لها بما تضمنه الرأي الذي نعرضه الآن.

٢٥ - انظر مقامات أبي الفضل بدیع الزمان الهمداني وشرحها للعلاقة الفاضل
الشيخ محمد عبده - تقديم جمال الغيطاني - طبعة مؤسسة أخبار اليوم -
المقدمة ص ز - ١٩٨٨.

٢٦ - انظر - عبد المحسن طه بدر تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٩٨٢: ١٨٧٠ دار المعارف - الطبعة الثالثة - مكتبة الدراسات الأدبية - ١٩٧٦.

٢٧ - المرجع السابق - وبعض مما أشار إليه جمال الغيطاني مفاد من ثقافة الخاصة فقد درس في المدارس الصناعية وتخصص في نقش السجاد وقد انعكس هذا الإدراك الجمالي للنقشات المتصلة المنفصلة على تشكيل رواياته وبخاصة روايته الأولى "الزيتى بركات".

٢٨ - نقصد بالرواية هنا ما ترجمت إليه كلمة "Novel" التي تعني: السرد النثري الممتد الذي يصف سلسلة من الأحداث تتجه إلى تصوير المجتمع بعناصره الخارجية والاهتمام بالشخصية الإنشائية بحركاتها الخارجية وعالمها الداخلي في آن واحد، وهذا هو القدر المشترك في تعريف الرواية التي تنقسم إلى فنون ومستويات كالرواية الخيالية والرواية التاريخية ورواية المغامرات وهذا يباعد بيننا وبين ما أردناه بهذه الإشارة إلى مصطلح الرواية التي تعتبر النزعة الواقعية والنضية الاجتماعية والشخصية الإنسانية أهم ركائزه - انظر تعريف Novel في معجم مصطلحات الأدب للدكتور مجدى وهبه.

٢٩ - أسطورة الصندوق - انظر ما كتبه الدكتور لويس عوض في كتابه "مصوص النقد الأدبي" - اليونان - دار المعارف ١٩٦٥ - في ترجمته لأفلاطون

وفيها يحدد خصائص للسفته وفكره النقدي الذي يقوم على أن "الأشكال منفصلة تماما من الأشياء وتمييزة عنها" - أما أسطورة الصندوق فهي تجسيد لهذه الفكرة حيث يتخيل أن الحقائق المطلقة أو ماهية الأشياء توجد في داخل صندوق فيه ثقب وعبر هذا الثقب تتعكس ظلال الأشياء في داخله على حائط أمامنا، لما تتركه الأبصار والحواس عموما هو صورة الأشياء فقط، الصور المتغيرة أو العرضية، أما الماهية أو الحقيقة فتترك بالفكر. - انظر ص ٢٢٧، ٢٢٨ - من المرجع المشار إليه.

٣٠ - نعرف ان من أساليب التقديم القصصي، أن تكتب القصة بضمير المتكلم فيكون راويها هو بطلها المشارك في أحداثها ولكن القصة تكتب أيضا بضمير الغائب وتقدم الأشخاص بأسمائها ونحن نقبل هذه الطريقة في التعرف على الشخصيات والأحداث دون أن نسال الكاتب (المؤلف) كيف عرفت هذا كله وأين أنت منه؟

٣١ - مقامات بديع الزمان الهمذاني - المقامة السجستانيّة ٤ - ٢٦، ٢٧.

٣٢ - مقامات بديع الزمان الهمذاني - المقامة السجستانيّة ٤ - ص ٢٠.

٣٣ - رسالة مخطوطة - الصخرية في أدب الجاحظ - ص ٣٥ وما بعدها.

٣٤ - المقامة الأصنهيّية ١٠ - ص ٦٤، ٦٥.

٣٥ - راجع هذه الصيغ في المقامات، الأزانبة ص ٢٠، السجستانية ص ٣٠، الكوفية ص ٣٤، المكثوفية ص ٩٣، وقد حصرنا فيها جميع صيغ التعبير عن التعريف.

٣٦ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٥.

٣٧ - وهما المقامتان الثانية عشرة، والثالثة والأربعون، وهناك مقامات أخرى يختفى فيها شخص الإسكندري أو ما يشار إليه إجمالاً أو وصفاً وقد يقوم ببطولة المقامة شخص آخر ولكن هذا غير مائقصد من أن يكون الراوية هو نفسه البطل وهذا يتحقق في المقامتين المشار إليهما تحديداً.

٣٨ - انظر مقدمة محمد محيي الدين عبد الحميد، في نسخة دار النشر العلمية - بيروت - لبنان - ١٩٧٩ - ومقدمة الإمام محمد عبده - نسخة دار أخبار اليوم ١٩٨٨ - القاهرة.

٣٩ - المقامة السجستانية ٤ - ص ٣٠:٢٥.

٤٠ - إشارة إلى النحو التحويلي أساس نظرية "شومسكى" الذي رأى أن صيغة الماضى هي الأساس وأن التحول إلى المضارع أو الأمر يحتاج إلى دوافع إضافية بلاغية والدافع هنا هو كسر الإيقاع الزمنى بالخروج من صيغة

الماضى إلى المضارع، وأيضاً تشخيص المشهد من حيث تدل صيغ
المضارع على الحضور.

٤١ - كذلك سنلاحظ أن هذه المقامة مكونة من ثلاث نقلات (وهو أمر نادر في
بناء المقامة عند الهمداني التي يقوم عادة على حدث واحد):

(١) اعتراض الأسد طريق القافلة والتغلب عليه.
(٢) ظهور شاب جميل الهيئة يقدم نفسه رفيقاً طواعية للراوى فيقبله، ثم
يتكشف عن قاطع طريق خطير.

(٣) بلوغ حمص والالتقاء مصادفة بالاسكندري وبذلك تحقق تطلع الراوية
لما كان يصبر إليه. وتختتم المقامة. وتختتم المقامة. وفي المشهد الوسيط
(قاطع الطريق) لجأ الهمداني إلى الحوار وهو حوار مشوق من حيث
يقوم على موضوع غير ممكن الحدوث ولكن لبقاة اللبس والجشع
الغريزي في الإنسان (الراوية) يجعله يصدق دعاوى ومزاعم قاطع
الطريق.

٤٢ - البيتان هما:

تفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضع فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمسال
أما تهكم البقلاني من البيتين فقد جاء في كتابه "إعجاز القرآن" إذ قال:
وقد كان يكتبه أن يذكر في التعريف بعض هذا، وهذا التطويل إذا لم يفد
كان ضرباً من العي...

الباقلاقي أبو بكر محمد بن الطيب "إعجاز القرآن" - دار المعارف - الطبعة الرابعة - ص ١٦٠.

ويقول في مكان آخر: لم يقنع بذكر حد حتى حده بأربعة حدود كأنه يريد بيع المنزل، فيخشي - إن أخل بحد - أن يكون يبعه فاسداً أو شرطه باطلاً وهذا تهكم مابعده تهكم يذكر الأماكن التي نص عليها امرؤ القيس في حين أنها تحمل دلالة خاصة متضمنة في علاقة الشاعر بهذه الأماكن.

٤٣ - تعرض الجاحظ في كتابه "البخلاء" - في بعض المواضع - إلى طبيعة البخل المتأصلة في نفوس البخلاء التي لا يشك في أنها طبيعة المدينة أو البلد التي يعيشون فيها قد لشربت في نفوسهم جميعاً كباراً وصغاراً. ومثال على ذلك مدينة "مرو" بخل المراوزة "وخراسان" والخرسانية وأهل البصرة من المسجدين... كما ذكر أصحاب المهن والحرف وعرض لأصناف بخلهم وتقريرهم. الجاحظ - عمرو بن بحر - كتاب البخلاء (بخل المراوزة والخرسانيين) - ص ١٧ : ٢٨ (أهل البصرة من المسجدين) - ص ٢٩ : ٣٤. أما أصحاب المهن فمثالهم (قصة الكندي) ص ٨١ : ٩٣.

٤٤ - المقامة الآزانية ٢ - ص ١٨.

٤٥ - المقامة البلخية ٣٣ - ص ٢١.

- ٤٦ - المقامة المسجستانية ٤ - ص ٢٥.
- ٤٧ - المقامة الإبلسية ٣٥ - ص ٢٥٣.
- ٤٨ - المقامة الحلوانية ٣٣ - ص ٢٢٢.
- ٤٩ - المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٢١.
- ٥٠ - المقامة الخمرية ٤٩ - ص ٤١٥.
- ٥١ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٥.
- ٥٢ - المقامة الأسدية ٦ - ص ٣٦.
- ٥٣ - الحيلة التي احتالها الراوية للخلاص هي : أن قاطع الطريق عندما طلب من الراوية نزع ثيابه بما فيها قال له الراوية - وهو بنوى الاحتيال للخلاص منه : هذا خف لبسته رطباً فليس يمكننى نزعها، فقال (قاطع الطريق) : على خلعه، ثم تنا إلى لينزع الخف، ومددت يدي من منته، فما زاد على قم نغزه، وألقه حجرة. المقامة الأسدية - ص ٤٤.

٥٤ - خرج الإسكندري من دار التاجر البغدادي البخيل مسرعا وجعل يعدو والتاجر يثبته ويصيح: "يا أبا الفتح المضيرة، وظن الصبيان أن المضيرة لقب له فصاحوا صياحه، فرمى أحدهم بحجر من فرط الضجر، فلقى رجل الحجر بمعامته، فغاص في هامته. يقول الإسكندري فأخنت من النعال بما كنم وحدث. ومن الصفع بما طاب وخبث، وحشرت إلى الحبس، فأكلت عامين في ذلك النحس، فنذرت أن لا أكل مضيرة ماعشت، فهل أنا في ذا بالهمذان ظالم". المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٤٢، ١٤٣.

٥٥ - المقامة المضيرية ٢٢ - ص ١٢٣.

٥٦ - وفي كافة الجوانب تتجلى انتهازية التاجر للبخل ودهلوه في الإيقاع بالأغرار والاستيلاء على ممتلكاتهم بأقل الأسعار، دون وازع من خلق أو شهامة وكان الهمداني يمهّد لقارنه أن يتقبل ختام المقامة، حيث نكتشف أن التاجر لم يفكر مطلقاً في الوفاء بما وعد من تقديم الطعام، فلعل هذه المقامة تعبر عن المستوى الأعلى في بناء الشخصية بصفة خاصة، ولعل هذا ما أغرى كاتباً مسرحياً معاصراً هو الأستاذ الفريد فرج أن يعيد تشكيلها في مسرحية من فصل واحد في مجموعة (رسائل قاضي أشبيلية) وهي إحدى هذه الرسائل.

٥٧ - وفي فترة ثانية سنتوقف عند هذه المقامة الخمرية لنكشف عن الجوانب الجيدة في بنائها وبخاصة فيما يتصل بالعلاقة الشخصية بالمكان والحدث.

المقامة الخمرية ص ٢٤ من البحث.

٥٨ - لاحظ ثنائية الوصف للشخصية وما بين هذه الثنائيات من تناقص فإننا سنوقف عند هذه الخاصية التي نعتبرها جوهر التركيب الفني لتلك المقامة.

٥٩ - راجع وصف الجاحظ لصورة البخيل عند لقاء الطعام. في كتاب البخلاء ص ٧٩، ٦٩.

٦٠ - نوضح هنا أننا لم نرد من القول بأن عيسى بن هشام يحكى عن فترة زمنية مضت أنه استخدم صيغة الفعل الماضى (كنت) ، (دخلت) ، (تلقى لى) لأن استخدامه للماضى شائع فى جميع المقامات بدرجة تكاد تجرده من معنى الزمان، وكأنه مجرد طريقة لى المرد الحكاى اما مانعنه من أنه يتحدث عن مرحلة من العصر سابقة فمستخلص من قرائن السياق مثل إشارته إلى "عفوان الشيبية"، كنت فى سننى فى فتاه"، وكنت وأنا فى العن".

٦١ - المقامة الأصفهانية ١٠ - ص ٦١.

٦٢ - انظر عبارته تفصيلا فى المقامة الأصفهانية ص ٦٢.

٦٣ - المقامة الموصلية ٢١ - ص ١١٩.

٦٤ - من وصفه لهذا الحجام قوله "جأني برجل لطيف البنية، مليح الحيلة، في صورة النمية".

٦٥ - المقامة الأرمينية ٣٦ ص ٢٨٣.

٦٦ - لا تريد من هذه الإشارة ما يقصده علم النفس التحليلي بمرض "الشيزوفرينيا" أو النقصان، حيث يعيش الشخص حياتين منفصلتين وكأنه شخصيتان لا يعلم أحدهما بما يفعل الآخر. إن مانعني هنا أن عيسى بن هشام يعيش لمطين من الحياة متباعدين جدا أو متناقضين لكنه على وعى تمام بما يفعل ويترك هذا الانقسام ويرتب حياته عليه. وحين حدث الخلط بين القسمين بأن ذهب إلى الصلاة سكران فكانت الواقعة.

٦٧ - كما يقول شارح المقامات "الدكاك" أصله الهدام وأراد منه المحتال لأنه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الأمانة صرحه وتطى الثقة فراها.

٦٨ - المقامة الخمرية ٤٩ - ص ٤٣٣ ، ٤٣٤.

٦٩ - "الغلمه" تجاوز الحد فى الشهوة، وقد جاء فى لسان العرب منسوباً لحديث
تميم والجسامة: "قصادلنا البحر حين اغتلم، أى هاج واضطربت أمواجه،
والاغتلام مجاوزة الحد".

حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز

دكتور

احمد محمود صابون

أستاذ مساعد تاريخ قديم

كلية تربية دمنهور _ جامعة الاسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

يميل بعض الباحثين الى إدراج صلة اليهود بالعرب في الحجاز ، بصفة عامة ، ويثرب (المدينة المنورة) ، بصفة خاصة ، إلى عصور موغلة في القدم (١) . غير أن يهود شبه الجزيرة العربية لم يذكروا إلا مكتوبا يتحدث عن ماضيهم فيها ، وكل ما عثر عليه من ذلك نصوص معدودة وجدت في اليمن ، لا تفصح عن شيء ذي بال عن اليهود واليهودية ، ناهيك عن وجودهم بالحجاز . كذلك لم يذكر أحد من المؤلفين وكتبه بنى إسرائيل شيئا من يهود عصر ما قبل الإسلام في بلاد الحجاز . ومن ثم فليس هناك من تاريخ اليهود في شبه الجزيرة العربية بعامة وبلاد الحجاز بخاصة ، إلا ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الشريف وكتب التفسير والأخبار والسير ، فمادتنا عن تاريخ اليهود في موضوع هذا البحث لا ترتقى الى عهد بعيد عن الإسلام (٢) .

تختلف المصادر العربية في الرقت الذي وصل اليهود فيه الى بلاد الحجاز ، الى درجة يصعب علينا التوفيق بينها .

تذهب بعض الآراء الى أن تاريخ دخول اليهود يثرب حدث في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، حيث تناول بعض الروايات (٣) صلة اليهود يثرب لوجعها الى عوامل دينية وسياسية . فمن العوامل الدينية ما أسنده زين عن أبي المنذر الشرفي قال : سمعت حديث تأسيس المدينة من سليمان بن عبيد الله بن حنظلة العميل ، قال : وسمعت أيضا بعض ذلك من رجل من قريش عن أبي عبيدة بن عبد الله بن عمار بن ياسر ، قال : فجمعت حديثهما لكثرة الاتفاق وقلة الاختلاف ، قال : بلغنا أنه لما حج موسى (٤) ، عليه السلام ، حج معه أناس من بني إسرائيل ، فلما كان في انصرالهم اتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلده نبي يعبدون وصله في التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتدوا طائفة منهم على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع ، ثم نزلت بعض قبائل العرب عليهم ، فكانوا معهم واتخذوا الأموال والأطام والمنازل ،

يتحصنون فيها من عدوهم الى قلوبهم الأوس والخزرج إياها على إثر حادث سيل العرم(٥)، ومن هؤلاء (بنو أييف) ، وهم حي من (بُلَيْ) ، ويقال إنهم بقية من العماليق (٦) ، و (بنو مرید) مزید (مرند) ، حي من (بُلَيْ) ، وبنو معاوية بن الحارث بن بُهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وبنو الخلمي (الجلعاء) حي من اليمن ، فعاثوا مع من كان يشرب وأطرافها من اليهود .

يرى بعض الباحثين أن هذه الرواية تدل على أن اليهود سكرًا يشرب في عهد موسى عليه السلام ، إلا أنها لا تذكر معارك دارت بين اليهود والعماليق قبل دخول يشرب(٧) .

أما رواية السهمودي أسد فيها : ابن زبالة وابن ثبثة عن جابر مرفوعاً: أقبل موسى وهارون ، عليهما السلام ، حاجين لمرأ يشرب ، لخالفاً من يهود ، فخرجا مستحقين ، فزلا أحداً ، ففشي هارون الموت ، فقام موسى فحقر له لحداً ، ثم قال: يا أخي إنك تموت ، فقام هارون فدخل في لحده ، فقبض عليه موسى الرباب(٨) .
 بينما تشير التوراة (٩) إلى أن هارون مات بعد الارتحال من آبار بني يعقانه في موسى على جبل هور(١٠) ، على تخوم أرض آدوم .

يتساءل الأستاذ الدكتور محمد يومي مهران (١١) ، كيف يخاف موسى وهارون عليهما السلام ، من اليهود ، أما كان الأولى أن يقول أصحاب هذه الرواية أن النبيين الكريمين قد خالفا من العماليق ، خاصة وأن أصحاب الرواية نفسها يرون أن الذين كانوا يشرب من يهود من بني فينقاع ، وهم من شعبة موسى وهارون عليهما السلام، وفي الوقت نفسه كان العماليق _ طبقاً للرواية نفسها _ يملأون السهل والجبل، ولهم بنو هف وبنو مطر وبنو الأزرق . ثم كيف علم موسى أن هارون سوف يموت ، وعلم ذلك عند ربي وحده ، ثم كيف يأمر موسى أخاه هارون بدخول القبر قبل أن يموت ، وأخيراً لأن قبر هارون حددته التوراة هناك على جبل هور في أرض التيه . ثم أليست هذه الرواية هي رواية التوراة (١٢) ؛ وإن غُيّر بعض الأخباريين فيها ، بأن جعلوا موت هارون على جبل أحد في يشرب ، بدلا من موته على جبل هور في أرض التيه ، وجعلت رواية التوراة ذلك بوحي من الله لموسى عليه

السلام ، ثم انخرقت عن جادة الصواب بعد ذلك فجعلت الموت إنما كان سببه العصيان (١٣) .

أما عن العامل الجاسي ، فإن بعض الروايات (١٤) تذكر استئصال أمر العماليق الذين انتشروا في الحجاز ، وملكهم اذ ذاك رجل منهم اسمه [الارلم] ، وأنهم قد عتوا عتوا كبيرا ، فلما أظهر الله موسى عليه السلام وطىء الشام وأهلك من بها ، _ يعني من الكنعانيين _ وتعددت إغارات العماليق على بني اسرائيل في الشام مما جعلهم يضجون بالشكوى إلى موسى عليه السلام ، ف قيل انه بعث اليهم بعثا فأهلك من كان بها منهم ، ثم بعث بعثا آخر إلى عماليق الحجاز وأمرهم إن ظفروا بهم أن لا يستبقوا أحدا منهم بلغ الحلم ، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن ملكهم الارلم بن أبي الارلم (١٥) ، فظفروا به على انقتل لواءه ، وقالوا : نستحيه حتى نقدم به على موسى عليه السلام ، فبصر فيه رأيه ، فأقبلوا وهو معهم ، فقبض الله موسى عليه السلام قبل قدومهم ، فلما قربوا وسمع بنو اسرائيل بذلك تلقوهم وسألوهم عن أخبارهم ، فأخبروهم بما فتح الله عليهم ، فقالوا : فما هذا الفتى الذى معكم : فأخبروهم بقصته ، فقالوا : إن هذه معصية منكم لخالقتكم أمر نيككم ، والله لا دخلتم علينا بلادنا أبداً ، فحالفوا بينهم وبين الشام ، فقال ذلك الجيش : ما بلد اذ منحكم بلدكم خير لكم من البلد الذى لحضموه وقتلتم أهلهم فأرجعوا إليه ، وكانت الحجاز اذ ذاك أكثر بلاد الله شجراً وأظهرها ماء .

ويعلق السهوى بن اليهودى قد نزلوا يثرب في زمن موسى ، عليه السلام ، وطالت مدتهم بها في حياته ، حتى وقع منهم ما يقتضى خوله منهم عند مروره (١٦) . أما السهلي فيعقب مستعجلاً أن يكون بنو اسرائيل قد دخلوا يثرب والحجاز في عهد موسى ، عليه السلام (١٧) .

يرى بعض الباحثين أن السهلي عندما استبعد دخول بني اسرائيل الحجاز في زمن موسى ، عليه السلام ، لم يعمد على دليل يقنع ، واكتفى بعد العهد لقط ، وذلك لا يكفي في تأييد الدعوى (١٨) أو رفضها . ويضيف أنه قد ورد في التوراة أن أول من قابل بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر قبيلة العماليق ، والذي يفهم من

هذا أن هذه المعارك الطاحنة ، التي دارت بين العماليق والاسرائيليين لدمية ، وأنها كانت في عهد موسى ، عليه السلام ، فقد كان خروجهم من مصر على يد موسى عليه السلام ، وإذا كان العمالق موجودين في هذا التاريخ ، وإذا كانوا قد دخلوا في معارك مريرة مع بني اسرائيل ، لما الذي يمنع أن يشكوا بنوا اسرائيل من فعل العمالق ؟ وما الذي يمنع أن يكون موسى عليه السلام ، أراد تأديبهم وكفهم عن قومه ، فأرسل اليهم هذا الجيش ليحاربهم ويكفهم ؟ ويؤكد أنه لا مانع إذن أن يكون اخراج العماليق من يثرب حدث في عهد موسى ، عليه السلام ، وأن يكون الاسرائيليون قد استوطنوا يثرب من ذلك الحين (١٩) .

وعلى أية حال ، فإن هذه الرواية توجه اليها سهام الرب من أكثر من جانب ، وليس بالوسع القول بأنها ترمى الى ما فوق مظان الشبهات ، هذا إذا لم يكن هي نفسها شبهة ، وذلك لأسباب كثيرة : (٢٠) منها (أولاً) أن هذا الرأي الذي ذهب الى أن موسى عليه السلام ، قد وطىء الشام وأهلك الكنعانيين ، لا أقول يعارض مع الحقائق التاريخية لحرب ، وإنما يعارض كذلك مع آيات القرآن الكريم _ فهلا عن نصوص التوراة _ ولقرأ هذه الآيات الكريمة من سورة المائدة ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْقَدِيمَةَ الَّتِي كُتِبَ لَكُمْ وَلَا تَوَلَدُوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِن لَّيْهَا قَوْمًا جَارِينَ وَإِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ۝ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخْلَفُونَ أَفَمَوْا عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِمَا أَذْخَلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ۝ قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ لِقَاتِلَا إِنَّا هَا هُنَا نَاعِدُونَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ۝ قَالَ فَإِنَّهَا عَمْرَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (٢١) .

يقرر البعض (٢٢) أن حضارة العلم خمس عشرة سنة ، فإذا ابتدأت أمة لتعلم فإنها تحيي ثمرة العلم بعد خمس عشرة سنة . وأما حضارة الاخلاق فمدتها أربعون سنة ؛

فإذا اخذت الامة تستمك بالاخلاق لإنها لا تحيى الثمرة إلا بعد أربعين سنة ، لذلك أراد الله تعالى أن يبقى بني اسرائيل في البرية أربعين سنة ، حتى يشفى الجيل الذى نشأ في الذل والاستعباد ونشأ جيل ألف الحرية ولم تذله العبودية . وهكذا حال بني اسرائيل ، لأن الجيل الذى ولد في الذل وكبر حتى مرث عليه هلك في البرية ، وجاء الجيل الذى كان صغيراً أيام عبوديتهم في مصر ، والذي نشأ أو ولد في البرية في الحرية والحرية ، فلم يبال بأولئك الناس ودخل عليهم بلادهم مع يوشع بن نون فملكها .

يذكر الطبرى (٢٣) حدثني المتى قال : حدثنا مسلم بن ابراهيم ، عن هارون النحوى، من الزبير بن الحرث ، عن عكرمة في قوله تعالى ﴿لأنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ ، قال التحريم التيه . ويقرر ذلك بعض العلماء حيث يرون أن "التيه" هو الذى حُدد بأربعين سنة ، وليس "التحريم" ، فالتحريم مطلق أبدي ، ومن أجل هذا يوقف في القراءة بـ﴿أربعون سنة يتيهون في الأرض﴾ عند قوله تعالى : ﴿لأنها محرمة عليهم﴾ ، ويتدا بقوله تعالى : لأنها حرمت عليهم تحريماً ابدياً لا تحريماً مقيداً بأربعين سنة ، وذلك أن الرجال الصالحين للحرب ، الذين عصوا أمر موسى ، عليه السلام ، ماتوا في البرية أثناء السنين الأربعين ، ولم يدخل أحد منهم أرض الموعد ، حيث قالوا (اذهب أنت وربك فقاتلا) ، فكانت محرمة عليهم بإطلاق (٢٤) . ويتفق هذا النص القرآني ، مع نصوص التوراة (٢٥) ، ومن ثم يرى بعض العلماء أن جميع بني اسرائيل الذين خرجوا من مصر ، سوف يموتون في البرية ، ولن يروا أرض الميعاد أبداً ، ما عدا يوشع بن نون وكالب بن يفتح (٢٦) ، وفي الاصحاح السادس والعشرين من سفر العدد ، أمر رباني بإحصاء بني اسرائيل من ابن العشرين فما فوق من الذكور ، فبلغوا كما يقول الاصحاح ٦١٧٧٣٠ ، حيث ماتوا في البرية حسب وعيد الرب . ولكن يبدو واضحاً مدى المبالغة في الرقم ، وهي ظاهرة لدى توراة يهود (٢٧) .

يروى ابن كثير أن هناك خلافاً بين علماء السلف في دخول موسى ، عليه السلام، أرض كنعان (فلسطين) ، فذهب فريق ، على رأسهم ابن اسحاق ، إلى أن

موسى ، عليه السلام ، هو الذى خرج بيني اسرائيل من اليه ودخل بهم الارض المقدسة
 وأنه كان معهم يوم فتح مدينة الجبارين (٢٨) وهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب
 وجهود المسلمين ، حيث هناك وجهها آخر للنظر يذهب اصحابه ، وعلى رأسهم ابن
 عباس وقادة السدى وعكرمة ، الى أن موسى وهارون ، عليهما السلام ، توفيا في
 اليه ، وكذا كل من أبى المسير الى أرض كنعان مع موسى ، عليه السلام ، حين أمرهم
 الله تعالى بقتال من فيها من الجبارين (٢٩) . وما يدل على ذلك ما رواه الامام
 البخارى في صحيحه ، حدثنا يحيى بن موسى حدثنا عبدالرزاق أنانا معمر عن ابن
 طاووس عن أبيه عن أبي هريرة قال : أرسل ملك الموت الى موسى ، عليه السلام ،
 فلما جاءه صكه ، لرجع الى ربه عز وجل فقال : أرسلني الى عبد لا يريد الموت ،
 قال : ارجع اليه فقل له يضع يده على من ثور ، فله بما غطت يده كل شعره سنة ،
 قال : أى رب ثم ماذا ، قال : ثم الموت ، قال قالآن ، قال : قال الله أن يديه من
 الارض المقدسة رمية حجر ، قال أبو هريرة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 فلو كنت لم لأريكم قبره ، الى جانب الطريق ، عند الكتيب الاحمر" (٣٠) .

ومن هذا يضح أنه لو دخل الارض المقدسة ما سأل في طلب ذلك ، وأنه لما
 كان مع قومه بالتيه وحانت وفاته ، عليه السلام ، أحب أن يقرب الى الارض التي
 هاجر اليها وحث قومه عليها ولكن حال بينهم وبينها القدر رمية بحجر (٣١) .

جاء في التوراة : "وقال الرب لموسى ، هذه هي الارض التي ألفت لابراهيم
 واسحاق ويعقوب قائلا : لنسلك أعطيها ، قد أريتك إياها بعينك ، ولكنك إلى هناك
 لا تعبر ، فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب" (٣٢) . وهكذا ينصب بعض
 المؤرخين المحدثين إلى أن موسى أمره الله أن يصعد الى جبل "نبو" وينظر الى أرض
 الموعد دون أن يدخلها ، ففعل ومات على الفسجة ، أى الأكمة التي من رمل أحمر ،
 على بعدة ١٤ كيلا الى الشرق من نهر الاردن ، ومات ودفن في أرض مؤاب هناك
 وخفيت معالم قبره (٣٣) .

ومنها (ثانيا) أن القرآن الكريم - والتوراة من قبل - بكلبان ارسال جيش من
 بنى اسرائيل الى الحجاز ، فالتقوم الذين جئوا عن أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتبها

الله لهم، ووصفوا أنفسهم بأنهم "كالجراد في أعين الجبابرة من بني عناق" (٣٤)، سكان
 كنعان. هؤلاء القوم ليسوا هم بالذين يجازون صحراوات بلاد العرب حتى يصلوا إلى
 يثوب، لم يقوموا فيها بمجازرة بشرية تنتهي بالقاء بلد بأسره، إلا ولد الأرقم ملكها.
 أو ليسوا هم أنفسهم الذين حاول الكليم عليه السلام أن يعرضهم على القتال حتى
 يصدعوا بأمر الله ويدخلوا الأرض التي كتبها لهم، إلا أنهم كانوا مع كثرتهم
 "تمسهم جميعا وقلوبهم شتى"، كانوا يملكون الحرب ويهابون القتال، بعد أن تمكنت
 منهم المذلة والصغار، فصاحوا بموسى - كما تروى توراتهم - "ليتنا متا في أرض
 مصر"، أو "ليتنا متا في هذا القفر"، ولماذا أتى بنا الرب لنمقط بالسيف" (٣٥)،
 وكما يحكى القرآن عنهم: "أذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون".

ومنها (لثالثا) يظهر من لخص ما يرويه الاخباريون عن العمالة ونقده أنه
 مأخوذ من معين الاسرائيليات، فقد ورد ذكر العمالة في التوراة، وكانوا أول شعب
 صدم بني اسرائيل بعد خروجهم من مصر متجهين إلى فلسطين (٣٦). وظلوا
 يحاربونهم ويكيدونهم خمسائر فادحة، وأوقعوا العرب في نفوسهم، ولهذا ظهر
 حقهم على العماليق. ويتجلى هذا الحق في نصوص توراتهم، فيما قاله النبي
 (صمويل) لئلاءول (٣٧) أول ملك ظهر في بني اسرائيل؛ قال له باسم اسرائيل: "إبى
 أرسل الرب لمحك ملكا على شعب اسرائيل. والآن فاسمع صوت كلام
 الرب. هكذا يقول رب الجنود: التي الحققت ما عمل عمليق باسرائيل حين وقف له
 في الطريق عند صفوده من مصر. فلآن اذهب واضرب عماليق، وحرموا كل ماله،
 ولا تعف عنهم، بل اقل رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، حملا
 وحمارا" (٣٨). وهذا الحق هو الذي جعلهم يخرجونهم من لائمة النسب التي تربطهم
 بالساميين (٣٩)، ليس هذا فقط، بل أوحوا للاخباريين بمدى فتك بني اسرائيل
 بالعماليق، لا على أيام موسى فقط، بل على أيام داود أيضا.

لقد حسب الاخباريون أن العمالة من سكان بئر القدامى ومن سكان أعالي
 الحجاز، فزعموا أن تلك الحروب قد وقعت في هذه المنطقة، وأن اليهود قد سكنوها

هذه أيام موسى عليه السلام ، وقد أخذ الاخباريون رواياتهم هذه من اليهود ، ومن دخل منهم في الاسلام (٤٠) .

إن هذه الحرب لم تكن في يثرب ، وإنما في سيناء حيث كان يقيم فريق من العماليق في منطقة منها تدعى "رفديم" (٤١) ، وأن العماليق ظلوا يضايقون بني اسرائيل حتى أيام الملك شاعول .

ومنها (رابعاً): أن الرواية تقدم لنا موسى عليه السلام في صورة لا تتفق ومكانة الكلم، وليس من شيم الألباء أن يرملوا الجيوش تقتل الناس جميعاً . كنت ألهم أن يدعو الكلم العماليق الى عبادة الله الواحد القهار حتى اذا رفضوا كانت الحرب ولينصرن الله من نصره . أما أن يرسل النبي الكريم - فيما يزعم الرواة - جيشاً الى يثرب ليقوم فيها بحجزة بشرية مروعة تنتهي بالناء القوم جميعاً ، الا ابن الارلم ضنوا به على الموت لورضاءه ، فأمر لا يمكن أن يقبل على علاقه من عامة الناس ، فضلاً على أن يكون ذلك من كلم الله عليه السلام وحتى هذه ، فما شأن موسى بالعماليق في وسط بلاد العرب ، هل غفل أصحاب هذه الرواية عن أن موسى قد أرسل الى بني اسرائيل خاصة (٤٢) ، وليس العماليق بالتأكيد من بني اسرائيل ، كما أنهم هنا في يثرب - بعيداً عن مصر وللسطين ، فضلاً عن صحراء النيه - لم يعرضوا دعوته ، وربما لم يسمعوها أبداً ، وحتى لو كانوا قوماً جبارين - كما تذهب الرواية - أذاً ، موسى عليه السلام مكلفاً بالقضاء على الجبارين في الارض ؟ وإذا كان كذلك ، لماذا القضاء على العماليق بالذات ، وليسوا هم وحدهم الجبارين في الارض ، ثم ما موقفه من العماليق في غير يثرب؟

ومنها (خامساً) أن سكنى اليهود في يثرب بعيد جداً ، خاصة اذا ما تذكرنا أن موسى عليه السلام خرج ببني اسرائيل من مصر حوالي عام ١٢١٤ ق.م في رأي (٤٣) ، وفي رأي آخر في عام ١٤٤٧ ق.م (٤٤) ، بل إن هناك من يذهب إلى أن الخروج إنما كان في حوالي عام ١٥٧٥ ق.م ، طبقاً للآراء التي تربط بين اليهود والهكسوس (٤٥) .

ان مثل هذه التفسيرات - وما روى على أيام داود عليه السلام - لا يستبعد أن يكون مصدرها يهود بلاد الحجاز أو من أسلم منهم ، لآليات أنهم في هذه المنطقة ذو تاريخ وعهد قديم ، وأنهم كانوا ذوي بأس شديد ، وأن تاريخهم في هذه البقعة يمتد الى أيام الأنبياء وابتداء اسرائيل ، وأنهم لذلك الصفوة المختارة من بني اسرائيل (٤٦) .

يلذكر بعض الباحثين (٤٧) المحدثين أن اليهود في أثناء تقدمهم نحو فلسطين والشام عامة لقوا مقاومة وعنفًا شديداً ، وتعرض رجوعهم الى مصر ورعا فضلت جماعات صغيرة منهم اللجوء الى الحجاز طلباً للامان والعافية ولقراراً لما هم فيه من ضنك العيش وقلة ما لديهم من القشاش والطبخ والكورات والبصل والثوم . وقد ضجروا بشكواهم تلك الى موسى عليه السلام معبرين بذلك عن جذب سيناء . ثم ان منطقة الحجاز ومعظم اجزاء شبه الجزيرة العربية كانت في ذلك الحين من أخصب بلاد الله .

كما يذهب البعض الآخر الى أن بني اسرائيل توقفوا في صحراء سيناء في أثناء خروجهم من مصر الى فلسطين وأن موسى عليه السلام تزوج من امرأة عربية كانت تعبد إلهها صحراوياً قاسياً يدعى "ياهور" وهو الإله الذي دعى "يهوه" فيما بعد (٤٨) وفائدة تلك الرواية أنها تشير صراحة الى وجود علاقات قديمة على عهد موسى عليه السلام بين اليهود والعرب ، والذين كان من طبيعة حياتهم حينذاك الثقيل طلباً للمرعى سواء في صحارى شبه الجزيرة العربية وفي صحراء سيناء . ولما كانت فلسطين امتداداً طبيعياً للحجاز كان من الطبيعي اتصال سكانها بالحجاز واتصال سكان الحجاز بفلسطين وذهاب جاليات يهودية الى العربية الغربية للتجارة وللإقامة هناك ولا سيما عند مواضع المياه وفي الأراضي الخصبة العامرة غير أنه لا يستطاع التحدث عن هجرة اليهود الى هذه الانحاء في تلك الفترة حديثاً علمياً معززاً بالكتابات والتواريخ (٤٩) .

وأخيراً نسأل : اذن ما أصل هذه الروايات التي جعلت موسى عليه السلام يرسل جيشاً الى يثرب يقضي على سكانها ؟ ومن أين جاء بها الإخباريون ؟

الرأى أن مصدرها التوراة ، وأنها وصلت الى الاخباريين محرفة ، ثم افترضوا بعد ذلك مصنفين لها من قصص التوراة أحدهما قصة موسى والمديانيين ، والاخر قصة شاتول والعماليق لرى ان المؤرخين المسلمين لم يظهروا على القصتين في التوراة ، بل نقلوهما من مصادر غير عليمه بما جاء في التوراة ، وبما عن مسلمة أهل الكتاب (٥٠) .

يذهب البعض (٥١) الى أن هجرة يهود الى بلاد الحجاز كانت في عهد شمعون الذى كان قبل داود ، عليه السلام أى في نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، وعرفت هذه الهجرة بهجرة قبائل شمعون . ويرجع محمد السيد الوكيل (٥٢) هذا الرأى ويذهب الى أنها كانت بعد القضاء على العماليق إبان عهد موسى عليه السلام واحتلال البلاد التى كانوا يسكنونها ، وأن هذه الهجرة هي المذكور في رواية ابن النجار (٥٣) "وهم - أى اليهود - يمدون في التوراة أن ليا يهاجر من العرب الى بلد فيه نخل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد ، فنزل طائفة بيماء ، وتوطنوا نخلا ، ومضت طائفة ، فلما رأوا خير ظنوا أنها البلدة التى هاجر اليها ، فأقام بعضهم بها ، ومضى أكثرهم وأشرفهم ، فلما رأوا يثرب سبعة وحررة ونحلا قالوا : هذا البلد الذى يهاجر النبي اليه فنزلوه .

ويضيف محمد السيد الوكيل ان هجرة اليهود الى بلاد الحجاز انما تدل على اطمئنانهم عند دخولهم شبه الجزيرة العربية ، حيث كانوا يرتادون ويختارون الاماكن التى ينزلون بها . وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ولم يكن لهم ذلك الا بعد القضاء على العماليق عدوهم اللدود (٥٤) .

يروى ابن النجار أنه قد وقعت هجرة لقبائل شمعون ، وانها كانت بعد القضاء على العماليق واحتلال البلاد التى كانوا يسكنونها ، وكانت هذه الهجرة من للسطين الى شمال الحجاز وفي نهاية القرن الحادى عشر قبل الميلاد تقريبا ، حيث يجد اليهود في توراتهم أن ليا يهاجر من العرب الى بلد فيه نخل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون صفة البلد ، فنزل طائفة بيماء ، وتوطنوا نخلا ، ومضت طائفة ، فلما رأوا خير ظنوا أنها البلدة التى يهاجر اليها ، فأقام بعضهم بها ، ومضى أكثرهم وأشرفهم ، فلما رأوا

يثرب سبعة وحره وغلا فائرا : هذا البلد الذى يكون مهاجر النبي اليه فنزلوه (٥٥) ويؤكد بعض الباحثين أن هذه الرواية التي تشير الى تلك الهجرة ، من ذكر العماليق ، إذ كانوا قد قضى عليهم على يد هذه القبائل ، وكانت آخرتهم على يد قبيلة شمعون التي قتلهم عن آخرهم ، واستولت على ديارهم . كما أنها تدل على اطمئنان بني اسرائيل عند دخولهم شبه جزيرة العرب ؛ فكانوا يرتادون ويختارون الاماكن التي ينزلن بها ، وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ، ولم يكن لهم ذلك إلا بعد انقضاء على العماليق عدوهم اللدود . كذلك لم تشير الرواية الى الضغط البابلي أو الروماني اللذين كانا سيا في المجرتين الآيتين - لهذا كله يرجح لديهم أن هذه الرواية خاصة بملك الهجرة (٥٦) .

وهناك اعراض على قبول هذه الرواية لاسباب (٥٧) منها (أولاً): أن سبط شمعون هذا كان أضعف الاسباط الامرائيليين حتى وفاة سليمان عليه السلام في عام ٩٢٢ ق م وانقسام الدولة بعد ذلك مباشرة الى يهوذا واسرائيل . وكساد يجمع المؤرخون اليهود أنفسهم على أن قبيلة شمعون كانت تعيش بصفة دائمة على هامش القبائل الاسرائيلية ، وأنها لم تحتل المكانة التي تجعلها تقوم بدور مستقل في التاريخ الاسرائيلي ، فضلا على ان تقوم بهجوم ساحق على بلاد العرب . ومنها (ثانياً): أن التوراة (٥٨) نفسها تكاد تجعل سبط شمعون دون غيره من أسباط اسرائيل ربما لفضالة شأنه ، حتى إنها لا تكاد تعرض للذكر هذا السبط الا عند دخول بني اسرائيل أرض كنعان ، وبعد طلب من يهوذا ، ثم مرة أخرى عند رحيله من جنوب يهوذا الى واحة معان في أخريات القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق م (٥٩) ، وقد دلح هذا بعض الباحثين الى ان يشكوا في أن يكون سبط شمعون هذا كان له وجود في عالم الحقيقة (٦٠) .

من المؤكد أن هذه الرواية موضوعة ، فبعد هذه الفورة المزعومة بقليل نجد رواية

أخرى .

يذكر البعض (٦١) ما اتفق به ابن زبالة كتابه عن بدء من سكن يثرب لائالا عن شيخه من أهل يثرب قالوا : كان سكان يثرب في سالف الزمان صعل ولجاج ،

فغزاهم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، واخذ منهم مائة ألف علفاء ، قالوا :
وسلط الله عليهم الدود في أعناقهم فهلكوا ، فقبورهم هذه التي في السهل والجبل ،
وهي التي بناحية الجرف ، وبلغت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ،
فاكثرت من رجل وأرادت الخروج الى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لركب غشيا
الدود ، فليل لها : إنا نرى دودا يدشك ، فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رب
جسد مصون ، ومال مدفون ، بين زهرة ورائون ، وقالوا : ولها الدود .

وهنا تساؤلات للاخباريين : ماذا فعل التي الأبواب بهذه المائة ألف من علفاء
يثر ، فتلا على السب في سبين ؟ وهل صحيح أن يثر كان بها في تلك الآونة
من القرن العاشر قبل الميلاد مائة ألف من العلفاء ؟ وهل صحيح كذلك أن الله تعالى
قد أهلك أهل يثر جميعا ؟ وأخيرا ماذا فعل أهل يثر حتى يصب داود عليهم نقمته
الى هذا الحد (٦٢) .

هناك رواية أخرى تلعب الى أن اليهود انما قلدوا الى يثر على أيام داود عليه
السلام ، (١٠٠-٩٩٠ ق م) وهي رواية لا تعتبر أن تكون تحريفا لحدث في التوراة
عن ثورة قام بها "أبشالوم" ضد أبيه داود عليه السلام وكانت ثورة خطيرة حتى أن
داود عليه السلام لم يجد مجواره غير حرمه الخاص ، وحتى اضطر الى أن يعبر الاردن
الى "محاميم" تحت حماية النابوت مع رجاله ، حتى لا يقابجا بأبشالوم وأتباعه في العاصمة
أورشليم (٦٣) ، بل نجد أن ابن خلدون يذكر أن داود عليه السلام لحق بأطراف
الشام ، ولحق بحير وما إليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزم داود عليه
السلام ابنه أبشالوم ، غير أن الحقوي يذكر أن داود عليه السلام هرب من ابنه
أبشالوم ماشيا على رجله ، حتى صعد عقبة طور سيناء ، وبلغ منه الجرع حتى لحقه
رجل معه خبز وزيت ، فأكل منه ، ودخل أبشالوم مدينة أبيه ، وصار الى داره واخذ
سراى أبيه ثوبتهن ، وقال : ملكني الله على بني اسرائيل ، وخرج معه اثنا عشر ألفا ،
فطلب داود ليقته ، فهرب داود حتى جاز نهر الاردن (٦٤) .

هكذا يبدو واضحاً مدى الاضطراب في تحديد المكان الذي لحا اليه داود عليه
السلام فهو في رواية لحا الى "محاميم" في عبر الاردن ، وهو في رواية ثانية المحاميم الى

يثرّب سبخة وحرّة وغلا قالوا : هذا البلد الذي يكون مهاجر النسي اليه فنزلوه (٥٥) ويؤكد بعض الباحثين أن هذه الرواية التي تشير الى تلك الهجرة ، من ذكر العماليق ، إذ كانوا قد قضى عليهم على يد هذه القبائل ، وكانت آخرتهم على يد قبيلة شمعون التي قتلهم عن آخرهم ، واسرلت على ديارهم . كما أنها تدل على اطمئنان بني اسرائيل عند دخولهم شبه جزيرة العرب ؛ فكانوا يرتادون ويختارون الاماكن التي ينزلن بها، وهذا يدل على عدم وجود معارضة لهم عند دخولهم ، ولم يكن لهم ذلك إلا بعد القضاء على العماليق عدوهم اللدود . كذلك لم تشر الرواية الى الضغط البابلي أو الروماني اللذين كانا ميا في المهجرين الآتين - لهذا كله يرجح لديهم أن هذه الرواية خاصة بتلك الهجرة (٥٦) .

وهناك اعراض على قبول هذه الرواية لاسباب (٥٧) منها (أولاً): أن سبط شمعون هذا كان أضعف الاسباط الاسرائيليين حتى وفاة سليمان عليه السلام في عام ٩٢٢ ق م وانقسام الدولة بعد ذلك مباشرة الى يهوذا واسرائيل . وكعاد يجمع المؤرخون اليهود أنفسهم على أن قبيلة شمعون كانت تعيش بصفة دائمة على هامش القبائل الاسرائيلية ، وأنها لم تحتل المكانة التي تجعلها تقوم بدور مستقل في التاريخ الاسرائيلي ، فضلاً على ان تقوم بهجوم ساحق على بلاد العرب . ومنها (ثانياً): أن التوراة (٥٨) نفسها تكاد تتجاهل سبط شمعون دون غيره من اسباط اسرائيل ربما لضآلة شأنه ، حتى إنها لا تكاد تعرض لذكر هذا السبط الا عند دخول بني اسرائيل أرض كنعان ، وبعد طلب من يهوذا ، ثم مرة أخرى عند رحيله من جنوب يهوذا الى واحة معان في أخريات القرن الثامن وأوائل القرن السابع ق م (٥٩) ، وقد دفع هذا بعض الباحثين الى ان يشكوا في أن يكون سبط شمعون هذا كان له وجود في عالم الحقيقة (٦٠) .

من المؤكد أن هذه الرواية موضوعة ، لبعد هذه القوة المزعومة بقليل نجد رواية

أخرى .

يذكر البعض (٦١) ما افصح به ابن زبالة كتابه عن بدء من سكن يثرّب ناقلاً عن شيخه من أهل يثرّب قالوا : كان سكان يثرّب في سالف الزمان صعل وفالج ،

لفزعهم داود النبي عليه الصلاة والسلام ، واخذ منهم مائة ألف عنبراء ، قالوا :
وسلط الله عليهم الدود في أعتاقهم فهلكوا ، لقبورهم هذه التي في السهل والجبل ،
وهي التي بناحية الجوف ، وبقيت امرأة منهم تعرف بزهرة ، وكانت تسكن بها ،
فاكثرت من رجل وأرادت الخروج الى بعض تلك البلاد ، فلما دنت لركب غشيبها
الدود ، لقبيل لها : إنا نرى دودا يدشاك ، فقالت : بهذا هلك قومي ، ثم قالت : رب
جسد مصون ، ومال مدلول ، بين زهرة ورائون ، وقالوا : وقلها الدود .

وهنا تساؤلات للاخباريين : ماذا فعل النبي الأواب بهذه المائة ألف من عنبراء
يثرب ، فضلا على السبب في مبيته ؟ وهل صحيح أن يثرب كان بها في تلك الآونة
من القرن العاشر قبل الميلاد مائة ألف من العذارى ؟ وهل صحيح كذلك أن الله تعالى
قد أهلك أهل يثرب جميعا ؟ وأخيرا ماذا فعل أهل يثرب حتى يصب داود عليهم نقتة
الى هذا الحد (٦٢) .

هناك رواية أخرى تنهب الى أن اليهود انما لقنوا الى يثرب على أيام داود عليه
السلام ، (١٠٠-٩٦٠ ق م) وهي رواية لا تعدو أن تكون تحريفا لاحداث في الترواة
عن ثورة قام بها "أبشالوم" ضد ابيه داود عليه السلام وكانت ثورة عظيمة حتى أن
داود عليه السلام لم يجد مجواره غير حرمة الخاص ، وحسب اضطرا الى أن يعبر الاردن
الى "مخانيم" تحت حماية النابوت مع رجاله ، حتى لا يفتاجا بأبشالوم وأتباعه في العاصمة
أورشليم (٦٣) ، بل لمجد أن ابن عمه يذكروا أن داود عليه السلام لحق بأطراف
الشام ، وليل : لحق بجير وما إليها من بلاد الحجاز ، ثم تراجع للحرب فهزم داود عليه
السلام ابنه أبشالوم ، غير أن يعقوبي يذكروا أن داود عليه السلام هرب من ابنه
أبشالوم ماشيا على رجليه ، حتى صعد عقبة طور سيناء ، وبلغ منه الجوع حتى لحقه
رجل معه خبز وزيت ، فأكل منه ، ودخل أبشالوم مدينة أبيه ، وصار الى داره واخذ
سراى أبيه لوطهن ، وقال : ملكني الله على بني اسرائيل ، وخرج معه اثنا عشر ألفا ،
لفطلب داود ليقطه ، فهرب داود حتى جاز نهر الاردن (٦٦) .

هكذا يبدو واضحاً مدى الاضطراب في تحديد المكان الذي لجأ اليه داود عليه
السلام فهو في رواية لجأ الى "مخانيم" في عبر الاردن ، وهو في رواية ثانية انما لجأ الى

خير في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وفي رواية ثالثة صعد الى عقبة طور سيناء ، بل ان نفس الرواية سرعان ما تعكس الاتجاه وتذهب به الى الشرق ، فتعبر به الاردن ويدهي أن اضطراب هذه الروايات يقلل من قيمتها التاريخية ، ويجعلها مظنة للشك والريبة فضلا على الشك في القصة من أساسها ، وهذا ما لحيل اليه ونرجحه ، فان هذه الروايات جميعا لا تعدو أن تكون أسطورة (٦٧) .

ومن ناحية اخرى ، فقد أشارت النصوص الآشورية الخاصة بالملك سرجون الثاني: * في بداية حكمي ، وفي السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واسرليت عليها ، وفلت من أهلها ٢٧ و ٢٩٠ مواطنا ، واسرليت على حمين عربة من السلاح الملكي ثم احلتها بـ كان أكثر مما كان فيها ، مواطنين جددا من بلاد كـت لد اسرليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب ، كما يفعل الآشوريون * (٦٨) .

وعلى هذا ، فان مقوط السامرة انما يكون قد تم في أوائل السنة الاولى من عهد سرجون الثاني ، ولا بد أن ذلك قد حدث بعد ديسمبر عام ٧٢٢ ق م بعدة وربما كان ذلك في عام ٧٢١ ق م . وهذا يتناقض مع رواية الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق م) والتي ينسب فيها مقوط السامرة الى ايامه (٧٠) ، فقد حـرب حصاراً شديداً حول السامرة ، ولكنه مات قبل أن يفتحها ، ففك الحصار ، ونجحت السامرة مؤقتا (٧١) . بل ان هناك من يذهب الى أنها قد سقطت في عام ٧١٥ ق م (٧٢) وآخر يذهب الى أن مقوطها كان في عام ٧١١ ق م (٧٣) .

تشير التوراة (٧٤) الى أن سرجون الثاني - في أول الامر - هـجـر أكثر عناصر السكان من اليهود أهمية . ربما البلاء والأغبياء - الى * حليج وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي * ، وبعد سنوات قليلة - ربما في عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق م - وبعد فـلاقل سورية ولـسطين شارك فيها معظم سكان الولايات المخلفة ومن بينها دمشق والسامرة تكررت العملية بصورة أكبر ثم سرعان ما شارك سكان شمال غربي شبه الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات بنصيب كبير او قليل ، وحين نجح الملك الآشوري في القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل - كما تقول التوراة - على أن ياتي بقوم

آخرين وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم جماعات من العرب ، حددهم النص الآشوري " بقبائل سامودي وأبناديدى وموسيمانو وجايا والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء (٧٥) ، والذين لا يعرفون برؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجراهم لأى ملك ، ميت الأحياء منهم، ونقلتهم الى السامرة (٧٦) .

يلذكر الاستاذ الدكتور غيب ميخائيل ابراهيم (٧٧) أن المؤرخ اليهودى يوسف بن متى يروى أن القبائل العشر " لا تزال وراء الفرات حتى الان وهم لي أعداد بالغة الكثرة " ، وهي يالسات يسجلها عن العصر الذى عاش فيه . كما أن ازدراس يمدنا عنهم بقوله " ان هذه القبائل العشر هي التي حمل أهلا اسرى من أرضهم في زمن هوشع الملك الذى اسره شلمنصر ملك آشور ، وعبر بهم المياه وجاء بهم الى أرض جديدة وافقروا فيما بينهم أن يعدلوا عن جماهير الكفيل وأن يلجأوا إلى بلاد بعيدة لا يسكنها الناس حتى يحفظوا هناك بتماثيلهم التي لم يسعهم الاحتفاظ بها في بلادهم نفسها . ودخلوا الفرات عن طريق ممرات ضيقة للنهر _ لان المرتفعات كانت تكشف عن وجودهم ان اخترفوا - وأولفوا القيضان حتى عبروا ، لان الطريق في هذه البلاد كان طويلا ، وكان يسرق عاما ونصف عام ، ويسمى هذا الاقليم " أرسارث " Arsarath ، شمال غربي البحر الاسود ، وقد سكنا هناك حتى ذلك الوقت " (٧٨) .

ونقرأ في التوراة (٧٩) أن الملك الآشورى قد جاء كذلك يقوم من بابل وكوث (تل ابراهيم على بعدة خمسة عشر ميلا الى الشمال الشرقي من بابل) ، ومن عوا وحاه وسفروايم (وهما بلدتان على ضفتي الفرات ، على بعدة ستة عشر ميلا جنوب غرب بغداد، ويرى البعض أنها " أبوجه " الحالية ويرى آخرون أنها " شومورية " شرقي بحيرة حمص) (٨٠) ومن سوسة وعبلام . ربما كان الآشوريون يهدفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة ، بإدخال أجناب في البلاد ، ربما كانوا في بعض الحالات من الآشوريين انفسهم ، والتمهيد لظروف جديدة أكثر ملائمة للامبراطورية الآشورية للطموح، ومن الصعب ان نقدر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الاقل قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدرجة أكثر لفاعلية مما سبقه

خير في شمال غرب شبه الجزيرة العربية ، وفي رواية ثالثة صعد الى عقبة طور سيناء ، بل ان نفس الرواية سرعان ما تعكس الاتجاه وتذهب به الى الشرق ، لتعبر به الاردن وينتهي أن اضطراب هذه الروايات يقلل من قيمتها التاريخية ، ويجعلها مظنة للشك والريبة فضلا على الشك في القصة من أساسها ، وهنا ما نميل اليه ونرجحه ، فان هذه الروايات جميعا لا تعلق أن تكون امطررة (٦٧) .

ومن ناحية اخرى ، فقد أشارت النصوص الآشورية الخاصة بالملك سرجون الثاني : " في بداية حكمي ، وفي السنة الاولى منه ، حاصرت السامرة واسوليت عليها ، وخلصت من أهلها ٢٧٢٩٠ مواطنا ، واسوليت على حنين عربة من السلاح الملكي ثم احتلتها بمكان أكثر مما كان فيها ، مواطنين جددًا من بلاد كِت قد استوليت عليها ، وعينت حكاما عليها ، وفرضت عليها الجزية والضرائب ، كما يفعل الآشوريون " (٦٨) .

وعلى هذا ، فان سقوط السامرة إنما يكون قد تم في أوائل السنة الاولى من عهد سرجون الثاني ، ولا بد أن ذلك قد حدث بعد ديسمبر عام ٧٢٢ ق.م بمدة وربما كان ذلك في عام ٧٢١ ق.م . وهذا يتناقض مع رواية الملك شلمنصر الخامس (٧٢٦-٧٢٢ ق.م) والتي ينسب فيها سقوط السامرة الى ايامه (٧٠) ، فقد ضرب حصاراً شديداً حول السامرة ، ولكنه مات قبل أن يفتحها ، لفك الحصار ، ونجحت السامرة مؤقتا (٧١) . بل ان هناك من ينسب الى أنها قد سقطت في عام ٧١٥ ق.م (٧٢) وآخر ينسب الى أن سقوطها كان في عام ٧١١ ق.م (٧٣) .

تشير التوراة (٧٤) الى أن سرجون الثاني - في أول الامر - هَجَّر أكثر عناصر السكان من اليهود أهمية . ربما البلاء والأغبياء - الى " حلب وخابور نهر جوزان وفي مدن مادي " ، وبعد سنوات قليلة - ربما في عام ٧٢٠ أو ٧١٥ ق.م - وبعد قلاقل سورية وللسطين شارك فيها معظم سكان الولايات المتحالفة ومن بينها دمشق والسامرة تكررت العملية بصورة اكبر ثم سرعان ما شارك سكان شمال غربي شبه الجزيرة العربية في هذه الاضطرابات بنصيب كبير او قليل ، وحين نجح الملك الآشوري في القضاء على هذه الاضطرابات ، عمل - كما تقول التوراة - على أن يأتي بقوم

آخرين وأن يسكنهم هذه الاقاليم ، ومن بينهم جماعات من العرب ، حددتهم النص الآشوري " بقبائل تامودى وأبداديدى ومرسيمانو وجابيا والعرب الذين يعيشون بعيدا في الصحراء (٧٥) ، والذين لا يملكون رؤساء وموظفين ، والذين لم يكونوا قد جاءوا بجزاهم لآى ملك ، سبت الأحياء منهم، ونقلتهم الى السامرة (٧٦) .

يلذكر الامتاذ الذكور نجيب ميخائيل ابراهيم (٧٧) أن المؤرخ اليهودى يوسف بن متى يروى أن القبائل العشر " لا تزال وراء القرات حتى الان وهم في أعداد بالغة الكثرة " ، وهي بيانات يسجلها عن العصر الذى عاش فيه . كما أن ازدراس يحدنا عنهم بقوله " ان هذه القبائل العشر هي التي حمل أهلا اسرى من أرضهم في زمن هوشع الملك الذى اسره شلمنصر ملك آشور ، وعبر بهم المياه وجاء بهم الى أرض جديدة واتفقوا فيما بينهم أن يعلوا عن جماعه الكفار وأن يذهبوا إلى بلاد بعيدة لا يسكنها اناس حتى يحفظوا هناك بتماثيلهم التي لم يسعهم الاحتفاظ بها في بلادهم نفسها . ودخلوا القرات عن طريق ممرات حيقه للنهر _ لان المرتفعات كانت تكشف عن وجودهم ان اخذوها - وأوقفوا الفيضان حتى عبروا ، لان الطريق في هذه البلاد كان طويلا ، وكان يسغرق عاما ونصف عام ، ويسمى هذا الاقليم " أرسارث " Arsareth ، شمال غربي البحر الاسود ، وقد سكروا هناك حتى ذلك الوقت " (٧٨) .

ونقرأ في الصورة (٧٩) أن الملك الآشورى قد جاء كذلك بقوم من بابل وكوث (تل ابراهيم على بعدة خمسة عشر ميلا الى الشمال الشرقي من بابل) ، ومن عوا وحاه وسفروايم (وهما بلدتان على ضفتي الفرات ، على بعدة ستة عشر ميلا جنوب غرب بغداد، ويرى البعض أنها " أبوجه " الحالية ويرى اخرون انها "شومورية" شرقي بحيرة حمص) (٨٠) ومن سوسة وعيلام . وربما كان الآشوريون يهدفون من وراء ذلك الى كسر التحالفات القديمة ، بإدخال أجناب في البلاد ، ربما كانوا في بعض الحالات من الآشوريين انفسهم ، والتمهيد لظروف جديدة أكثر ملاءمة للامبراطورية الآشورية للظموح، ومن الصعب ان نقرر أهمية هذا التهجير ، وان كان على الال قد عمل على تحطيم الروابط الاجتماعية والسياسية والدينية بدوجة أكثر لاعلية مما سبقه

من اجراءات(٨١) . ويرى البعض انها كانت أول هجرة يهودية من للطين وعلى نطاق واسع (٨٢) ويقدر عددها حوالي أربع مائة ألف نسمة سكوا غربي الاردن(٨٣) .

وهكذا يبدو واضحاً انه ليست هناك أية اشارة في التوراة أو في النصوص الآشورية أو كتابات المؤرخين القدامى إلى تهجير يهود من السامرة الى يثرب أو إلى غيرها من بلاد العرب، ومن ثم فإن هناك رفضاً لفكرة اتجاه هجرة يهود الى بلاد الحجاز في القرن الثامن قبل الميلاد إثر سقوط السامرة في أيدي الآشوريين .

وهناك فريق من المؤرخين (٨٤) يرى أن هجرة اليهود الى يثرب إنما كانت بعد سقوط القدس وتدمير الهيكل في القرن السادس قبل الميلاد على يد " نبوخذ نصر " (٦٠٥-٥٦٢ ق م) في عام ٥٨٦ ق م (ربما في أغسطس ٥٨٧ ق م) ، وإبعاد كثير من اليهود إلى بابل وهو ما عرف في التاريخ باسم " السبي البابلي " (٥٨٦-٥٣٩ ق م) . عندما قتل اليهود "جداليا" نائب "نبوخذ نصر" في للطين اعترم نبوخذ نصر أن يحل المشكلة اليهودية حلاً نهائياً كما يقن، فاستولى مرة أخرى على القدس وحرقلها عن آخرها ، وهدم هيكل سليمان عليه السلام وقتل أبناء صديقا أمام عينيه ، ثم سجن عبيده هو نفسه وأسر جميع سكان المدينة تقريباً وساقهم أمامه الى بابل . وهنا أدرك اليهود مدى الكارثة التي حلت بهم . وخوفاً من إنتقام "نبوخذ نصر" كان الهرب إلى مصر هو سبل النجاة الوحيد أمامهم (٨٦) ويذكر Guignebert أن الاسر البابلي لم يشمل أولئك البطء الذين ليست لهم حماسة دينية كالثقلاحين وصغار الصناع ، فقد ترك السيد الجديد هؤلاء يعملون له اذ لم يتوقع منهم أية معارضة (٨٧) وهكذا قرأ في التوراة " فقام جميع الشعب الصديق إلى الكبير ، وروؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين (٨٨) . وهكذا لم يجد اليهود ملجأ يحتمون به سوى مصر التي خرجوا منها ، وجعلوا يوم خروجهم عيداً ، بل أكبر أعيادهم، وأعني به " عيد الفصح " ، ومن الواضح من نصوص التوراة أن سكنى اليهود قد اخلت من سكانها ، فقد سبى الصفوة منهم إلى بابل ، وفرت البقية منهم ، ومنهم إرميا إلى مصر ، وتبعثت أسباط اسرائيل في شرق الارض وغربها (٨٩) ، ومع ذلك

لهناك بعض العلماء من نقاد التوراة - Cook - - ينكر صحة قصة الاسر كما جاءت في التوراة في اسفار الملوك وحزقيال وأرميا وعزرا - ويؤي انه لم يكن هناك نفي ضخم من اليهودية ، وإنما كل ما حدث أن بعضا من الاشراف قد سجنوا في بابل ، وأنه بعد صلحة الغزو البابلي عاد الأهالي من مخابثهم الموقته إلى بيوتهم القديمة بعد أن أعيد بناؤها (٩٠) .

وكانت المرحلة الثانية من المسي تشريدا جديدا لمن سمح لهم بالبقاء بأورشليم . ويذكر بعض الاخباريين العرب ومنهم الطبري ان نبوخذ نصر (بختنصر) أبقى بيت المقدس لصالح ملك بني اسرائيل ، وهو رجل من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف ، فلما بلغ طريقه وثبت بنو اسرائيل على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل وخذلتنا واستسلموا للقتال ، فكذب قائد بختنصر إليه بما كان ، فكذب اليه بأمره أن يقيم بموضعه حتى يواليه ، وأن يضرب أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ المدينة عنوة ، فقتل المقاتلة ، ومسى النرية (٩١) .

وبعد شهر من الزمان تلقى القائد الكلداني الأوامر بتحطيم كل ما يستطيع تحطيمه ومسى كافة السكان ما عدا الطبقات الدنيا التي كلفت بالقيام على شئون الفلاحة والزراعة . ونقل الزعماء إلى رملة وتم الاستيلاء على المعادن الثمينة والمخازن والمقتنيات الغالية ونصب جداليا بن اخيقام بن شافان (وهو يهودي) حاكما من قهر بابل على من بقي من أهل يهوذا في اورشليم ولكن سرعان ما اغتيل اذ جاءه اسير بن نينابن الشوع من النسل الملكي وعشرة رجال معه وظهروه لمات وأيضا اليهود والكلدانيين اللذين معه في المصفاة ، فقام جميع الشعب من الصغير إلى الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لانهم خافوا من الكلدانيين (٩٢) .

ويواصل الطبري يقول : وبلغنا انه وجد في سجن بني اسرائيل إدريا ، وكان الله تعالى بعث نيا - فيما بلغنا - إلى بني اسرائيل ، يحلرهم ما حل بهم من بختنصر ، ويعلمهم أن الله سلب عليهم من يقتل مقاتلتهم ، ويسبي فراريهم ان لم يعوبوا ويتزعموا عن سيء أعمالهم ، فقال له بختنصر : ما خطبك ؟ فأخبره أن الله بعث إلى قومك ليحلرهم من الذي حل بهم ، فكذبوه وحبسوه . فقال بختنصر : يس القوم قوم

عصوا رسول ربهم ! وكنى سيله ، وأحسن إليه ، فاجتمع إليه من بقي من جعفاء بني اسرائيل ، فقالوا : إنا قد آمننا وظلمنا ، ونحن نوب إلى الله مما صنعنا ، فادع الله أن يقبل توبتنا . فدعا ربه فأوحى إليه أنهم غير لاعلين ، لأن كانوا صادقين للقيصوا ملك بهذه البلدة ، فأخبرهم بما أمرهم الله به ، فقالوا : كيف نقيم ببلدة قد خربت وغضب الله على أهلها ، فأبوا أن يقيموا ، فكذب بختصر إلى ملك مصر : إن عيدا لي هربوا مني إليك ، فسرهم إلي ، وإلا غزوتك وأوطأت بلادك بخيل . فكذب إليه ملك مصر : " ما هم بعبيدك ، ولكنهم الاحرار أبناء الاحرار ، فغزاهم بختصر لقتله ، وسعى أهل مصر ، ثم سار في أرض المغرب ، حتى بلغ أقصى تلك الناحية ، ثم انطلق بسبي كثير من أهل فلسطين والأردن ، فيهم دايال وغيره من الأنبياء .

وقال ابن الكلبي - نقلا عن ابن كثير - ومن ذلك الزمان تفرقت بنو اسرائيل في البلاد فنزل طائفة ، مم الحجاز ، وطائفة بشرط وطائفة وادي القرى وذهبت شرقا منهم إلى مصر (٩١) . ويميل جواد على إلى قبول هجرتهم إلى بلاد الحجاز ، لأنهم سهل مبور إذ الأرض واحدة وهي متصلة والطرق مفتوحة مطروقة ، ولا يوجد أي مانع يمنع اليهود أو غيرهم من دخول الحجاز ، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من الرعب ، فهم يحثون عن أقرب ملجأ إليهم بمهمهم من ذلك ملك بابل بهم ، وأقرب مكان مأمون إليهم هو الحجاز . (٩٤) كما أنها كانت مذكورة في التوراة ومعلوم أنها ستكون مهاجرة نبي يعث في آخر الزمان ، فالسبب الحقيقي هنا هو الضغط البابلي على اليهود الذي اضطرهم إلى التفكير في ترك فلسطين (٩٥) واسيطان بلاد الحجاز .

غير أن ابن قتيبة يقتصر على لجوء طائفة من بني اسرائيل إلى مصر طلبا لحماية ملكها (٩٦) حيث وجدوا أن اللجوء إلى مصر فيه أمان لأرواحهم وحلوا معهم إرميا دون أن يعتبرا باحتجاجة (٩٧) .

روى بعض أهل السير عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال وبلغني أن بني اسرائيل لما أصابهم ما أصابهم من ظهور نبوخذ نصر عليهم وفرقتهم وذلتهم فتركوا . وحنى ابن الجار - نقلا عن السهوي - عن بعض العلماء أن سبب ذلك أن

علماءهم كانوا يجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة انه يهاجر الى بلد فيه نخل بين حرتين ، فأقبلوا من الشام يطلبون الصفه حرصا منهم على جماعه ، فلما رأوا ليماء وفيها النخل عرفوا صفته وقالوا : هو البلد الذى نريده فنزل طائفة منهم فيها ، وضمت طائفة أنها خير فنزلوها ، ومضى اشرفهم وأكثرهم للما رأوا يشرب سبخة وحررة وفيها النخل قالوا : هذه البلدة التى تكون مهاجر النبي العربي عليه الصلاة والسلام، فنزل النضير بطنحان» (٩٨) غير أن بعض الباحثين المحدثين لا يذكر أن يهود في أثناء سبي بوءخذنصر قد انتحلوا إلى بلاد الحجاز ، فان بوءخذ نصر نهب الهيكل وبيت الملك ثم أحرقهما وأشعل النار في المدينة كلها ، ودك أسوارها وأسر أهلها جميعا ، فلم يرك فيها إلا أفقر الفقراء ، وقتل سرايا رئيس الكهنة ، كما قتل قواد الجيش وكبار رجال الملك ، وأما سائر الشعب فأخذهم مقبدين بالسلاسل ومباهم في بابل ، ثم أقام على الذين أبقاهم من الفقراء واليا يسمى جدليا (٩٩) .

وبدل الاكتشافات التي تمت في عدة مواقع بفلسطين على ان عددا من المدن قد تم تدميره في أوائل القرن السادس قبل الميلاد ولم تكن بعد ذلك اطلاقا ، أن عددا منها دمر في نفس الوقت ثم عاد اليها العمران جزئيا بعد فترة وأن جانباً آخر قد دمر ولم يعد العمران إليه إلا بعد فترة طويلة من الهجر تتميز بطير ملحوظ في طبقة الأرض ولرالن خارجية تمت استعمالها لأغراض غير مدنية ، ولا تعرف حالة واحدة كان فيها بلد من يهوذا الأصلية مسكونا بصفة مستمرة خلال فترة النفي (١٠٠) .

ويذهب بعض المؤرخين المحدثين الى القول بأن اليهود كانوا في حملة من كان في جيش الملك الكلداني "نبوخذ" (٥٥٥-٥٣٩ ق م) حين جاء الى ليماء (١٠١) ، لأقاموا بها بمواضع أخرى من الحجاز بلغت يثرب ، وأن هؤلاء اليهود أقاموا منذ ذلك الحين في تلك الاماكن واسعوطوا وادى القري واماكن أخرى الى مجيء الاسلام (١٠٢) ، تحدثنا بعض نصوص الملك الكلداني أنه : " انجى الملك إلى ليماء في وسط بلاد العرب ، وباهر يسير الحملة عن طريق لم يعهد من قبل ، وذبح أسير ليماء بسيفه ، كما ذبح أولئك المقيمين في مدينته وفي الاقليم ، ثم استقر في ليماء ، وجعل هذه المدينة رائحة ولحمة ، وحولها الى ما يشبه قصور بابل (١٠٣) .

وقد عثر في حرّان عام ١٩٥٦م على كتابة يتحدث فيها "نبويد" عن أنه قد أخضع ليماء ولذلك (الحالط) وخير (خبر) وشرّب ، وكانت هي آخر موجه استطاع البابليون الوصول إليه في بلاد العرب (١٠٤) . ذلك لم تشر نصوص "نبويد" إلى وجود اليهود في جيشه وإلى أسكانه إياهم في هذه الأراضي، ولم يعثر على كتابات تحدث عن هذا العهد أو عن العهد الذي سبقه أو الذي جاء من بعده عن وجود يهود في تلك المناطق (١٠٥) ، لذا فإنه لا يمكن تأكيد وجودهم في تلك المناطق إلا بنصوص وكتابات تشير إليهم (١٠٦) .

أصبحت فلسطين في العصر الروماني ولاية رومانية يتولى حكمها مندوب للإمبراطور Procurator . كانت تتكون من أربعة أقاليم : الجليل وسامريا وللسطين القرية ومنطقة يربا فيما وراء الأردن . وكان هناك نزاع دائم بين الطائفتين : المحافظة التي تسمى باسم الفرسين والمثحرة التي تسمى بالصدوقيين من اليهود أنفسهم إلى جانب ذلك العداء الدفين الذي كان موجودا بين الإغريق واليهود جميعا في المنطقة ، يضاف إلى ذلك ظهور طائفة المسيحيين وازدياد أعدادهم بمرور الوقت . هذا الوضع الاجتماعي المعقد بالإضافة إلى صغر حجم القوات الرومانية التي لم تتجاوز ٣٠٠٠ جندي روماني والمشكلات الاقتصادية التي عانى منها الشعب، جعل من السهولة بمكان إندلاع الثورة في فلسطين، حتى إن تولّى هذه الولاية كان أمرا لا يحد عليه أي وال روماني . وقد أجل قيام هذه الثورة في أوائل عهد نيرون وجود وال كفه استطاع أن يدير الأمور بدبلوماسية كبيرة وأعني به انطوليوس فليكس (٥٢-٦٠م) وقد ساعدته في ذلك زوجته اليهودية دورميلا شقيقة هرود الثاني أجريا . وعندما وقعت أحداث الشعب عام ٦٠م بين الإغريق واليهود في فيصرية لمحج فليكس في انقاذ القديس بولس من أيدي اليهود ووضعه في منطقة حصينة (١٠٧) .

لم يستمر الولاية الرومان في حكمهم لفلسطين طويلا ، وذلك بسبب سوء الإدارة في حكمهم وقد كانت السبب الرئيسي في اشتعال نيران الثورة في سنة ٦٦م . ويرجع السبب الرئيسي لاشتعالها إلى رغبة اليهود الملحة في أن ينالوا استقلالهم . فقد انتهزوا فرصة المشكلات التي حدثت في أرمينيا وانشغال روما بها ، فالتاوروا

الاضطرابات في فيصرية ، ثم هبوا ثائرين في بيت المقدس بزعامة يوسف (١٠٨) .
ولما فشلت في مواجهتهم القوات الرومانية بقيادة والي سوريا كيتيوس
جاللوس (١٠٩) ، عهد الامبراطور الروماني نيرون (٥٤ - ٦٨ م) الى ابنه لمبديان
بتولي قيادة الجيوش في سوريا ويقمع الثورة . وقد تمكن لمبديان من اخضاع منطقة
الريف والحصون المنعزلة دون مقاومة ، كما تمكن من عزل بيت المقدس عن بقية
فلسطين وأعلن لمبديان قائد الجيوش في سوريا نفسه امبراطورا (٦٩-٧٩م) عندما
كان يعد اعداء لحصار بيت المقدس (٦٨-٦٩م) لعهد نيرون بحملة القضاء على الثورة
الى ابنه يتيوس مع جيوش من مصر ليتولى امر حصار بيت المقدس (١١٠) ، ولدة
خمس أشهر بقوات كبيرة ، أحاطت بالمدينة من كل جانب . وقد انتهى هذا الحصار
ب سقوط بيت المقدس في سبتمبر عام ٧٠م ، واضرمت النيران فيها ، بل لقد دكت
ودمرت لتدميرا كاملا وسويت بالتراب ، كما تم تخريب وحرق الهيكل الذي كانوا
يقاخرون به كل الأمم ويهاونون بفخامة بنيانه وما فيه من أوان ذهبية ولطيفة (١١١) .
يقدر المؤرخ اليهود المعاصر للاحداث " يوسف بن متى " عدد القتلى بـ١٥٠٠
وللثلاثة وخمسين الفا ، فضلا على تسعمائة الف أسروا أو يعموا رقيقا كما مات مئات
الآلاف غيرهم من الجماعة والأوبنة والمذايح . ومع أن الباحثين يرون في هذه الاعداد
مبالغة كبيرة فان البعض يقدرهم بما لا يقل عن ثلاثة أرباع المليون ، ويقدرهم آخرون
بما لا يقل عن مئتين ألف ، فإذا صح هذا الرقم الأخير ، ولعله وما كان الحرب في
المعقول ، لذلك يعني انقراض جنس حقيقي ، لم يكذب برك من يهود شينا ، ويدور أن
بعض عناصر من يهود فلسطين فرت الى مصر وحاولت تآليب اليهود بها للثورة ضد
الرومان ، ولكنهم لم يصيبوا نجاحا كبيرا (١١٢) ، كما فر بعض من اليهود ، أيضا إلى
قبرص وليبيا وشبه الجزيرة العربية ، حيث سكنوا في غير وطماء وغرب ووادي
القرى (١١٣) .

وعندما قام الامبراطور هنريان (١١٧ - ١٣٨م) بزيارة للسلطان عام ١٣٠م ،
أصدر قرارات عدة ، منها تحريم تقديس يوم السبت ، إبطال عادة الختان ، ولحويل
بيت المقدس إلى مستعمرة رومانية ، فأغضب هذا اليهود كثيرا ، وأدى إلى قيام ثورة

سمعان/شمعون بن بار كرخبا " (١٣٢-١٣٥ م) فاستولى على بعض معانيل الرومان ، واستقل بيت المقدس ، زخلفها عاصمة سياسية ودينية ، وحرب العملة باسمه ، فأمر الامبراطور "هيريان" قائد "يوليوس سيفيرس" بالقتاء على الثورة ، ونجح القائد الروماني في أغسطس عام ١٣٥ م في القبض على "بار كرخبا" وقله ، واستولى على بيت المقدس لم هدمها تماما ، وأزال معالمها ومعالم هيكلها ، إذ حرت الأرض وسواها ، وبني فوقها مدينة جديدة باسم "إيليا كايترلينا " ، واستبدل بالمعبد القديم معبدا جديدا خصصه للمعبود الوثني الروماني "جريت كايترليني" . وقام الرومان بمنجعة نهاية خمت مصر اليهود في اللطين - كدولة وكقومية - فقد صفت بقايا اليهود بالقتل والتشريد . ويقدر "ديودور الصقلي" عدد اقرى التي دمرت ب ٩٨٥ قرية ، وعدد من هلك من السكان ب ٥٨٠ الفا نتيجة الحرب والنجاعة . واحتضت يهوذا القديمة ليحل محلها ولاية سوريا للطين القصلية لتصبح بعد ذلك المعقل الرئيسي لانصار الديانة المسيحية (١١٤) .

وبرغم المبالغة في هذه الاعداد فان اليهود قد طردوا فعلا من للطين الى كل اجزاء الامبراطورية الرومانية وغيرها ، وكان عام ١٣٥ م ، هو التاريخ الذي انتهت فيه نهائيا علاقة اليهود بفلسطين سياسيا ومكانيا ، انه الخروج الاخير ، وحتى نذكر مدى ضالة ما بقي من اليهود وبعد كل المنابج والمطاردات (بعد السى الاشورى والبابلي والروماني الاول عام ٧٠ م) ، يكفي أن نذكر ان عدد يهود الخروج الاخير اثنا يقدر بنحو أربعين الفا أما ما بقي من هذا وذاك من يهود للطين فشراذم ضئيلة ازدادت تناقصا فيما بعد ، وقد حرمهم الامبراطور هيريان من أن تطأ أقدامهم الأرض المحيطة بيت المقدس في غير اليوم التاسع من شهر أغسطس الموافق يوم تدمير هيكلهم هناك . ولعل من أهم تلك البقايا "السامريين" الذين تحولوا إلى لوقعة قرمية مغلقة في نابلس (١٢٥) .

ولما كانت الهزيمة التي مني بها اليهود على يد الرومان والحائر الفادحة التي أصابهم في الأموال والأرواح شديدة ، كان من الطبيعي أن يتجه اليهود إلى عصر الاضطهاد الروماني لهم في للطين إلى أعالي الحجاز وإلى يثوب ، ويرجع ذلك إلى

القرنين الاول والثاني بعد الميلاد وليس من شك في أن الأدلة التاريخية في جانب هذا الاتجاه أكثر من غيره ولعل من أهم هذه الأدلة الظروف السياسية التي كانت يهود تمر بها في تلك الفترة .- بعد أن نجح الروم في السيطرة الرومانية (١١٦)، فضلا على أن شبه الجزيرة العربية كانت ما تزال في بداوة تشبه ما كان عليه اليهود إلى حد ما . ويذكر جواد على أن المؤرخ . سوزمين Sozomenos يرى أن اليهود كانوا ينظرون إلى العرب الساكنين شرق الحد العربي (Limes Arabicus) على أنهم من نسل اسماعيل وإبراهيم عليهما السلام ، وما أنهم أي اليهود من نسل اسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، فهم جميعا اذن من نسل إبراهيم الخليل عليه السلام ، وعلى هذا من ذوى رحمتهم ، ولهم صلة قريى ، وكانوا يرجون لذلك دخولهم في دينهم ، واعتاقهم دين إبراهيم جد اليهود والعرب ، وقد عملوا على تهويد بعض من أولئك العرب (١١٧) .

هذا فضلا على أن أمر هرب اليهود إلى أعالي الحجاز ودخولهم إليه أمر سهل ميسور فالارض واحدة وهي متصلة ، والطريق مفتوحة ومطروقة ، ولا يوجد ما يمنع اليهود أو غير اليهود من دخول الحجاز ، ولا سيما أن اليهود كانوا خائفين فارين بأنفسهم من تلك الروم (١١٨) . وتزيد المصادر العربية هذا الاتجاه فذكر انه لما ظهرت الروم على بلاد الشام قتلوا من بنى اسرائيل خلقا كثيرا ، كما نكلوا بهم ونكحوا نساءهم ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو هذيل (بهذل) هاربين من فلسطين يريدون الحجاز إذ كانوا يرون أنها أمان بعيدة آمنه ، فلما فصلوا عنهم بأهلهم اتبعهم الروم فأعجزوهم ، وهلك جند الروم في المفاوز والصحارى الخالية من الماء (١١٩)، لم أخذت جموع من اليهود في شبه الجزيرة العربية تزداد وكثرت بعد أن ظهرت الروم على بنى اسرائيل جميعا بالشام ، ثم قصد بنو النضير وقريظة وبنو بهذل جملة واحدة إلى يثرب فارتادوها حتى تنحروا اخصب بقاعها فكنوها (١٢٠) .

هذه الروايات مأخوذة عن يهود المدينة أنفسهم (١٢١) . ويذكر ابن خلدون أن تلك الهجرة لليهود إلى بلاد الحجاز تستند على أساس تاريخي صحيح (١٢٢)،

فالذى نعرفه ان فتح الرومان لفلسطين ادى الى هجرة عدد كبير من اليهود الى الخارج، فلا يستبعد أن يكون يهود الحجاز نسل من أولئك المهاجرين (١٢٤) .

أفكانت يثرب وخيبر وروادى القرى خالية من السكان العرب حين لونها اليهود، بحيث استعمروها بسهولة دون أن يجدوا من ينازعهم ، أم انها كانت مأهولة بطون عربية نازعت اليهود ثم غلبت على أمرها ؟ المصادر لا تعطي ما يعتمد عليه في هذا الموضوع ، غير أن اسرائيل ولقنسون يذكر بأنه يجب ألا يغيب عن البال ان جهات يثرب وروادى القرى كانت غير اهلها بكثير من العرب بل كانت جموع منهم تأتي الى وديانها في أولات معينة من السنة كموائل راحلة مع اهلها لتأكل من أعشابها ثم ترح عنها الى جهات أخرى (١٢٥) ولكن لا استطاع المرافقة على هذا القول ، لهذه المناطق بطبيعتها أماكن استقرار دائم عامرة بالقرى وكانت بها محطات تجارية منذ أيام المعينين ، ثم انها مناطق خصبة وتكثر بها الوديان التي تسيل بالمياه وتكثر فيها الآبار والعيوب ، ولا يقل ألا يجذب خصبها السكان إليها والاقامة بها (١٢٦) .

وهكذا سكنت جاليات يهودية منطقة يثرب والطرق المؤدية الى الشام وان تركزت كتل اليهود الكبرى - على ما يبدو - في يثرب بالذات ، حيث كان فيها لبائل للآلة هي : لينقاع والنضير ولريطرة ، وإلى جانبها كانت توجد بطون وعشائر يهودية مطرقة (١٢٧) ذهب الاخباريون إلى انها تنيف على العشرين بطناً ، ومنها بنو القضيص ، وبنو ناضعة ، وبنو مريد ، وبنو معاوية ، وبنو ماسكة، وبنو محم (محمس) وبنو زعوراء، وبنو زيد اللات ، وبنو حجر ، وبنو لعلبة وبنو الشطية ، وبنو عكرمة ، وبنو مرابة ، وبنو عرف ، وبنو هذل (بهذل) ، هذا الى أعداد أخرى من اليهود سكنوا في جهات مختلفة من يثرب (١٢٨) .

ويذكر بعض الباحثين أنه كان مع اليهود يثرب بطون عربية من اليمن ومن بني ومن سليم ومن غسان ، ثم ان لبائل عربية كبيرة كانت تعيش بجوار هذه الأماكن الحرة حائلها اليهود والحلوا منها حاة يدالعون عنهم كحلف يهود خير مع غطفان ، ولا تذكر المصادر شيئاً عن الصراع الذي حدث بين اليهود والقبائل العربية ، وهي بذلك تسكت عن تاريخ اليهود جملة ، ولا تراها تعرض لشيء من تاريخهم إلا ما كان

منه مرتبطا بالأحداث التي تتصل بالمسلمين ، وتفسر ذلك معلوم ، وهو أن هذه المصادر أهملت تاريخ اليهود نظرا إلى موقفهم العدائي من الدعوة الإسلامية ، وقد كرههم العرب لأغفلوا الحديث عنهم إلا فيما هو متصل بموقفهم العدائي هذا (١٢٩) . كما أن اليهود كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم في يثرب وما حولها كجاليات طارئة على عادة بني إسرائيل منذ تشردهم في مختلف الأنحاء والبلاد (١٣٠) . ويتج ذلك من كثرة الحصون والآطام التي أقامها اليهود للإحياء بها وكانت في الغالب تحمل اسم رجل أو زعيم مهم من رجالات اليهود ، أو اسم عشيرة يهودية (١٣١) ، أو اسم واد من الأودية التي يقيمون بها (١٣٢) ، أو اسم جبل من جبالها (١٣٣) ، أو يحمل اسم له مدلوله عند اليهود (١٣٤) . ولقد كان إنشاء الحصون وقربيتها وتسلحها وإعدادها بالقتال من أبراجها ومن فوق الأسوار ، ومن وراء الجدران إذا ما تعرضت للخطر ، هو أساس العقيدة القتالية وخطط الحرب عند اليهود ، إلا أنهم في بعض الأحيان كانوا يلجأون إلى الأصحار والخروج إذا ما اضطروا إلى ذلك ، كما كانوا في حالات الهجوم يتخذون من الحصون قاعدة لإنطلاكهم لم تلجأ يحصون بداخله إذا لم يحقق الهجوم أهدافه وولوا مدبرين (١٣٥) .

وهذا يدل على أن اليهود لم يكونوا مطمئنين إلى مقامهم ببلاد الحجاز وخاصة يثرب ، وأنهم كانوا يخشون هجوم القبائل عليهم ، ويجعلنا لا نظمن إلى أن وجود اليهود كان هنا سهلا ، كما شك في حدوث هجرات يهودية كبيرة دفعة واحدة ، ولرجح أن هجرات اليهود كانت بأعداد قليلة متتابعة ، وأن عددهم ظل يكثر شيئا فشيئا حتى غلبوا على هذه المناطق (١٣٦) .

وقد كانت التجارة بشكل خاص من أهم مرائق الحياة عند اليهود في الحجاز ، وكان أهم مراكز تجارتهم في خيبر ، وهي واحدة من أهم مراكز التجارة والأسواق الموسمية ، لا في بلاد الحجاز وعند الحجازيين لحسب ، بل في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام ، فجمهرة المؤرخين العرب القدامى يحدونها ضمن "أسواق العرب المشهورة ومبايعتهم فيها" (١٣٧) . أما المحدثين منهم فانهم يقررون "أن خيبر كانت من مجامع أسواق العرب في الجاهلية (١٣٨) استادا إلى الدراسة المفصلة الواسعة في مصادر

الوراثة العربي . ولما كانت قيام الاسواق وازدهار التجارة وشراء الاموال يتطلب توازن
عنصرى الأمن والعلمانية (١٣٩) ، فان اليهود في مناطق حصونهم ظلوا يعيدون عن
النزاع الدولي الذى شهدته بعض المناطق في شمالي شبه الجزيرة العربية وجنوبها قبل
الاسلام ، فلم يرد في المصادر أنهم كانوا طرفا في أى نزاع دولي ، كما ظلوا يعيدون
عن المنازعات والحروب القبلية التي كانت تشب بين القبائل العربية في شمال الحجاز أو
المدن الحجازية ، ووقفوا على الحياد يشدون السلام والأمن ، كما كانوا يتمتعون عن
ايواء الخلعاء أو القتلة ولا يدخلونهم بيتا مخافة أن يجرؤوا على أنفسهم الويلات (١٤٠) ،
لان السلام والسكينة من أهم أسس النجاح في الاعمال التجارية .

كانت سوق خيبر من الاسواق العربية الأصيلة لا من تأسيس يهود ، وعلى هذا
لان يهود الحجاز كانوا حديثي عهد بالإستقرار في الحجاز بالنسبة للقبائل العربية
الضاربة في القدم ، وهذا مما يوحي ان اليهود نزحوا إليها إبان عصر الاصطهاد
الروماني لهم .

وهكذا دخلت اليهودية يثرب وخيبر ووادي القرى في القرنين الاول والثاني
بعد الميلاد وسرعان ما تركزت في يثرب وفي الواحات المتجمعة في اتجاه الشمال حتى
حدود شرق الاردن طوائف يهودية متماسكة غنية نسيا برؤسها حاخام ، وبها مدرسة
وصندوق تعاوني ، ان صح هذا التصير (١٤١) .

ويختلف المؤرخون في جنسية يهود يثرب ، أهم عرب تهودوا ، أم هم
اسرائيليون نزحوا الى الاقاليم العربية ، ولجد على الرأى الاول المؤرخ العقوبى فهو
ينكر وجود طوائف يهودية أصلها من بني اسرائيل في شبه الجزيرة العربية قبل عصر
الاسلام ، ويؤكد ان القبائل اليهودية فيها كانت من العنصر العربي الأصل ، ويرى
أن بني النضير وبني قريظة لفرعان من قبيلة جذام ، إلا أنهم تهودوا ونزلوا بجبل يقال له
النضير فسموا به ، وبني قريظة " فخذ من جذام إخوة النضير (ويقال) ان تهودهم كان
في أيام السموال ، ثم نزلوا بجبل يقال له قريظة فسبوا اليه (١٤٢) .

هناك شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد ينكر
أصحابها وجود يهود في شبه الجزيرة العربية (المقصود بذلك يهود بني اسرائيل)

ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات غير ليسوا يهودا حقا إذ لم يخالطوا على الديانة الالهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود محتضوا تاما (١٤٣) •

وقد ذهب بعض المستشرقين امتدادا الى دراسة اسماء يهود الحجاز عند ظهور الاسلام الى أن أولئك اليهود لم يكونوا يهودا حقا ، بل كانوا عربا متهودين ، تهودوا بتأثير الدعاة اليهود (١٤٤) • ولكن الاستدلال من دراسة الاسماء على اصول الناس ، لا يمكن ان يكون حجة للحكم على اصولهم واجناسهم (١٤٥) • وبصيف اسرائيل ولفنون: أن اليهود في شبه الجزيرة العربية قد تركوا النسبة الى قبائلهم واخذوا يسمون باسماء الأماكن التي سكنوها ، والبلاد التي أقاموا بها حتى كان يعرف فلان بالارحليمي والآخر الجريوي (١٤٦) وهكذا •

وعلى الرأي الثاني عامة المؤرخين العرب كما اوضح الباحث سابقا • ومن جهة أخرى تجهد طائفة من المؤرخين الأجانب في أن تجد لبعض اسماء القبائل اليهودية اشتقاقا عربيا • فليذكر البعض ان بني لحيظة وبني النضر عرفوا من بين اليهود ب (الكاهنين) ، نسبوا ذلك إلى جددهم الذي هو الكاهن بن هارون بن عمران • فهم على هذه النسبة من اصل رفيع ومن نسب حسيب يمزجهم من بقية طوائف يهود ، ولعلنا كانوا يفاخرون بنسبهم هنا ، ويرون أن لهم السيادة والشرف على من سواهم من اخوانهم في الدين (١٤٧) •

ولكن نعرف جنسية اليهود في بلاد العرب ، فانه من الالهل أن ننظر في الاخلاق والتقاليد واتجاه الافكار والاعمال (١٤٨) • ف نجد التشابه كبيرا بينهم وبين اليهود السابقين على عصرهم أو نلاحظ مواقف واحده ، ولولا اختلاف الزمان والمكان والاحداث ما استطاع أحد أن يفرق بينها ، فقد كانت عداوتهم لأنبيائهم ورسولهم السابقين على محمد صلى الله عليه وسلم ظاهرة خلقية بارزة ، امتدت إلى عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم • ومن هذا السيل نستطيع أن نحكم بأن يهود يثرب بخاصة وشمال الحجاز بكافة ألرب الى العنصر اليهودي منهم الى العنصر العربي (١٤٩) • ويحوى القرآن الكريم (١٥٠) على معلومات واليه عن اليهود في المدينة ومناطقها وذلك لرفقهم المحمودي والحجاجي ، الذي ولقوه من الدعوة

الاسلامية ، والايات القرآنية سواء في توجيه الخطاب الى يهود الحجاز في معرض ذكرهم في المواقف المتوعة ام في صدد بيان احوالهم واخلاقهم قد لجهت الى اسرائيل دون استثناء وربطت بينهم وبين بني اسرائيل الاولين من لدن موسى بل من لدن يعقوب (اسرائيل) . وما كان منهم من احراج وتمعيز وكفر وتكذيب وغلر ونقض للشرائع وتحريف للكلام عن مواضعه ، وقد جعل القرآن اليهود المعاصرين والقلماء في موضع خطاب وسباق وسلسلة واحدة في كثير من الآيات ، حيث يوجه الخطاب الى بني اسرائيل او الى اليهود بصفة المخاطب الاقرب ، ليقص ما كان من الاقدمين مقارنا اياه بما يقع من المعاصرين ، وهنا يرجح الصلة اللاحقة النسيبة بين هؤلاء واولئك فهم يصعدون عن جلة واحدة وخصائص واحدة . ودون أن نشعر كذلك بالمدّة الزمنية الهائلة التي بين زمن موسى عليه السلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ، وهي فترة لا تقل عن ألفين وأربعمائة عام (١٥١) .

وتوجه الخطاب إلى يهود يثرب بتعبير " بني اسرائيل " بهذا الاطلاق والشمول مع هذه الصلة اللاحقة التي يجعلها القرآن بين القلماء والمعاصرين منهم . يحطنا بحجم بيان اليهود في الحجاز كانوا طارئين وانهم اسراييليون ، وأنهم ليمروا قبائل عربية اعتقت اليهودية ، كما ذهب اليه بعض المؤرخين ، بل ليس في الحجاز قبائل عربية يهودية الدين والعرب الذين تهودوا في الحجاز لم يكونوا سوى افراد ، ولم يكونوا جماعة قبلية محسوسة (١٥٢) ، لان المهود في بني اسرائيل المتأخرين انهم كانوا لا يدعون احدا الى دخول دينهم لا يثابروا انفسهم بوعده ابراهيم الخليل ، وحصر هذا الوعد في ذرية يعقوب بن اسحاق (١٥٣) ومن هنا يتضح أن اليهود أنفسهم لم يكونوا يميلون الى نشر ديانتهم بين الامم ، وفي ذلك يقول اسرائيل ولفسون "ولا شك أنه كان في مقدرة اليهودية أن تزيد في بسط نفوذها الديني بين العرب حتى تبلغ منزلة ارمي مما كانت عليه لو توافرت عند اليهود الية على نشر الدعوة الدينية بطريقة مباشرة ، ولكن الذي يعلم تاريخ اليهود يشهد بأن الامة الاسرائيلية لم تقل بوجه عام الى ارغام الامم على اعتناق دينها ، وان نشر الدعوة الدينية من بعض الوجوه محظور على اليهود " (١٥٤) ، وقد كان اليهود يحترون انفسهم شعب الله المختار من بين

شعوب الارض ، ولا تسمح أنفسهم ان تكون هذه الميزات لشعب اخر ليس منهم (١٥٥) وما يزيد هذا انه كان الى جوار اليهود بالمدينة بطون عربية صغيرة لبل بحىء الاروس والخروج ، وقد بقيت هذه البطون العربية على اديان آباؤها القديمة ولم تمتق اليهودية على الرغم من انها عاشت زمنا طويلا مع اليهود ، وعلى الرغم من أن اليهود كانوا اصحاب الثروة والنفوذ في يثرب (١٥٦) .

والعرب الذين يهودوا في الحجاز لم يكونوا سوى المراد ، ولم يكونوا جماعة قبلية محسومة كما أنه علم ذكر النابين العرب القبائل اليهودية بين الانساب العربية ، مما يدل دلالة واضحة على ان اليهود ليسوا عربا إذ لو كانوا عربا لما قبلوا ان يستبوا الى غير قبائلهم ، والمعلوم ان العرب كانوا يأنفون من الانتساب إلى غير قبائلهم بل كانوا يحرصون حرصا شديدا على المحافظة على انسابهم والافخار بها . وفي نفس الوقت لرى النابين قد ذكروا القبائل العربية التي يهودت في اليمن ، والقبائل العربية التي تصرت في الشام ، وردوها الى نسبها العربي الصحيح ، ولو كان يهود يثرب والحجاز عربا يهودوا لذكرهم النابون ، وردوهم الى قبائلهم كذلك ، واننا نلاحظ ان اليهود لم يسبوا انفسهم الى العرب بل حرصوا على المحافظة على نسبهم بني اسرائيل ، فكان بنو قينقاع يتسبون الى يوسف عليه السلام .

ويهود يثرب وبلاد الحجاز الذين أقاموا بين ظهرائى عرب لم يعرفوا سوى اللغة العربية لغة يتكلمونها ، لهذا كان من الضروري أن يتعلموا تلك اللغة ، وأن يحتمدوها لغة التخاطب حتى يمكنهم التعايش مع السكان الأصليين للمنطقة التي اتخذوها دار مقام لهم ، ومن المرجح ان هذه اللغة لم تخل من رطانة عبرية ، لانهم لم يزكروا استعمال اللغة العربية تركا تاما ، حيث ان اللغة العبرانية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم (١٥٧) ويستلهم هذا من بعض الايات القرآنية (١٥٨) ، ففي سورة الانعام ، حوطبت العرب على سبيل التيه إلى أن الله قد أنزل الكتاب على النبي صلى الله عليه وسلم لتلا يقولوا ان الكتب الالهية السابقة انزلت بغير لغتهم وانه لو انزل عليهم كتاب بلغتهم لكانوا اهدى من الامم التي جاءتهم تلك الكتب وهي بهذا الضم تطوى على دلالة ان الكتب التي كان يتداولها اليهود لم تكن عربية

اللغة . أما آية سورة فصلت فكانت على سبيل الرد على العرب الذين قالوا على سبيل التصحيز إن الكتب السماوية الأولى غير عربية اللغة، فكيف يكون القرآن من عند الله وهو عربي اللغة (١٥٩) . وهناك بعض الآثار، في ذلك ايضا، روى الترمذي عن زيد بن ثابت قال : (أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أتعلم له كتاب يهود قال : اني والله ما آمن يهود على كتاب . قال : فما مر بي لصف شهر حتى تعلمته له . فلما تعلمته كان اذا كتب الى يهود كتب اليهم واذا كتبوا اليه قرأت له كتابهم) (١٦٠) . ومنها ما رواه ابن سعد في ميثاق وقائع التكيل باليهود فقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أرسل عبدا لله بن عتيك مع ثلاثة اخرين من أصحابه لقتل ابي رالح سلام بن ابي الحقيق النضري زعيم اليهود في غير وأنهم قدموا عبدا لله بن عتيك لانه كان يرطن باليهودية فكانت معرفته باليهودية سببا لاطمئنان زوجة الزعيم اليهودي وفتحها الباب لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من إنجاز المهمة بسهولة . والخبر يفيد معرفة أمرين يصدد ما نحن فيه الاول : أن اليهود في غير كانوا يتخاطبون باليهودية ، والثاني : أن لغة بني النضير، الذين كانوا يقطنون المدينة كانت ايضا يهودية اى عبرانية . كما أن النبي صلى الله عليه وسلم أجلى معظم اليهود عن المدينة والقرى الاخرى الى بلاد الشام فلم يكن لجلالتهم أى أثر وكل هذا دلالة حاسمة على ان الكتلة اليهودية في الحجاز كانت من بني اسرائيل وكانت طائفة على الحجاز (١٦١) .

كما يستدل من بنائة الحصون والآطام عند اليهود في بلاد الحجاز انهم ليسوا عربا ولا من أصل عربي إذ لو كانوا عربا لكانت لهم في قبائلهم عزوة يتصرون بها على اعتنائهم ولكان لهم من قبائلهم نصير يحزون به ويستصرونه ، وإنما بنى اليهود هذه الحصون وتلك الآطام لينتجوا اليها اذا احزبهم أمر أو أصابهم مكروه ، ولو كانوا من اصل عربي لتحصنوا بقبائلهم ، وأووا الى قسومهم، وما يؤيد هذا أنه لم يكن لليهود في يثرب والحجاز عصية قليلة بين العرب ، وإنما كانت صلاتهم بالقبائل العربية صلة حلف ومصالح مشوكة ، ولذلك لم يجدوا من قبائل العرب من يقف الى جانبهم بدافع العصية حين حاربهم النبي صلى الله عليه وسلم وطردهم من المدينة ولحقى

على بعضهم الآخر بل إنهم حين خرجوا من المدينة لم يلجئوا إلى قبائل العرب ينزلون
عليها إسنادا إلى رابطة القرى ، وإنما لجأوا إلى إخوانهم في خيبر وليماء ووادي القرى
ثم رحلوا إلى الشام (١٦٢) .

وأخيرا ، على كل ما تقدم ، فإن يهود يثرب وبلاد الحجاز يرجعون إلى أصل
غير عربي وإن وجدت لهم أسماء عربية ، وإن صاهرُوا بعض العرب .

- 474

محمد بن عيسى بن ابراهيم : مصر والشرق الأدنى القديم ، الجزء الثالث ، الطبعة الثالثة ، الاسكندرية

١٩٩٦ ، ص ٣١٢ .

(١١) محمد يرمي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ - ٤٤٢ .

(١٢) سفر العدد ٢٠ : ٢٢ - ٢٩ .

(١٣) سفر التثنية ٣٢ : ٤٨ - ٥٠ .

(١٤) الأصمعي (أبي الفرج الأصمعي علي بن الحسين) : كتاب الإعراب ، الجزء الثالث ، مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، بيروت - لبنان (د.ت) ، ص ١٦٦ وكلها :

أبن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : تاريخ ابن خلدون ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٧٩ ، القسم الأول ، ص ٨٧ - ٨٨ ، القسم الثاني ، ص ٢٨٧ وكلها :

ياقوت (قهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي) : معجم البلدان ، الجزء الخامس ، بيروت ١٩٨٦ ، ص ٨٤ وكلها :

محمد ليب البتوني : الرحلة الحجازية ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .

(١٥) يذكر ابن خلدون أنه الأرم بن الأرم . انظر :

تاريخ ابن خلدون ٨٨/١ .

(١٦) ولقاء الوفا ١٦٢/١ .

(١٧) السهيلي (عبد الرحمن بن عبد الله) : الروض الأنف ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٢٩٠ .

(١٨) محمد السيد الوكيل : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

(١٩) نفس المرجع ، ص ٣٢ - ٣٤ ، ٣٧ .

(٢٠) محمد يرمي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٤ - ٤٤٧ .

(٢١) سرور المتعة : ٢١ - ٢٦ ، وانظر :

الرحمسي (أبو القاسم جلاله محمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وهو من الألفاظ في وجوه التفسير ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٦٠٢ - ٦٠٦ وكلها :

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد) : الجامع لأحكام القرآن ، دار الشعب ، الجزء السادس ، القاهرة ١٩٦٩ - ١٩٧٠ ، ص ١٢٣ - ١٢٤ وكلها :

أبن كثير (عبد الله بن أبي القاسم) : تفسير القرآن العظيم ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٥٢٢ - ٥٤١ وكلها :

الأفريقي (أبو القاسم شهاب الدين السيد محمد) : تفسير المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، الجزء السادس ، القاهرة د.ت ، ص ١٠٩٧ - ١١١١ .

(٢٢) عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، بيروت د.ت ، ص ٢٢٧ - ٢٢٨ .

(٢٣) الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير) : تاريخ الرسل والملوك (المعروف بتاريخ الطبري) ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ٤٣٦ .

(٢٤) تفسير القرطبي ، ص ٢١٢٦ - ٢١٢٧ وكلها :

- سيد قطب : في ظلال القرآن ، الجزء الثاني ، الطبعة الثانية ، القاهرة - بيروت ١٩٦٧ ، ص ٨٧١ وكلا :
- عبدالمعطي النجار : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ وكلا :
- محمد يومي مهران : إسرائيل : الكتاب الأول - التاريخ ، ص ٤٨٤ - ٤٨٧ .
- (٢٥) سفر العدد ١٤ : ٢٢ - ٣٥ ،
- سفر التثنية ٣ : ٢٧ ، ١٠/٢٤ ، ٦ ،
- (٢٦) نصير ابن كثر ٦٤/٢ .
- (٢٧) محمد عزة دروزة : تاريخ بني إسرائيل من أسلافهم ، بيروت ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م ص ٩٤ .
- (٢٨) ابن كثر (أبو القلاء عماد الدين إسماعيل) : البيان والنهاية في التاريخ ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٦٦ ، ص ٣١٧ .
- (٢٩) نصير الخازن ٣٤٤/٢ - ٣٦ ، نصير ابن كثر ٦٤/٢ ، ضرور روح المعاني ١٠٩/٦ ، ابن كثر : البيان والنهاية ٤٣٦/١ ، تاريخ ابن خلدون ٨٧/١ ، المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسن) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٣ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
- (٣٠) صحيح البخاري ١٦١/٢ .
- (٣١) ابن كثر : البيان والنهاية ٣١٧/١ - ٣١٨ .
- (٣٢) سفر التثنية ٣ : ٢٥ - ٢٩ ، ١٠/٢٤ ، ٨ .
- (٣٣) عبدالمعطي النجار : المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .
- (٣٤) سفر العدد ١٣ : ٢٥ - ٢٣ .
- (٣٥) سفر العدد ١٤ : ١ - ٣ .
- (٣٦) Mosil, A., The Northern Hegaz, New York, 1926, P.46 .
- (٣٧) هناك عدة آراء عن فترة حكم شاول منها الفترة (١٠٢٠ - ١٠٠٠ ق.م) ومنها (١٠٢٠ - ١٠٠٤ ق.م) ، ومنها (١٠٣٠ - ١٠٠٤ ق.م) ، ومنها (١٠٢٥ - ١٠١٣ ق.م) ، ومنها (١٠٠٠ - ٩٨٠ ق.م) . انظر : محمد يومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، الاسكندرية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م ، ص ٢٤٦ - ٢٤٩ وكلا :
- ليب حبي : تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، الجزء الأول ، ترجمة جورج حناني عبدالكريم والملي ، بيروت ١٩٥٨ ، ص ٢٠٧ - ٢٠٣ وكلا :
- Epstein, L., Judaism, (Penguin Books), 1970, P.35;
Historical Atlas of the Holy Land, New York, 1959, P. 81 .
- (٣٨) سفر صموئيل الأول ١٥ : ١ - ٢٥ .
- (٣٩) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٣٤٦ - ٣٤٧ .
- (٤٠) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس ، ص ٥١٧ .

- (٤١) أطلق الاسرائيليون عليها "مربة"، وهي تقع حول البواء، التي تقع الى الشرق من وادي عربة، الى منتصف المسافة تقريبا بين رأس خليج الطبّة والبحر الميت، أو على بعدة خمسين ميلا الى الجنوب من البحر الميت - انظر:
- جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء الثالث، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٠م ص ٥٣.
- (٤٢) من المعروف أنه ليس هناك نبي على الإطلاق له أرسل الى الناس كلمة، غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم - انظر السور:
- النساء: ٧٩، الاعراف: ١٥٨، ابراهيم: ٣٦-٣٣، هود: ٥٢، الانبياء: ١٠٧ الحج: ٤٩، الفرقان: ١٩، مآ: ٨٢، ص: ٨٧.
- (٤٣) محمد يوسى مهران: اسرائيل: الكتاب الاول - التاريخ، ص ٢٩٢ - ٣٠٣.
- (٤٤) ول ديورانت: قصة الحضارة - الجزء الثاني - ترجمة محمد بدوان، القاهرة ١٩٦٦، ص ٣٢٦ وكلنا:
- Lods, A., Israel, From its Beginnings to the Middle of the Eighth Century, London, 1962, P. 128;
- Finegan, J., Light from the Ancient Past, the Archaeological Background from Judaism and Christianity, I, Princeton, 1969, PP. 117f.
- (٤٥) باهرز لبيب: بنايات من الدراسات المصرية القديمة، القاهرة ١٩٤٧، ص ٤١ - ٥٤ وكلنا:
- محمد يوسى مهران: حركات التحرير في مصر القديمة، القاهرة ١٩٧٦، ص ١٣١ - ١٣٧ وكلنا:
- Hell, H.R., The Ancient History of the Near East, London, 1963, PP. 406 ff.
- (٤٦) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، الجزء السادس، ص ٥١٧.
- (٤٧) زكي شوق: المرجع السابق، ص ٢٤ وكلنا:
- عبد الله عبدالعزيز بن ابريس: مجمع التينة في عصر الرسول، صلى الله عليه وسلم، الرياض ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص ٣٣.
- (٤٨) لانتو: المرجع السابق، ص ١٧.
- (٤٩) جواد علي: المرجع السابق، ص ٥١٣.
- (٥٠) محمد يوسى مهران: دراسات في تاريخ العرب القديم، ص ٤٤٢ - ٤٤٣.
- (٥١) فؤاد حزة: للسيرة العربية، الرياض ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م، ص ٢٢٦.
- (٥٢) محمد السيد الوكيل: المرجع السابق، ص ٣٩.
- (٥٣) ابن النجار (أبو عبد الله البغدادي محمد بن محمود بن الحسن بن عبد الله بن محاسن): أخبار مدينة الرسول المشهور بالنبوة التينة، تحقيق صالح محمد حالي، القاهرة ١٩٥٦م، ص ١٣.
- (٥٤) محمد السيد الوكيل: المرجع السابق، ص ٣٩.
- (٥٥) ابن النجار: أخبار مدينة الرسول، ١٩٥٦، ص ١٣.
- (٥٦) فؤاد حزة: المرجع السابق، ص ٢٢٦ وكلنا:
- محمد السيد الوكيل: المرجع السابق، ص ٣٩.
- (٥٧) محمد يوسى مهران: المرجع السابق، ص ٤٤٢ - ٤٤٣ وكلنا:

Noth, M., The History of Israel, London, 1965, P. 23 .

(٥٨) يشوع ١٩ : ١ - ١٩

لصا ١ : ٣ .

(٥٩) محمد يومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٩٦ .

(٦٠) إسرائيل وقسطن : تاريخ اليهود في بلاد العرب، مطبعة الاعتماد بمصر ١٣٤٥هـ/١٩٢٧م ، ص ٣

وكلها :

Barney, C.F., Israel: Settlement in Canaan, London, 1918, PP. 37 ff.

(٦١) ابن رسته : الأغلاق النفيسة، ص ٥٩ - ٦٠ وكلها :

ولفهم الوفا ١٥٨/١ وكلها :

علي بن عبد الله السعدي : خلاصة الوفا بأخبار دار العطف : صلى الله عليه وسلم ، تاريخ المدينة

المدورة ، جده ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م ، ص ١٥٦ .

(٦٢) محمد يومي مهران : المرجع السابق ، ص ٤١٨ - ٤١٩ .

63) CL Dozy, R., Die Israeliten Zu Mekka, 1864, S.S. 40 ff;

Noth, M., Op. cit., pp. 201 f.

(٦٤) حموليل كان ١٣ : ١ - ١٨ ، ١٤/١٥ ، ١٤/١٦ .

(٦٥) تاريخ ابن خلدون : ٩٧/٢ (القسم الاول) ، ت ٦٨٢/٢ (القسم الثاني) .

(٦٦) الطوسي (أحمد بن أبي بطروب بن حسن) : تاريخ الطوسي ، الجزء الاول ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٥٣ .

(٦٧) محمد يومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد النيجر ، ص ٢٦٨ .

63) Lockenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, Vol. II, Chicago, 1927, Par. 55;

Lie, A.G., The Inscriptions of Sargon II, King of Assyria, Part I Annals, Paris, 1929, P.5;

Oppenheim, A.L., "Sargon II (721- 705): The Fall of Samaria", Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament, New Jersey, 1969, P. 284

(٦٩) محمد علي البار : أباطل التوراة والعهد القديم (١) المدخل لفراسة التوراة والعهد القديم ، دمشق

١٤١٠هـ/١٩٩٠م ، ص ٩٧ .

(٧٠) أعلن مرنس (٧٣٢-٧٢٤ ق.م) العصيان في عهد الملك فلعنصر الخامس ، وتذكر التوراة : "أن ملك

آخر وجد في مرنس غيمة ، لأنه أرسل إلى "سرا" ملك مصر ، ولم يرد جبهة إلى ملك آخر حسب كل سنة " . والمعروف تاريخياً أنه لا يوجد ملك في هذه الفترة من تاريخ مصر وهو يحمل اسم "سرا" ، ومن هنا كان الخلاف بين المؤرخين حول هذا ال "سرا" ، وربما كان الملك المقصود في نص التوراة هو "أوسركون الرابع" (٧٣٠-٧١٥ ق م) من الأسرة الرابعة والعشرين : انظر : ملوك لبنان ١٧ : ٤ -

٥ وكلها : محمد يومي مهران : المرجع السابق ، ص ٣٨٦ - ٣٨٩ وكلها : Breasted, J.H., A

History of Egypt, New York, 1946, p. 549;

Oesterley, W.O.F., The legacy of Egypt, Oxford, 1947, p.228;

Finegan, J., Op. Cit., p. 210;

Kitchen, K.A., The Third Intermediate Period in Egypt, Oxford, 1973, pp. 373 C.

(٧١) محمد علي البدر : المرجع السابق ، ص ٩٧ .

72) Gardiner, A.H., Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1961, p. 342.

73) Ibid, P. 210 .

(٧٤) ملوك أول ١٢ : ٦ .

(٧٥) انظر عن هذه القبائل العربية الشمالية :

الوهي مرسل : شمال الحجاز، ترجمة عبدالحسن الحقيق ، الاسكندرية ١٩٥٢، ص ٩١ - ٩٥ .

(٧٦) محمد يومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٣) تاريخ العراق القديم ، الاسكندرية

١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م ، ٣٩٥ - ٣٩٦ وكلا

Oppenheim, A.L., op. cit., p. 296 .

(٧٧) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٢١ - ٤٢٢ .

(٧٨) ان هيرودوت يستخدم كلمة اسكيلين Scythians من اسكيد Scythas ويسمهم بالحرايين ويسمهم الى

الكان التي اسطرت به الاساطير العشرة ، واما ما أورده عن هجرات الاسكيلين من آسيا الى أوروبا

ليطلق وما أورده ايزدوس من هجرات القبائل العشرة ، وينقل بهم هيرودوت من Araxes الى

Asseretic ، وهناك الضرا بالقرمين أقرباتهم من الاسرائيليين الحارين كذلك . ولقد عثر في القرم على

نات من القابر عليها تصور من تشير الى اسبطان الاسرائيليين هناك . انظر :

نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٢٢ .

(٧٩) ملوك ثلث ٢٤ : ٧، عزرا ٢٤ : ٩ .

(٨٠) زكي خنونة : المرجع السابق ، ص ١٢٣ - ١٢٤ وكلا :

Cook, S.A., "The Fall and Rise of Judah," The Cambridge Ancient History, Vol. III, 1965, PP. 383 ff.

(٨١) محمد يومي مهران ، مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، ص ٢٨٧-٢٨٨ .

82) Roth, C. (ed.), The Standard Jewish Encyclopedia (Masaadah Publishing Company), Jerusalem, 1962 , P. 1317 .

(٨٣) ملوك ثلث ١٧ : ٦ وكلا :

عبدالحسيد زاهد : الشرق والحجاز، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٣٩٤ .

(٨٤) تاريخ ابن خلدون ٥٩٤/٢ ، الكمال في التاريخ ٤٠١/١ ، ابو القلاء ١٢٣/١ .

(٨٥) انظر عن السبي البابلي :

محمد يومي مهران : اسرائيلية الكتاب الثاني - التاريخ، الاسكندرية ١٩٧٨، ص ٩٩٧ - ١٠٢٦ .

(٨٦) ارما ٤١ : ٩ ، ١٨ : ١ ، زكريا ٧ : ٥ ، ملوك ثلث ٢٥ : ٧ ، ٢٦ وكلا :

ول هيرودت : المرجع السابق ، ص ٣٥٧ - ٣٥٨ .

87) Gulgnebert, Ch., Le Monde Juif au Temps Jews, Paris, 1935, pp. 30f.

(٨٨) ملوك ثلث ٢٤ : ١٤ - ١٦ ، ٢٥ : ١٩ - ٢٦ ،

ارما ٢٤ : ١ ، ٢٧ : ٢٠ ، ٢٩ : ١ - ٢ ، ٤٣ : ١ - ٧ .

(٨٩) محمد يومي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام، ص ٤٢٤ .

- ٩١) تاريخ الطبری : ٣٨/١ .
- ٩٢) طرلة ٥٥ : ٢٥ : ٢٦ .
- ٩٣) تاريخ الطبری : ٥٣٨/١ - ٥٣٩ : أير الفداء ١٢٣/١ وفاة الرولا ١٦٦٠/١ من كثير : البداية والنهاية : ٣٩/٢ ، ياقوت : ٤٥٣/٥ - ٤٥٤ .
- ٩٤) إيراد حرة : المرجع السابق ، ص ٣٦ .
- ٩٥) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .
- ٩٦) ابن أبيه (أبي محمد عبد الله بن مسلم) : البيمار ، حققه وقدم له لروت عكاشة ، القاهرة ١٣٨٨هـ/١٩٦٩ ، ص ٤٧ .
- ٩٧) نجيب ميخائيل ابراهيم : المرجع السابق ، ص ٤٥٤ .
- ٩٨) ابن هشام : السيرة ٢٠٤/١ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ياقوت : ٨٤/٥ ، وفاة الرولا ١٦٠٠/١ .
- ٩٩) زكي فودة : المرجع السابق ، ص ١٣٤ .
- ١٠٠) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٤٥٤ - ٤٦٥ وكلا :
- Albright, W.F., The Archaeology of Palestine, London , 1949, pp. 141f;
Keller, W., The Bible As History, (Hodder and Stoughton), 1967, p. 205.
- 101) Muhl, A., Northern Nejd, New York, 1928, p. 225 ;
Gadd, C.J., "The Hittite Inscriptions of Nabonidus", Assyriological Studies, Oriental Institute, University of Chicago, 8, 1923, p. 35;
Hitti, P.K., History of the Arabs, London, 1950, p. 39.
- ١٠٢) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .
- 103) Dougherty, R.P., Nabonidus and Belshazzar, New Haven, 1932, p. 106;
Smith, S., "Events in Arabia in the 6th Century, A.D.," Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 1954, P.P. 53, 83 .
- 104) Gadd, C.J., op. cit., p. 76.
- ١٠٥) عثر على عدد من الكتابات النبطية في الحجر وفي مواضع أخرى من لوز النبط وردت فيها أسماء عربية نظر إلى أن أصحابها من يهود . يعود بعضها إلى القرن الأول للميلاد . ويوجد بعض آخر إلى ما بعد ذلك ، مثل الكتابة التي يعود عهدها إلى سنة ٢٠٧ م ، وصاحبها رجل اسمه (يعني بر شمعون) أي (يعني بن شمعون) . فلو أن هذه الكتابات شخصية ، ولا تفصح عن شيء ، لى بال من عقبة أصحابها ، ولا من تاريخهم في هذه الأرضين . انظر :
- جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ - ٥١٤ وكلا :
- Islamic Culture, vol. III, No. 2, April, 1929;
Moravcsik, J., Judeo - Arabic Relations in pre-Islamic Times, Islamic Culture, III, 1929, p. 170.
- ١٠٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٣ .
- ١٠٧) آمال الرومي : مصر في عصر الرومان ، الطبعة الثانية ، جدة ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤ م ص ٨٦-٨٧ وكذا :
- Salmon, E.T., A History of the Roman World, 30 B.C. - 139 A.D., London, 1963, pp. 80 ff.

- ١٠٨) تم أسر يوسف - الذي أصبح فيما بعد الخوارج يوسف بن متى - على يد قوات لبيسان ، لم أصبح صديقاً للقائد الروماني الذي أصبح هو الآخر فيما بعد الإمبراطور لبيسان . انظر :
آمل الروبي : المرجع السابق ، ص ٨٧ (٢) .
- ١٠٩) Cary, M., History of Rome, London 1965, pp. 543 f.
آمل الروبي : المرجع السابق ، ص ٩٥ وكذا:
- ١١٠) Milne, J.G., A History of Egypt under Roman Rule, London, 1929, pp. 28f.
١١١) عبدالوهاب النجار : المرجع السابق ، ص ٣٠١ وكذا:
- Hosmer, J.K., The Jews, Ancient, Medieval and Modern, London , 1885, p. 183;
Charlesworth, M.A., "The Flavian Dynasty" , The Cambridge Ancient History, 1975, Vol. XI, p. 21 .
- ١١٢) مصطفى المادى : مصر من الإسكندر الأكبر إلى الفتح العربي ، القاهرة ١٩٨٥ ، ص ١٧٩ .
- ١١٣) محمد علي البار : المرجع السابق ، ص ١٠٩ وكذا:
- محمد يوسى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤٠ - ٤٤١ .
- ١١٤) عبداللطيف أحمد علي : مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق الودية ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢٠٩ ، ٢١٢ وكذا:
- أحمد هلي : مقولة الأديان (١) اليهودية ، الطبعة الثامنة ، القاهرة ١٩٨٨ ، ص ٨٨ وكذا:
- محمد يوسى مهران : سيرة النبي ، الكتاب الثاني ، ص ١١٠٥ - ١١٥٨ وكذا:
- مصر والشرق الأدنى القديم (٨) بلاد الشام ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ وكذا:
- ول ديورانت : المرجع السابق ، ص ٥ وكذا:
- Cary, M., op. cit., pp. 648f.
Wilhelm Weber, " Hadrian", Cambridge Ancient History, 1975, vol. XII P.P. 305, 313 f.
- ١١٥) محمد يوسى مهران : المرجع السابق ، ص ٤٤١ - ٤٤٢ .
- ١١٦) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ وكذا:
- أحمد إبراهيم الشريف : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٠٧ .
- ١١٧) جواد علي : المرجع السابق : ص ٥١٤ وكذا:
- لاندو : المرجع السابق ، ص ١٦ .
- 118) Lacy, O'Leary, D.D., Arabia before Muhammad, London, 1927, p. 173;
Altheim, F. und Stiehl, R., Die Araber in der Alten Welt, II, Berlin, 1964, p. 74.
- ١١٩) تاريخ الطبری ٣٨٤/١ .
- ١٢٠) تاريخ ابن خلدون ٢٨٧/٢ .
- عبدالله محمد الطراد : مطلع النور أو طالع الحظ العظمى ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ١٧ .
- ١٢١) ياقوت ٨٤/٥ .
- أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٧ - ٣٠٨ وكذا:

- محمد يوسفي مهران : مصر والشرق الأدنى القديم (٧) الخطبة العربية ، الاسكندرية ١٤٠٩هـ/١٩٨٨م ، ص ٤٢٣ .
- (١٢٢) تلوخ ابن خلفون ٥٩٤/٢ .
- (١٢٣) كان يقيم ب (منا) عند ظهور الاسلام ، اكرم من اليهود اسمهم (بنو جنيه) ، ولقد كتب اليهم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإلى أهل (منا) يدعوهم إلى الاسلام، أو إلى دفع الجزية وكتب إلى اكرم من يهود اسمهم (بنو غاديي) ، وإلى اكرم آخرين (بنو غرضي) .
- انظر : ابن سعد : طبقات ٢٧٦/١ ، ٢٧٩ .
- (١٢٤) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥١٨ .
- (١٢٥) اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١١ .
- (١٢٦) احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ .
- (١٢٧) جواد علي : المرجع السابق ، ص ٥٥٢ وكلا :
- محمد يوسفي مهران : المرجع السابق ، ص ٤٢٣ .
- (١٢٨) ابن هشام : السيرة ٤٢٨/٢ ، ٢٥٩/٣ ،
- ولاء الوفا ١١٢/١ - ١١٦ ،
- اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١٤ ، ص ١٦ .
- (١٢٩) أحمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ وكلا :
- اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١١٦ - ١١٧ .
- (١٣٠) عزة مريزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .
- (١٣١) اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١١٦ .
- (١٣٢) النبلو بكري : تاريخ الخميس في احوال انفس النفوس ، الجزء الثاني ، القاهرة ١٣٠٢هـ ، ص ٤٥ .
- (١٣٣) المسدي (لسان الممن الحسن بن احمد بن يعقوب) : صفة جزيرة العرب ، تحقيق محمد بن علي الاكرم ، (الرياض ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ٣٥ .
- (١٣٤) اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١٦٧ .
- (١٣٥) الشامي : شرح كتاب السير الكبير لابن احمد بن محمد بن احمد الرافعي ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة : ١٩٧١ ، ج ١ ص ٧٢ - ٧٣ وكلا :
- سلام شاهي محمد سلام : حصون عموري المجاهدة وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ٩٧ - ٩٨ .
- (١٣٦) الروحى الانف : ٥٢/٢ وكلا :
- اسرائيل ولقسنون : المرجع السابق ، ص ١١٣ .
- (١٣٧) ابن حبيب (أبو جعفر محمد) : المعجم تحقيق ابنزة ليحيى هتير ، جيزو آباد ، الهند ١٣٨٤هـ / ١٩٤٢م ، ص ١٩٦ وكلا :

- العلاني (أبو بكر أحمد بن علي) : تجذبات الأدب ولباب لب لسان العرب ، الجزء الرابع ، القاهرة : ١٩٥٩ ، ص ٣٦٠ ، ٣٦٢ .
- (١٣٨) جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الخامس ، الطبعة الثالثة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١١٢ .
- (١٣٩) عرفان حور : أصول العرب ، بيروت ١٩٧٩ ، ص ٦٣ .
- (١٤٠) ابن النقي النقي : أيام العرب قبل الإسلام ، جمع وتحقيق ودراسة عبد الله الباني ، بيروت ١٩٨٧/١٤٠٧ م ، ج ٢ ، ص ٥١٠ وكذا :
- عرفان حور : المرجع السابق ، ص ٧٩ ، ٨٠ وكذا :
- سعيد الانطاني : أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ، دمشق ١٩٦٠ ، ص ١٦٧ وكذا :
- سلام شافعي عمرد سلام : النشاط التجاري في حير في الجاهلية وحسب القنح ، الاسكندرية ١٩٨٩ ، ص ١٢٩،٧ .
- (١٤١) رجب بلاشير : تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي - ترجمة الدكتور إبراهيم كلال ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٦٤ .
- (١٤٢) تاريخ القريش ٢٦/٢ ، ٣٩ .
- (١٤٣) أحمد سريه : مفصل العرب واليهود في التاريخ ، الطبعة الخامسة ، بغداد ١٩٨١ ، ص ٦٢٨ .
- (١٤٤) Caskel, W., Das Attarabische Königreich Libyan, Köln, 1954, s.19.
- (١٤٥) القوس والروم والهند وغيرهم ممن دخل في الإسلام ، نسوا بأسماء عربية ، وحبها أسماء عربية خالصة ، وتسمياتهم هذه لا تعني أن من تسمى بها كان عربياً الأصل . ثم إن كثيراً من اليهود في العرب وفي أمريكا وفي البلاد العربية والإسلامية سموا أنفسهم بأسماء غير عربية ، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود . فلا أسماء وحدها لا تكفي في إعطاء رأى علمي في تعيين الأصول والأجناس ، ولا سيما في التفرقة الكائنة على طرق التجارة والواصلات وفي الأماكن التي يكثر فيها الاختلاط .
- انظر :
- جواد علي : الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الخامس ، ص ٥٣٠-٥٣١ .
- (١٤٦) إسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٦٥ . وكذا :
- (١٤٧) Margoliouth, D.S., The Relations between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam, London, 1924, p. 59 .
- (١٤٨) ابن هشام السيرة : ١٨٣/٢ - ١٩٠ وكذا :
- عزة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٣٨ - ٤٥٣ .
- (١٤٩) أحمد إبراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ .
- (١٥٠) سورة البقرة : ٤٠ ، ٤١ ، ٤٧ ، ٥٠ ، ٧٢-٧٦ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١١١ ،
- سورة النساء : ١٥٣ ؛ سورة آل عمران : ٩٣ ،
- سورة المائدة : ٢ - ١٣ ، ٧٨ - ٨١ .
- (١٥١) محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٤٩ .

- ١٥٢) احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .
- ١٥٣) محمود عباس الطراد : المرجع السابق ، ص ٤٨ - ٤٩ .
- ١٥٤) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٧٧ .
- ١٥٥) سفر التوبة ١: ١٤ وما بعدها .
- ١٥٦) عزرة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .
- ١٥٧) اسرائيل ولفسون : المرجع السابق ، ص ٢٠ وكلنا:
- عزرة دروزة : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٤٣٦ وكلنا:
- محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٥٠ ، ٥٢ .
- ١٥٨) سورة الأنعام : ١٥٥ : ١٥٧ ، سورة فصلت : ٤٤ .
- ١٥٩) عزرة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .
- ١٦٠) محمد القلي : النجاح الجامع لأصول أحاديث الرسول ، الجزء الخامس ، القاهرة ١٣٦٨هـ ، ص ٢٣٠ .
- وكلنا (كتاب) في الحديث هي كتابتهم ولفهم على ما هو مستفاد من مجموع الحديث .
- ١٦١) عزرة دروزة : المرجع السابق ، ص ٤٢٥ - ٤٢٦ .
- ١٦٢) احمد ابراهيم الشريف : المرجع السابق ، ص ٣٠٢ وكلنا: محمد السيد الركيل : المرجع السابق ، ص ٥١ - ٥٢ .

التوازن واللاتوازن الاقليمي
دراسة جغرافية تطبيقية علي مدينة رابغ

د. سامي صلاح الفهمري
قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز

د. أسامة رشاد جستنية
قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة الملك عبد العزيز

التوازن واللاتوازن الاقليمي

دراسة جغرافية تطبيقية على مدينة رابغ

المقدمة

ITF

اللاتوازن الاقليمي REGIONAL INEQUALITIES ظاهرة موجودة في أغلب الأمر في جميع دول العالم وبدون استثناء ، هذه الظاهرة تنعكس سلبياتها بشكل واضح على حجم وتركيبية النظام الحضري القائم في ذلك الاقليم وذلك لما تؤديه ظاهرة اللاتوازن الاقليمي الى صعوبات تنموية في الحاضر والمستقبل (HERBERT, E. THOMAS 1982 P 157) . وقد ظهرت عدة دراسات واقتراحات جغرافية لدراسة الاثر السلبي لهذا التباين الاقليمي وايجاد حلول مناسبة له ، اما عن طريق تقييم الفرص الموجودة والمتاحة اقليميا مثل امكانية تحريك العمالة والتوازن بين مناطق العجز والوفرة اوقيام منشآت اقتصادية في مناطق العجز الحضري والمميزة بعناصر طبيعية واقتصادية مساعدة ، وهذه الدراسات تحاول جاهدة تسخير الحلول المناسبة من أجل ايجاد توازن اقليمي الي الحد المرضي بقدر المستطاع .

أما فيما يخص هذا البحث فان تناول ظاهرة اللاتوازن الاقليمي وتطبيقها على مدينة رابغ بعد معرفة تاريخ المدينة في الماضي وما كانت عليه من نمو وتقدم ، وما أصاب هذه المدينة من تراجع نتيجة لبناء طريق جدة المدينة السريع والذي ابتعد كثيراً عن مدينة رابغ ، وما وصلت اليه المدينة بعد قيام الأنشطة الاقتصادية الحديثة (المنشآت الصناعية الرئيسية الثلاث) . ولتحقيق ذلك فان هذه الدراسة اعتمدت علي تتبع النظريات المختلفة ذات

العلاقة بموضوع البحث بغية معرفة أكثر هذه النظريات امكانية للتطبيق علي منطقة الدراسة والتي أظهرت زن نظرية مردال (MYRDAL) تمثل نموذجا جيدا للتطبيق نظرا لأن صاحب هذه النظرية كانت تطبيقاته على دول العالم الثالث والذي يتميز بخصائص قد تختلف علي ما هو موجود بالعالم المتقدم .

والى جانب التعرف علي النظريات المختلفة فقد اعتمدت الدراسة علي السمل الميداني والذي استخدم أسلوب المقابلات الشخصية مع المسؤولين والاداريين في كل من بلدية رابغ ، المحطة التجارية لتوليد الطاقة الكهربائية ، مصنع الأسمنت ومصفاة بترومين (بترول) ، بالإضافة الي معظم المصالح الحكومية ذات العلاقة بموضوع البحث مثل ادارة التعليم والرئاسة والرئاسة العامة لتعليم البنات وفي نهاية البحث تقدم الباحثان ببعض النتائج والتوصيات المرتبطة بالتنمية الاقليمية بمدينة رابغ (انظر الاستبيان) .

تعريف مصطلحات البحث :

١ - التكتل الصناعي : INDUSTRIAL AGGLOMERATION :

ويقصد به التجمعات الموقعية للانشطة الصناعية في منطقة جغرافية معينة بهدف الاستفادة من الوفورات الاقتصادية والموقعية المتوفرة من تكتلها وقربها الجغرافي .

٢ - مؤثرات الترابط الصناعي : LINKAGE EFFECTS :

ويقصد به تركز المصانع ذات العلاقة الانتاجية المتشابهة في موقع جغرافي معين مستفيدة من بعضها البعض في انسياب وتسلسل المواد والمعلومات والسلع المصنعة والشبه مصنعة سواء في الانتاج الامامي او الانتاج الخلفي للنشاط .

٢ - الهبات الطبيعية والبشرية : INITIAL ADVANTAGES

ويقصد بها امكانية التفوق الاقليمي الجغرافي المتاحة له هذه الهبات الطبيعية والبشرية مقارنة بالاقاليم الاخرى المجاورة والتي لا تمتلك نفس الهبات الطبيعية والبشرية فيها وبالتالي يظهر كأقليم متفوق ومناسب يعجز الآخريين عن منافسته في الاسواق والانتاج والتوزيع .

٤ - السلع الاستهلاكية : CONSUMER GOODS

ويقصد بها جميع السلع والبضائع السريعة الاستهلاك الفردي والجماعي مثل الاجهزة والادوات والمواد التي يستعملها المجتمع في أى موضع جغرافي .

٥ - المساواة التنموية الاقليمية : REGIONAL EQUITY

ويقصد بها مساواة سكان قطر ما في جميع المنح والخطط التنموية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتشمل التوزيع العادل في قيام ونشر المشاريع التنموية وبمشاركة جميع القطاعات والفئات في المجتمع الواحد وعدم تركزها في اقليم معين دون الآخر .

٦ - البنية الاساسية : (الهيكل الارتكازي) INFRASTRUCTURE

ويقصد بها المرافق والخدمات العامة التي توفرها دولة او قطر ما لتنمية الانشطة الاقتصادية زراعية او صناعية او خدمات . وهذه المرافق تشمل مثل خطوط النقل بأنواعها الثلاثة ، وسائل الاتصالات الحديثة ، المياه ، الكهرباء ، والدوائر الحكومية الرسمية ، المدن الصناعية ، والبنوك والمستودعات والمواقف والصرف ،

ويقصد بها وجود وسائل النقل وشبكاتها لخدمة الأنشطة الاقتصادية في نقل المواد الخام أو حركة العمال من وإلى النشاط ، ونقل السلع والمنتجات الصناعية إلى مراكز التوزيع المتباعدة في أقرب وقت وبأقل تكاليف شحن وتفريغ ممكنة .

٨ - الهامش والعائد الربحي : MARGIN OF PROFITABILITY

ويقصد بها العوائد المادية التي جاءت نتيجة الإنتاج أو إنتاج وحدة واحدة مضافة إلى الإنتاج السابق . وعادة فإن الأرباح الإجمالية تزيد وترتفع مع زيادة الإنتاج التجاري حتى تصل إلى نقطة إنتاجية معينة تكون فيها أي زيادة إنتاجية من حساب العائد الربحي .

٩ - التراكمية السببية :

سنظرية قالها عالم سويدي مردال (MYRDAL 1958) والتي يناقش فيها أهمية قيام نشاط اقتصادي في موقع جغرافي يساعد على سرعة دوران العجلة التنموية والحضرية في ذلك الموقع . ذلك أن قيام نشاط اقتصادي يؤدي بالضرورة إلى سلسلة متواصلة من قيام نشاطات اقتصادية أخرى لها علاقة وروابط اقتصادية مع المنشأة الأولى وذلك فيما يعرف بالروابط الامامية والخلفية والرفورات الاقتصادية ذات العلاقة بهم . وبعد فترة زمنية تتراكم وتكون نواة اقتصادية في ذلك الموقع .

١٠ - التنمية الصناعية :

يقصد بها تغيير وتحسين المستويات التقنية المتواجدة في القاعدة الصناعية القائمة . وذلك أن التحسين التقني يؤدي إلى إنتاج سلع بنوعية

وأسعار مطروحة في الأسواق المحلية والعالمية . هذه التنمية الصناعية تؤدي
الى تحسين المستويات المعيشية لمجتمع ذلك الموقع او الاقليم .

١١ - الدافع الاول : PRIME MOVER

ويقصد به وجود هبة طبيعية او بشرية في موقع معين تساعد على
تقدمه وتفوقه على الاقاليم المجاورة له . هذه الهبة الطبيعية او البشرية
(البترول مثلا) تؤدي الى تغيرات تنموية جذرية في مجتمع الاقليم على جميع
المستويات الثقافية والصحية والتقنية فيه .

الاهداف :

شهدت مدينة رابغ في السنوات الاخيرة قيام منشآت صناعية هامة
ساعدت على حدوث تغييرات اقتصادية وحضرية وبالتالي الى اعادة مبد
التوازن الاقليمي لها ، ويهدف هذا البحث الى دراسة وتقييم هذه التغييرات
مستعينا بنظريات التنمية الاقتصادية والحضرية التي تناولت بحث وعلاقة
ظهور أنشطة اقتصادية في منطقة معينة وتأثيراتها الايجابية على افراد
ومجتمع المنطقة التي شهدت حدوث هذا التغيير التنموي .

وفي هذا الصدد فقد تم الاستعانة بنظرية مردال في دراسة هذه
الظاهرة لتتبع التسلسل التنموي الذي حصل في فترة زمنية بسيطة بغية
معرفة زوجه التشابه والاختلاف بين الواقع الفعلي القائم بمدينة رابغ والواقع
النظري الذي ناقشه مردال في نظريته .

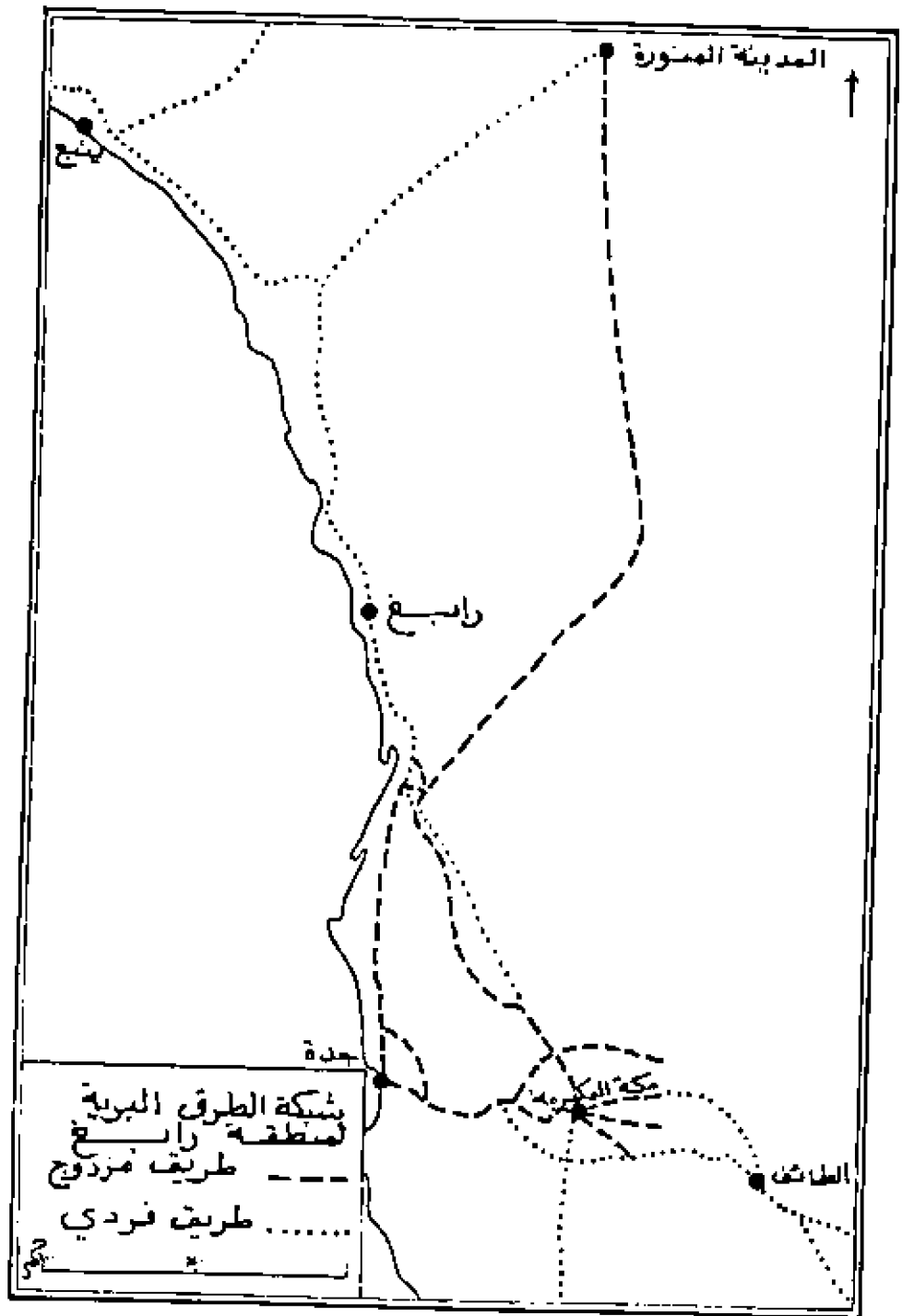
أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة في أنها محاولة لتتبع وكشف خصائص

التفسيرات التنموية والتي مرت بها مدينة رابغ منذ بداية ظهور خطط التنمية في المملكة ١٩٧٠ - ١٩٩٠ م . حيث أن الدلائل التاريخية والجغرافية تشير الي أن أهمية موقع مدينة رابغ يكمن في أنها حلقة وصل بين المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ولقوافل الحجاج والتجارة اضافة الى انها عبر تاريخها أصبحت نتيجة لاندثار الجحفة ميقاتا للحجاج القادمين عبر هذا الطريق (عاتق البلادي ١٣٩٨ ص ٥٧) .

ومع ظهور الطرق البرية المسفلتة وانشاء طريق المدينة البرى القديم والذي كان يمر بمدينة رابغ اضافة الى زيادة عدد الحجاج الوافدين عن طريق البحر والذان أديا الى انتعاش المدينة اقتصاديا الا اننا نلاحظ ان أهمية هذه المدينة بدأت تتراجع بشكل ملحوظ وذلك نتيجة لدخول المملكة العربية السعودية مرحلة تنمية بناء الطرق السريعة خلال الثمانيات ، وانشاء الخط السريع الذي يربط كل من مكة وجدة بالمدينة المنورة عام ١٤٠١ هـ والذي اتخذ مسارا جديدا يبعد عن مدينة رابغ الامر الذي ادى بدوره الى بداية فقدان المدينة لأهميتها السابقة كحلقة اتصال بين المدن الرئيسية بالمنطقة الغربية وبمعنى آخر ان المدينة بدأت تفقد وظيفتها "ITS FUNCTION" التي كانت سببا ومبررا رئيسيا لوجودها RAISON DETRE وذلك أدى دون أدنى شك الى نزوح وهجرات سكانية منها (DICKEN, P. 1986, P 57) (انظر الخريطة رقم ١) .

وفي مثل هذه الحالات عادة ما يحاول المخططون الاقليميون ومتخذي القرار "DECISION MAKERS" ايجاد بدائل اخرى تساعد علي اعادة الحياة للمدينة واكسابها صفة الاستمرارية ومبرر الوجود فالمعروف أن الوظيفة للمدينة رأس مال ثابت ليس من السهل تركه ببساطة بل يحاول أن يغري



وظيفة أخرى للظهور انطلاقاً من مبدأ تحقيق التوازن الاقليمي REGIONAL
"BALANCE" بين أقاليم الدولة المختلفة (جمال حمدان ١٩٧٧ ص ١٨٦) وأن
قيام المنشآت الصناعية الرئيسية الثلاثة بمدينة رابغ يعتبر نقطة تحول لاعادة
الحياة مرة أخرى لهذه المدينة وتحقيقاً لمبدأ التوازن الاقليمي .

وتأتي أهمية هذه الدراسة في اظهار دور هذه المشاريع الصناعية والتي
نشأت مع بداية الثمانيات وما تلعبه من دور بارز في احياء وتنمية المدينة
اقتصاديا وحضرىا واعادة أهمية الموقع الجغرافى بها مرة أخرى .

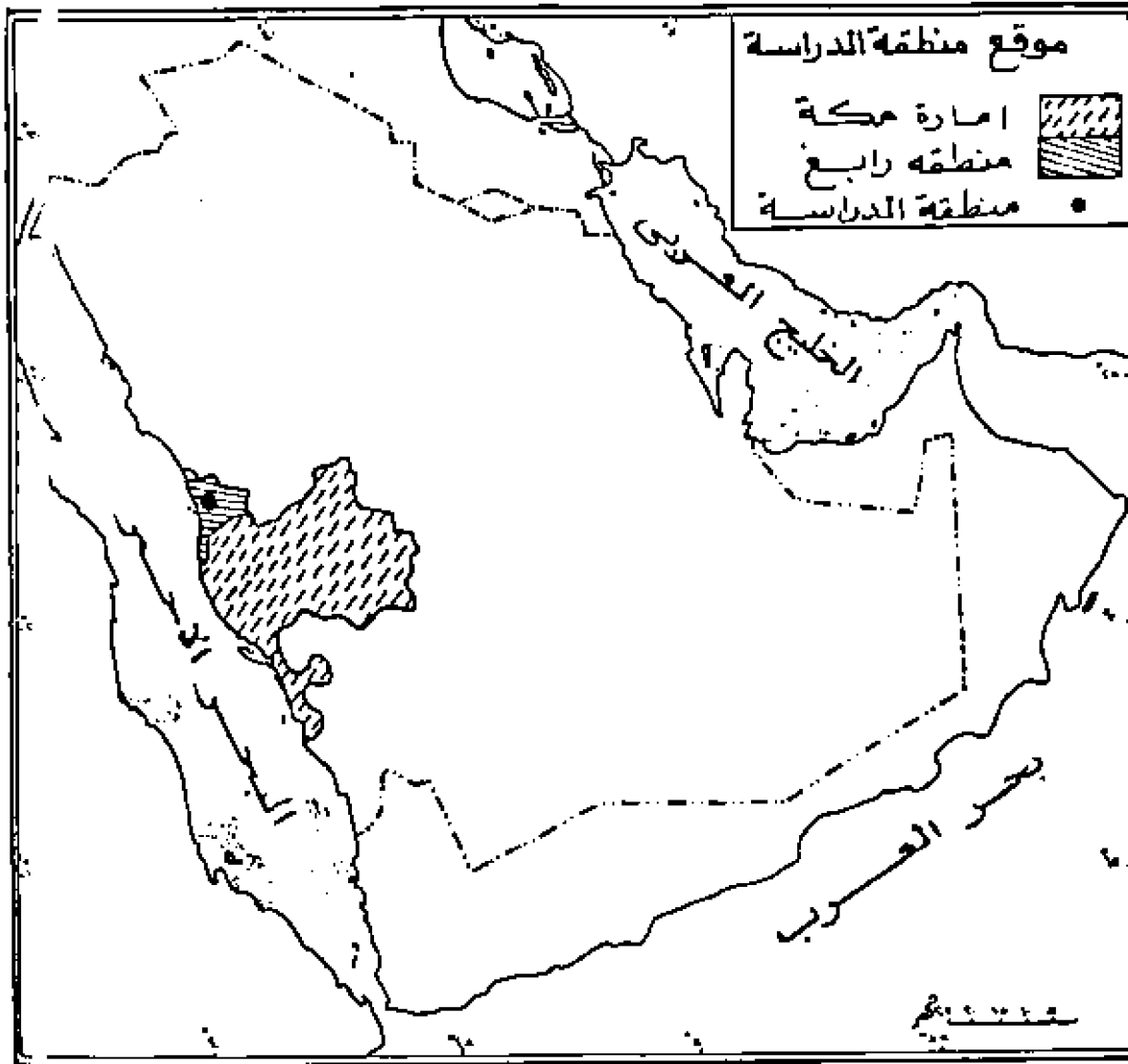
الخلفية الجغرافية :

تقع مدينة رابغ في غرب المملكة العربية السعودية على السهل السادى
الشرقى للبحر الاحمر بين دائرتي عرض ٢٢°٤٨ شمالاً وخط طول ٣٩°٥
شرقاً كما تمتد طبعى للسهل المعروف بسهل تهامة ويمساحة تقدر بحوالى
٤٩٣ هكتار (انظر الخريطة رقم ٢) ويحدها من الناحية الشمالية بدر ومن
الجنوب خليص ومن ناحية الشرق المهد ، ومناخها فان مدينة رابغ تقع ضمن
العروض المدارية الجافة والذي يعنى ارتفاع في درجات الحرارة على
السنة ويبلغ متوسط درجات الحرارة في فصل الشتاء ١٥°م بينما في فصل
الصيف تكون درجات الحرارة شديدة الارتفاع حيث يصل متوسطها حوالى
٤٥°م (عصفور ١٤٠٤ هـ ص ١٤٥) .

اما من ناحية الرطوبة النسبية فهي مرتفعة طوال العام وأن كانت تزداد
بصفة خاصة في أواخر شهور الصيف ويبلغ المتوسط السنوى للرطوبة
النسبية حوالى ٥٨ ٪ (عصفور ١٤٠٤ هـ ص ١٨٣) .

وبسبب موقع مدينة رابغ الجغرافى في العروض المدارية أدى الى ندرة

خريطة (٢)



في الامطار الساقطة وفي اختلاف مواعيد سقوطها وعدم انتظامها ، كما تسقط علي شكل عواصف ممطرة غالبا ما تكون خلال فصل الشتاء (نوفمبر - ديسمبر - يناير) ويبلغ معدل المطر السنوي حوالي ١٨ ملم (وزارة الزراعة والمياه) .

وفيما يخص الرياح السائدة فهي الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي يصل معدلها الي ٤٠ ٪ بالنسبة للانتجعات الاخرى (الرويثي ١٩٨١م ص ٢٨) .

ومعظم السهل الذي تقع عليه المدينة مغطي بالرواسب الرملية التي تخترقها الأودية الشبه جافة ومن أهمها وادي رابغ ووادي معرج ووادي الحنق وتمرة ووادي قديد ، ومعظم هذه الوديان تصب في البحر الأحمر في شكل غير منتظم حسب طبوغرافية المنطقة التي يجري فيها الوادي .

أما فيما يتعلق بموارد المياه والتي تعتبر عصب الحياة وأساس التنمية الحضرية فهناك المياه السطحية والتي تعتمد علي كمية الامطار الساقطة والتي تتصف بتفاوتها وقلة الكميات الساقطة ، ومع ذلك فانه يستفاد منها في زيادة كميات المياه الجوفية وهناك الآبار والينابيع والتي تعتبر أكثر شيوعا من حيث الاستخدام وسد حاجة المدينة من المياه اللازمة اضافة الى محطة لتحلية مياه البحر بطاقة انتاجية مقدارها ١٢٤ متر مكعب يوميا (المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة ١٤١١ - ١٤١٢هـ ص ٢٠) .

السكان :

من الصعوبة بمكان دراسة التنمية الاقليمية لاي موقع جغرافي دون دراسة العنصر السكاني فيها ، وحيث أن نظرية مردال وضعت في اعتبارها

ان النمو السكاني يكون مصاحبا لهذه التغييرات الاقتصادية لمدينة رابغ في مرحلتها الاولى وعليه فانه لابد من دراسة التغييرات السكانية لمدينة رابغ مختلفة بغية التوصل الى معرفة التغييرات المتداخلة بين السكان والانشطة الاقتصادية المختلفة .

يلاحظ من البيانات الاحصائية السكانية المتوفرة عن مدينة رابغ ان هناك تباينا كبيرا من مصدر لآخر ، فقد جاء في تقرير الدراسات السكانية والنوتة الحسابية بمدينة رابغ ان عدد سكان المدينة لعام ١٩٧٥م كان ٨٠٠٠ نسمة بناء علي نتائج دراسة المكتب الاستشاري (هاسيد) (وزارة الشئون البلدية والقروية ١٤٠٤هـ ص ١) في حين نجد ان عدد السكان حسب تعداد عام ١٩٧٤م - ١٣٩٤هـ قد بلغ ١٢٥٠٠ نسمة وفي دراسة لاحقة عن سكان مدينة رابغ قامت بها وزارة الشئون البلدية والقروية ، وكالة الوزارة لتخطيط المدن عام ١٤٠٨هـ ضمن التقرير الفني لدراسات النطاق العمراني ، قدرت عدد سكان رابغ عام ١٤٠٧هـ بـ ١٢٥٠٠ نسمة (وزارة الشئون البلدية والقروية ١٤٠٨هـ ص ٢٤) ونلاحظ ان عدد السكان خلال الفترة المذكورة (١٢ عاما) ظل كما هو .

وقد نفسر هذا الثبات وعدم التغيير السكاني الى بعض العوامل الطبيعية والاقتصادية والتي أثرت تأثيرا سلبيا بصورة كبيرة علي عدم استمرار النمو السكاني المتوقع ان لم يكن هناك نقصان في اعداد السكان ، ويمكن ارجاع دور العامل الطبيعي وتأثيره بالدرجة الاولى الي وقوع مدينة رابغ ضمن النطاق المداني الصحراوي (انظر ص ٨) والذي من خصائصه ندرة وتذبذب كميات الامطار السنوية فقد تنقطع سقوط الامطار لسنوات عديدة او تأتي فجائية في شكل عواصف رعدية تؤدي الي تكوين سيول

وفيضانات مدمرة وآخر هذه الفيضانات السيلية المدمرة كان عام ١٤٠٢هـ (الدراسات الميدانية ١٤١٣هـ) والذي ادى الى تدمير المزارع والمنازل المنتشرة على جانبي الوادى مما أدى بطبيعة الحال الى هجرة السكان ونزوحهم الى مناطق اخرى اكثر امانا .

وقد تؤثر التغييرات السلبية ايضا فى تركيب النشاط الاقتصادى فى المدينة بدليل ان نسبة المشتغلين فى قطاع الزراعة والصيد لعام ١٣٩٤ هـ كان ٦٠,٤٪ بينما انخفضت هذه النسبة بدرجة كبيرة الى ١٠٪ لعام ١٤٠٧هـ (وزارة الشئون البلدية والقروية - ١٤٠٨هـ ص ٢٧) الا انه بعد عام ١٤٠٧هـ دخلت المدينة مرحلة تنمية جديدة بدأت بظهور المنشآت الصناعية بقطاعيها العام والخاص والتي ساعدت الي عودة وجذب أعداد سكانية اضافية ممثلة فى العمالة الضرورية لتشغيل هذه المنشآت الصناعية حيث تؤكد البيانات الاحصائية المتوفرة هذا التغيير والتحول فى تركيبة ونوعية العمالة للنشطة الاقتصادية لمدينة رابغ ، فنجد ان ما نسبته ٢٧٪ من العمالة لعام ١٣٩٤ هـ كانت تعمل فى أنشطة اقتصادية غير زراعية ارتفعت هذه النسبة الى ٨٥٪ فى عام ١٤٠٧ هـ (وزارة الشئون البلدية والقروية - ١٤٠٨هـ ص ٢٧) .

نظرية مردال :

ان ظاهرة التوازن واللاتوازن الاقليمي وأثرها على النظام الحضري بشكل عام افرز العديد من النماذج النظرية والتي حاولت تفسير ويلورة هذه الظاهرة ، فهناك النظريات الجغرافية الكلاسيكية الاقتصادية والتي ترجع التباين الاقليمي الي اسباب متعددة مثل رغبة أصحاب الاستثمار الاقتصادي

الى قيام النشاطات الاقتصادية في المواقع والتي تتميز بتكاليف مخفضة من جهة وذات الارباح العالية من جهة اخرى (مثل وفرة وجود المواد الخام والايدي العاملة الرخيصة ومعاهد التقنية الحديثة ووفرة شبكات النقل والمواصلات) ومن هذه الدراسات دراسة الفريد فيبر ١٩٠٩م (فيبر ١٩٢٩) والتي تركز علي أهمية عنصرى النقل والمواصلات والعمالة علي حتمية واختيار الموقع المناسب للنشاط ، ويتبع هذه المدرسة أوغست لوش ١٩٥٤ A. LOSCH والذي اعتبر ان عنصر السوق والاستهلاك من أهم العناصر التي تؤدي الى قيام وظهور المنشآت الاقتصادية في موقع جغرافى معين ، وهذا يؤدي بالتالى الي التغييرات التنموية والحضرية للمنطقة (DICKEN & LOYD 1990, P 93) .

وفي هذا الصدد يرى جرينهت وازارد GREENHUT-ISARD (١٩٥٦) والذان ركزا علي أهمية العناصر السابقة مجتمعة ومتوفرة في المواقع الاستثمارية كما ان رستون ROWSTORN ١٩٥٨م وسميث SMITH ١٩٦٦م اهتموا بنظرية الهوامش السكانية والتي ناقشت احتمالية انتشار المنشآت الاقتصادية بالقرب من الارباح العالية وليس بالضرورة في بورتها (ص ١٨ ١٩٩١ CHAPMAN & WALKER) (SMITH D. 1971, P 143 - 155) ومن العلماء الجغرافيين من يرجع ظاهرة التوازن الاقليمي الى عوامل سلوكية شخصية تؤدي بدورها الي حدوث مثل هذا التباين الحضري من اقليم الى اخر . ومن أصحاب هذا الاتجاه سيمون SIMON ١٩٥٧م والذي يقول بأن الانسان بطبعه يبحث عن أفضل وأعلي الارباح المادية الاستثمارية الا ان الاعتبارات الاخرى الشخصية مثل قربه من موطنه او مجتمعه تؤدي بالتالي الي ظهور اقليم نامي دون الاخر . ويتفق مع هذا الاتجاه الن برد PRED ١٩٦٨م حيث يرى ان

السلوكية الفردية قد تغطي وتفضل اجتذاب النشاط الاقتصادي في اقليم عن الآخر منها الماديات والارباح والتكاليف قد تأتي في اعتبار آخر ، على اساس فان الانسان هو الذي يقرر ويتخذ القرارات الاستثمارية ويفضل موقع استثماري عن آخر . وبالتالي تظهر اللاتوازنية بين الاقليم نتيجة تلك القرارات المتخذة منه (SMITH D. 1971, P 107) .

أما مردال ١٩٥٦م MYRDAL نظرية تعتبر واحدة من أهم هذه النظريات (MYRDAL 1957) الاقتصادية التي تبحث في حلول ومشاكل التنمية الاقليمية واللاتوازن الاقليمي خاصة في دول العالم النامي ، وتأتي أهمية هذه الدراية انها وضعت اساسا لدراسة هذه الظاهرة في الدول النامية والتي تناقشها بمنظور مختلف بعض الشيء عن ما ذكر في أعلاه من النظريات الكلاسيكية يرجع ظهور التنمية الاقتصادية في اي اقليم جغرافي ليس فقط الي الوفورات الاقتصادية الداخلية والخارجية والتي دون شك ضروري للمنشآت الاقتصادية بل انه يرى الاسباب والتي سهاها التأثيرات المتضاعفة (النوافع التتمرية ٩ هي الاسباب وراء تتابع منظومة التنمية والتي تبدأ بقيام حسب النظرية بنشاط صناعي كبير يعتبر الجيل الاول والذي يؤدي الي سلسلة من التغييرات الجذرية التتموية المصاحبة لها وفقا للتدرج التسلسلي التالي :-

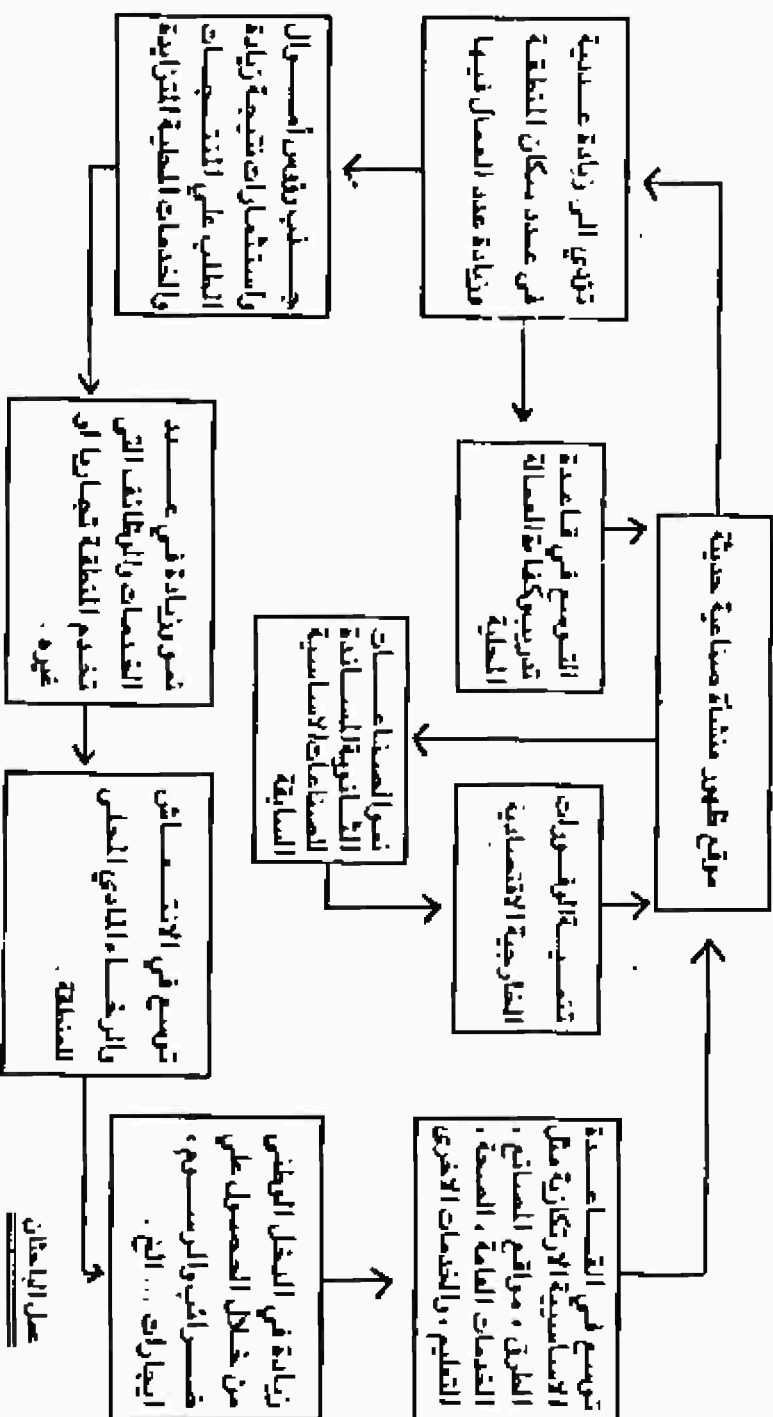
(أنظر الشكل رقم (١) .

المرحلة الاولى :

وهي التي يظهر فيها زيادة في الدخل القومي والفردى ذلك أن توفر وظائف عمل نتيجة لقيام المنشأة الصناعية الكبيرة لسكان المنطقة يؤدي الي ارتفاع المستوى المعيشي لهم . كذلك فان ارتفاع المستوى المعيشي للسكان

شكل رقم (١)

مراحل نمو قطاع موزال السببية التراكمية



يحتتم قيام خدمات تجارية وحضرية أخرى مثل الاسواق التجارية ، المستشفيات الخاصة والحكومية . هذه الأنشطة تحتاج الي توظيف عمالة محلية جديدة ، وهنا فان الزيادة العددية التراكمية المتتابة في الخدمات الضرورية الحديثة الظهور تؤدي الي زيادة مكتسبة في عدد سكان هذه المنطقة النامية . هذه الزيادة تأتي علي افتراض ان معظم الوظائف الجديدة سوف تجلب معها عائلة مكونة في المتوسط من أربعة اشخاص . ومع الزيادة السكانية وارتفاع المستوى المعيشي في المنطقة فانه تظهر خدمات ومتطلبات ضرورية مثل المستشفيات والمدارس ووسائل النقل العامة ، هذه الخدمات تضيف وظائف عمل جديدة للمنطقة تؤدي الي اتساع القاعدة التنموية فيها تدريجيا .

المرحلة الثانية :

ومن نتائجها رفع قدرات ومستويات الكفاءة المهنية للعمال في القطاع الصناعي لتتلاءم مع المرحلة الصناعية الجديدة والتي من شأنها أن تستوجب ايجاد معاهد تدريب وتنمية القدرات البشرية العاملة والمتوقع منها التكيف مع التطورات التقنية الحديثة السريعة التغيير .

المرحلة الثالثة :

وحسب معطيات نظرية مردال فان المنطقة تدخل مرحلة تنموية جديدة الا وهي ظهور صناعات ثانوية مساندة تعتبر الجيل الثاني من الأنشطة الاقتصادية فيها "ANCILARY INDUSTRIES" . هذه الصناعات الثانوية ارتبطت واعتمدت في قيامها بشكل كبير على المنتوجات الأولية المنتجة من الصناعات الاساسية السابقة للنشوء في الجيل الاول (GREEN, M. 1990, P 47) .

وتقوم الصناعات الثانوية بتقديم منتجات صناعية مصنعة وشبه مصنعة SEMI-FINISHED MATERIALS الي المستهلك ، وتقديم وظائف وخدمات اخري مثل الصيانة وقطع الغيار ، مكونة بذلك ما يعرف باسم التكتل الصناعي AGGLOMERATION ECONOMIES . والذي بدوره له فائدة اقتصادية من حيث تواجد وتركز كثير من الانشطة الاقتصادية ذات العلاقة الانتاجية بالقرب الموقعي من بعضها البعض او الاستفادة من عامل الترابط الانتاجي في تحقيق زيادة العوائد الربحية وتخفيض تكاليف الانتاج والمصروفات (الهامش الربحي) PROFITABILITY MARGINAL (WATT 1987, P 115-119) .

المرحلة الرابعة :

وفي هذه المرحلة الاخيرة تظهر بوادر متممة ومشجعة لجذب أنشطة اخري من خارج المنطقة النامية تؤدي الي اضطراب المنطقة تنمويًا بشكل كبير . الا ان مردال أشار في نظريته بوجود توفر عنصرين رئيسيين هما اولهما : عتبة القدرة الشرائية THRESHOLD ويقصد بها توفير الحد الأدنى من السكان لمنطقة ما لطلب خدمة معينة . ويعني آخر انه لابد من وجود حجم استهلاكي معين . كشرط اساسي لتغطية تكاليف انتاج وتشغيل هذه الخدمة ، وفي حالة عدم توفر هذا الشرط من القدرة الشرائية بالمنطقة فان قيلم النشاط الصناعي يصبح عديم الجدوى الاقتصادية . أما الوفورات الخارجية URBAN ECONOMIES فيقصد به وجود خدمات حضارية LOCAL ECONOMIES وموقعية MIES تساعد علي زيادة العوائد الربحية وتخفيض تكاليف الانتاج للمنشأة الصناعية وتتمثل هذه الوفورات الخارجية

الحضارية في المؤسسات الحكومية مثل البرق والبريد والهاتف ، والدفاع المدني ، المرد ، المواصلات ، الشرطة ، الشركات المختلفة مثل الكهرباء ، المياه ، التأمين ، البنوك ، بجانب الوفورات الموقعية مثل المادة الخام ، الايدي العاملة الرخيصة ، التمويل والاسواق .

تطبيق نظرية مردال علي التنمية الاقتصادية والحضرية لرابغ :

في هذا الجزء من هذا البحث سوف نحاول معرفة مدى التشابه بين النظرية والواقع التتموى القائم بمدينة رابغ ومعرفة ما اذا كان هناك فعلا علاقة كبيرة بين قيام ونشوء نشاط اقتصادي في موقع جغرافي معين وبين تنمية المنطقة اقتصاديا وحضريا وما قد يصاحب ذلك من مظاهر ايجابية وسلبية عليها . ويمكننا ان نعتبر ان منتصف السبعينيات الميلادية هي بداية مرحلة جديدة للتغيير والتطور التتموى لمدينة رابغ ، حيث شهدت المملكة العربية السعودية منذ منتصف السبعينيات طفرة في عائدات البترول الكبيرة ، ولقد ركزت الخطة الخمسية الاولى ١٩٧٠ - ١٩٧٥ م على بناء القاعدة الاساسية BASIC INFRASTRUCTURE والتي تكون معظم المتطلبات الضرورية اللازمة لتوطين النشاط الاقتصادي (الهيئة المركزية للتخطيط - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ م ص ٢٥) . وكان الهدف النهائي من ذلك هو ايجاد بدائل ومصادر اخري للدخل القومي بجانب انتاج البترول .

ومع بداية خطة التنمية الثانية (١٩٧٥ - ١٩٨٠) كان معظم هيكل البنية الاساسية الضرورية قد اكتمل مما شجع على ظهور مرحلة جديدة من مراحل التنمية الاقتصادية الشاملة والتي تتمثل في جذب رؤوس الاموال المحلية والاجنبية من الاستفادة منها كوفورات اقتصادية خارجية وكانت هذه

بداية لظهور وتنويع الأنشطة الاقتصادية (وزارة التخطيط - ١٩٧٥ - ١٩٨٠ ص ٢٨ - ٢٠) .

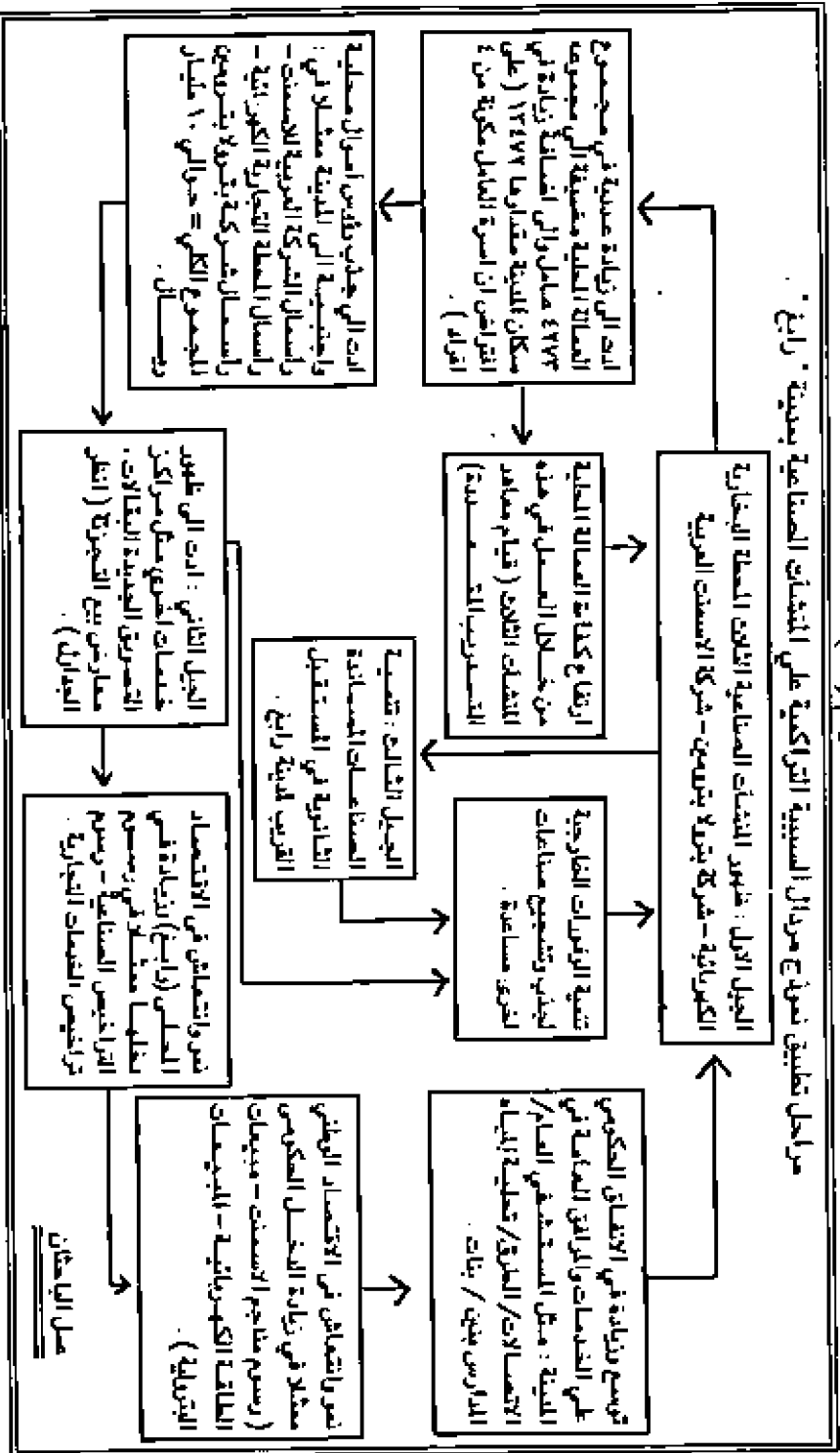
ومدينة رابغ لا تشذ عن هذه القاعدة ، فقد استفادت من هذه المرحلة مدعومة بموقعها الاستراتيجي المميز (خريطة رقم ٢) مما أدى الى اختيارها لقيام ثلاث أنشطة اقتصادية رئيسية منها بترومين ، بترولاً لتكرير خام البترول ، ثم اعقبها الشركة العربية المحدودة لانتاج الاسمنت واخيرا المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية علي مستوى المنطقة الغربية ككل .

وللاهمية الاقتصادية لهذه المنشآت ودورها الرئيسي في التنمية الاقتصادية والحضرية لمدينة رابغ فلابد من اعطاء مرجز عنها .
مصنع الاسمنت :

اختيرت مدينة رابغ كموقع أنسب لقيام اسمنت الشركة العربية المحدودة بسبب أن الموقع القديم شمال مدينة جدة كان يواجه صعوبات عديدة لعل من أهمها ان التوسع العمراني لمدينة جدة زحف علي مناجم الحجر الجيري المادة الخام الرئيسية في صناعة مادة الاسمنت بالإضافة الى اضرار التلوث الهوائي الناجم عن عمليات التصنيع . وبناء عليه فقد تم بناء المصنع الجديد عام (١٩٨٠) وبدا الانتاج الفعلي عام ١٩٨٤ بطاقة انتاجية حوالي مليون وثلاثمائة الف طن سنويا وهي ضعف الطاقة الانتاجية للموقع القديم .

ان وفرة المادة الخام (الحجر الجيري) في الجزء الجنوبي لمدينة رابغ واللازمة لانتاج الاسمنت هي من أهم عوامل التوطن الصناعي للمصنع في هذا الموقع بالتحديد ويشغل المصنع مساحة قدرها ٦ كجم^٢ تحتوي على

مراحل تطبيق نهج هردال السببية التراكبية على المنشآت الصناعية بمدينة " رابغ "



مناجم الحجر الجيري والتي بإمكانها تزويد المصنع بالمواد الخام لحوالي ٢٠ عام من الطاقة الانتاجية ويعمل بالمرقع حوالي ٢٨٥ عاملا اغلبهم ايدى عاملة وافدة . وفيما عدا وجود خدمة تموينية بسيطة لبعض المستلزمات اليومية فان معظم الاحتياجات والمستلزمات اليومية للسكان يتم الحصول عليها من مدينة رابغ (راجع نتائج البحث) كما وأن المصنع يعتبر احد المصادر الرئيسية لتزويد الاقليم الغربي باحتياجاته من الاسمنت (الدراسة الميدانية ١٤١٢هـ) (انظر الخريطة رقم ٢) .

المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية :

أن اتخاذ القرار بتوطين المحطة البخارية في مدينة رابغ من قبل الشركة السعودية الموحدة للكهرباء كان لاسباب عديدة لعل من أهمها موقع مدينة رابغ وسطا بين أهم مدن المنطقة الغربية مكة - جدة - المدينة المنورة - الطائف - رابغ - ينبع (الخريطة ٢) حيث أن الموقع المتوسط يقلل من تكاليف توزيع الطاقة الكهربائية علي المستوى الاقليمي ، كما ان وجود المياه اللازمة لعمليات التبريد علي ساحل البحر الأحمر كان عاملا موضعيا آخر حيث أن المحطة تحتاج الى كميات كبيرة من مياه التبريد تصل الى ٤٠٠ طن يوميا (١٠٠٠٠٠٠) جالون يوميا (دراسة ميدانية ١٤١٢هـ) .

وبناء علي ما سبق ذكره فقد بدأ العمل في المشروع عام ١٩٨٢م وقد استغرقت عمليات البناء ثلاث سنوات بعدها بدأ الانتاج الفعلي للكهرباء بطاقة مقدارها ١٠٤٠ ميجاوات عام ١٩٨٥ وذات الطاقة الانتاجية ١٥٢٠ ميجاوات مع بداية عام ١٩٩٢ . وبهذه الطاقة الانتاجية فان المحطة تغطي اكثر من ٥٠ ٪ من الطاقة الكهربائية في الست مدن السابقة الذكر ويبلغ عدد

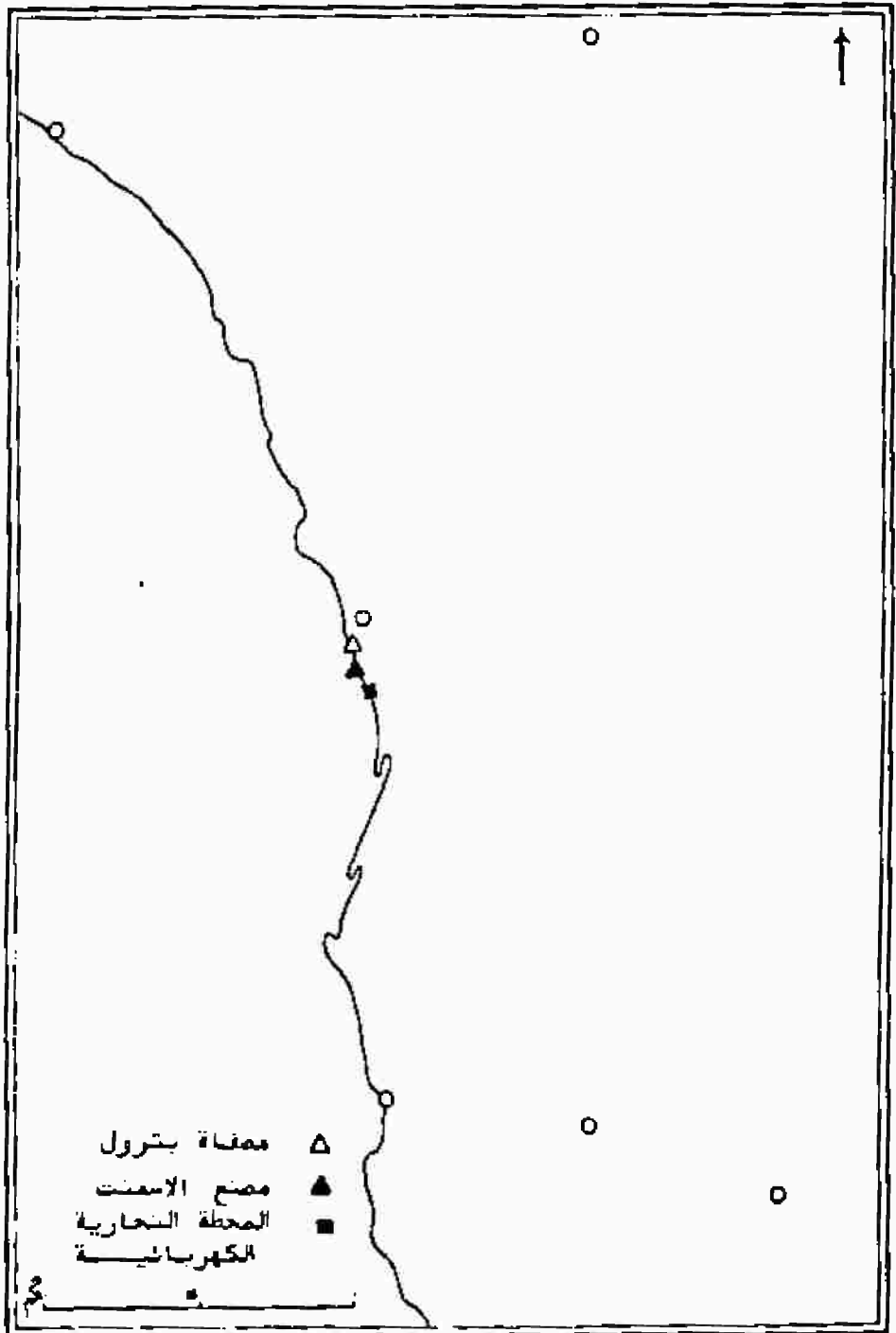
العمال حوالي ٢٥٠ عاملاً تمثل نسبة السعوديين فيهم حوالي ٢٥ ٪ من مجموع العمالة (الدراسة الميدانية ١٤١٣هـ) .

ونتيجة لعدم توفر العديد من الخدمات الضرورية مثل السكن والمدارس والتموين فإن هذا دفع العمال وأسرههم الي سد احتياجاتهم من هذه الخدمات من مدينة رابغ (انظر نتائج البحث) (انظر الخريطة رقم ٢) .

بترومين بترولاً :

وهي احد مصافي تكرير البترول الرئيسية الواقعة علي ساحل البحر الاحمر وتقع المصفاة في الجزء الجنوبي الغربي لمدينة رابغ علي بعد ١٠ كم (انظر الخريطة رقم ٢) ومن عوامل التوطن الصناعي والتي دفعت قيام المصفاة في هذا الموقع الجغرافي بالتحديد هو قربها من مدينة ينبع الصناعية والتي تقع الي الشمال من من مدينة رابغ ، حيث ان مدينة ينبع الصناعية تعتبر مصدر البترول الخام لمصفاة رابغ بالاضافة الي عوامل التوطن السابقة فان هذا الموقع يعتبر منفذ استراتيجي بحري هام يتم من خلاله تصريف المنتجات البترولية الي الاسواق العالمية في اوربا وامريكا الشمالية وأفريقيا ، حيث ان هذا الموقع يحقق فارق كبير في اختصار المسافة المقطوعة الي الدول الصناعية المتقدمة في غرب اوربا وأمريكا الشمالية مقارنة بنقل البترول من الخليج العربي الي هذه الدول (خريطة ٤) وهذا بدوره سوف يؤدي الي تقليص تكاليف شحن البترول الي الاسواق العالمية بأسعار اقل .

وقد اعتمدت المملكة العربية السعودية لفترة طويلة منذ بدايات الانتاج الاولي عام ١٩٢٨ وحتى عام ١٩٨٠ في تصريف معظم منتوجاتها البترولية



من منافذها الرئيسية علي ساحل الخليج العربي الا ان الازمة الخليجية الاولى والثانية اثبتت اهمية وجود منفذ استراتيجي ثاني علي البحر الاحمر ، وتشارك مدينة رابغ مدينة ينبع الصناعية في هذا الدور الاستراتيجي الهام .

ويشتمل المجمع على مصفاة تكرير بطاقة انتاجية تبلغ ٢٢٥ الف برميل يوميا تمتلكها كل من بترومين وشركة بترول العالمية . ويأتي دور بترومين في هذا المجمع الصناعي في تقديم الخدمات الضرورية مثل الخدمات السكنية والمتمثلة في المدينة السكنية الحديثة والتي تبلغ طاقاتها الاستيعابية ٥٠٠ نسمة ، وذلك للعاملين الذين يقومون بادارة وتشغيل هذه المصفاة ، ويشتمل المجمع ايضا على محطة لتوليد الطاقة الكهربائية ومحطة لتحلية المياه وتنقيتها ، اضافة الي وجود مرفأ بحري لاستقبال ناقلات الزيت وتصدير المنتجات البترولية (المؤسسة العامة للبترول والمعادن - بترومين رابغ ١٤١٠ هـ ص ١) .

ويبلغ عدد العاملين بالمجمع الصناعي حوالي ٢٥١٨ نسمة . ومما يميز هذه المنشأة الصناعية عن سابقتها بأن معظم الايدي العاملة من السعوديين حيث تصل نسبتهم الي حوالي ٧٠ ٪ من مجموع العاملين بها .

تحليل البيانات :

قبل دراسة وتحليل التشابه الموجود بين النظرية والتطور التتموى في مدينة رابغ لابد ان نشير الي ان هناك نقص في البيانات والمعلومات المطلوب توفرها بغية التحقق من هذه النظرية على الوجه المرضي . الا ان هذا النقص في بعض البيانات لايمنع من اجراء مثل هذه الدراسة حيث ان البيانات التي تم الحصول عليها من العمل الميداني تعطي مؤشرات عامة يستفاد منها في

تحليل هذه الدراسة وتقييمها .

ومن تحليل البيانات الاحصائية المتوفرة فان الاطار العام للتطور الاقتصادي الحضري لمدينة رابغ يتماشى الي حد كبير مع المراحل الرئيسية للنظرية (انظر الشكل رقم ١) .

حيث نلاحظ من دراسة النظرية ان بداية الشكل تتمثل في عمليات البناء والتشغيل والانتاج لهذه المنشآت الصناعية الجديدة والتي امتدت للفترة الواقعة مابين أواخر السبعينات وحتى منتصف الثمانيات وتعتبر هذه المرحلة البداية الاولى لانطلاقة التنمية الاقتصادية والحضرية للمدينة حيث ان عددا من المهتمين بهذا الجانب من الدراسات التنموية والذين اظهروا اهمية الدفعة الاولى INITIAL KICK كضرورة اساسية لانطلاقة الاقليم نحو التغير التنموي (انظر نظرية مردال) (WHEELR & MULER 1981, P 65) .

وقد اهتم مردال بالتغيرات المواكبة لظهور المنشآت الصناعية الجديدة والخصائص والمميزات التي تمتاز بها المراحل الرئيسية في النموذج والتي حددها في أربعة مراحل رئيسية متعاقبة ويمكن تحديد ملامح هذه المراحل لمدينة رابغ علي ضوء البيانات الاحصائية والمعلومات المتوفرة عن هذه المنشآت الرئيسية وما واكبها من خدمات حضرية مختلفة علي النحو التالي :-

المرحلة الاولى للتطوير التنموي لمدينة رابغ :

طبقا لنظرية مردال فان ملامح هذه المرحلة يمكن تلخيص خصائصها بالمراحل التنموية والتي مرت بها مدينة رابغ . حيث أن قيام هذه المنشآت الصناعية السابقة الذكر قد تتطلب وجود ايدي عاملة بأعداد كبيرة لتشغيلها

وادارتها ومن الطبيعي ان وجود فرص العمل هذه وبهذا الحجم انما هو انعكاس ايجابي للزيادة الكبيرة في الدخل القومي المستغلة من عائدات البترول في هذه المنطقة وبالتالي أدت الى ارتفاع المستويات المعيشية للفرد وتحسين مستوي الخدمات بينها بل ان تتالى وتتابع ايجاد فرص العمل المختلفة استمر ليشمل قطاع الخدمات ، ذلك ان النظرية اوضحت ان الزيادة السكانية وارتفاع المستويات المعيشية للسكان تؤدي الي قيام هذه الخدمات الضرورية مثل المدارس والمستشفيات والمرافق العامة .

وحسب البيانات عن بعض هذه الخدمات وجد أن هناك زيادة كبيرة في اعدادها . وعلي سبيل المثال فان القطاع التعليمي شهد زيادة في اعداد الفصول الدراسية والطلبة والطالبات والمدرسين والمدارس بنسب زيادة كبيرة لمدينة صغيرة الحجم السكاني كمدينة رابغ وذلك في الفترة ما بين عام ١٤٠٥ - ١٤١١هـ (انظر الجدول (١) ، (٢)) .

هذا بالإضافة الى ان الخدمات الأخرى مثل الهاتف قد تضاعف عدد الخطوط العاملة بها الى مايزيد عن أربعة أضعاف خلال الفترة ما بين ١٤٠٠ - ١٤١١هـ . كما ان خدمة التلكس والتي لم تكن متوفرة حتى عام ١٤٠١هـ تضاعفت الى ٢٠ ضعفا في عام ١٤١١هـ (انظر جدول رقم ٣) .

وشملت التطورات التنموية قطاع النقل والمواصلات كجزء لايتجزأ من البنية الأساسية الضرورية للتنمية . فنجد ان هناك زيادة واضحة في عدد الكيلومترات المسفلتة ما بين عام ١٤٠٧هـ ، عام ١٤١١هـ حيث كان مجموع الشوارع الرئيسية المسفلتة بمدينة رابغ عام ١٤٠٧هـ ١٠٧ كم ارتفعت الي ١٤١ كم عام ١٤١١هـ (انظر جدول رقم ٤) .

المرحلة الثانية :

وهي المتعلقة برفع كفاءة وتدريب العمالة في النشاطات الاقتصادية الحديثة النشوء . ونظرا لان مدينة رابغ صغيرة الحجم حديثة العهد بالتنمية الصناعية المتطورة وفجائية قيام المنشآت الصناعية الثلاث بها في فترة زمنية قصيرة جدا ، فاننا نجد ان معظم العمالة فيها اما عمالة اجنبية وافدة ذات تخصصات تقنية مختلفة أو عمالة سعودية حصلت على تخصصات تقنية من معاهد وجامعات من خارج مدينة رابغ . الا ان هذا لا يمنع ان نشير هنا ان العمالة في هذه المنشآت الصناعية بفتيتها تكتسب المزيد من الخبرة والتدريب المهني في مجال الاعمال المهنية المختلفة وذلك من خلال الممارسة اليومية ، وبطبيعة الحال فان المحصلة النهائية هي رفع مستويات وكفاءة قدراتهم لتلائم المتطلبات التقنية الحديثة كما اشارت اليه النظرية .

جدول رقم (١)

بيان بعدد الطلاب والفصول الدراسية والمدرسين بمدارس رابغ لجميع المراحل ١٤٠٠ - ١٤١١ هـ .

السنة	عدد الطلاب	عدد الفصول	عدد المدرسين
١٤٠٠	١٣٩٢	٦٨	٨٥
١٤٠٥	١٧٠٦	٧٥	١٠٦
١٤٠٨	٢١١٦	٧٩	١٠٨
١٤١١	٢٥٨٢	٩١	١١٨

المصدر :

- وزارة المعارف - الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية .

- مركز التوجيه التربوي بزابغ عام ١٤١١ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٢)

بيان بعدد الطالبات والفصول الدراسية والمدارس بمدارس رابغ
لجميع المراحل ١٤٠٠ - ١٤١١ هـ .

السنة	عدد الطلاب	عدد الفصول	عدد المدرسين
١٤٠٥	٢٨٨٤	١٦٠	٢٧١
١٤٠٨	٤٤٨٢	١٧٩	٢٣٦
١٤١١	٤٩٧٦	١٩٦	٢٣٦

المصدر :

- الرئاسة العامة لتعليم البنات - مندوبية تعليم البنات ،

- مكتب التوجيه التربوي برابغ عام ١٤١١ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٢)

بيان لعدد خطوط الهاتف والتلكس العاملة بمدينة رابغ .

السنة	عدد خطوط الهاتف	عدد خطوط التلكس
١٤٠٠	٧٥٢	صفر
١٤٠٢	٢٢٢٦	٩
١٤٠٥	٢٥٥٨	١٢
١٤٠٨	٢٨١٥	١٦
١٤١١	٣١٩٦	٢٠

المصدر :

- وزارة البرق والبريد والهاتف - منطقة جدة للاتصالات - مركز رابغ

للاتصالات عام ١٤١١ هـ .

- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

جدول رقم (٤)

الزيادة في سفلتة الطرق الرئيسية بمدينة رابغ .

الشوارع والطرق الرئيسية .	١٤٠٧	١٤١١
شارع الملك عبد العزيز	٢٧	٦٠
شارع الملك فهد	٢٦	٢٦
شارع الملك خالد	١٨	١٨
شارع الملك	٢٧	٢٧
المجموع	١٠٨	١٤١

المصدر :

- وزارة الشؤون البلدية والقروية - وكالة الوزارة لتخطيط المدن - المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية للمنطقة الغربية - التقرير الفني لدراسات النطاق العمراني - بلدية رابغ ١٤٠٨ هـ .
- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

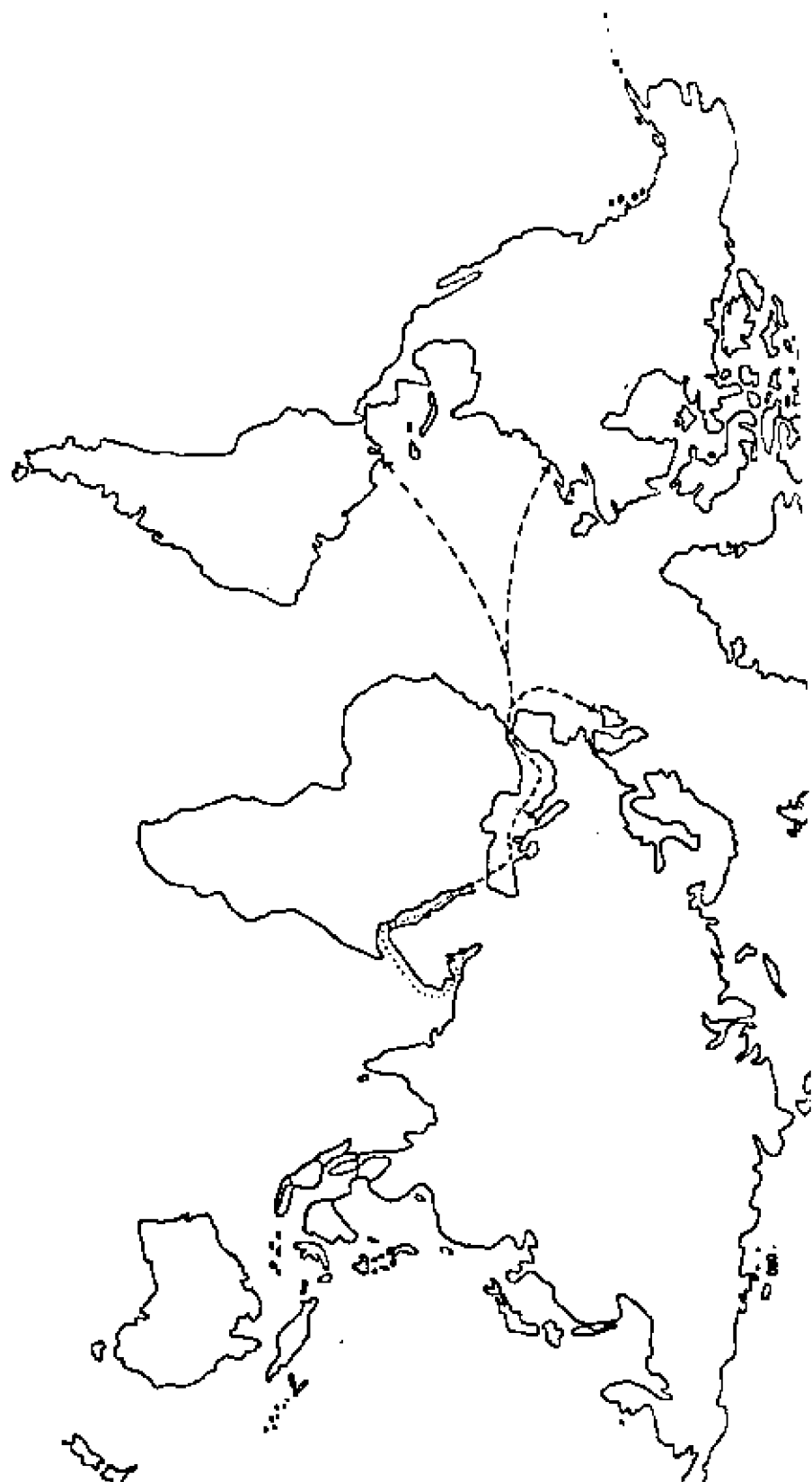
المرحلة الثالثة :

والمتمثلة في قيام الصناعات الثانوية المساندة والتي تقوم اساسا علي السلع من الصناعات الاساسية في الجيل الاول والتي لم تظهر بعد بمدينة رابع .

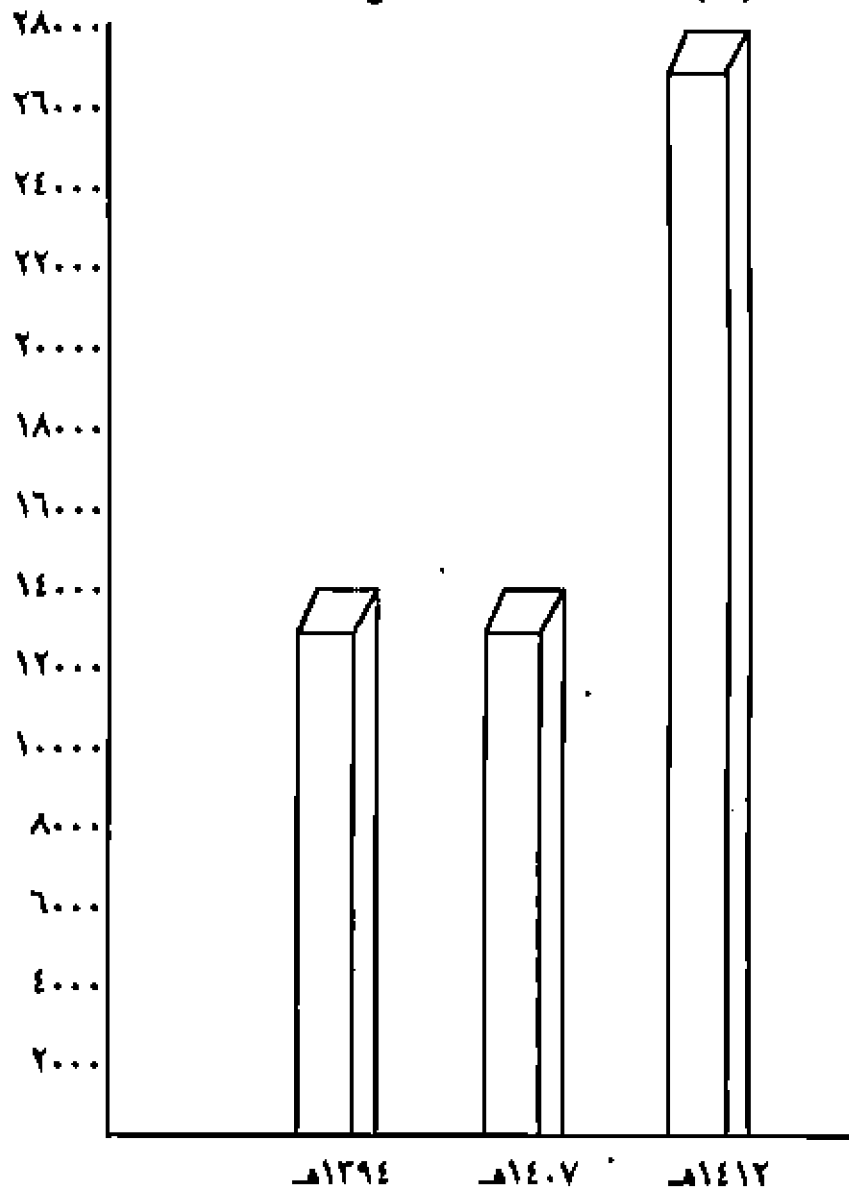
ويرجع عدم ظهور صناعات الجيل الثاني بالشكل الذي توقعته نظرية مردال الى سبب رئيسي وهو حداثة انتاج هذه المنشآت الثلاثة والتي لا تتجاوز بضع سنين ، حتي تتمكن بنورها من افاحة فرصة استثمارية للقطاع الخاص او العام للاستفادة من منتوجاتها كمواد داخلية INPUT MATERIALS في الصناعات المساندة الثانوية ثم الحصول علي منتوجات استهلاكية CONSUMER GOODS قابلة للتسويق المحلي والخارجي .

المرحلة الرابع :

والتي تعتبر مكمله للمرحلة السابقة حيث انها تشترط وجود أولا الحد الأدنى من السكان القادرين علي استهلاك السلع المنتجة بمختلف أنواعها حتي يمكن تغطية تكاليف الانتاج واستمرار المنشأة في زداء نشاطها الاقتصادي ووجود ، ثانيا الوفورات الاقتصادية EXTERNAL ECONOMICS والتي تستفيد منها الصناعات في تخفيض تكاليف الانتاج وزيادة الارباح . وعند تحليل وتطبيق هذين العنصرين الهامين علي مدينة رابع لابد ان نذكر بادىء ذي بدء ان المنشآت الصناعية الثلاث الرئيسية والتي تم اقامتها كانت اساسا بهدف ايجاد توازن قنوى اقليمي REGIONAL EQUITY لجميع مناطق المملكة وخاصة تلك المناطق التي بدأت تعاني من تراجع واضمحلال اقتصادي كما هو الحال في مدينة رابع .



شكل (٢) الزيادة السكانية لمدينة رابغ ١٣٩٤ - ١٤١٢ هـ .



المصدر :

- التعداد السكاني ١٣٩٤ هـ .
- وزارة البلديات والشئون البلدية والقروية ١٤٠٩ هـ .
- العمل الميداني عام ١٤١٢ هـ .

ومما يدل على ذلك أن عنصر عتبة القدرة الشرائية POPULATION THRESHOLD في مدينة رابغ لم يكن موجودا في اعتبار متخذي قرار DECISION MAKERS استثمار الصناعي في قيام المنشآت الصناعية . ذلك ان القدرة الشرائية والحد الأدنى للسكان الذي أشار اليه مردال في نظريته غير متوفرة بالشكل المطلوب بمدينة رابغ بالرغم من الزيادة السكانية عند مقارنتها بالانتاجية العالية لهذه المنشآت ، حيث تشير البيانات الاحصائية التي تم الحصول عليها من المنشآت الصناعية السابقة الذكر من أن مجموع العمالة بها قد بلغ ٤٢٧٢ عامل عام ١٤١٢ هـ منهم ٢٠٦٨ عامل متزوج و ١٢٠٥ عامل أعزب وبهذا تشكل العمالة المتزوجة ٧٢ ٪ من المجموع الكلي ، وحسب اقتراحنا السابق (انظر الشكل ٢) فان كل اسرة تتكون من أربعة افراد في المتوسط وبذلك فقد أضافت ما مجموعه ٩٢٠٤ فرد الى سكان المدينة وبإضافة هذا المجموع الى مجموع العمالة اعلاه فيكون مجموع الاضافة الكلي لسكان مدينة رابغ يبلغ ١٢٤٧٧ نسمة . يتضح ان هناك اضافة سكانية واضحة شهدت المدينة فعلا .

اما بالنسبة للوفورات الخارجية فالبرغم من توفرها موقعا والتي تسمح بقيام العديد من الصناعات المساندة والثانوية ، الا أن عدم قيام هذه الصناعات يعود الي ان القدرة الشرائية اللازمة والتي يسورها تعتمد علي حجم سكاني معين وهي العنصر الرئيسى المؤثر في ظهور او عدم ظهور هذه الصناعات الثانوية المتنوعة في مدينة رابغ غير موجودة .

وعليه فيمكن تقدير عدد سكان مدينة رابغ لعام ١٤١٢ هـ لحوالي ٢٧٠٠٠ نسمة (انظر الشكل رقم ٢) وهذا يطابق مع ما أشارت اليه النظرية بحدوث زيادة سكانية مصاحبة لقيام النشاط الصناعي في منطقة ما

وما يعقب ذلك من تسلسل تتموى في المنطقة .

النتائج :

ان قيام المنشآت الصناعية الثلاث السالفة اعاد لمدينة رابغ مكانتها الوظيفية والتي كادت ان تفقدها نتيجة تحول الطريق البري الموصل بين مدينتي جدة والمدينة المنورة .

فقد ساعدت هذه المنشآت الصناعية الي اعادة الآمال في تنمية اقتصادية حضرية لهذا الموقع الجغرافي والى اعادة توازنها الاقليمي المميز للمدينة وبشكل أفضل واكبر اهمية مقارنة بوظيفتها القديمة . فقد كانت وظيفتها الرئيسية تتمثل في كونها موقع وسط بين المدينتين واقتصر دورها علي تقديم الخدمات السريعة وم محطة استراحة للمسافرين .

اما في الوقت الحاضر وضمن اطار التنمية الصناعية الحديثة ، فان مدينة رابغ تحولت الى نشاط اقتصادي متنوع القاعدة والاستثمار وهذا مما يدفع الباحثان الى التوقع من ان تصبح مدينة رابغ بؤرة استقطاب اخرى متممة لمدينة ينبع الصناعية وتؤديان الى مرحلة صناعية اكبر وعلى نطاق المنطقة الغربية ككل ... الا انه لوحظ ان هناك بعض عوامل التنمية تحتاج الى حوافز ودوافع استثمارية بغية جذب رؤوس الاموال الخاصة لتلعب دور اكبر فيما يتعلق بالصناعات التابعة للجيل الثاني (الصناعات المساندة) والتي لم تنمو بنفس الخطوات السريعة كتلك التي شهدتها صناعات الجيل الاول الاساسية (المنشآت الثلاث) ، مما يؤدي ذلك الى تباطؤ في التنمية الاقتصادية بشكل عام كما هو المتوقع الذي افترضته النظرية .

كم أظهرت الدراسة ان الوفورات المدنية (الخدمات الحضرية) تمت

بشكل ملحوظ خلال فترة زمنية وجيزة على جميع القطاعات سواء التعليمية او الصحية او خدمات وسائل النقل والاتصالات ، كعامل من عوامل التوطن الصناعي . فاذا اضعفنا وجود المنشآت الصناعية للجيل الاول ووجود البنية الاساسية والخدمات الحضرية يظهر لنا ان الفرصة مناسبة وجيدة لاستقطب الصناعات المساندة الى مدينة رابغ بذلك مستقبل تنموي زاهر ان شاء الله .

لنلاحظ علي مدينة رابغ ، وعلي الرغم من كونها مدينة ساحلية ، الا انها فقدت هذه الصفة لظهور المنشآت الصناعية الثلاث والمشاريع الخاصة والعامة وما تتطلبه من مياه في عمليات التبريد .

وقد استحوذت هذه المشاريع الخاصة والعامة علي معظم الواجهة البحرية تاركة المدينة متجهة نحو الجهة الشرقية ومؤثرة علي النمو العمراني في نفس الاتجاه الشرقي وهذا بخلاف ما كان متوقعا .

التوصيات :

وعلينا ان نتم هذه الدراسة ببعض التوصيات والتي يمكن ان تطرح بعض الافكار والتي تعود بالنفع والتنمية علي مدينة رابغ ، وقد أمكن ايجاز هذه التوصيات في عدة نقاط من أهمها :-

١ - ايجاد الوسائل والطرق الكفيلة بتشجيع القطاع الخاص للاستثمار في مجال الصناعات الثانوية المساندة وتكثيف التسهيلات والقروض المالية المختلفة للمستثمر والعامل على حد سواء .

٢ - انشاء طريق برى مزدوج يربط الخط السريع الموصل بين جدة - المدينة المنورة وبين مدينة رابغ ويكون بديلا عن الخط البرى الفرعى الحالى والذي لا يتناسب مع طموحات التنمية الحضرية والاقتصادية للمدينة ، وان تعبيد

طريق بري مزيج سريع سوف يساعد على تلبية وما تلبية المرحلة الحالية الصناعية من كثافة مرورية وحركة سريعة للعمال والشحن والتنقل من مكان الى آخر .

٣ - ضرورة ايجاد متنفس بحري (كورنيش) يهدف الي رفع مستوى الخدمات الترفيهية في المدينة ، ويساعد علي تشجيع المستثمرين في مجال الخدمات المدنية . ويؤدي هذا بطبيعة الحال علي المدى الطويل الى رفع الحركة التنموية الحضرية بشكل افضل مما هو عليه في الوقت الحاضر .

٤ - ضرورة قيام بنك للمعلومات والبيانات الاحصائية الصناعية والحضرية بهدف توفير المعلومات والتي تساعد الباحث والمستثمر في اتخاذ القرارات المناسبة علي اسس علمية صحيحة بعيدة عن مجال التخمين الذي لا مكان له في عالم الاستثمارات الاقتصادية والحضرية الكبيرة الحجم والانتاج .

المراجع العربية :

١ - المملكة العربية السعودية : وزارة الشؤون البلدية والقروية - وكالة الوزارة لتخطيط المدن - المديرية العامة للشؤون البلدية والقروية بالمنطقة الغربية ١٤٠٨ هـ - نطاق النمو العمراني لمدينة رابغ .

٢ - المملكة العربية السعودية : وزارة الشؤون البلدية والقروية - المديرية العامة للمنطقة الغربية ١٤٩٤ - تطوير شبكات توزيع مياه الشرب وملحقاتها لمناطق التوسع الجديدة لمدينة رابغ - تقرير الدراسات السكانية والنوعية الحسابية لمدينة رابغ .

٣ - المملكة العربية السعودية : وزارة البرق والبريد والهاتف منطقة جدة للاتصالات - مركز رابغ للاتصالات ١٤١١ - بيانات عن تطوير اعداد المشتركين في خدمات الهاتف والتلكس بمنطقة رابغ .

٤ - المملكة العربية السعودية : وزارة المعارف ، الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية مركز التوجيه التربوي برابغ ١٤١١ بيانات عن تطور عدد الطلاب والمدرسين والفصول بمدارس رابغ لجميع المراحل .

٥ - المملكة العربية السعودية : الرئاسة العامة لتعليم البنات ، مندوبية تعليم البنات برابغ مكتب التوجيه التربوي برابغ ١٤١١ ، بيانات عن عدد الطالبات والفصول الدراسية والمدارس بمدارس رابغ لجميع المراحل .

- ٦ - المملكة العربية السعودية : المؤسسة العامة لتحلية المياه المالحة ١٤١١ -
التقرير السنوى لعام ١٤١١ - ١٤١٢ هـ .
- ٧ - المملكة العربية السعودية : وزارة الزراعة والمياه - قسم الهيدرولوجيا -
النشرة الهيدرولوجية رقم ٩٥ لعام ١٩٦٦ - ١٩٧٠ م .
- ٨ - المملكة العربية السعودية : الهيئة المركزية للتخطيط - خطة التنمية الاولى
١٩٧٠ - ١٩٧٥ م .
- ٩ - المملكة العربية السعودية : وزارة التخطيط - خطة التنمية الثانية ١٩٧٥
- ١٩٨٠ م .
- ١٠ - المملكة العربية السعودية : المؤسسة العامة للبترول والمعادن بترومين
رايغ ١٤١٠ - مشروع التجهيزات الاساسية برايغ .
- ١١ - البلادي عاتق ١٣٩٨ : على طريق الهجرة - دار مكة للنشر
والتوزيع .
- ١٢ - حمدان جمال ١٩٧٧ : جغرافية المدن - الطبعة الثانية
عالم الكتب .
- ١٣ - الرويش محمد ١٩٨١ : موانئ السعودية علي البحر الاحمر - رسالة
دكتوراه غير منشورة - كلية الاداب جامعة القاهرة .
- ١٤ - عصفور محمد ١٤٠٤ : الجغرافية الطبيعية لامارة رايغ - اماره رايغ
دراسة جغرافية ميدانية قسم الجغرافيا - جامعة الملك
عبد العزيز - الطبعة الاولى .

- 1- Chapman K., and D. Walker. 1987 industrial location basil .
- 2 - Dicken, p. 1986.
- 3 - Dicken, p. & Houd, p. 1990; Location in spaace theoretical perspectives in economic geography. 3d edition. Harper collins, New York.
- 4 - Green, m. b. 1990; mergers and acquisitions. Geographical and spatial perspectives. Rputledge. London.
- 5 - Herbert, d. t and Thomas, c. j 1982 Urban geography, a first approach New York : John Willey,Sons.
- 6 - Smith, d. m. 1971. Industrial locaution; an economic geographical analysis. 2ed. Nediton New York : John Willey.
- 7 - Watts H. d 1987 industrial geography. Longman. London.
- 8 - Wheeler, j. o., and p. o. Muller. 198. Economic geography. New York; John Willy.

الاستبيان

يهدف هذا الاستبيان للإجابة على بعض التساؤلات والمتعلقة بالدراسة التي يقوم بها الباحثان والغير متوفرة في المطبوعات المنشورة . أن الإجابة على هذه الاستفسارات سوف يساعد نون ادنى شك أن شاء الله في الوصول الى نتائج ايجابية ، ان الاسئلة الواردة في هذا الاستبيان لاتحتاج الي وقت كبير لانها صممت بطريقة سهلة . لذا نرجو منكم المساعدة في الإجابة عليه .

معلومات عامة :

- ما هو اسم المنشأة :
- ما هو العنوان الحالي :
- ما هو تاريخ انشاء المصنع :
- ما هو تاريخ بدء الانتاج الفعلي :
- ما هو جملة عدد العمالة :

المهنة	سعودي	غير سعودي
اداري		
فني		
عامل		
أخري		

- ما هو رأسمال الشركة عام المبلغ
- ما هو رأسمال الشركة عام المبلغ

المواد الخام :

- ما هو المواد الخام المستخدمة في الانتاج ؟

اسم المادة الخام	الكمية اللازمة	المصدر لها	وسيلة نقلها
١ -			
٢ -			
٣ -			
٤ -			
٥ -			

- ما هي الطاقة الانتاجية المصممة للمنشأة :

- ما هي الطاقة الانتاجية الفعلية للمنشأة :

- ما هو شكل الانتاج :

مادة خام اولية لصناعة اخري (نعم) (لا)

مادة خام نصف مصنعة (نعم) (لا)

كاملة التصنيع والاستعمال (نعم) (لا)

- ما هي مساحة الارض والملحقات التابعة له متر مربع

- هل ارض المصنع (مؤجرة) (ملك خاص)

- ما هو الدافع الانساني لقيام المصنع في هذا المكان :

١ - لوجود مادة خام .

٢ - سهولة النقل والمواصلات .

٢ - قربها من السوق .

- هل يقوم المصنع بتصدير منتجاته (نعم) (لا)

- اذا كانت الاجابة بنعم الرجاء الاجابة على الاتي :

عدد انواع المنتجات	الجهة المصدر اليها	الكمية
١ -		
٢ -		
٣ -		
٤ -		

- هل يقوم المصنع بتدريب عمالة (نعم) (لا)

- اين يقوم بتدريبهم (.....)

- ما هو عدد العمال الذين يسكنون خارج منطقة العمل
ويستخدمون وسيلة نقل (.....) .

- ما هو عدد العمال الذين يسكنون داخل منطقة العمل (.....) .

- هل قام المصنع بانشاء مساكن خاصة للعمالة
بالقرب منه (نعم) (لا)

- هل قام المصنع بانشاء مساكن للعمالة بعيدة عنه (نعم) (لا) .

- هل تتوفر الخدمات التعليمية بجميع مراحلها وجميع
العاملين (نعم) (لا) .

- هل تتوفر الخدمات الصحية الشاملة لجميع العاملين
بالمصنع (نعم) (لا) .

الاعطانات :

هل يتمتع المصنع بالاعفاءات الجمركية في :

- مواد الخام .

- الضمانات الاجتماعية ؛

- التصدير إلى الخارج .

- أخرى

هل الحماية الجمركية كاملة النسبة (-----) جزئية (-----) .

ماهي (في اعتقادكم) نسبة العاملين بالمصنع والذين يستخدمون

الخدمات التالية الموجودة بمدينة رابغ :

- المواد الغذائية يأتواها (-----) .

- الطابع (-----) .

-الحلاقة (-----) .

- المطاعم (-----) .

- الخدمات الترفيهية (-----) .

- المساجد (-----) .

التوازن واللاتوازن الاقليمي

دراسة تطبيقية علي مدينة رابغ

إسماعيل بن رشاد جستنية . سامي صلاح الخمري

استاذ مساعد / قسم الجغرافيا / كلية الآداب والعلوم الانسانية

جامعة الملك عبد العزيز - جدة - المملكة العربية السعودية .

تعتبر ظاهرة التوازن واللاتوازن الاقليمي من الظواهر الجغرافية الملموسة في دول العالم خاصة الدولة النامية منها . ولاهمية هذا الموضوع فقد قام الباحثان بتطبيق احدي اهم النظريات التي تتناول بالدراسة والتحليل هذه الظاهرة وهي النظرية السببية التراكمية لمردال ١٩٥٦م (MYRDAL) والتي ناقش فيها كيفية قيام منشأة اقتصادية في موقع جغرافي يؤدي بالضرورة الى سلسلة متتابعة من نشاطات الاقتصادية ذات العلاقة في الموقع والتي تظهر مستويات تنمية متسارية بين الاقاليم وهذا يؤدي الي نمو المستوطنة المحيطة بالمنشأة الاقتصادية و (MYRDAL) بذلك يريد ان يوضح كيف ان المنشآت الاقتصادية في حقيقة امرها هي الدوافع الرئيسية لظهور التنمية الاقتصادية والحضرية والتي يرى ان تؤخذ بعين الاعتبار بشكل خاص عند المخططين الاقليميين اذا ارادوا تخفيف حدة اللاتوازن الاقليمي بين مناطق الدولة وقد اثبتت الدراسة التطبيقية عن مدينة رابغ الي حد كبير ما توصل اليه (MYRDAL) حيث ان اختيار مدينة رابغ لقيام المنشآت الرئيسية الثلاث ... (مصفاة بترولين - بترول - مصنع الاسمنت والمحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية) قد اعاد لمدينة رابغ صفة الاستمرارية كمناطق حضرية بعد ما كادت ان تفقد هذه الصفة بسبب تحول الطريق البري الذي كان يربط بين مدينة جدة والمدينة المنورة .

ABSTRACT
REGIONAL EQUALITY & INEQUALITY
A STUDY CONDUCTED ON RABIGH CITY

QSAMA B. JASTANIAH, SAMI SAL-GHAMRI

ASSISTANTS PROFESSORS / DEPARTMENT OF GEOGRAPHY

FACULTY OF ART AND HUMANITIES

KING ABDUL AZIZ UNIVERSITY

JEDDAH - SAUDI ARABIA

The regionalequality and inequality is considered to be tangible geographical phenomenon in all countries of the world, especially in the under developed countries (Third World), as this topic is very much essential, the two researchers have applied one of the most important theories which had been studied and analysed for this phenomenon. This theory is called Circular and Cumulative Causation by (Myrdal) Sweden Economist 1956, Myrdal Theory discussed the conditions for constructing an economical establishment in geographical location which will necessarily leads to a serial chain of economical activities related to the said location and would give an equal level of prosperity among regions. Also, this will lead to the development of the city surrounded by an economical establishment. Myrdal, would like to clarify the reality of an econoical establishment which is behind the main motive of any economical and urban development. His point of view is to take the regional area into consideration in special way, in order to min-

imise the acute regional inequality between the country regions. The study that was carried on Rabigh city has proved to a high extent what Myrdal had searched out for. However, the reason for choosing Rabigh city to build up the three main establishments such as (Petromin Refinery - Petrofa, Cement Industry and the Vapor Station for Electrical Power) has given for Electrical Power) has given to Rabigh the quality of continuance as an urban region while the city was about to lose this quality due to the road divergence connecting both cities, Jeddah and Al - Madinah.

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف الانبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ .. وبعد ،

يسرنا أن نتقدم بجزيل الشكر والعرفان لكل من كان له نور فعال في ظهور هذا البحث ، ونخص بالشكر كل من :-

- رئيس بلدية رابغ ومنسوبيها .
- مدير مركز رابغ للاتصالات .
- الادارة العامة للتعليم بالمنطقة الغربية (مركز التوجيه التربوي برابغ) .
- مندوبية تعليم البنات برابغ (مكتبة التوجيه التربوي) .
- المسئولين في المحطة البخارية لتوليد الطاقة الكهربائية .
- بترومين ، بترولا .
- شركة الاسمنت العربية المحدودة .

الجفاف وتأثيراته البيئية في الوطن العربي

د. عبد الله رمضان عبد الله الكندري
العميد المساعد للتخطيط الأكاديمي
كلية الدراسات العليا
جامعة الكويت

الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي

- ١ (مقنمة
- ٢ (تعريف الجفاف، التصحر، القحولة، العجز المائي
- ٣ (التنبؤ بالجفاف
- ٤ (البيانات المختلفة في الوطن العربي
- ٥ (الأهمية النسبية للمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي
- ٦ (الخصائص الرئيسية للأنظمة البيئية في المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي
- ٧ (هيلس مستوى جفاف الصحارى في الوطن العربي معادلة بنلمان
- ٨ (أسباب الجفاف في الوطن العربي
- ٩ (أثر دورات الجفاف والنشاط البشرى في التصحر بالمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي.
- ١٠ (إستراتيجية مجابهة الجفاف في الوطن العربي.

الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي

(١) مقدمة:

يعتبر الجفاف ظاهرة مناخية طبيعية مؤقتة تحدث بسبب التقلبات الواضحة في معدل التساقط الملوحي وتوزيعه الجغرافي. وتدل الدراسات التي أجريت عن المناخ العالمي (١) أن هناك تغيرا مناخيا واضحا يميل نحو الجفاف في معظم المناطق العربية وأن المنطقة قد شهدت فترة جفاف عام (٣٠٠٠) قبل الميلاد، وأن مناطق الشرق العربي قد شهدت دورات جفاف في نهاية الستينات وانتشرت إلى دول الساحل بما فيها موريتانيا والصومال والسودان في عقد السبعينات، وبدأت آثار دورات الجفاف تنتشر في دول المغرب العربي في بداية عقد الثمانينات. ومن خلال دراسة السجلات المناخية والتاريخية لبعض الدول العربية تبين أن هناك تغيرا مناخيا واضحا يتجه نحو الجفاف من القرن العشرين، وهذا أحدث قلق في البلدان العربية بل أن دورات الجفاف سوف تؤثر بشكل كبير في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية مما يتطلب سرعة التخطيط للحد من تأثيراتها السلبية.

(١) Hart, F. K. 1983 Climate and Desertification, World Climate Programme, WCP - 44 - UNEP - WHO.

٢) تعريف الجفاف:

نظرا لحدثة كثير من التعاريف والمفاهيم البيئية كالجفاف والتصحر والتحول والعجز المائي وغيرها، فإن خلط هذه المفاهيم والتعاريف وعدم التفريق بينها بشكل علمي دقيق يؤدي إلى سوء فهم تلك التعاريف وبالتالي عدم الفهم الدقيق لأبعاد ومسببات الظاهرة المراد معالجتها. لذا من المفيد إلقاء الضوء على تلك المفاهيم البيئية التي يمكن تلخيصها فيما يلي:-

الجفاف: تستخدم كلمة الجفاف للتعبير عن نقصان الموارد المائية، وهي ظاهرة طبيعية مؤقتة فجائية وغير دورية، قد تطول فترة وجودها لسنوات عديدة.

التصحر: لها تعاريف متعددة منها تحول منطقة أو إقليم ما من منطقة قاحلة أو شبه قاحلة إلى صحراء نتيجة لاختلاف التوازن الأيكولوجي للنظم الأيكولوجية في تلك المنطقة وهي شكل مصطنع للبيئة الجافة.

التحول: وهي ظاهرة مناخية طبيعية تتميز بأنها مستتمة، وتقع المناطق المتأثرة بالتحول في المناطق الحارة التي تتساقط عليها أمطار قليلة ولكنها كافية لتماسك النظام الأيكولوجي الهش من الإنهيار، وتتوفر

المتطلبات البدائية الأساسية لمكان تلك المناطق، ويبين الشكل (١) التوزيع الجغرافى للمناطق القاحلة والصحارى فى العالم.

العجز المائى: هى حالة مصطنعة قد تحدث فى أية منطقة عندما تصبح كمية الطلب على الماء أكثر من المولرد المائية المتاحة. لذا فإن العجز المائى يمكن أن يحدث فى أى منطقة فى العالم وقد يؤدى إلى تدهور خصوبة التربة. ويمكن التغلب على العجز المائى عن طريق ترشيد استخدام المياه والبحث عن مصادر أخرى(١).

٣) التنبؤ بالجفاف:

من الصعوبة بمكان تحديد أوقات حدوث دورات الجفاف أو تحديد مدى شدتها، وذلك نظرا لكونها ظاهرة مناخية طبيعية متغيرة وغير دورية. فالجفاف مرتبط بشكل وثيق بالعوامل والمعطيات المناخية مثل درجات الحرارة، والأمطار، والكتل الهوائية والتوزيع الجغرافى للضغط الجوى. ومن الصعوبة التكهن بهذه العوامل الطبيعية نظرا لعدم توفير معلومات دقيقة شاملة عن المتغيرات المناخية فى الوطن العربى، وعلى الرغم من توفير

(١) El-Baz, F.1984. Deserts and Arid-Lands. Kluwer Academic Publishers Group, Distribution Center, P.O.Box 322. 3300 AH Dordrecht, The Netherlands.

الأساليب الإحصائية الحديثة ونظريات الاستقراء والتنبؤ المبنية على أساليب علمية فإن عملية التنبؤ بحدوث دورات الجفاف لا تزال صعبة التحقيق، حيث أن تلك الأساليب والنظريات تستطيع تحديد السلاسل الزمنية ولكن لا تستطيع أن تتعدى ذلك إلى قراءة أو تحليل المستقبل بدرجة عالية من الثقة، لأن ظاهرة الجفاف ظاهرة طبيعية غير دورية، إضافة إلى أن معظم الإحصائيات والبيانات المطلوبة للنماذج والنظريات الإحصائية الرياضية غير متوفرة بشكل دقيق في الوطن العربي.

والطريقة النظرية غير الدقيقة المتبعة في التنبؤ بالجفاف هي تلك المعتمدة على دراسة المعطيات المناخية المختلفة ودراسة مدى تشابهها مع تلك للمعطيات المساندة في الفترة السابقة لدورات الجفاف في الماضي، وذلك لمعرفة دورات الجفاف في المستقبل.

٤) البيانات المختلفة في الوطن العربي:

يمكن تقسيم البيانات المتواجدة في الوطن العربي التي تختلف في درجة حساسيتها للتصحّر إلى :-

١- مناطق رطبة وشبه رطبة: وهي مناطق ذات كثافة سكانية مرتفعة، كما تمتاز بكثافة الغابات والأحراج والمراعى. ومعظم هذه المناطق عبارة عن مرتفعات وهضاب جبلية على السواحل وتتخللها السهول، يمارس الإنسان فيها قطع الأشجار والشجيرات لاستخدامات اقتصادية وإجتماعية مما

أدى إلى زيادة معدلات التصحر حتى وصلت إلى تصحر شديد في بعض هذه المناطق على الرغم من طبيعة تكوينها وظروفها المناخية التي تجعلها بعيدة عن المناطق الصحراوية وشبه الصحراوية (١). كما أن ضيق الجريان المائي في هذه المناطق ساعد على زيادة معدلات تعرية التربة مما أدى إلى تصحرها والذي انعكست آثاره السلبية على المناطق الزراعية والإنتاجية.

٢- مناطق جافة وشبه جافة: أما المناطق الجافة وشبه الجافة فمعظمها مراعي ومناطق زراعية تمتاز بكثافة سكانية متوسطة، يتزايد فيها النشاط البشري، حيث يمارس السكان حرفة الزراعة البعلية والمروية. ونظرا لتكوين تلك المناطق والظروف المناخية إضافة إلى طبيعة النشاط البشري والكثافة السكانية فلأن جميع درجات التصحر يمكن أن تشاهد في هذه المناطق.

٣- مناطق شبه صحراوية: تمتاز هذه المناطق بكثافة سكانية منخفضة حيث يمارس السكان حرفة الزراعة القديمة في حيازات زراعية

(١) الشوريجي م ١٩٨٦ التصحر في الوطن العربي وآثره على الإنتاج الزراعي والأمن الغذائي - مطبوعات المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة.

صغيرة تنتشر في الواحات والوديان، كما يمارس جزء آخر من السكان حرفة الرعي المتنقل. ولقد بدأت حدة التصحر تزداد في هذه المناطق نظرا لطبيعة النشاط البشري وعدم مراعاة القدرة البيولوجية لعناصر النظام الأيكولوجي في هذه المناطق، إضافة إلى الإفراط في إستغلال الموارد وبخول التكنولوجيا الحديثة وشق الطرق وحفر الآبار واستخدام السيوليات وما إلى ذلك من وسائل تكنولوجية حديثة لم تستغل بشكل يبنى سليم.

٤- مناطق صحراوية: من أهم خصائص المناطق الصحراوية خلوها من السكان تقريبا، وإن وجدت أعداد قليلة من السكان فكلها تمارس الرعي المتنقل ولا تمارس النشاط الزراعي. ويتركز السكان - إن وجدوا - بالقرب من الواحات. انظر شكل (٢).

٥) الأهمية النسبية للمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي:

تعاثى المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي تدهورا مستمرا وزحفا للصحراء، وإعمالا واضحا من قبل حكومات الدول العربية في خططها التنموية المختلفة. ولقد بدأت مظاهر ذلك التدهور والإهمال بالظهور في الآونة الأخيرة مما كان له تأثير سلبي في هذه المناطق. ولكن على الرغم من ذلك فإن المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي لا تزال تحتل أهمية نسبية كبيرة خصوصا في مجال توفير

للحاجيات الأساسية للإتسان العربى، مثل الغذاء والموارد المعدنية والمياه.

ويمكن حصر الأهمية النسبية لهذه المناطق فيما يلى: (١)

١- تساهم المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى بتوفير

جزء كبير من الغذاء وخصوصا الحبوب حيث أنها تمثل نحو 85% من

المساحة الإجمالية المزروعة بالحبوب فى الوطن العربى، والنسبة

المتبقية تأتى من الأراضى التى تعتمد على الزراعة العروية.

٢- تساهم المنتجات الحيوانية الغذائية فى المناطق الجافة وشبه الجافة

العربية بنحو 50% من إجمالى الإنتاج فى الوطن العربى.

٣- تضم المناطق الجافة وشبه الجافة العربية عدة ملايين من الحيوانات،

وتتنوع هذه الثروة الحيوانية بين أبقار وتعتمد 30% منها على مراعى

المناطق الجافة وشبه الجافة، والإبل ويعتمد 90% منها على مراعى هذه

المناطق، و 70% من المعز والضأن تعتمد على مراعى المناطق الجافة

وشبه الجافة.

٤- تقع معظم المراعى فى الوطن العربى ضمن نطاق المناطق الجافة

وشبه الجافة وهى تساهم بنحو 60% من إجمالى الموارد العلفية المتاحة

فى المنطقة العربية.

٥- تعتبر المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى سر التوازن

(١) جان خورى وغيره ١٩٨٥ تخفيف آثار دورات الجفاف، ورقة أعدت

للسدوة العلمية فى مجال الجفاف، تكبير المياه والإنتاج الزراعى، أغادير

١٩٨٥، أكساد ٤٥/ع١ - دمشق.

البيئي والعامل الأساسى فى حفظ هذا التوازن، نظرا لما تضمه من ثروات حيوانية ونباتية متنوعة من طيور وحيوانات ثيبيّة وزواحف وغيرها، كما تضم النباتات الرعوية ونباتات الزينة والنباتات العطرية والطبية والنباتات العثبة للتربة والتي تعتبر فى حد ذاتها ثروات ذات أهمية كبيرة للإنسان العربى.

٦- تضم المناطق الجافة وشبه الجافة مخزونا كبيرا من الثروات المعدنية وأهمها البترول والغاز الطبيعى والذهب والبوتاسيوم والفوسفات وغيرها، كما تضم مصادر طاقة جديدة ومتجددة تتمثل فى الطاقة الشمسية وطاقة الرياح التى تلعب دورا كبيرا فى اقتصاديات معظم الدول العربية فى الوقت الحاضر وسوف يكون لها دور بارز فى المستقبل.

٧- نظرا لاتساع مساحة المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى فإنها تتلقى جزءا كبيرا من مجموع سقوط الأمطار حيث أنها تستحوذ على 30% من المجموع الكلى للأمطار فى الوطن العربى(١).

٦ الخصائص الرئيسية للأنظمة فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى:

١- إحدى أهم خصائص الأنظمة البيئية فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى تتمثل فى أنها هشة وذات حساسية عالية وغير مستقرة،

(١) Have, F.K. 1983 Climate and Desertification, World Climate Programme, Wcp, UNEP-WHO..

وأن التوازن فى عناصرها الأساسية وجزيئات تلك العناصر توازن حرج، حيث تختل هذه النظم أو تنهار نتيجة لحدوث أى تغير فى تركيب أو طبيعة أحد عناصرها الرئيسية، وتكون عملية التدهور فيها سريعة وملموسة فى حين أن عملية تطويرها وتتميتها مرة ثانية بطيئة وتحتاج إلى فترة زمنية طويلة. ويرجع ذلك مرة أخرى الى التكوين الهش والحساس وغير المستقر لتلك الأنظمة الذى وجد نتيجة للتفاعلات المختلفة للعوامل الرئيسية للنظم البيئية فى المناطق الجافة وشبه الجافة عبر التاريخ، مما جعل لكل نظام بيئى مميزات وخصائص تختلف عن الأخرى.

٢- انتشار الجفاف فى المناطق الجافة وشبه الجافة العربية معظم شهور السنة، والجفاف فى هذه المناطق ناتج من الدورة الطبيعية للهواء. ومن أهم ملامح ظاهرة الجفاف فى هذه المناطق الانخفاض الواضح فى معدلات التساقط السنوى وعدم انتظامه على مدار السنة، وسوء توزيعه جغرافياً، وارتفاع معدلات التبخر والتنتع نتيجة لارتفاع درجة الحرارة والتفاوت الحرارى اليومى والسنوى الكبير مما اثر بشكل كبير فى مواردها المائية وتكنى نوعيتها.

٣- انتشار التربة الكلسية والملحية والرمليّة والجبسية وغيرها من مجموعات التربة التابعة للترب الجافة وغير المتطورة التى تعاني مشكلات كثيرة مرتبطة بمحدوديتها الإنتاجية نظراً لنقص العناصر

الغذائية الأساسية اللازمة للإنتاج الزراعى(١).

٤- انخفاض إنتاجية المناطق الجافة وشبه الجافة مقارنة بالمناطق الرطبة وشبه الرطبة نظرا لكثرة المشكلات التى تعانيها الأنظمة البيئية فى هذه المناطق المتمثلة فى شحة المياه وقلة خصوبة التربة وارتفاع درجة الحرارة واشتداد الرياح وانتشار الكثبان الرملية وغيرها من العوامل التى أدت إلى انخفاض إنتاجية هذه المناطق.

٥- ضالة الغطاء النباتى تعتبر إحدى السمات البارزة للنظم البيئية فى المناطق الجافة وشبه الجافة، ويمتاز الغطاء النباتى فى هذه المناطق بانخفاض كثافته وإنتاجيته الحيوية وبساطة تركيبه وقلة أنواعه، مما ساعد على تعرية التربة وإزالة عناصرها العضوية وبالتالي تدهور قدرتها البيولوجية. ويجب أن نضع فى الاعتبار أن الأمر لا يقتصر على الإنتاجية بل تعداه ليصل إلى تدهور قدرة الغطاء النباتى على التكاثر الطبيعي وتكوين البذور الصالحة للتكاثر.

٦- نشاط حركة الكثبان الرملية فى كثير من المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى يهدد الأراضى الزراعية والمناطق الحيوية من مدن وقرى وطرق وغيرها. ولقد كان لاستواء الأرض أثر واضح فى زيادة

Gile, L.H. and GROSSMAN, R.B. 1979. The desert project soil (١) monograph. Soil and land scapes of a desert region astride the rio grande valley new las cruces, New Mexico. Soil conservation services, USDA.

سرعة الرياح ومعدلات التربة ونشاط حركة الكتلان الرملية في هذه المناطق. (١)

٧- اختفاء واضطراب الحياة البرية يعتبر أهم السمات البارزة للأنظمة البيئية في المناطق الجافة وشبه الجافة العربية، حيث أن اختفاء الغطاء النباتي تدريجياً وتدهور النبات الطبيعي قد أفقد الأحياء موطنها وقرنتها على الحياة والتكاثر، وأدى التدهور البيئي والجفاف إلى انقراض أعداد كبيرة منها أو دفع بالكثير إلى الهجرة نحو مناطق تتشابه ظروفها البيئية مع بيئاتها الأصلية.

(٧) قياس مستوى جفاف الصحاري في الوطن العربي - معادلة بنمان:

ولكي نحدد بشكل دقيق مستوى جفاف الصحاري فإنه يمكن الرجوع إلى معادلة بنمان التي تبين النسبة بين المعدل السنوي لكل من الأمطار (م) والبخر المحتمل (خ). وعلى أساس تلك المعادلة يمكن تقسيم الصحاري في الوطن العربي إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

المنطقة الأولى:

المنطقة شبه الجافة حيث:

$0.02 > م / خ > 0.50$ ويزيد المعدل السنوي للأمطار عن 160 مم.

(١) Kalaf F.I., Gharip, I.M. and Al-Hashash M.Z. 1984. Types and characteristics of recent surface deposits of Kuwait Arabian Gulf 1984 Journal of Arid Environments, VOL. 7, pp. 9-33.

تشغل المنطقة شبه الجافة المرتفعات في شمال العراق وفي بعض مناطق سوريا والأردن واليمن وبعض المناطق في السودان والمرتفعات والمناطق الساحلية في مراكش وتونس والجزائر.

المنطقة الثانية:

المنطقة الجافة حيث:

$$0.03 > \text{خ} / \text{م} > 0.02$$

وتنقسم هذه المنطقة إلى إقليمين أساسيين:

١- إقليم مختلف الجفاف: حيث فترة الجفاف قصيرة ويتراوح المعدل السنوي للأمطار من 100 إلى 160 مم.

٢- إقليم ظاهر للجفاف: حيث فترة الجفاف طويلة نسبياً ويتراوح المعدل السنوي للأمطار بين 20 - 100 مم. وينتشر هذا الإقليم في معظم الدول العربية حيث تحيط بالصحراء شديدة الجفاف والتي لا يزيد متوسط المطر السنوي فيها عن 100 مم.

المنطقة الثالثة:

المنطقة شديدة الجفاف حيث:

$$\text{خ} / \text{م} > 0.03$$

ويقل المعدل السنوي للأمطار عن 20 مم. ويمكن تقسيم هذه المنطقة

إلى ثلاثة أقسام:

- ١- إقليم يمتاز بشتاء بارد وصيف حار، حيث يصل متوسط درجة الحرارة لأبرد شهر من 0.0 إلى 10 درجة مئوية.
- ٢- إقليم يمتاز بشتاء لطيف وصيف حار، حيث تصل أعلى درجة حرارة ما بين 20 إلى 30 درجة مئوية.
- ٣- إقليم يمتاز بشتاء لطيف وصيف شديد الحرارة، حيث يصل متوسط درجة حرارة أبرد شهر 10 - 20 درجة مئوية وأحر شهر أعلى من 30 درجة مئوية(١). وتغطي المنطقة شديدة الجفاف أجزاء كبيرة من الوطن العربي متمثلة في الربع الخالي في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية والصحراء الكبرى التي تكون أجزاء كبيرة من مصر وليبيا وتونس وموريتانيا والجزائر والمغرب.

ويمكن تصنيف الجفاف على أساس:

- الجفاف المناخي
- الجفاف الهيدرولوجي
- الجفاف الزراعي
- الجفاف الإقتصادي

(١) حلقة العمل حول "إستراتيجية تطوير الموارد المائية تحت ظروف الجفاف" المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد) والمكتب الإقليمي للعلوم والتكنولوجيا في الدول العربية (الونسكو) دمشق ١٩٨٩.

تخل دراسات الباحثين والعلماء أن المناخ بعناصره المختلفة (حرارة، لمطر، تيارات هوائية وغيرها) يعتبر أحد الأسباب البيئية وراء الجفاف في الوطن العربي. ولقد أصابت فترات الجفاف دول الحزام الساحلي الأفريقي في الفترة من 1982-1983 والتي أثرت بشكل كبير في الإنتاجية الزراعية فانخفضت صادراتها من الحبوب بل ازداد الأمر سوءا عندما اضطرت بعض الدول إلى إستيراد الحبوب من الخارج بعد أن كانت مصدرة له.

كما نلت الدراسات الحديثة أن التلوث للهوائي الناتج من النشاط الصناعي له تأثير في الجفاف، حيث أن زيادة غاز ثاني أكسيد الكربون في الجو قد ساعدت على حجب أشعة الشمس وأحتباسها بالقرب من سطح الأرض.

ويعتقد كثير من علماء البيئة والمناخ بأن كميات ثاني أكسيد الكربون سوف تزداد وتتضاعف خلال الخمسين سنة القادمة، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى تسخين الأرض وارتفاع معدلات درجة الحرارة حيث أن ارتفاع مستويات تركيز ثاني أكسيد الكربون سوف يكشف من الحاجز الهوائي المسبب لمظاهرة التسخين، المسبب في ذلك هو أن جزيئات غاز ثاني أكسيد الكربون تعتبر شفافة تسمح بمرور الضوء ولشعة الشمس الى سطح الأرض وتعمل على رفع درجة حرارتها. ولكن عندما يبدأ سطح الأرض بفقد الحرارة المكتسبة والزائدة فإن ذلك يتم بواسطة الأشعة تحت الحمراء،

ولما كانت هذه الأشعة قادرة على امتصاص الحرارة المنبعثة من الأرض فإنها سوف تبقى بالقرب من سطح الأرض وفي الغلاف الجوي بدلا من الانطلاق في الفضاء الخارجي وسوف ينتج من هذه الظاهرة ارتفاع في معدل درجة الحرارة في العالم قد تصل ما بين 1.5 و 4.5 درجة مئوية في نهاية القرن الحالي(١) وهذا ساعد على تسخين المياه وزيادة معدلات التبخر، وقد ترتب على ذلك تغيير في الدورة الهيدرولوجية.

كما دلت دراسات أخرى(٢) أن ارتداد أشعة الشمس عن سطح الأرض إلى الغلاف الجوي عند هوالش المناطق الصحراوية، أدى إلى تقليل معدلات التساقط السنوي. والفكرة الأساسية التي يستند إليها هذا الرأي العلمي هو أن للصحراء تعتبر حوضاً حرارياً يطلق الحرارة إلى الغلاف الجوي بمعدلات أكبر مما تلقاه الصحراء وهذا يعمل على تسخين طبقة التروبوسفير ويزدى ذلك بدوره إلى ضعف التيارات الهوائية.

٩) أثر دورات الجفاف والنشاط البشري في التصحر بالمناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي:

إن للجفاف تأثيرات سلبية كبيرة في النواحي الاقتصادية

(١) الدكتور عبد الله الكندري - البيئة والتنمية المستدامة، دولة الكويت ١٩٩٢ ص ٦٤.

Kovda, V.A. 1980 Land Aridization and Control.

(٢)

والاجتماعية والبيئية، فظاهرة الجفاف يمكن ان تتأثر بها مختلف الأقاليم المناخية بدرجات متباينة. ولما كانت ظاهرة الجفاف مثل الظواهر الطبيعية الأخرى لا نستطيع السيطرة عليها أو منعها من الحدوث فإن أقصى ما يمكن للإنسان أن يطمح إليه هو التخفيف من أثارها السلبية من خلال إستراتيجية واضحة واضعين في الاعتبار التقلبات المناخية التي يمكن التنبؤ بها حيث تعطى صورة دقيقة للأوضاع المناخية المستقبلية، وإجراءات عملية لتطبيق الخطة التي من شأنها تخفيف الأثار السلبية للجفاف.

وأهمية موضوع الجفاف وتأثيراته السلبية تأتي من حقيقة أن المناطق الجافة وشبه الجافة وشديدة الجفاف في الوطن العربي تمثل نحو 90% من إجمالي المساحة الكلية. ولذا فمن الأهمية بمكان دراسة أثر نواتج الجفاف والنشاط البشري في المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي للوقوف على تأثيراتها المختلفة التي تؤدي في النهاية إلى تصحر مناطق شاسعة في الوطن العربي مستقبلا. وتصبح الحاجة ماسة إلى وضع إستراتيجية من أجل تخفيف تلك الآثار (١).

(١) الشخازرة، محمد 1985 الإعتبارات البيئية في تنمية وصيانة الأراضي في المناطق الجافة وشبه الجافة لكساد ص ب 2440 دمشق، الجمهورية العربية السورية.

بختلف أثر دورات الجفاف والنشاط البشرى على التصحر فى المناطق الجافة وشبه الجافة فى الوطن العربى تبعاً لعدة عوامل أهمها:

- طبيعة وتركيب التربة.
- التفاوت فى معدلات التساقط وتوزيعها الجغرافى.
- نوعية وطبيعة الغطاء النباتى.
- الظروف البيئية الأخرى مثل طبوغرافية الأرض، درجة الحرارة وغيرها

ويمكن حصر تأثيرات الجفاف على التصحر فى الوطن العربى بما يلى:

- 1 - دورات الجفاف والاستغلال البشرى السىء مثل الرعى الجائر المبكر يودى إلى لقتلاع جذور الأشجار والشجيرات والأعشاب وتدهور المراعى الطبيعية وتحولها تدريجياً إلى صحراء نظراً لانخفاض إنتاجها وتدهور قدرتها البيولوجية.
- 2 - ازدياد شدة الجفاف يؤثر فى النبات بشكل واضح، ويؤثر فى إنتاجية النبات وانخفاض جودته وقلة نمو المجموع الخضرى والجذرى، وقلة الثمار وانخفاض التزهير، مما يودى إلى انخفاض مساهمته فى الاقتصاد القومى أو تحقيق الاكتفاء الذاتى وتضييق الفجوة الغذائية.
- 3 - إن دورات الجفاف المتكررة والشديدة لها تأثيرات سلبية على نسبة الإنبات وقوة النمو للنباتات الحقلية، كما أنها مسؤولة عن التأخير فى

موعد الزراعة والتصنيع وحجم المنابل ونسبة عقد الأزهار وغيرها، مما يؤدي إلى انخفاض إنتاجيتها بشكل كبير وفشلها في تحقيق الإنتاج ذي القيمة الاقتصادية المؤثرة.

- 4 - إن زيادة الجفاف وما يصاحبها من استغلال مكثف وغير رشيد للأشجار والشجيرات في بعض المناطق الجافة وشبه الجافة في الوطن العربي تأثرا واضحا في ظهور حالات التصحر، حيث يقوم بعض المزارعين باقتلاع الأشجار والشجيرات لاستخدامها للحصول على الطاقة، أو زراعة الأرض الهامشية وتحويلها إلى أراض زراعية والتوسع في استخدام الحرث الميكانيكي الحديث والحراثة والزراعة في المنخفضات والوديان والأنحراط في حفر آبار عميقة وتوطين السكان بشكل غير سليم. كل هذه الممارسات ساعدت وتساعد في المستقبل على تصحر كثير من هذه المناطق التي تعتبر بيئاتها هشة وغير مستقرة.
- 5 - تصاهم دورات الجفاف المتكررة في انجراف التربة وتهديم بيئتها وفقدان خصوبتها، وذلك عن طريق التلثير في الغطاء النباتي الذي يختفي بشكل تدريجي مما يجعل التربة عرضة لعوامل التعرية والجرف وظهور الصخرة الأم أو تحويلها إلى مناطق كثبان رملية أو ملحية وبالتالي خروجها من نطاق الإنتاج الزراعي والرعي إلى نطاق التصحر والصحراء.

١٠) استراتيجية مواجهة الجفاف في الوطن العربي:

من أجل مكافحة الجفاف والتخفيف من أثاره السلبية على الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية لابد من تبنى استراتيجية واضحة مبنية على أسس علمية مستندة إلى واقع عملي للظروف البيئية والطبيعية والبشرية في الوطن العربي، ويجب أن تشارك في استراتيجية مواجهة الجفاف جميع القطاعات بدءاً من القاعدة الشعبية حتى الجهات العلمية والإدارات الحكومية في الدولة وحتى يحظى القرار المتخذ في هذا المجال على قبول جميع الأطراف (١).

ويمكن أن تتضمن الاستراتيجية المقترحة لمواجهة الجفاف في الوطن العربي الخطوات التالية:

- أ- خطط وقائية: يجب التركيز في البداية على الخطط المتعلقة بالوقاية حيث أن تكلفتها الاقتصادية منخفضة ومردودها البيئي والاقتصادي والاجتماعي مرتفع، ويمكن أن تتضمن خطط الوقاية ما يلي:
- إصدار نشرات دورية لتوعية المستهلكين بأهمية المياه وكيفية الحفاظ عليها.

Sankary M.N.1984. Desertification control, productivity enhancement and (١) management intensification of the mediterranean-type arid and marginal areas in of Regional Research and the ECWA Region, Expert meeting on the Development Training Programmes on the Desertification Control in the ECWA Region, 27 Feb. - 1 March, 1984. ICARDA, Aleppo Syria.

- دراسة حالات الجفاف السابقة وتصنيف أنواعها وآثارها والخطط التي اتخذت من أجل تخفيف آثارها ومدى نجاحها.
- زيادة كفاءة المصادر المائية سواء سطحية أو جوفية وتمييزها على المدى الطويل.
- زيادة كفاءة الرصد المناخي والمائي.
- التوسع في البحوث والدراسات العلمية والتطبيقية لإيجاد أفضل السبل في التقليل من المياه المفقودة.

ب- خطط متبعة أثناء مرحلة الجفاف: الهدف الأساسي من هذه المجموعة من الخطط هو تخفيف حدة فترة الجفاف عن طريق إيجاد وسائل علمية مصممة للزيادة المتوفرة من مصادر المياه وتقليل معدلات الطلب عليه.

ج- خطط لاحقة لمرحلة الجفاف: الهدف منها حصر الأضرار والخسائر الناجمة عن الجفاف ومحاولة مساعدة السكان المتضررين.

د - خطط متبعة في تخفيف حدة الجفاف: الهدف من هذه الخطط هو محاولة التقليل من الطلب لكي يتناسب مع العرض. ويمكن تحقيق ذلك بعدة وسائل أهمها:

- صيانة مصادر المياه المتوفرة، ويتم ذلك عن طريق صيانة المياه الجوفية، وذلك بحصر مناطق المولد وطبيعة المنطقة، وزيادة التغذية الاصطناعية للطبقات الجوفية.

- صيانة مصادر المياه السطحية، والهدف من الصيانة تخفيف المفقود من المياه عن طريق الحد من تبخر المياه السطحية.
- للتوسع فى إنشاء الأقنية والمجارى والأنهار التحويلية وذلك بإنشاء السدود للتخزينية ومحطات الضخ لتحويل المياه من الأقنية التى تتوفر فيها المياه إلى الأقنية الجافة.

هـ- خطط متبعة لتوفير موارد مياه جديدة وبديلة: ويمكن أن يتحقق ذلك بعدة وسائل أهمها:

- تحسين كفاءة الشبكات الممتدة.
- المطر الاصطناعى.
- تحلية المياه المالحة.
- للتوسع فى استعمال المخزون من البحيرات.

المراجع

- اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا 1982 تقرير عن إجتماع الخبراء الخاص بإدارة الموارد الزراعية وحفظها وتنميتها في منطقة غربي آسيا بدمشق / سورية - دمشق.
- اللطفي محمد 1985 التصحر تهديد خطير لحياة الإنسان ورقة عمل ندوة المخططين والقياسيين والإداريين والمسئولين عن التصحر بمراكش/المملكة المغربية. مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، تونس، الجمهورية التونسية.
- المعهد الوطني للبحث الزراعي 1985 تداخلات الباحثين بالمحطة المركزية للزراعة الصحراوية - ورقة عمل ندوة المخططين والقياسيين والإداريين والمسئولين عن مقاومة التصحر بمراكش/المملكة المغربية، مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، البلقدير، الجمهورية التونسية.
- الشوربجي، م، أ 1982 الحصر الأولي للموارد الرعوية الطبيعية في دول الخليج والجزيرة العربية.
 - ١ دولة الكويت 1982
 - ٢ دولة البحرين 1982

- ٣ دولة قطر 1982

- ٤ المملكة العربية السعودية 1982

- الشوريحي م.أ. 1982 الندوة العربية الثالثة لإدارة وتنمية المراعى الطبيعية فى الوطن العربى تونس 1982

- مصطفى الشوريحي 1982 نبذة عن المراعى الطبيعية فى الوطن العربى ودور المركز العربى فى تميمتها. نشرة اليونسكو الإقليمى للعلوم والتكنولوجيا للحول العربية، المجلد 10 - العدد 1 و 2.

- الشوريحي م.أ. 1986 التصحر فى الوطن العربى وأثره على الإنتاج الزراعى والأمن الغذائى. مطبوعات المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى القاحلة.

- الشوريحي م.أ.، بركودة.ى، اسكندر.ف، بطيخة.م.ن، الشيخ سليمان.أ. 1980 حالة الموارد الرعوية فى مشروع حوض الحماد. أكساد حماد/ ت 7 / مر / 1.

- الشوريحي م.أ.، تاج الدين.ص.م، بركودة.مى، بطيخة.م.ن، الشيخ سليمان.أ.، صناديقى.ن. 1982 دراسات الموارد الرعوية فى حوض الحماد أكساد. / حماد/ ت 24 / م / 3.

- المجموعة الإحصائية لمنظمة اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا، العدد السابع الأمم المتحدة - اللجنة الاقتصادية لغربي آسيا ECWA
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1982 دراسات الأمن الغذائي- المجلد الثاني- للموارد الطبيعية في الوطن العربي.
- أبو عطادة، ع.ر، فريدم، ع.ع، وردة، م.ف.أ، حسن، ن.م، الشوريجي، م.أ، بومسي، م.ع، علوش، ع 1984 حصر وتقييم مصادر الأعلاف في الوطن العربي، المركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة بعمشق والمنظمة العربية للتنمية الزراعية بالخرطوم.
- اليونيسكو (برنامج العايب) 1975 تحليل نظم في الأيكولوجيا وفي تكبير الموارد الطبيعية. الملحق 5 في التقرير النهائي عن الاجتماع الأقليمي بشأن وضع برامج تعاونية للبحوث الأيكولوجية بالمناطق للقاحلة وشبه القاحلة في شمال أفريقيا نشرة رقم 30
- الحضري، الهادي 1984 تجربة دول مشروع الحزام الأخضر بشمال أفريقيا في تثبيت الكثبان الرملية (ورقة عمل الندوة العربية الأولى لتثبيت الكثبان الرملية ومكافحة التصحر- تحت الطبع). البليندير ص.ب 57 تونس-الجمهورية التونسية.

- الأمانة التنفيذية لمشروع العزلم الأخضر شمال أفريقيا 1979
محاضرات ندوة الكساء النباتي نشرة عدد 1 البليفيير ص.ب 57
تونس-الجمهورية التونسية.
- الزراعة والمياه 1985 العدد الثاني/ السنة الثانية أكساد ص.ب 2440
دمشق- للجمهورية العربية السورية.
- الزراعة والتنمية 1984-1985 العدد الأول/ السنة الثالثة، العدد الثاني/
السنة الرابعة ص.ب 474 الخرطوم- للجمهورية السودانية.
- التصحر تهديد خطير لحياة الإنسان (ورقة عمل) الندوة العلمية حول
المخططين والقائمين والإداريين المسئولين عن مقاومة التصحر
7 - 11/10/1985 مراكش- للمملكة المغربية.
- الشخاترة محمد 1984 الكتيبان الرملية في الوطن العربي. أكساد
ص.ب 2440 دمشق - الجمهورية العربية السورية 14 - للشخاترة،
محمد 1985 التصحر في الوطن العربي أكساد ص.ب دمشق -
الجمهورية العربية السورية.

- الشخاترة، محمد 1985 الأعتبارات البيئية فى تنمية وصيانة الأراضى فى المناطق الجافة وشبه الجافة أكساد ص.ب 2440 دمشق، الجمهورية العربية السورية.
- الفلمدى مسعود 1982 عوامل تدهور المراعى وما يجرى لإعادة ترميمها حاليا - ورقة عمل مقدمة للندوة الثالثة للمراعى - إدارة المراعى والغابات - وزارة الزراعة والمياه - الرياض - المملكة العربية السعودية.
- الكشبان الزملية فى مصر 1983 - معهد الصحراء - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - المجالس النوعية - مجلس بحوث البيئة - القاهرة - جمهورية مصر العربية. للفلاحون العرب 1982 .
- الكتاب الإحصائى السنوى للبلاد العربية العدد الخامس، مجلس الوحدة الاقتصادية العربية، الأمانة العامة 1988
- الكتاب السنوى للإحصاءات الزراعية المجلد الرابع، المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1984.
- الكندرى، عبد الله 1992 البيئة والتنمية المستدامة، دولة الكويت.

- الكندري، عبد الله 1985 اقتصاديات الموارد - دراسة تحليلية للموارد الطبيعية والبشرية - وكالة المطبوعات - دولة الكويت.
- القريم، ع.و، 1981 أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، وحدة البحث والترجمة، قسم الجغرافيا بجامعة الكويت والجمعية الجغرافية الكويتية.
- العوضى، ج م ع 1988 الرمال الزاحفة في بيئة الكويت الصحراوية، جمعية حماية البيئة، الكويت.
- آل سعود، م.م. 1987 الاتساق الرملي وخصائصه الحجمية لصحراء الدهناء على خط الرياض الدمام. وحدة البحث والترجمة - قسم الجغرافية بجامعة الكويت - الجمعية الجغرافية الكويتية.
- العودات محمد عبدو، عبد الله يحيى - التلوث وحماية البيئة، جامعة الملك سعود الرياض 1985 ص 3-9
- الصندوق العربي للإعانة الاقتصادية والاجتماعي دولة الكويت 1989
- المنظمة العربية للتنمية الزراعية، برامج الأمن الغذائي العربي، الجزء الثامن، المخزون الإستراتيجي العربي، الخرطوم 1984

- برمودة.ي، 1984 الجفاف والتصحر في موريتانيا، المشكلة والحلول المطروحة. وثيقة مقدمة إلى الدورة السادسة للجنة الدائمة للأرصدة الجوية، جامعة الدول العربية، دمشق 14-26 كانون ثائي (يناير) 1984
- برمودة.ي، بيومى.م.ع، 1983 الحصر الأولي للموارد الرعوية الطبيعية فى دول الخليج والجزيرة العربية.
- برامج الأمن الغذائى العربى، المنظمة العربية للتنمية الزراعية 1980
- برنامج البيئة، 1988 تقرير أولى عن الوضع الراهن لمظاهر التصحر وشكله، زحف الرمال بالكويت. معهد الكويت للأبحاث العلمية، الكويت.
- بن عبي محمد، بن إبراهيم عثمان 1985 مكافحة التصحر فى موريتانيا ورقة عمل مقدمة لندوة المخططين والقياديين والإداريين والمسؤولين عم مقاومة التصحر، مشروع الحزام الأخضر لدول شمال أفريقيا، البليتيير، تونس.
- برنامج الأمم المتحدة للتنمية، مكتب الأمم المتحدة للمنطقة السودانية الساحلية 1981 برنامج تهيئة الكثبان الرملية فى الجمهورية الإسلامية. التقرير النهائى MAO/80/SO3 , DES , UNSCO .

- **جمعية ج.غ.ف. 1985 دولة الإمارات العربية المتحدة (تحت الطبع)**
المشاركة الزراعية والأمن الغذائي في الوطن العربي - المنظمة العربية للتنمية الزراعية.
- **حصين أبو زيد 1985** تيسير التزويد بالماء الشروب خلال فترة الجفاف العالية بالمغرب. المكتب الوطني للماء. المغرب.
- **حدادين منلر 1989** الأهمية الإستراتيجية للمياه في الأقطار العربية مؤتمر الموارد المائية للدول العربية وأهميتها الإستراتيجية، عملن من 2 - 4 أبريل، مركز البحوث والدراسات المائية، الجامعة الأردنية.
- **جان خوري 1977** لمعة عن دور المياه الجوفية في مكافحة التصحر في الدول العربية، ورقة أعدت للإجتماع التحضيري للدول العربية لمؤتمر التصحر العربي، دمشق. 1977 أكماد م/ت 9 دمشق.
- **جان خوري وغيره 1985** تخفيف أثر دورات الجفاف، ورقة أعدت للندوة العلمية في مجال الجفاف، تيسير المياه والإنتاج الزراعي -- أغادير 1985 أكماد 1 ع/45 دمشق.
- **جان خوري 1985** تطبيق تقنيات متطورة لاستكشاف دراسة المياه الجوفية في المناطق الجافة العربية، مُشرة أعدت للندوة العربية للموارد

الطبيعية والتنمية الإجتماعية والإقتصادية المتكاملة فى المناطق الجافة،
دمشق 1985 أكساد م/ن 50 دمشق.

- حورى جان، رمول آغا واثق، دروىى عهد الله 1986 الموارد المائية
فى الوطن العربى وأفاقها المستقبلية، وثائق.

- ندوة مصادر المياه واستخدماتها فى الوطن العربى، الصندوق
العربى، المركز العربى، الصندوق الكويتى، ص 575 - 634.

- ديكلوب 1976 برنامج مكافحة زحف الصحراء وإصلاح آثاره فى
السودان (الجزء الأول والثانى) وزارة الأغذية والزراعة والموارد
الطبيعية - المجلس القومى للبحوث - الخرطوم - الجمهورية
السودانية.

- منكرى م من 1980 التقرير الفنى السنوى لوحدة بحوث المراعى والبيئة
الجافة المشتركة. المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى
القاحلة.

- منكرى م من 1983 المراعى الجافة وأهميتها فى الوطن العربى،
المهندس الزراعى العربى العدد التاسع 14 - 22.

- استراتيجية برامج عمل المركز العربى فى تنمية وتطوير المناطق الجافة والأراضى القاحلة 1982.
- سنكرى.م.ن 1984 التقرير الفنى السنوى لوحدة بحوث المراعى والبيئة الجافة المشتركة. المركز العربى لدراسات المناطق الجافة والأراضى القاحلة بدمشق.
- شوقى أسعد 1985 للمشروع الأقليمى الرئيسى للإستخدام الرشيد وصيانة الموارد المائية فى المناطق الريفية فى الدول العربية والتركيز على نظم المياه التقليدية، تقرير أعد للندوة الإقليمية للتقنيات المائية تونس 1985 أكماد د م/ت 46 دمشق.
- شوقى أسعد 1986 تنمية الموارد المائية فى الوطن العربى وترشيد إستخداماتها، نشرة أعدت لندوة مصادر المياه وإستخداماتها فى الوطن العربى، الكويت 1986 دم/ن 59 دمشق.
- مجلة التصحر 1984 للتصحر (مجلد ٢) مكتب تنسيق برامج مكافحة التصحر بوزارة الزراعة والرى والصرف الزراعى كلية الزراعة جامعة تشرين الجمهورية العربية السورية.

- معهد الصحراء 1983 الكتيبان الرماية فى مصر - أكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا - المجالس النوعية - مجلس بحوث البيئة - القاهرة - جمهورية مصر العربية.
- زين الدين عبد المقصود. البيئة والإنسان، دراسة فى مشكلات الإنسان مع بيئته، دار البحوث العلمية، الكويت 1990.
- مقداد قاسم، حديد بركات، الأمير م 1986 مصادر المياه وإستخداماتها فى القطر العربى السورى للفترة 1979 - 1983 وثائق ندوة مصادر المياه وإستخداماتها فى الوطن العربى، الصندوق العربى، المركز العربى، ص 53 - 62
- مشترك 1981 برامج الأمن الغذائى العربى، المولود الطبيعية، المنظمة العربية للتنمية الزراعية، الخرطوم.
- محمد عبد الفتاح القصاص 1983 قضايا البيئة المعاصرة. العلوم الحديثة، العدد الأول.
- نحل أ 1984 التصحر ودور الحراجين فى مكافحته. مجلة الزراعة والتنمية فى الوطن العربى - العدد الأول 1984

-- نظرة تحليلية في مشكلة الغذاء في البلدان العربية، الدكتور صبحي
الفلسم 1982 مؤسسة عبد الحميد شومان.

- ولكنسون ج م - ترجمة: علي ألها 1985 بيئة الصحاري للدافنة -
وحدة البحث والترجمة - قسم الجغرافيا بجامعة الكويت - الجمعية
الجغرافية الكويتية.

- والظون، ك - ترجمة علي شاهين، 1978 الأراضي الجافة، دار
النهضة العربي للطباعة والنشر - بيروت.

- Ahmed M.U. and Eddib, A.A. 1975- The development of water-
resources in Libyan Sahara. Proc. 2nd World Congr. Int. Wat
Resour. Assoc. New Delhi 3 P. 1 : 10.
- Aldon, E.F. 1970. Fourwing saltbush can be field planted-
successfully. USDA Forest Service, Research Note RM-173.
- Aldon, E. F. 1972. Critical soil moisture levels for field- planting
fourwing saltbush, Jour. Range Mgt.25- 4 : 311-312.

- Beadle, N. C. W. 1952. Studies in halophytes I. The- germinations of seeds and establishment of the seedlings of five species of *Atriplex* in Australia. *Ecology* 33: 49-62.
- Bridges, J.O.1942. Reseeding practices for New Mexico ranges-N. Mex. Agr. Exp. Sta. Bull. 291. 48P.
- CONSTANTINESCO, I. 1976. Soil conservation for developing-countries. *FAO soil bulletin*, 30 ROME.
- Desertification Control Bulletin No. 11 December 1984 UNEP- P.O.Box 30552- Nairobi- Kenya
- Desertification of the United States,U.S.Government printing-office, Washington D.C., 20420, U.S.A.
- El-Baz, F. 1984 *Deserts and Arid-Lands*, Kluwer Academic-Publishers Group,Distribution Center, P.O.Box 322, 3300/AH Dordrecht, the Netherlands.

- EL-HAG, M.M. 1984: Study of Desertification Based upon land & Sat Imagery N. Kordofan-SUDAN. Ph.D Tesis, UN. of GENT, GENT-BELGIUM.
- Foda, M,F.Khalaf,1 M. Al-Hashash; and A. Al-Kadi. 1984. Assessment of sand encorachment and erodibility problems in Kuwait. Kuwait Institute for Scientific Research, Report No. KISR 1297, Kuwait.
- FAO 1979 Survey and evaluation of available data on shared & water resources in the Gulf States and the Arabian peninsula Vol. I, II and III, Rome.
- FAO, 1980, National plan to combat desertification- Somalia- Technical ECWA Region, 27 Feb. 1 march, 1984. ICARDA, Aleppo Syria.
- Sankary, M.N. 1985, Chromosome reports for native and-introduced cbenopodiaceae species in Syria, Breeding Reports No./1. Range and Arid Zone Ecology Research Unit, University of Aleppo and the Arab Center for the Studies of Arid Zones and dry lands.

- Safar, M.I. 1985. Dust and Dust Storms in Kuwait.- Directorate General of Civil Aviation, Meteorological Departments, Kuwait International Airport, Kuwait.
- SHERIDAN, D. 1981: Desertification of the United States,- U.S. Government printing office Washington D.C.-20402 U.S.A.
- Somali Democratic Republic, 1982: Five year Development-Plan 1982- 1986 Ministry of National Planning, Mogadishu Somali
- Tabler, R.D. 1980. Geometry and density of drifts formed by-snow fences. Journal of Glaciology 21:311-322.
- UNEP, 1981: Desertification Control Bulletin, No. 5- P.O.Box 30552, Nairobi- KENYA.
- UNEP, 1984: Desertification Control Bulletin, No. 11- P.O.Box 30552, Nairobi- KENYA.

- UNSO, 1981: Medium and Long Term Program for Sand Fixation- in Mauritania phase I. South Dakota State University, Brookings, S. Dakota 57007 USA.
- United Nations Environment Programme, UNEP, Desertification- Control Bulletin, ISSN 0379- 2455
- UNESCO, 1977, Map of the world distribution of arid regions,- MAB Technical Notes, 7.
- WORLD ASSOCIATION OF Soil and Water. Conservation Newsletter- Volume 2No.1August 1985- 1001 22nd Street, N.W. Washington D.C. 20437 U.S.A.
- Wippermann,F.K., and G. Cross, 1985 The wind-induced shaping- migration of an isolated dune. A numerical Experiment. Boundary Layer Meteorology. 36: 319-334.
- Zhenda, Z.S. Shu, W. Zhen, and D. Xinmin. 1986. Deserts of- China Institute of Desert Research, Academia Sinica Lanzhou, China.

- Khalaf, Fl, Gharib, I.M. and Al-hashash M.Z. 1984. Types and- characteristics of recent surface deposits of Kuwait. Arabian Gulf 1984. Journal of Arid Environments, Vol. 7, pp.9-33.
- Kassas,M. and Ahmed,Y 1987 Desertification Financial Support- for the Biosphere, UNEP, London, Hodder & Stoughton Press.
- Kovda, V.A. 1980 land Aridization and Drought Control.-
- Mabbutt J.A. 1983. Assessment of the Status and Trend of- Desertification in: The Background of The First General Assessment of Progress in Implementing the Plan of Action to Combat Desertification. Desertification Control Bulletin, James Walls 10: 5-14-84.
- Nord. E.C. and J.E. Whitacre, 1957. Germination of fourwing- saltbush seed improved by sacrfication and grading.
- Our Common Future, The World Commission on Environment and-Development, 1985.

- Odingo, Richard, S. 1991. The Definition of Desertification:- Its programmatic consequences for UNEP and the International Community in Desertification Control Bulletin, No. 18-1990, P. 31-50. A/Conf, 151/4Part 2, 1992.
- Protect and Produce 1984, The Land and Water Division-Agriculture Department FAO, Via Delle Terme Di Caracalla 00100- Rome Italy.
- Sankary, M.N. 1971. Comparative plant ecology of two-mediterranean type arid areas with emphasis on the autecology of twenty dominant species. Ph.D. Thesis. University California. Davis.
- Sankary, M.N. 1980, Improvement of rang lands by selection of-suitable forage and range plants. In: Rainfed agriculture in the Near East and North Africa. Proceedings of the FAO Regional Seminar on Rainfed Agriculture in the Near East and North Africa, Amman, Jordan, 5-10 May, 1979 FAO, 1980.

- Sankary, M.N. 1984. Revegetation of the Syrian arid Areas.-
- Haloxyleto-Hordeetum Community, Second Inter Rangeland-
Congr. 13-18 May, 1984. Adelaide, Australia.
- Sankary, M.N. 1984. Desertification control, productivity-
enhancement and management intensification of the Mediterranean-
type arid and marginal areas in the ECWA Region, Export meeting
on the Development of Regional Research and Training
Programmes on the Desertification Control in the Report, Rome-
ITALY.
- FAO, 1984: Protect and Produce Soil Conservation for-
development, via delle terme di Caracalla 00100,Rome- ITALY
- FAO- UNEP. UNESCO.1980, Provisional Map of Soil
degradation- pisks, scale 1:5,000,000.
- FAO- UNESCO.1974. Soil map of the world, sheet No. VI- 1.
- FAO- UNESCO.1974. Soil map of the world, sheet No. VII- 2.

- FOTH, H.D. and Schact, J.W. 1980. Soil geography and land- use, Wiley, New York, 484 p.
- GILE, L.H. and GROSSMAN, R.B. 1979. The desert project soil-monograph. Soil and land scapes of a desert region astride the rio grande valley new las cruces, New Mexico. Soil conservation service, USDA.
- Gischler C.E. 1979 Water resources in the Arab Middle East- and North Africa. MENAS Resources studies. MENAS press Ltd.,Cambridge.
- HAGEDORN, H et al 1977: Dune Stabilization, Germany Agency-for Technical Cooperation KTD, Dag-Hammarskjold-Weg 1, P.O.Box. 5180 D 6236 Echborn W. Germany.
- Have, F.K. 1983. Climate and Desertification, World Climate-Programme, WCP, UNEP-WHO.

- Hervey, D.F. 1955. Factors which influence the reseeding of certain browse species in Colorado. Ph. D. Diss. ANM College of Texas, College Station, 109P.
- Hack, J.T. 1941. Dunes of Western Navajo country. *Geographic Review* 31: 240-263.
- Hagedorn, H., K. GieBnev, O. Weise, D. Busche and G. Grunert. 1977. Dune stabilization- A survey of literature on dune formation and dune stabilization. *Geographisches Institut Universtat, Wutzbug*.
- Jean-Jacques Bochet 1983, *Management of Upland Watersheds:- Participation of the Mountain Communities*. FAO Conservation Guide 8, FAO, Rome- ITALY.
- KOVADA, V.A., SAMOILOVA, E.M., CHARLEY, J.L and SKUJINS, J.J.- 1979. Soil processes in arid lands. In: *Aridlands ecosystems: Structure, functioning and management*. Vol. I ed by D.W. Goodall, R.A. Derry and K.M.W. Hower. I.B.P. Cambridge Univ. Press, p. 439- 470 .

اللويس و السلفيوى

في

التراث الكلاسيكى القديم

د. حسين الشيخ

اللوتس والسلفيون في التراث الكلاسيكي القديم

نباتان اشتهرا في ليبيا وكان لهما بعض الخصائص التخديرية والعلاجية ، وورد ذكرهما كثيراً في النصوص الأدبية والتاريخية اليونانية واللاتينية القديمة ، أولهما كان شجرة اللوتس ، وثانيهما كان نبات السلفيون .

وربما تعود شهرة شجرة اللوتس إلى القصة التي رواها هوميروس في الأوديسية عن اللوتس واللوتفاجي (١) ، حيث يرد ذكر هذه الشجرة لأول مرة حين يقص أوديسيوس كيف رسا مع بحارته علي سواحل بلاد أكلة اللوتس ، وهي الفاكهة التي لها (مذاق وحلاوة العسل) كما يقول هوميروس (٢) ، والتي تجعل من يأكلها ينسى أهله ووطنه ولا يعود يفكر إلا بهذه الثمرة العجيبة (٣) .

وتظل ثمار اللوتس - التي تحمل بعض صفات النباتات المخدرة كما يفهم من هوميروس (٤) - شيئاً أسطورياً حتى يعيدها هيرودوت ثانية إلى الأذهان بحديثه عن شعب أكلة اللوتس ، ويشبّه حلاوة الثمرة بحلاوة ثمرة

(1) Λωτός (Rhamnus Lotus), Λοτοφάγοι (Lotus Eaters), Cf. Od., IX, 83 - 84.

(2) Od., IX, 94.

(3) Od., IX, 83 - 102.

(٤) ومن الملاحظ أن هوميروس لم يصف ثمرة اللوتس وإنما تعرّض لخواصها وحلاوتها فقط ، ولم تكن المرة الأولى التي يلمس فيها الشاعر موضوع النباتات أو الأشربة ذات الصفات التخديرية ، حيث سبق له في الأوديسية في موضع سابق أن وصف كيف كانت هيلين تستخدم عقاراً يجعل كل من يشربه لا يشعر بأى ألم وينسى ما حوله (Od., IV, 219 - 232) وتستبعد هنا أن يكون هذا العقار هو نفس =

البلح ، ويضيف أن أكلة اللوتس ، قد صنعوا من هذه الثمرة نوعاً من النبيذ خاصاً بهم (١) .

ويعد هيرودوت يمرّ كسنوفون في عمله الشهير " أناباسيس " مروراً عابراً علي أكلة اللوتس (٢) ، إلا أن سترابون بعده يقف عند اللوتس وقفة أطول بعض الشيء حيث يضع أرض أكلة اللوتس بالقرب من خليج سرت الصغرى علي ساحل ليبيا الغربى (٣) ، وفي موضع آخر يضيف إليها جزيرة " مينكس " بالقرب من خليج سرت الصغرى أيضاً (٤) .

أما بلينيوس فلربما كان أول من أفاض - بعد ثيوفراستوس - في بحثه عن اللوتس وخصائصه ، وحدّد أرض أكلة اللوتس عند خليج سرت الكبرى (٥) ، كما قارن بينه وبين نبات اللوتس المصرى الشهير (٦) .

= ثمرة اللوتس ، رغم التشابه في الأثر الذي يحدثه ، حيث أشار له هوميروس بكلمة *Φάρμακον* ، وعلى الأرجح فقد يكون هذا العقار نوعاً من القنب أو الحشيش *ἡκάνναβις* الذي وصف لنا هيرودوت كيف كان أهل سكتيا يستعملونه في حماماتهم بوضعه علي أحجار ساخنة حتى يستنشقوا بخاره الذي كان يعدّهم بسعادة هائلة (Hdt., IV, 75) ربما أن طروادة تقع في نفس النطاق الزراعى لمنطقة سكتيا ، فلربما عرف الطراويون زراعة القنب أو الحشيش .

(1) Hdt., IV, 177.

(2) Xen., Anabasis, III, 11, 25.

(3) Strabo, Geog., XVII, 3, 17.

(4) Strabo, Geog., III, 4, 3, ; XVII, 3, 8.

(5) Plinius, N. H., V, 4.

(6) Plinius, N. H., XIII, XXXII, 107.

وقد أثرت أن اعتمد علي وصف بلينيوس حيث يلجأ ثيوفراستوس دائماً للمقارنة بين نباتات مختلفة مما قد يريك القارىء ، وعلى سبيل المثال فقد أفاض في وصف =

يقول بلينيوس :

" تنتج افريقيا أيضاً - في أجزائها التي تتجه نحونا (١) - شجرة معروفة هي اللوتس ، وتعرف في اللهجة الدراجة باسم " كلثيس " (٢) . وقد استنبقت كذلك في إيطاليا إلا أنها فسدت لتغير التربة . وأفضل اللوتس هو ما وجد حول سرت ومنطقة النسامونس . وهي في حجم الكمثرى بالرغم من قول كورنيليوس نَبُوس بأنها ثمرة صغيرة . والحزوز التي علي أوراقها تشبه تلك التي علي أوراق السنديان ، إلا أنها أكثر عدداً . وهناك أنواع عدة من اللوتس تختلف أساساً في ثمارها ، لكن تلك الثمرة (التي نتحدث عنها) في حجم حبة الفول ولها لون الزعفران ، لكنها تغير اللون عدة مرات قبل نضجها مثل العنب . وتنمو في عناقيد كثيفة علي الأغصان مثل حب الأس ، ولكنها ليست مثل الكرز كما يحدث في إيطاليا ، وهي في موطنها حلوة جداً عندما تؤكل حتى أنها أعطت اسمها لجنس من الناس (٣) ولأرض هي كريمة جداً مع الغرماء الذين يأتون إليها

= خمسة أنواع مختلفة من اللوتس والتي لا يشترك إلا في الاسم فقط .

Cf. Theoph., I, 5, 3; I, 8, 2; IV, 2, 5; IV, 2, 12; IV, 8, 9 - 11; IV, 3, 1 - 2; V, 3, 1; V, 5, 6; VII, 8, 3; VII, 13, 5; IX, 7, 3 et Passim.

(١) أي المناطق التي تواجه إيطاليا .

(٢) ربما استعمل أطباء العرب اسماً قريباً من " الكلثيس " مع بعض التحريف وهو " الحلتيت " . مع ملاحظة أن الحلتيت هو مرادف الإنجدان أو Ferula Tingitana الذي أطلق علي نبات السلفيون . راجع : ضياء الدين أبي محمد بن البيطار الاندلسي ، الجامع لمفردات الأنوية والأغذية في : علي فهمي خثيم ، نصوص ليبية دار الفكر ، طرابلس ١٩٧٥ ، صفحة ١٤٢ .

(٣) اللوتواجي أو أكلة اللوتس . قارن ثيوفراستوس الذي يشترك مع بلينيوس في نفس أوصاف اللوتس . Theoph., IV, 3, 1 .

فتجعلهم ينسبون موطنهم الأصلي (١) .

ويستمر بلينيوس في وصف استعمال اللوتس قائلاً :

" يقال إن مضغ هذا اللوتس يمنع أمراض المعدة ، وأفضل أنواعه لا يحوي نواة بداخله ، أما الأنواع الأخرى فتحتوي نواة ذات شكل عظمي . كما يستخرج أيضاً من هذه الثمرة نبيذ يشبه " التبغ " (٢) وهو طبقاً لنَبُوس مرة أخرى لا يصلح لأكثر من عشرة أيام ، وهو يذكر أن النوى يطحن مع الحنطة ويخزن في براميل خشبية للطعام ، وقد أخبرنا يقيناً أن جيوشاً قد تغذت علي هذا (الخليلط) بينما كانت تجوب إفريقيا (٣) . وخشب (اللوتس) نولون أسود وهو مطلوب لصنع النايات المشجية ، بينما يصنع من الجذع مقابض المدي وأنوات قصيرة أخرى (٤) .

ثم ينتقل بلينيوس إلى المقارنة بين نبات اللوتس هذا واللوتس المصري ، فبرغم اشتراك النباتين في الاسم نفسه ، إلا أن الاختلاف كان واضحاً (٥) ، فاللوتس المصري نبات من الفصيلة العشبية كان ينمو في

(1) Plinius, XIII, XXXII, 104 - 105.

(2) Latin : Mulso, English : Mead.

وهو شراب من العسل المخمر ، وطبقاً لقول بليني وكورنيليوس نَبُوس نستطيع الاستنتاج بأن ثمرة اللوتس كانت فعلاً شديدة الحلاوة حتي يمكن استخراج مشروب منها يشبه العسل المخمر .

(٣) والاشارة هنا إلى حاكم قورينا الذي حاول غزو قرطاجية بالتحالف

مع Agathocles في ٢٠٨ ق . م . . Cf. Theoph., IV, 3, 2.

(4) Plinius, XIII, XXXII, 105 - 106; Theoph., IV, 3, 4; Cf. : Paus., VI, 26, 6; Mela. I, 7, 5; Hygin., Fab., 126.

(٥) وقد أشار ثيوفراستوس إلى اشتراك العديد من النباتات في الاسم نفسه رغم =

أحراش الدلتا ومستنقعاتها ويكتمل نموه عند انحسار مياه الفيضان ، ويشبه نبات الفول في ساقه وأوراقه ، وتنمو ثمرته علي رأس النبات ، وهي تشبه ثمرة الخشخاش وتحتوي علي حبوب دقيقة مثل حبات الذرة الرفيعة ، استعملها المصريون القدامى أحياناً لصنع نوع من الخبز (١) .

أما نبات السلفيون (٢) فيبدو أنه قد حظي باهتمام وانتشار أكبر ، ربما لقيمه السلعية التجارية ، وطبقاً لهيرودوت وبلينيوس فقد كان السلفيون ينمو في سيرينايا (قورينا) علي شريط بطول ٢٥٠ ميلاً ويعرض ٢٠ ميلاً (٣) ، ويبدو أنه كان مصدر الدخل الرئيسي لقورينا ، فكانت تحتكر تصديره إلي مختلف أجزاء العالم القديم ، وقد وجد في " لاكونيا " قذح صور عليه الملك " أركسلاوس الرابع " وهو يشرف بنفسه علي وأن السلفيون رتبته ، والذي كان يباع بوزنه فضة (٤) ، حتي إن سترابون يحدثنا عن محاولات لبعض تجار قرطاجة لتهريب السلفيون خفية (٥) .

واستخدم السلفيون كطعام وواء ، واستخدم عصيره كخمر ، إلا أن تحديده نباتياً بشكل واضح يبدو صعباً إلي حد ما - رغم الدراسات التي حاولت ذلك (٦) - إذ أنه كان قد انقرض علي عهد بلينيوس ، لكن يمكن القول = اختلافهم في الخواص ، وأخذ مثلاً علي ذلك " اللوتس " .

Cf. Theoph., VII, 15, 3.

(1) Plinius, XIII, XXXII, 107 - 110.

(2) Σιλφίον, Silphium, Lasepitium, Ferula Tingitana.

(3) Hdt., IV, 169; Plinius, V, 5.

Cf. Strabo, Geog., II, 2, 2; II, 5, 33; XI, 13, 7.

(٤) انظر شكل رقم (١) .

(5) Strabo, Geog., XVII, 3, 20.

(6) Chalmers Gemell, Silphium, Bulletin of the History of Medicine, Vol. XI, No. 4, July - Aug. 1966.

أنه من العائلة الجزرية طبقاً لوصف ثيوفراستوس له ، والذي يقول أنه نبات
نوجذر غليظ وساقه مثل ساق الفيرولا ، ورقه كورق الكرفس أو الكزبرة ،
هذا بالإضافة إلى وصف بلينيوس الدقيق له (١) .

يقول بلينيوس :

" ثم وبعد هذا سنتحدث عن " اللزبيتيوم " وهو نبات مهم ومعروف
واسمه باليونانية " سلفيون " وقد وُجد في الأصل في مقاطعة قورينا . يسمي
عصيره " لازر " ويحتل مكانة هامة في الإستعمالات العامة وفي العقاقير ،
ويباع بوزنه دنانير فضية . وهو لا يوجد الآن في ذلك البلد منذ سنوات عدة
لأن دافعي الضرائب من الفلاحين الذين يستأجرون المراعي قد جربوها من
برعي الأغنام عليه ، معتقدين أنهم بهذه الطريقة يحققون نفعاً أكبر (٢) .

وقد وجدت ساق واحدة فقط علي مائذكر والتي أرسلت إلي
الإمبراطور نيرون (٣) .

(1) Theoph., VI, 3, 1 - 2.

ورغم وصف ثيوفراستوس البقيق للسلفيون (Theoph., VI, 3, 1 - 2) إلا أن
اعتمادي هنا على بلينيوس قد يبعو أكثر فائدة حيث أنه قد استفاد من ثيوفراستوس
وأضاف إليه ، هذا بالإضافة إلى توسعه في وصف فوائد السلفيون الطبية .

(2) Plinius, XIX, XV, 38 - 39.

وهو ما يخالف تفسير سترابون لانقرض السلفيون ، فيري سترابون أن البرابرة قد
قاموا بغزو المنطقة ، وسبب عنوتهم قاموا بالقضاء علي جنود هذا النبات .

Cf. Strabo, Geog, XVII, 3, 22.

(3) Plinius, XIX, XV, 39.

ويستطرد بلينيوس قائلاً بأنه قد سبق واستوردت الحكومة الرومانية ثلاثين ليرة من
السلفيون أثناء قنصلية جايوس فاليريوس (٩٣ ق . م .) كما أن يوليوس قيصر قد
سحب من الخزينة الحكومية بالإضافة إلى الذهب والفضة ١٥٠٠ ليرة من السلفيون وذلك
في بداية الحرب الأهلية (٤٩ ق . م .) Cf. Plinius, XIX, XV, 40.

ثم يصف بلينيوس نبات السلفيون وكيف يستخرج منه العصير

وله جذر كبير سميك وساق تشبه ساق الشمر وتماثلها في السمك ، وكان من المعتاد أن يطلق علي أوراق هذا النبات "ماسبيتوم" ، وهي تشبه إلي حد كبير البقدونس ، أما البذور فكانت كالورقة ، بينما الورق الحقيقي يسقط في الربيع . وكان من المعتاد رعى الماشية عليه (علي الورق) ، وفي البداية كان يعمل كمسهل ، ثم وبعد ذلك تسمن الحيوانات وتنتج لحماً ذا نوعية جيدة بدرجة غريبة

وبعد أن يسقط النبات أوراقه فقد اعتاد الناس أنفسهم أن يأكلوا الساق الأصلي مطبوخاً بشتي الطرق . مسلوقة أو مشوية ، وهو يعمل معهم عمل المسهل أيضاً للأسابيع الستة الأولى ويستخرج العصير عادة بطريقتين من الجذر ومن الساق ، وكان الاسمان المرادفان له : "ريرياس" و "كاوليئاس" (١) ، ونوعية الثاني أدني من نوعية الأول وهو قابل للفساد (٢)

وفي موضع آخر يستمر بلينيوس في الحديث عن فوائد السلفيون واستعمالات أوراقه وجذوره قائلاً

وفي الوقت الحاضر يُستورد أساساً من سوريا ، وهذا السلفيون السوري ليس جيداً كالبارثي ، رغم أنه أفضل من الميدي ، أما سلفيون قورينا فكما قلت سابقاً قد انقرض الآن تماماً

وتستخدم أوراق السلفيون في الطب لتطهير الرحم واستخراج الجنين

(1) Ραϊξίαις الجذر Καυλίαις الساق

(2) Plinius, XIX XV 42 43

الميت الذي لم يولد ، وعصيره المغلي يستخدم في صنع مبيد أبيض ذي نكهة طيبة يُشرب بعد الحمام في جرعات تعادل (حقاً) واحداً . أما الجذر فهو جيد لإلتهاب القصبة الهوائية ، وإجمالاً يُستخدم (لعلاج) ارتشاح الدم . لكن من الصعب هضمه عندما يؤخذ كطعام ، إذ يسبب غازات المعدة مع التجشؤ المستمر . وهو ضار بخروج البول ، ولكنه مفيد جداً مع النبيذ والزيت اللكدمات ، ومع الشمع لأورام نواء الخنازير ، وتسقط ثآليل المقعدة (البرواسير) إذا ما بُخريه عدة مرات (١) .

ثم يستمر بلينيوس في حديثه عن استعمالات عصير السلفيون هذه المرة وفوائده قائلاً :

" يستعمل عصير السلفيون ، الذي يُقَطَّر من السلفيون بالطريقة التي سبق أن ذكرتها ، والذي يُعدّ واحداً من أثمن نعم الطبيعة ، كعنصر (يدخل) في وصفات طبية كثيرة جداً ، أما وحده فهو يذوّب من القشعريرة ، وإذا ما أخذ في شراب فإنه يلطف من علل الأعصاب (الأوتار) ، ويقدم للنساء مع النبيذ ، ويُستعمل على صوفة ناعمة كتحميلة للرحم (تصويفة) لينثير الحيض . ومخلوطاً (أي السلفيون) بالشمع لاقتلاع مسامير القدم (عين السمكة) من الأقدام بعد أن تكون قد حُددت دائرياً بالسكين ، وقطعة في حجم حبة الحمص مخففة (ممزوجة بسائل ما) تدر البول . وقد أكد لنا " أندرياس " أنه رغم أخذه جرعات وفيرة إلا أنه لا يسبب انتفاخ البطن (٢) ، وهو مساعد عظيم للهضم لكبار السن والنساء ، وأيضاً فهو عظيم الفائدة في

(١) Plinius, XXII, XI VIII, 100.

(٢) لاحظ ما سبق وقاله بلينيوس من أن أكلة جذر النبات يسبب غازات المعدة والتجشؤ المستمر . راجع حاشية ١

الشتاء عنه في الصيف ، حتي إنه أكثر من هذا للذين ألقوا عن المسكرات ،
إلا أنه علي أية حال يجب أن تؤخذ الاحتياطات علي ألا تكون هناك أية
قرحة داخلية .

وعندما يؤخذ (السلفيون) في الطعام فهو يساعد تماماً علي النقاة ،
وإذا ما أعطي في الوقت المناسب فإن له كل مقومات الدواء الكاوي (١) ،
حتي إنه أكثر نفعاً لهؤلاء الذين اعتادوا عليه من غيرهم الذين لم يألفوه .
واستعمالاته الظاهرية تثبت بأدلة أكيدة قوّة الشافية (٢) .

ويواصل بلينيوس تحديد فوائد عصير السلفيون عندما يستعمل من
الظاهر هذه المرة ، فيذكر أنه عندما يوضع مخلوطاً بالماء على الجروح التي
تتسبب من الأسلحة المسمومة أو لدغات الأفاعي أو عضّة الكلب يشفيها ، وإذا
مزج بالخل وجلي مع قشر الرومان فهو يشفي الدوالي حول فتحة الشرج إذا
ما دهنت به ، وإذا استعمل ككمادات يعالج تشقق الأصابع وتورمها ، وإذا
خفف بالخل والماء ودهنت به الأطراف فهو يخفف من آلام النقرس ،
ويستعمل كفرغرة لإلتهاب اللوزتين ، وإذا غلي مع العسل واستعمل كمروخ فهو
يخفف آلام عرق النسا واللمباجو (٣) .

وفي محاولة متواضعة لتحديد ماهية شجرة اللوتس ونبات السلفيون .
نبدأ باللوتس الذي أتى أول ذكر له عند هوميروس - مع ملاحظة ما للشعراء
من ميل طبيعي للمبالغة - ثم هيرودوت مع ما يؤخذ عليه أحياناً من نقله
للمعلومات دون تحميص أو تعميمه لبعض الأحكام ، مروراً بكسنوفون

(١) الذي يدعى ويجفف ، راجع تعليق المترجم في طبعة اللوبي P. 366, Note d.

(2) Plinius, XXII, XLIX, 101 - 103.

(3) Plinius, XXII, XLIX, 103 - 105.

وسترابون الذين لم يتعرضوا لخصائص هذه الشجرة ، وإنما حاولوا فقط تحديد مكانها ، حتي نصل إلي أول من تعامل مع الموضوع بشكل عقلائي ، ونعني به بلينيوس ، رغم أنه من الواضح أنه قد نقل وصف اللوتس وتعرض لخصائصه نقلاً عن سبقوه ، ويتأكد هذا من تلميحاته الدائمة مثل : " قال كورنيليوس نهوس - يُقال - أخبرنا " ، بينما يختلف الوضع حينما يصف اللوتس المصري ، فوصفه له بيبرواثقاً مؤكداً تاکد العارف بما يصفه .

وربما تجدر الإشارة هنا بداية إلي رأى واحد من الدراسين اللبيين المحدثين الذي رأى اللوتس :

" هو ضرب من نبات الخشخاش المعروف في ساحل الإقليم الغربي من ليبيا باسم (القنقيط) والمنتشر فيها انتشاراً عظيماً حتي اليوم ، وهو يشبه اللوتس المصري ، وبه خواص مخدرة يعرفها عامة الشعب في ليبيا ، وتأكله العذاري مخلوطاً بالكسكسي لمعرفة حظهن في الزواج ، فيكون له تأثير مخدر ويحدث هذياناً وأحلاماً قد تستمر اليوم بطوله (١) " .

وربما كان من الأفضل في البداية أن نستبعد فكرة الخصائص المخدرة لشجرة اللوتس والتي لم ترد بشكل واضح إلا عند هوميروس ، فعلى الأرجح استعملها هوميروس كصورة شعرية مثيرة تزيد من حجم معاناة بطله أوديسيوس عندما يصبح مهدداً بأن يهجره بحارته ، أما هيرودوت فقد كان واعياً لمسألة النباتات المخدرة حينما شرح كيف استعمل أهل " سكذيا " القنب الهندي أو الحشيش $\eta\text{Kανναβις}$ ، وبالتالي فلو كان هناك أى وجه شبه بين اللوتس والقنب الهندي أو الحشيش الذي هو من فصيلة الخشخاش

(١) علي فهمي خشيم ، المرجع السابق ، صفحة ١١٩

لكان هيرودوت أشار إلي ذلك ، أما كسنوفون وسترابون ومن بعدهما بلينيوس فقد استعملوا دائماً تعبير " أرض أكلة اللوتس " ، وهذا أمر طبيعي إذ كثيراً ما يرتبط المكان بأشهر ما ينتجه من ثمار (البلح الأسويطي - بلح سيوة - نخيل فزان - عنب الشام) ، وبالتالي فتعبيرات مثل " أكلة اللوتس " أو " أرض أكلة اللوتس المضيافة " ، هي تعبيرات لا توحى بأية صلة بينها وبين أى نبات مضر .

يضاف إلي ذلك أن نبات الخشخاش لا يحوي أية " نواة عظمية " بداخله كما وصف بلينيوس أحد أنواع اللوتس ، ولا يعصر الخشخاش ويستخرج منه أى نوع من النبيذ ، وإنما يحوي مجموعة من الزيوت ذات الصفة المخدرة .

وإذا استعدنا بعض أوصاف اللوتس من أنه في حجم حبة الفول ويغير من لونه عدة مرات قبل النضج وينمو في غناقية كثيفة ، وبعض أنواعه لا يحوي نواة في داخله ، بينما البعض الآخر يحوي نواة ذات شكل عظمي ، ويستخرج منه نبيذ يشبه العسل المخمر ، لوجدنا أن هذه الأوصاف تكاد تتطبق علي نوع من البلح شديد الحلاوة - غالباً انقرض الآن - ويؤكد هذا أن المنطقة لازالت تشتهر حتي الآن بالبلح الجيد ، بالإضافة إلي أن محاولة استنبات اللوتس في إيطاليا قد فشلت كما يذكرنا بلينيوس ، وتفسير هذا واضح تماماً بسبب اختلاف الظروف المناخية حيث ينبت البلح في ظروف مناخية وتربة رملية مماثلة تماماً لظروف بلد مثل ليبيا ، لكنه لا ينمو في بلد مثل إيطاليا .

أما نبات السلفيون فيبدو أنه قد انتقل إلي أطباء العرب باسم الإنجدان

أو الحلتيت ، فقد وصفه ابن البيطار قائلاً (١) :

"سلفيون ، وهو شجرة الإنجدان ، ينبت في البلاد التي يُقال لها قورينا وأرمينيا وميديا " .

وفي موضع آخر يقول :

"حلتيت : هو صمغ الإنجدان ... ، وقد يُجمع من الإنجدان صمغ وهو الحلتيت بأن يشترط أصله وساقه ... ، والحلتيت المعروف بالقوريني وهو الذي من قورينا إذا ذاق إنسان منه قليلاً فإنه علي المكان يُبدل بيده كله ، ورائحته ليست بكريهة ، ولذلك إذا تناول منه لا يكون للغم رائحة شديدة ... ومن الناس من يسمي ساق هذا النبات سلفيون ويسمي أصله ماء عنطارس (٢) " .

ثم يصف ابن البيطار استعمال الحلتيت أو الإنجدان فهو :

"نافع مجشئ ... يوافق عرق النساء ... إذا طبخ بخل في قشر

(١) ضياء الدين أبي محمد بن البيطار الأندلسي ، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ، الجزء الأول ، طبعة بولاق ، صفحات ٥٨ - ٥٩ .

وقد أثرت الاعتماد على ابن البيطار حيث استعمل أوصاف بليني للسلفيون وأضاف إليها مقالة الرازي وحيش بن الحسن وابن سينا بتفصيل كبير .

(٢) ابن البيطار ، الجزء الثاني ، صفحات ٢٧ - ٢٨ .

وربما كانت تسمية "عنطارس" هي تحريف لكلمة Μαγνδάρης وهو اسم النبات الذي تحدث عنه ثيوفراستوس قائلاً إنه ينمو في سوريا ويشبه في خصائصه نبات السلفيون ، حتى إن البعض أطلق عليه اسم السلفيون .

Cf. Theoph., VI, 3, 7.

كما أن بلينيوس قد أشار إلي أنه بعد انقراض السلفيون من قورينا فقد كان يستورد من سوريا . راجع فيما سبق صفحة ٧ حاشية ٢ وصفحة ٨ حاشية ١ .

قارن أيضاً : ابن سينا ، القانون في الطب ، الكتاب الثاني ، طبعة بولاق ١٢٩٤ هجرية ، صفحة ٢١٦ حيث يقول : "ونوع آخر من الحلتيت - السلفيون - المعروف بسوريا ، وهو أضعف قوة من القوريني " .

رمان وتضمد به أذهب البواسير الثابتة في المقعدة ... وإذا شرب كان مبيداً
للأوبية القتالة ... ينفع من عسر البول ... ويدبر الطمث ... مجفف لرطوبة
المعدة ... يستخرج الأجنة ... مقو للكبد والمعدة معين علي الهضم .

وكما هو واضح فهذا الوصف يتفق تماماً مع وصف بلينيوس السابق
لاستعمالات السلفيون وفوائده الطبية .

وبعد ابن البيطار يصف داوود الأنطاكي في تذكرته استعمالات الحلتيت
أو الإنجدان قائلاً :

أو الإنجدان قائلاً :

" حلتيت " صمغ الإنجدان ... ويسمى بمصر " الكبير " ... وهو
يستأصل شاة البلغم والرطوبات الفاسدة ... وإذا غلى في الزيت وقطر يحل
الرياح ويرد المعدة والكبد والاستسقاء واليرقان والطحال وعسر البول والأورام
الباطنة والقروح والفالج ... ويسقط الأجنة ... ويضعف البواسير ... وهو
ترياق السموم كلها (١) .

ومرة أخرى يوافق وصف داوود الأنطاكي لاستعمالات الحلتيت أو
الإنجدان وصف ابن البيطار وبلينيوس لاستعمالات السلفيون مما يرجح كون
الثلاثة نباتاً واحداً (٢) .

(١) داوود بن عمر الأنطاكي ، تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجائب ، الجزء
الأول ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، صفحات ١٣٦ - ١٣٧ .

(٢) ما يستلفت النظر هنا هو ذكر داوود الأنطاكي للحلتيت في مصر تحت اسم "
الكبير " ، فطبقاً للمصادر الكلاسيكية السابق عرضها وعلي حد علمي لم تعرف
مصر زراعة السلفيون ، وإن كان هذا لا ينفي امكانية استيراده من قورينا .

وفي مقابلة شخصية لبعض كبار السن من بنو الصحراء الغربية أجريتها في الصيف
الماضي في مدينة مرسى مطروح أخبرني بعضهم بأن لديهم عشبة برية تسمى =

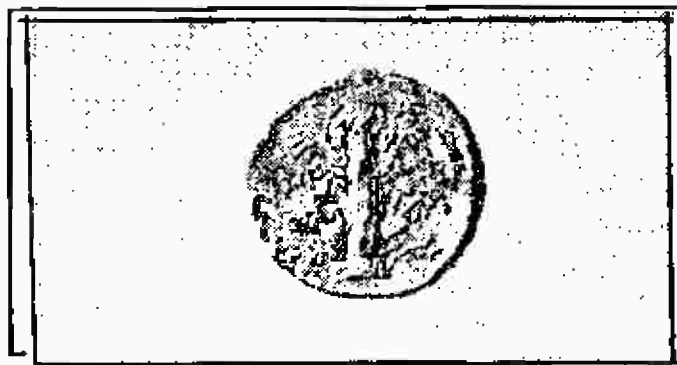
مما سبق يمكن القول باحتمال أن تكون شجرة اللوتس المنقرضة هي نوع من البلح شديد الحلاوة ، أما السلفيون فرغم أنه كان قد انقرض في قورينا ، إلا أن نوعاً آخر منه ظل يُؤتى به من سوريا ، وعرفه أطباء العرب باسم الحلتيت أو الإنجدان ، وظل موجوداً حتى العصر الحديث .

= " أبو كبير " يستعملون منقوعها لأوجاع المعدة . وربما أكد هذا ما أشار إليه أحد الدارسين الليبيين من أن " أبو كبير " نبات طبي منتشر في ليبيا ومناطق أخرى .
راجع علي قهسى خشيم ، المرجع السابق ، صفحة ١٢٩ .



شكل (١)

قدح أكسيلوس : ويرى الملك الليبي الشهير أركسيلوس
وهو يشرف بنفسه علي وزن السلفيون وتعبثته تمهيداً لتصديره .



شكل (٢)

السلفيون علي عملة قورينائية



شكل (٢) رسم تخيلي لنبات السلفيون

**الإسكندر الأكبر وبلاد العرب
ضوء جانبي من خلال فكره السياسي والديني**

د. سلوى محمود نصر

مدرس بقسم الآثار والدراسات اليونانية والرومانية

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضوء جاتبي من خلال فكره السياسى والدنى

يعتبر موضوع الإسكندر وبلاد العرب من الموضوعات التى مازال المجال فيها مفتوحا لمزيد من البحث، حيث لم يصلنا من أخباره إلا القليل، ومع ذلك فلا يمكن أن نتصور أن بلاد العرب كانت قليلة الأهمية بالنسبة للإسكندر، على الأقل فى ملحقين أساسيين لا يمكن إغفالهما وهما: موقع المنطقة الإستراتيجى بالنسبة للإمبراطوريته، حيث تعتبر متاخمة لحدودها الجنوبية فى المنطقة الآسيوية، التى إمتدت فيها إمبراطوريته لتشمل الأراضى التى يحدها بحر إيجة غربا، ومنطقة البنجاب الهندية شرقا، بينما يحدها فى الشمال منطقة القوقاز وبحر الخزر، بحيث لا يخرج من دائرة سيطرته فى هذه المنطقة سوى أرمينيا وشمال شبه جزيرة العرب.

هذا من جانب والجانب الآخر الذى لا يمكن إغفاله هو إمكانيات منطقة بلاد العرب الإقتصادية، والدور الذى لعبته فى حركة التجارة بين الشرق والغرب، سواء بصفتها كمنتج لمديد من السلع التى إشتهرت بها المنطقة مثل البخور والطبوب واللبن والعمر والقرفة وغيرها، أو بصفتها وسيط تجارى لعدد من السلع الأخرى التى كانت تنقل إليها عن طريق الصين والهند، مثل التوابل والمنسوجات الحريرية والرياش والعاج والأبنوس وغيرها.

ومن الأمور المسلم بها أن الإسكندر قد فكر فى غزو منطقة بلاد العرب، وقام بالفعل بخطوات مبدئية تمهيدا لذلك بأن أرسل تباعا عددا من الواده البحريين، منهم أناكسكرايتس ثم هيرون، ليجمعوا له كل المعلومات الممكنة عن سواحل هذه

المنطقة.^(١) ولكن القدر لم يمهل الإسكندر ليكمل ما بدأه، فتوقف المشروع حتى أعاد بطليموس الثاني فيلادلفوس المحاولة من جديد.

والأمر يبدو إلى هذا الحد طبيعى ومنطقى، لولا أن بعض من مؤرخى الإسكندر وبالتحديد سترابون وأرياثوس نقلًا عن أرسطوبولوس، مبررات أخرى دفعت بالإسكندر للتخطيط لإعداد حملة على بلاد العرب، وبناء على ذلك جاءت هذه الدراسة كمحاولة لتحليل هذه المبررات لإبراز مدى منطقيتها وهو أمر ما كان له أن يتحقق إلا بقدر من التعمق فى شخصية الإسكندر ولكره، وبالذات فيما يخص فكرتى العالمية التى تشكل حجر الزاوية فى فكره السياسى والأقوئية وموقعها من فكره الدينى، وما يرتبط بهذا الفكر عموما من ردود فعل، إتمكست فى علاقته مع الشعوب التى تعامل معها، أو كان فى نيته التعامل معها بشكل أو بآخر، ومنها بلاد العرب المحور الرئيسى فى هذا البحث ومبررات غزو الإسكندر لبلاد العرب وفق ما جاء فى النصين، يمكن أن تنقسم إلى شقين: الأول منهما يتعلق بالسلبات من قبل بلاد العرب تجاه الإسكندر وتدور حول محورين، أولهما وفق ما جاء عند أرياثوس: " إن إستعدادات الإسكندر البحرية كانت موجهة لبلاد العرب، على إعتبار أنهم كانوا وحدهم دون البرابرة فى هذه المنطقة، هم الذين لم يقوموا بإرسال مبعوثين للإسكندر، ولم يتخذوا أى خطوة جلالة لتكريمه".^(٢) ونفس المعنى يرد عند سترابون، ولكن يؤكد عندما يضيف عليه عبارة: "... إن الإسكندر إتخذ هذا فريمه للحرب".^(٣)

هذا عن المحور الأول المتعلق بالسلبات، أما فيما يخص المحور الثانى، فهو يدور حول مسألة دينية مؤداها كما يقول أرياثوس ونفاً للقصة الشائعة: "أن الإسكندر سمع أن العرب يعبدون إلهين فقط، هما أوراثوس وديوليسوس، أوراثوس لأنه ظاهر ويحمل فى طياته الكواكب الأخرى والشمس، التى منها تأتى الفائدة الكبرى والأكثر

وصوحا للبشرية، وديوبيسوس نظرا لما يتردد عن حملته للهند^(٤)، وبناء على ذلك اعتقد الإسكندر أنه هو نفسه يستحق أن يكون إلها ثالثا للعرب، طالما أن منجزاته لا تقل أهمية عما حققه ديوبيسوس، على اعتبار أنه سوف يخضع العرب، ثم يسمح لهم، مثلهم مثل الهنود أن يحكموا أنفسهم بما جرت عليه عاداتهم^(٥).

هذا عن الصليبات، أما فيما يخص الشق الثاني من المبررات، فهو يدور حول العوامل الإيجابية التي أغرت الإسكندر بالتفكير في غزو بلاد العرب، فكان إعداد الحملة آخر ما شغل به حقيقة حتى لفظ أنفاسه الأخيرة^(٦)، فقد نمت لعلم الإسكندر معلومات عن ثروات بلاد العرب^(٧)، ومساحة المنطقة وسواحلها التي تقترب في طولها من سواحل الهند، إلى جانب وجود العديد من الجزر القريبة من السواحل، بالإضافة إلى الموانئ الموجودة في كل أنحاء البلاد، والتي تكفي لرسو أسطوله، وتسمح ببناء مدن مزدهرة^(٨) وهي عوامل تدور كما هو ظاهر في نطاق إقتصادي.

وجدير بالذكر أن محاولة تنفيذ هذه المبررات بشقيها للوصول إلى الدوافع الحقيقية وراء غزو الإسكندر لبلاد العرب، لم تكن بالمهمة السهلة، وذلك نظرا لأن القدر لم يسهل الإسكندر لإتمام هذه المهمة، فغاب الدليل العملي لنوايا الحقيقة تجاه المنطقة، هذا من جانب ومن جانب آخر، فما ورد عند المؤرخين القدامى، وما دار بين المؤرخين المحدثين من نقاش، كان حول الفكرة المجردة، التي لا يمكن التحقق منها من وجهة نظري، إلا بالقياس على فكر الإسكندر عموما، وربود فعله، وهذا لا يتم إلا عن طريق إستحضار أمثلة لمواقف مشابهة، بصرف النظر عن عدم ارتباطها المباشر بموضوع بلاد العرب.

ومثال على ذلك مفهوم الإسكندر عن القيادة والزعامة، وما كان يسعى لتحقيقه في هذا الصدد وهي معاني تشكل في مجملها جانباً كبيراً من فكر الإسكندر السياسي،

ومن المواقف التي يمكن أن تعكس لك هذا الفكر هو موقفه من قضيه الولود أو البعثات التي جاءت لملاقاة الإسكندر في ساكترا ٣٢٤-٣٢٣ ق.م لتقدم له بشكل أو سآخر فدية من الولاء والطاعة وتهنئته بأنه أصبح سيد اسيا، وتقدم له الهدايا، كما أن بعض من هذه الولود طلب منه التدخل لحل مشكلاتهم.^(٩) وهي بذلك، كما يبدو، بعثات دياب طابع دبلوماسي من الدرجة الأولى، بالرغم مما تردد عن أن بعضا منها، كانت له صفة دينية.^(١٠) وكان من ضمن هذه البعثات أيضا البعثة الرومانية المختلفة وبيوء الإسكندر المرتبطة بها عن مستقبل روما. وتكون التولف كثيرا عند تفصيلات هذه البعثة، التي تعتبر من القضايا التي حظيت بالعديد من الدراسات، فالذي يهمنا هنا هو اتفاق وجهات نظر المؤرخين القدامى منهم والمحدثين واجماعهم على رفض احتمال قيام مثل هذه البعثة، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر أولا بالنسبة للقدامى، نجد أريانس نفسه يورد ذكرها ولكن بتحفظ يميل أكثر للرفض^(١١)، ويذكرها بليسيوس نقلا عن كليتارخوس^(١٢) في الوقت الذي لا يوردها ديونوروس ضمن مذكره من بعثات.^(١٣)

أما بالنسبة للمؤرخين المحدثين فمنهم ليوبيل برسون الذي إتفق تماما مع رأي أريانس في استبعاده لاحتمال إرسال مثل هذه البعثة، على اعتبار أن الرومان لم يكن لهم في تلك الفترة مصالح خارج إيطاليا.^(١٤) ويؤكد سارن أيضا على أن روما لم ترسل أبدا أي بعثة للإسكندر، وهو أمر لم يجزم به أو لم يصدق عليه أي من الباحثين المحدثين، فكل بعثة، كان يجب أن تكون مسجلة في يوميات الإسكندر كحقيقة واقعة، ولقد نقل لنا بطليموس من هذه اليوميات قائمة بالبعثات التي جاءت إلى بابل، والتي من ضمنها الشعوب الثلاثة الإيطالية، ولم يذكر أي منهم من روما. ولم يكن في استطاعته أن يحتفظها من قائمته إذا كان قد وجدها بالفعل.^(١٥)

والحديث عن البعثة الرومانية والنبوة لا يكتمل إلا بالتوقف عند عبلة أخرى لها نفس الملابس السابقة، وإن كانت بعيدة عن موضوع بلاد العرب، إلا أنها تعكس أيضا مفهوم الإسكندر عن الزعامة والقيادة، هذه العبارة أوردها أريانوس في معرض حديثه عن البعثات التي طلبت من الإسكندر أن يتدخل لفض النزاعات القائمة فيما بينهم وأغلب الظن أن المقصود هنا هو البعثات اليونانية.^(١٦) حيث يقول: "...حينئذ وأكثر من أى وقت مضى، بدأ الإسكندر في تقييمه لنفسه، وتقييم المحيطين به له على أنه سيد الأرض لاطبة والبحار."^(١٧)

"... γῆς Τέ ἀπάσης Καὶ θαλάσσης Κύριον"

ونفس المعنى نجده عند سترابو.^(١٨)

"... πάντων εἶναι Κύριον"

كما نجد أن ديودوروس يورد المعنى نفسه حين يذكر أن الإسكندر جاءت له بعثات من كل انحاء المعمورة تقريبا.^(١٩)

"... ἐξ ἀπάσης σχεδὸν τῆς οἰκουμένης ἦκον πρέσβεις"

وفي هذا الصدد يوجد عدد من الترجمات مؤداه، إتفاق معظم المؤرخين القدامى منهم والمحدثين على الربط بين موضوعي البعثة والنبوة وإعتبارهم إن الموضوع كله وبرمته، وحتى عبارة سيد الأرض والبحر، ما هو إلا أحد اختلاقات عديدة تعود إلى القرن الأول ق.م، وإن هذه النبوة تخص مستقبل روما وسياتها المطلقة على البر والبحر، وهى مستعارة من مؤرخ يدعى ليكوفرون ضمنها عمله المعروف باسم "Alexandra".^(٢٠)

"... γῆς Καὶ θαλάσσης σκῆπτρα Καὶ μοναρχίαν"

هذا وقد نسبت هذه العبارة إلى الإسكندر زيفا في فترة زمنية ارتفعت فيها أسهم الإسكندر في المجتمع الروماني، وأصبح صيحة العصر في أواسط القرن الأول ق.م. والسبب في ذلك أن تلك الفترة عاصرت قيصر وبومبيوس وكراشوس، الذي تمنى كل منهم حسبما ذكرت الأعمال الأدبية أن يكون إسكندرا جديدا، في محاولة للتوفيق وإعادة الونام بين الشرق الهلنستي والغرب. (٢١) وفي هذا الصدد فإن المعروف أن القرن الأول ق.م. هو عصر النبوءات، ومن المرجح أو على الأقل ليس من المستبعد أن هذه النبوءة عن عظمة روما تنتمي إليه، حيث بنت فيه روما تكريم الإسكندر بهذه البعثة المزعومة، فكرمها الإسكندر بدوره بنبوءة سيادة البحر والبحر التي تشير إليها عبارة " Terra marique " هذه العبارة التي لعبت دورا كبيرا في تاريخ أغسطس بعد اكنيوم. (٢٢)

وإلى جانب ذلك فإن هذه الفترة تعود إليها أيضا الوثيقة المعروفة باسم مذكرات الإسكندر " ὑπομνήματα " التي وضعت لتظهر أن الإسكندر، لو قدر له أن يمتد به العمر، لأصبحت له السيطرة على البحر المتوسط بأسره، ولحقق ما حققته روما من سيادة على البحر وأراضيه. وبناء على ذلك فإن سيادة البحر وأراضيه التي نسبت للإسكندر، كان المقصود بها روما، وأما تدخله في حل النزاعات القائمة، فهذا هو الدور الذي ينسب إلى بومبيوس. (٢٣)

وإستادا على ما سبق، فوجهة نظري لا تختلف كثيرا مع هذا التفسير، على الأقل فيما يخص رفض احتمال إرسال بعثة رومانية ونبوءة الإسكندر المرتبطة بها، ولكن هناك تحفظ فيما يخص عبارة "سيد الأرض قاطبة والبحار"، على اعتبار أن إنكارها على الإسكندر هو إغفال لجانب هام من فكره السياسي وما حققه من إنتصارات في فترة وحيزة، وما كان يسعى لتحقيقه ولو بشكله المبالغ فيه، والمقصود

هنا هو تحقيق فكرة إمبراطورية عالمية، ولو صح هذا الاعتقاد يمكن أن تكون بلاد العرب إحدى مناطقها، ويصبح ذلك مبررا كاتبا لغزوها. ولكن المسألة تبدو أعقد من ذلك عندما يختلف المؤرخون فيما بينهم في رفض فكرة الإمبراطورية أو قبولها.

ففيما يخص الجبهة الرافضة نجدهم يستندون على أن هذه الإمبراطورية العالمية غير معروفة الحدود وغير مؤكدة.^(٢٤) وذلك نظرا لأنها إعتمدت في الأساس على خطط وهمية ومبالغات نسبت إلى الإسكندر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر، التساؤل الذي دار عن نية الإسكندر في غزو العالم المعمور، أو المعصورة كما وردت عند ديودوروس.^(٢٥) أو بمعنى آخر، غزو أوروبا وآسيا وإفريقيا، أو العالم عبر المحيط، هذه القصة التي يشير إليها أريستوس نفسه.^(٢٦) وهي نفس الروايات التي نسبت لكل من بومبيوس وليصر. أو على غرار بعض المشروعات الاستكشافية التي كان الإسكندر يود القيام بها، والتي تحولت في الكتابات الأدبية إلى مبالغات جعلت منها خططا للغزو، ومثالا على ذلك مشروع الطواف حول سواحل إفريقيا، الذي تحول إلى مخطط لغزو شمال إفريقيا من أعمدة هيراكليس وبإتجاه الشرق، أو مخطط إكتشاف ساحل بلاد العرب الذي تحول إلى غزو لهذا الساحل، كما ورد عند أريستوس وسترابو فيما يخص هذه الجزئية بالتحديد.^(٢٧)

هذا ويمتد أيضا هذه الجبهة الرافضة حقيقة واقعة وهي أن الإسكندر حتى وفاته لم يكن قد فرغ تماما، من إخضاع كل الإمبراطورية الفارسية، فقطاع كبير من المناطق لم يكن قد أخضع بعد، هذا بالإضافة إلى موقفه المعروف من منطقة البنجاب التي سلمها إلى بوروس بالرغم من أن الحصول عليها لم يكن بالأمر الهين، حيث يتحول إهتمامه بعد ذلك إلى المهام الكشفية.

بناء على ذلك، فإن الذى يسعى إلى سيادة العالم، لا يفرط طواعية ومن تلقاء نفسه فيما أتعبه الحصول عليه.^(٢٨) هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن الحقائق القليلة المتاحة فى هذا الشأن، لا تتضمن تصريحاً مباشراً من الإسكندر بهذه الرغبة.^(٢٩)

هذا فيما يخص الجبهة الراقضة، أما عن الجبهة المقابلة، التى تساند فكرة إمبراطورية عالمية، فقد حاول المؤرخون فى هذا الصدد الربط بين هذه الفكرة وبين فكرة وحدة الجنس البشرى، التى من الثابت أن الإسكندر حاول تحقيقها بين الشعوب الداخلة فى إمبراطوريته على أقل تقدير، وقد إتخذوا منطقاً لهم أنه لا يمكن أن يكون الإسكندر قد سعى لتحقيق مثل هذه الرابطة، دون أن يكون قد أوجد الوعاء الذى سيتم فيه هذا الإمتزاج، الذى لم يكن من الضرورى أن يسود فيه الطابع الهلنستى العالم الشرقى، وبالتالي لا يسود فيه الطابع البربرى العالم الغربى، وذلك إستناداً على ما قام به الإسكندر من ترك حرية انتماء كل عنصر إلى قوميته أو هويته الحضارية. ولكن على الرغم من ذلك أصبح هناك طابع الحياة الجديدة التى إستندت على تبادل العادات، وإمتزاج النماء، لتصبح القوة المحركة للإمبراطورية.^(٣٠) وحتى على إفتراض أن الإسكندر لم يسع إلى مثل هذا الاختلاط، أو المزج الحضارى فقد كان حادثاً بالفعل، على الأقل بين المقدونيين واليونانيين من جانب، والأسىويين من جانب آخر. فسنوات الحرب الطويلة التى قضاها المقدونيون واليونانيون فى آسيا، ربطتهم بالضرورة بعلاقات مع أسىويات، كانت أصدق تعبير لمثل هذا الإمتزاج الحضارى، الذى لم يضاف له عرس سوما إلا الإطار الرسمى.^(٣١)

وبناء على ذلك أستطيع أن أقول أن إحساس الإسكندر بأنه سيد الأرض كان موجوداً بشكل عملى وهو كما رأى أريستوس وسترابو بشكل ضمنى، كان الأساس فى

الدواع الحقيقية لغزو الإسكندر لبلاد العرب، ولم يكن ينقصه تحقيق فكرة العالمية، فهو بالفعل أصبح سيدا لقطاع لا يستهان به من العالم المعروف آنذاك، وحمل العديد من الألقاب التى منها ما إتخذه هو لنفسه مثل سيد آسيا "Κυρίος τῆς Ἀσίας" أو ملك آسيا "βασιλεύς τῆς Ἀσίας" هذا إلى جانب ألقابه الأخرى التى كان يحملها بوصفه ملكا لمقدونيا أو بوصفه زعيما للحلف الكورنثى، أو بوصفه قائدا وحليفا للمدن اليونانية على الساحل الآسيوى، وبصفته أيضا الإبن المتبنى للملكة الأم،^(٣٢) والملك الأعظم للعديد من المناطق، على الأكل فيما يخص جمع الضرائب، كما أصبح أيضا الحاكم المطلق على أمراء الهند، ولا ننسى أيضا الألقاب الفرعونية التى حصل عليها فى مصر، بوصفه حاكما وإلها، كل هذه الألقاب كما تبدو إتخذها الإسكندر تارة بصفته ملكا وتارة أخرى بصفته فاتحا.^(٣٣)

تأسيسا على ما تقدم يمكننى أن أستخلص الأتى: إن تخلف بلاد العرب أو عند آخر من الشعوب عن الركب الذى حضر لملكاة الإسكندر (وهم بالضرورة قلة بالمقارنة مع من حضروا بالفعل) لم يكن ليؤثر على شخص له مواصفات شخصية الإسكندر ولم يكن ليؤثر على مركزه وسلطوته، وإن يقل بالضرورة من شأن ما حققه من إنتصارات وإن يشبه من جانب آخر عن مخططاته المستقبلية، وإن يكون مدعاة أو ذريعة إتخذها الإسكندر لشن حرب عليهم، وفق ما جاء عند كل من أريافوس وسترابو.

هذا عن المبرر الأول، أما فيما يخص المبرر الثانى، وهو يتصل كما رأينا بفكر الإسكندر الدينى بشكل عام، وموقع بلاد العرب من هذا الفكر بشكل خاص، حيث نجد انه فى الوقت الذى إتفق فيه مؤرخو الإسكندر على أنه كان يهدف لأن يكون

الحاكم المطلق لإمبراطوريته بصفته السياسية، نجدهم يختلفون حول قضية تأليهه. وقيما بين المفهومين، الدينى والسياسى، فمن المعروف أن هناك ثلاث مناسبات ذات أهمية خاصة، وتتصل بشكل أو بآخر بقضية تأليه الإسكندر، وهى وفق ترتيبها الزمنى، زيارته لمعبد الإله آمون فى واحة آمون (سيوه) فى شتاء عام ٢٢٢-٢٢١ ق.م، ثم مناسبة طلبه المجدد "προσκύνησις" ممن فى حضرته فى باكترا ربيع عام ٢٢٧ ق.م والمناسبة الثالثة هى التعليمات التى أرسلها إلى مدن حلف كورنثا من سوسا عام ٢٢٤ ق.م بشأن إعادة المنفيين، والتى يرجح بعض المؤرخين أنه ضمنها طلب تأليهه.

ودون الدخول فى تفاصيل كل مناسبة من هذه المناسبات الثلاث، فالذى يهمنى هنا بالدرجة الأولى هو استعراض نتائج هذه المحاولات من قبل الإسكندر، ثم ردود الفعل عليها، من قبل المقدونيين واليونانيين بالذات. فقد تنهم الإسكندر فى زيارته لآمون معنى النداء الذى ناداه به كاهن الإله.^(٢٤) ووعى تماما مكون هذه الزيارة، وكان يعلم جيدا أن ما حصل عليه من ألقاب فى مصر كحاكم وإله، إنما يخص نظرية الحكم عند الفراعنة، ولذلك فهو بعد عودته من هذه الزيارة لم يطلق على نفسه أبدا، لا ابن آمون ولا ابن زيوس وإشاعة غير ذلك لم يكن للإسكندر نفسه يد فيه، ولكن الموضوع كان مادة طيبة لأدب المترلفين من المحيطين بالإسكندر، وبعض منهم نسب إليه عددا من المعجزات، التى كان أشهرها ما ذكره كاليبثيس عن الأمواج التى إنحطت أمام الإسكندر عند سفح جبل كليمكس.^(٢٥)

أما فيما يخص رد فعل المقدونيين، فهم بخشونة طبيعهم، لم تعجبهم هذه الصيغة فى الحديث، ولم يعجبهم أيضا التلويع بينوة الإسكندر -إن كان من الضروري- إله غير هيراكليس على نحو ما جرت عليه عاداتهم.^(٢٦) كذلك كره

المقدونيين بشدة تهادى الإسكندر في غروره " μέγαλομανία " وفي تبني العادات الفارسية، مثل إرثائه للزى الفارسي، وبالأخص مسألة السجود، التي يختلف المؤرخون في تحديد مفهومها بالنسبة للإسكندر، وفي هذا المجال رأى بعض هؤلاء المؤرخين أن الإسكندر بمحاولته فرض هذه العادة الآسيوية، كان يسعى إلى رفع مستوى الآسيويين ليتساوا مع اليونانيين والمقدونيين، وذلك بأن تكون لهم مراسم بلاط واحدة^(٣٧)، ورأى البعض الآخر أنها كانت محاولة ذات أبعاد سياسية تهدف إلى إخضاع جميع الأطراف، من لرس ويونانيين ومقدونيين، ثم المدن اليونانية الحرة التي كان يهيمه أن تكون له فيها قاعدة قانونية، أو أسس قانوني.^(٣٨)

لقد كان رد فعل كل من اليونانيين والمقدونيين هو الرقض العنيف لهذه الفكرة على الأكل في البداية، حيث أن عبادة السجود في حد ذاتها يرتبطت لديهم بمفهوم ديني، فهي لا تؤدي إلا للآلهة، والإسكندر لم يكن إلها بالنسبة لهم.^(٣٩) وأغلب الظن أن الهدف كان أبسط من أن يكون له بعد سياسي أو ديني، ويقترب أكثر من نفسية الإسكندر ومزاجه الشخصي.

أما فيما يخص المناسبة الثالثة في قضية تأليه الإسكندر، فهي تعليمات الإسكندر لمن الحلف بإعادة المنفيين، وطلب تأليهه. وهذه القضية بما تثيره من نقاط للبحث، ستقربنا بالضرورة أكثر من تفهم فكر الإسكندر الديني، وبالتالي من تفسير موقفه من بلاد العرب، فيما يخص قضية اعتباره إلها ثالثا لهم.

فمن المعروف أن الإسكندر قد تخلص عن ملمح من الملامح التي طبقتها الملكية المقدونية لفترة طويلة، وهو عصبية الأصدقاء التي تضم قواده، وذلك حتى يصبح الحاكم المطلق لإمبراطوريته وليس هناك من دليل، على أنه كان على استعداد للتنازل عن ذلك في سبيل أي اتحاد ديمقراطي مثلا. وكما يذكر روبنسون:

"ان الإسكندر قد قرر أن يصبح إلها في هذا العصر الذي يتسم بعدم الإهتمام بالأمور الدينية، الذي يرتفع فيه بالفعل رجال أحياء إلى مرتبة مقدسة".^(٤٠) وهو أمر له سابقة في تاريخ اليونان كما نعرف.^(٤١) هذا الموقف إن صحت نسبته إلى الإسكندر فهو يثير عدة تساؤلات، أولها عن مدى إقتناع الإسكندر بالفكرة ذاتها، في أن يصبح الحاكم المطلق الإله لأمبراطوريته، وثانيها عن إمكانية طلب الإسكندر صراحة وبشكل مباشر من شعوب إمبراطوريته، وعلى رأسهم اليونانيون والمقدونيون، أن يؤلهوه، أو يعترفوا بألوهيته، ومن ثم توقع مثل هذا الإعتراف من الشعوب الأخرى والتي منها بلاد العرب.

ففيما يخص التساؤل الأول، فنحن لا نستطيع أن نقول أن الإسكندر قد شب وعاش في مجتمع ترددت فيه فكرة الحاكم الإله، فأول معرفته بها لابد جاءت على يد معلمه أرسطو الذي اعتبر أن منزلة الحاكم بين البشر مثل الإله.^(٤٢)

"ὥσπερ γάρ θεόν ἐν ἀνθρώποις εἰκὸς εἶναι τὸν τοιούτον"

حيث بدأ الإسكندر يتلمذ على يد أرسطو منذ سن الثالثة عشر، ومن الطبيعي أن علم السياسة كان أحد أهم هذه العلوم التي لقنها معلمه له.^(٤٣) بالرغم من أن أحد المؤرخين وهو بالستون وشكك في ذلك.^(٤٤) وشكك أيضا في إمكانية معرفة الإسكندر بعبارة أيسوكراتيس الشهيرة التي وضعها خطابه لقيارب، في أنه لن يكون أمامه بعد هزيمة الفرس إلا أن يصبح إلها.^(٤٥)

"οὐδὲν γάρ ἔσται λοιπὸν εἰ πλὴν θεὸν γένεσθαι."

وبصرف النظر عن الجدل الذي أثير حول صحة هذا الخطاب أو زيفه، أو عن مدى معرفة الإسكندر أو عدم معرفته لقوى هذا الخطاب، فنحن أمام حقيقة لا يمكن إغفالها، عاشها الإسكندر وتلقاها، وهي غاية فيليب وإستعداده لغزو

الإمبراطورية الفارسية، وهذا المخطط كان من ضمن ميراث الإسكندر عندما ألت إليه مملكة أبيه، وقد عمل مباشرة على تحقيقه.

هذا من جانب ومن جانب آخر فإن سعى الإسكندر الدائم وتوسعه في إنشاء العديد من المدن في المناطق التي اجتاحتها، وأصبحت جزءا من إمبراطوريته، وكذلك عمله على توطين الجتود اليونانيين فيها، جعلنى أميل نحو الاعتقاد بأنه كان على معرفة بوصية إيسوكراتيس لفيليب. وكما استوعب الإسكندر واقتنع بقدر من هذا وذاك، رفض أيضا بشخصيته المتبلورة تورا آخر وعلى سبيل المثال لا الحصر، نجده يرفض مبدأ أرسطو في كيفية معاملة الشعوب المتبربرة، وخاصة الآسيويين على أنهم عبيد بطبيعتهم.^(٤٦) هذا المبدأ الذي لم يكن يخدم سياسة المزج "ὁμόνοια" التي حاول تطبيقها في إمبراطوريته والتي لم تكن مجرد شكل لراد تحقيقه، ولكن كما يبدو من سلوك الإسكندر الذي إنغمس تعلما بالفكر والحصن في الجو الفارسي، انه كان مقتنعا تماما بالمضمون. فقد سمح كما رأينا للملكة الفارسية بتبنيه، ومارس عددا من العادات الفارسية، واتخذ لنفسه خليلا فارسيا، وزوجتين من الفارسيات، وجعل الجنود الفرس بحاربون جنبا إلى جنب في جيشه مع اليونانيين والمقدونيين، بل ذهب أبعد من ذلك عندما قام بتعيين واحدا من الفرس في منصب "Satrap" على بابل.^(٤٧)

وبناء على ذلك فلما أميل نحو الاعتقاد بأن الإسكندر قد ولف في مولع متوسط من مفهوم أرسطو الذي يجمع بين الحاكم والإله، وذلك بعينه لمفهوم آخر يطرحه أرسطو أيضا، وله شواهد في المجتمع اليوناني، هذا المفهوم الذي يطلق لقب إله على إناس أحياء، نظرا لما يتمتعون به من صفات غاية في التميز.^(٤٨)

"Καθάπερ φασίν ἐξ ἀνθρώπων γινόνται θεοὶ δι' ἀρετῆς, ὑπερβολήν."

وهذا المفهوم لا يتضمن بالضرورة عبادتهم، ومثال لهؤلاء الرجال نجد ثيسبيوس الذى اعتبر إينا لبوسايدون، وديمتريوس بوليوركتيوس الذى تم تكريمه فى أثينا عام ٢٩٠ ق.م وذلك بوصفه أبنا للإله بوسايدون والآلهة أفروديتى. ومن الأبطال الذين حظوا بمثل هذا التكريم كان هيراكليس، ليس لأنه إبن زيوس ولكن نظرا لما يتمتع به من فضائل "δι' ἀρετῆν" وكان أكثر الأمثلة لربا من قلب الإسكندر.^(٤٩)

وبنا على ذلك نستطيع أن نقول، أن هذا هو الاحتمال الأغلب لما أراده الإسكندر من الشعوب التى تعامل معها بشكل أو بآخر، وبالأخص من شعوب إمبراطوريته وعلى رأسهم اليونانيون والمقدونيون، أن يحصل على لقب الإله، وما يعنيه ذلك من تجيل وإحترام وإجلال، وما يتضمنه من فروض الولاء والطاعة. وإستنادا الى ذلك فإن أريستوس وأسترابو لم يتعدا عن الصواب فيما يخص هذه الجزئية بالذات، على إعتبار أن بلاد العرب كانت أحد هذه الشعوب التى كان الإسكندر يتوى التعامل معها.

وتبقى نقطة أخيرة فى هذه القضية وهى أن المؤرخين الذين إتفقوا على الرأى القائل بأن المبادرة بطلب التأييد، جاءت من الإسكندر مباشرة للمدن اليونانية فى حلف كورنثا على الأقل، يستندون فى رأيهم هذا إلى وجود ردود فعل عنيفة وسافرة من مفكرين لهم ثقلهم فى المجتمع اليونانى، فها هو ديموستثيس الذى قال فى سخرية بائسة: " إعترفوا به إينا لزيوس، إعترفوا به إينا لبوسايدون أيضا إذا كان يريد ذلك".^(٥٠)

"ἐν τῷ δῆμῳ συγχωρῶν Ἀλεξάνδρῳ καὶ τοῦ Διὸς, καὶ τοῦ Πόσειδῶνος εἶναι εἰ βούλοιτο."

أو كما قال ليكورجوس: "أي نوع من الآلهة يمكن أن يكون هذا، عندما يكون أول شيء عليك أن تقوم به، عندما تترك معبدك، هو أن تتطهر".^(٥١)

"Καὶ ποδαπὸς ἂν εἴη, εἶπεν, ὁ θεὸς οὗτό, ἕρπον' ἐξιώνται δέῃσει περίρραινέσθαι."

وبغيرها العديد من الأمثلة التي وإن اختلفت لهجتها، إلا أنها كانت ترفض مثل هذا الإحتمال.^(٥٢) ولكن ربود الفعل وحدها لانتهاض أن تكون دليلا على أن المبادرة

بطلب التآليه جاءت من الإسكندر، وخصوصا في ظل غياب الدليل المادي على ذلك، ففي الوقت الذي تتوفر فيه المصادر على إختلاف نوعيتها بين مصادر أدبية ونقوش، نورد جميعها ذكر واقعة إرسال الإسكندر تعليمات من سوسا في عام ٣٢٤ ق.م لمنن حلف كورنثا بإعادة المنفيين السياسيين.^(٥٣) فلننا نجد إذا ما إستثنينا المثال السابق

نكره من بلوتارخوس في "Moralia" وما جاء في الپاتوس^(٥٤) لا تذكر ما يشير إلى

وجود طلب من الإسكندر بشأن تأليهه أو الاعتراف بالوهيته فعلى سبيل المثال لا الحصر، لا يذكرها أريطوس، ولا يذكر أيضا واقعة إعادة المنفيين صراحة، ولكن يذكر ملابس أخرى من الممكن أن توظف للتأليل على واقعة واحدة منها على الأقل، ولو بشكل غير مباشر، وفي هذا المجال فإنه يقول في معرض حديثه عن البعثات

البوناقية التي جاءت لملاكمة الإسكندر وخصوصا البعثة الثانية التي جاءت عام ٣٢٣ ق.م: "وكانهم جاءوا في بعثة مقنسة لتكريم إله".^(٥٥)

• ὡς θεοροὶ δῆθεν εἰς τιμὴν θεοῦ ἀφικμένοι •

وأتفق مع رأى المؤرخ بالسدون الذي يرى أن هذه العبارة لا تكفي أن تكون دليلا قطعيا، على رفع الإسكندر إلى مرتبة الآلهة أو الاعتراف بالوهيته بالرغم من عدم إستخدام أريطوس لكلمة "πρεσβεῖς" بمعنى مبعوثين سياسيين، وإستخدامه

لكلمة "θεωροῖ" بمعنى مبعوثين دينيين.^(٥٦) ولكن كما يبدو من سياق العبارة أن استخدامه غير مؤكد وغير قاطع "ὡς θεωροὶ δῆθεν" بمعنى: "كما لو أنهم"، أو "كأنهم".^(٥٧) وعلى ذلك فإن ورود العبارة بهذا الشكل ينفي الصفة الدينية عن هؤلاء المبعوثين، الذين جاؤوا في الاحتمال الأغلب لتكريم الإسكندر والإعتراف بفضلته في إعادة المنفيين السياسيين، وهي الواقعة الأكثر ثبوتاً بالدليل المادى عن مسألة التآليه، وهي تتفق أيضاً مع التصنيف السابق نكره "δι' ἀρετῆς ὑπερβολήν" أى: "صفات غاية في التميز".

هذا ولن يتضح مفهوم الاكوهية عند الإسكندر وموقعها من فكره الدينى ثم ارتباط ذلك بموقفه من بلاد العرب إلا بإلقاء مزيد من الأضواء على آراء بعض المؤرخين المحدثين بهذا الشأن ومنهم على سبيل المثال لا الحصر تارن الذى تبنى تماماً وجهة نظر موداها، أن الإسكندر، فى أغلب الظن ضمن طلبه بإعادة المنفيين، الطلب بتآليهه، ولكن لأهداف سياسية أكثر منها دينية. والسبب فى رأيه هو أن الإسكندر بمحاولته تمرير مثل هذا القرار فيما يخص المنفيين قد تخطى حقوقه الدستورية، التى يكنفها له منصبه كزعيم "ἡγεμῶν" للحلف الكورنشى، وليس من بينها بالضرورة حق التدخل فى الشئون الداخلية لكل من هذه المدن على حده وحتى يتسنى له ذلك، فهو محتاج لموقع أعلى من كونه زعيماً، وموقع الإله يكفل له هذا. وإستناداً على ذلك كان من الممكن أيضاً، أن يأتى طلب التآليه أولاً، ثم يتبعه طلب إعادة المنفيين.^(٥٨)

ومما يشكك كذلك فى ارتباط طلب التآليه بطلب إعادة المنفيين هو وجود نقشين أحدهما يشير إلى إعادة المنفيين فى تيجيا ويرجع ذلك إلى الملك الإسكندر "βασιλεὺς Ἀλεξανδρὸς" والنقش الآخر يشير إلى إعادة المنفيين فى ساموس،

ولكنه يذكر الإسكندر بإسمه المجرّد دون اللقب " Ἀλεξανδρός " وفي كلّتا الحالتين لا توجد أى إشارة للقب إلهي. (٥٩)

وبناء على ذلك، واستناداً إلى ما إنتهت إليه من قبل، فيما يخص مسألة رغبة الإسكندر في أن يصبح الحاكم المطلق الإله لإمبراطوريته، فهو كما رأينا كان بالفعل الحاكم المطلق بصفته السياسية، أما الحصول على لقب الإله بكل ما يحمله هذا اللقب من معاني سامية، دون ملائسات العبادة، لم يكن من أجل تدعيم مركزه السياسي حسبما يذكر تارن، سواء أكان ذلك في بلاد اليونان أو في إمبراطوريته ككل. (٦٠) ولكن على عكس ذلك، فلم تكن صلاحيات الإسكندر السياسية والانتصارات والمجد الذي حققه، في حاجة إلى سلطات إستثنائية يكتفلها له منصبه الإلهي، بين أناس لم يعرفوا أساساً مثل هذا النمط من الحكم وهم المقدونيين، أو في العالم اليوناني الذي كان قد تخطى تماماً هذه المرحلة، وفصلته عنها فترة زمنية طويلة، شهدت تطوراً كبيراً في نظرية الحكم، عبر مراحل مختلفة، حتى وصلت إلى الحكم الديمقراطي الشعبي. وبذلك تصبح الفكرة غير مواكبة لعصرها، على الأقل في هذه الفترة الزمنية، وحتى فكرة أن يصبح الإسكندر الإله المشترك لإمبراطوريته، تبدو غير مقنعة تماماً، لأن الإسكندر بالفعل كان قد خطا خطوات ملموسة، وأكثر واقعية في هذا المضمار (مهما كانت مبدئية ومحدودة) نحو تحقيق فكرة التقارب الذي يصل إلى الأمتزاج، بين شعوب إمبراطوريته، هذه الفكرة التي رأى تارن أنها تمثل ثورة في الفكر الإنساني، وهي بالفعل كذلك بالقياس لعصرها. (٦١)

وتأسيساً على ما تقدّم، أستطيع أن أقول أنني أميل نحو الرأي القائل بأن العبادة بطلب التأليه جاءت من داخل بلاد اليونان، من مناصري الإسكندر والمتزائين إليه، وعلى أرض بلاد اليونان نفسها أجهضت هذه العبادة، أما فيما يخص ردود

الفعل التي تردت، وإعتبرها بعض من المؤرخين كما رأينا، دليلا على مباشرة الإسكندر بطلب التآليه، فقد جاءت ردا على الدعاية التي قام بها مروجو الفكرة داخل المجتمع اليوناني.^(٦٢) فطالما كان الإسكندر في الشرق الأقصى، تملى له أعداؤه في داخل بلاد اليونان أن يقتل، ولكنه بعد عودته إلى الغرب مرة أخرى، وهي اللحظة المناسبة لمناصريه ليقوموا بأى شيء تودودا له ومهادنة لأعدائهم، فجاءت مسألة التآليه كحل مثالي، حيث يؤكد بالسندون أن الفكرة جاءت بإيحاء من الإسكندر نفسه^(٦٣)، ولكنني أرى أن هذا أمر مستبعد، على اعتبار أن هذا التصرف لا يتوافق وملاح شخصية الإسكندر، الذي طلب صراحة تعميم فكرة السجود عندما رغب في ذلك، دون أن يلجأ للمناورة أو الإيحاء وبصرف النظر عن مفهومها الحقيقي بالنسبة له.

هذا من جانب، ومن جانب آخر فالإسكندر لم يكن ليجازف مرة أخرى بطلب لايضمن له الاستجابة، خصوصا بعد رد الفعل العنيف الرافض لفكرة السجود من قبل اليونانيين والمقدونيين.

هذا وبالعودة للحديث عن الإسكندر وبلاد العرب، فخلاصة القول، أنه إذا لم يكن للإسكندر أى رد فعل على رفض اليونانيين والمقدونيين على الأقل في البداية إضفاء صفة الألوهية عليه، سواء كما تفهموها بمعنى عبادته، أو كما أرادها هو على نحو ما رأينا، وهم الشعوب الأكثر أهمية بالنسبة له، فمن الأولى أن لايتوقع ذلك من منطقة مثل بلاد العرب كانت أهدافه الواضحة فيها إشباع هواية حب الاستكشاف، الذي دفعه أيضا إلى مناطق أخرى كثيرة كما ذكرت في مناسبة سابقة، ثم يدافع عسكري خصوصا بعد أن تمت له السيطرة على جزء كبير من الإمبراطورية الفارسية، ومناطق أخرى من الشرق الأدنى والأوسط، وحتى تكتمل له حلقة الاتصال البحري،

الذى كان يرى فيه تدعيما لدائرة سيطرته فى الشرق والغرب.^(٦٤) ثم بهدف الانتفاع بموارد المنطقة الانتصابية، ومنه ما ورد بشكل مباشر عند كل من سترابو وأرياتوس.^(٦٥) ويندرج، حسب التقسيم السابق، تحت بند العوامل الإيجابية التى أغرت الإسكندر بالتفكير فى منطقة بلاد العرب.

هذا ويهمنى الإشارة هنا بشكل خاص، إلى أن معرفة الإسكندر بالقيمة الحقيقية لثروات هذه المنطقة، ترجع جنورها العميقة إلى سنوات طفولته وفى ممارسات الحياة اليومية، كما هو فى المجتمعين اليونانى والمقدونى، وفى المجتمعات القديمة بصفة عامة. حيث كان البخور والعنبر من أهم المواد التى تستخدم بشكل كبير. فقد كان مفهوم القدامى أن هذه المواد هى الاداة الأولى لى عبادة الآلهة، وتقديم الولاء والطاعة والعرفان بالجميل، وذلك اعتقادا منهم أن أكثر ما يسعد الآلهة، هو تقديم كل ما هو غالى وثمين. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فقد تعددت استعمالات البخور الأخرى فى غير أغراض العبادة، مثل الولائم والاحتفالات، وفى الأغراض الطبية، الأمر الذى جعله بشكل كبير، نوعا من مظاهر الثراء الضرورية.^(٦٦)

وفى هذا المجال تظل رواية بلوتارخوس تعكس هذه الصورة، حيث تلخص فى أن الإسكندر عندما تم له الاستيلاء على غزة، قام بإرسال غنائم هذه المدينة إلى أولمبياس، وكليوباترا، وأصدقائه، وإلى معلمه ليونيداس، الذى خصه بكمية كبيرة تقدر بما يساوى خمسمائة تالنت من البخور، ومائة من المر: "... فى ذكرى أمل الطفولة". كما قال له فى رسالته التى أرسلها مع الهدية.^(٦٧)

"...ἀναμνησθεὶς παιδικῆς ἐλπίδος"

هذا ويمضى بلوتارخوس في رواية القصة، ويذكر كيف أن الإسكندر في أحد الأيام وهو صغير، ولثناء قيامه بالتضحية، ملأ كفيه بالبخور وألقى بها في نار المذبح الأمر الذي جعل معلمه ليونيداس يقول له ما يعنى: "... أن عليه الآن ألا يسرف في ماله، وذلك إلى حين استيلائه على المنطقة التي تنتج هذه المواد العطرية ويتصرف فيها بسخاء كما يتمنى".^(٦٨) وبناء على ذلك كتب له الإسكندر ما يعنى: " أنه أرسل البخور والمر، حتى يكف عن البخل في تعامله مع الآلهة".^(٦٩)

" ὥπως παῦσῃ πρὸς τοῦς θεοῦς μικρόλογούμενος "

هذا وإنه لضى عن التعريف أن منطقة بلاد العرب قد حبتها الطبيعة بتربة ملائمة ومناخ موافق لعمو بعض من هذه المواد العطرية، مثل اللبان والمر والكاسيا (المعروفة بالقرفة الصينية)، والقرفة والمستكة. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن موقع بلاد العرب هيا لها القيام بدور وساطة في تجارة بعض السلع الأخرى، التي كانت تأتي من أقصى الشرق مثل الأقمشة الحريرية التي كانت تأتي من الصين، أو مثل التوابل التي كانت تأتي من الهند، وبذلك تحكمت بشكل أو بآخر في أسواق مثل هذه السلع.

هذا ولقد لعبت الصلابة أيضا دورها في زيادة موارد البلاد في عهد الإسكندر، وذلك عندما تم اكتشاف المادة الزيتية " ἔλαιον " وهي ما نعرف بالبترول والتي استمدت قيمتها من كونها مادة قابلة للإشتمال، وقد تم ذلك عندما غادر الإسكندر باكترا وعبر مرة أخرى نهر جيحون " ὄχλος " وعلى مقربة من ذلك النهر، وجد أحد رجاله، وهو المسئول عن المخصصات الملكية ويدعى پروكسينوس أثناء حفره لإقامة الخيمة الملكية ينبوعا يتنجر منه هذه المادة الزيتية، فكان أول ذكر لهذه المادة في

المصار اليونانية القديمة واعتبرها الإسكندر كما يذكر بلوتارخوس، فألا حصنا لأنها عطية الآلهة للبشر. (٧٠)

هذا ويبدو اهتمام الإسكندر الاقتصادى بالمنطقة ككل والمناطق المتاخمة لها، فى محاولته (على سبيل المثال) تطوير نظام قناة بابل، ومدى صعوبة هذا العمل، الذى سيتيح فرصة السيطرة على مياه الفيضان، وأهمية ذلك بالنسبة للزراعة. (٧١)

مؤشر آخر ينب عن حركة تجارية فى المنطقة، تمت فى عصر الإسكندر، هو انتشار العملة الأثينية، سواء الأصلية منها أو المقلدة، وفى مناطق مثل الهند وإيران حيث تم العثور على عدد من هذه العملات، التى يرجع تاريخها إلى القرنين الخامس والرابع ق.م فى كنز أوكسس، الذى عثر عليه فى كابول عام ١٩٤٧م. إلى جانب عملات أخرى تخص الملوك السلوقيين، والملوك الأوائى من باكترى. (٧٢)

هذا بالإضافة إلى عملة الإسكندر التى لم تكن استمرارا للعملة الفارسية، ولكنها تبعت النمط الأتركى، مما أسهم فى جعل الحياة الاقتصادية فى تلك الفترة تصطبغ بصيغة يونانية. عملة الإسكندر هذه التى كان من المقتر لها أن تسود ليس فقط العملات الفارسية، ولكن كان الهدف منها أيضا العمل على الحد من سيطرة العملة اليونانية. (٧٣) وبصرف النظر عن أن الإسكندر إتبع منذ البداية سياسة حكيمة فى مجال التعامل النقدى، مزداها عدم الدخول فى تنافس مع العملة الأثينية، بل للإبقاء على ملازمتها لعملة فى الأسواق، الأمر الذى كان من شأنه إثراء وانعاش الحركة التجارية. هذا من جانب، ومن جانب آخر، لسياسة الإسكندر الحكيمة فى هذا الصدد، جعلته أيضا لايقدم على فرض عمله بالقوة، خاصة فى المراكز التجارية الكبرى مثل فينيقيا وكيليكيا وبابل، حيث سمح باستمرار سك العملات القديمة. (٧٤)

هذا ولا يكتمل الحديث عن أهداف الإسكندر الاقتصادية من بلاد العرب إلا بإبراز عدد من الحقائق التي تخص سياسة الإسكندر الاقتصادية في إمبراطوريته بوجه عام. فمن الثابت أن الإمبراطورية كانت على درجة كبيرة من الثراء، خصوصاً بعد استيلاء الإسكندر على كنوز الملك الفارسي، هذا من جانب، ولكن الثابت من جانب آخر، هو أن متطلبات الإمبراطورية وأوجه الإنفاق التي فتحت مجالها الإسكندر، كانت كثيرة ومتعددة وكثيفة بأن ترهق أى ميزانية، وهى على سبيل بعض الأمثلة السريعة، الهبات التي كان يمنحها الإسكندر بسخاء لمن يشاء، ومنحه لحلفائه، تكاليف الجيش، ثم ثمن تيجان من الذهب لقواده، عرس سوسا وما تكلفه والبدخ الذى وصف به، هذا بالإضافة للمبالغ الضخمة التي تم دفعها كمهر للأميرات الفارسيات، وغيرهن من نساء عامة الشعب، بناء المدن والحاميات العسكرية والموانئ، إصلاح القنوات، مصروفات الحرب، المبلغ الذى خصص لبناء كومة الخشب التي حرق جثمان هيفايستون عليها، ثم المبلغ المخصص لأبحاث معهد اللوقيون. هذا بالإضافة إلى الأموال التي تبعثرت بسبب التجاوزات المالية من المحيطين بالإسكندر والمسؤولين عن مالهته مثل هارپالوس وكليومينيس في مصر. ^(٧٥) ومما يؤكد ارتباط أمور الإسكندر المالية في بعض الأحيان هو إقراضه من أترانه وأصدقائه الذين كان منهم من أسهم بجزء كبير مثل يومينيس ويوضح هذا الارتباك المالى أيضاً، ما يبدو من عدم وفاء الإسكندر بوعده بمكافأة جنوده، حتى أن هذا الأمر كان واحداً ضمن مشكلات عديدة خلفها الإسكندر بعد وفاته، عندما ترك هؤلاء الجنود في حيرة من أمرهم، إلى من من لواء الإسكندر يتوجهون للحصول على هذه المكافأة.

وبناء على ذلك فمعظم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، انتهت إلى نتيجة موداهاء أن الإسكندر لو قدر له أن يمتد به العمر، لعجز عن موازنة سياسته

الاقتصادية، ولكن عليه مواجهة ذلك برفع الضرائب من جانب، وبإعادة النظر في مصادر دخله من جانب آخر.^(٧٧) ونضيف على ذلك انه في مثل هذه الظروف يصبح البحث عن مصادر جديدة للدخل، أمرا واردا يمكن أن تكون منطقة بلاد العرب أحد بنوده الهامة.

الحواشي

(١) Arr., Anab., VII, 20, 8- 10

(٢) Arr., VII. 19.6, Strabo, XVI, 1. 11.

(٣) Strabo, XVI, 1 11

(٤) Dionysos " New Larousse, Encyclopedia of Mythology", Hamlyn , (٤) (1959), PP. 155-161.

عرف ديونيسوس في الأساطير اليونانية بكثرة الترحال والمغامرة، سواء في داخل بلاد اليونان أو خارجها. ورحلاته خارج بلاد اليونان، كانت إلى فريجيا، أفيسوس، كبادوكيا، سوريا، لبنان، منطقة القوقاز في إيبيريا، ثم استكمل رحلاته باتجاه الشرق، عابرا نهرى دجلة والفرات، حتى وصل إلى الهند، حيث قام بنشر الحضارة، ثم استكمل رحلاته إلى مصر وليبيا.

(٥) Arr., VII. 20.1, St., XVI, 1. 11.

(٦) Arr., VII- 25. 1. 6.

(٧) تعرف الإسكندر على بلاد العرب، من خلال المعلومات المبينة التي توصلت إليها الحملة الاستكشافية التي أرسلها للمنطقة، بقيادة عدد من أولاده، مثل أناكسكمراتيس وهيرودوت. أما عن تراوات المنطقة، فهذا أمر كثر قد لمس من معارك الحياة اليومية في بلاد اليونان ومقونيا، حيث كانت تستهلك كثيرا من صادرات بلاد العرب لها من الطيوب وغيرها سيرة الحديث عنها بالتفصيل في الجزء الخاص بإقتصادات بلاد العرب، في جزء لاحق من هذه الدراسة.

(٨) Arr., VII - 20 .2.

(٩) Arr., VII - 15. 4 - 5.

(١٠) Diod., XVII., 113, 1; Arr., VII. 23-2.

(١١) Arr., VII. 15. 5-6.

بذكر أرياتوس هنا، أنه نقل خبر هذه البعثة، عن إثنين من مؤرخي الإسكندر وهما أريستوس Aristos واسكليبيانس Asclepiades ولكن من مؤرخي الإسكندر الذي بفضل نفسه الإعتماد عليهم، مثل بطلميوس بن لاجوس، لم يوردا ذكر هذه البعثة .

(١٢) Plinius, Historia Naturalis, 111, 57 - 58

" Cleitarchus ab eo preximus legationem tantum ad alexandrim missam".

راجع الرأي الذي يرجع عدم صحة نسب ذكر هذه البعثة إلى كليتارخوس المكندي، في الفترة المبكرة من القرن الثالث ق.م.، وبناء على ذلك، فلا علاقة لپلينيوس به، وإن ورود اسم كليتارخوس عنده، يمكن أن يكون أحد الأخطاء الحديدة التي وقع فيها پلينيوس. هذا من جانب، ومن جانب آخر، فإن اعتماد أرياتوس في هذه المعلومة، على مؤرخين غير معروفين، من المحتمل أن مصدرها واحد، ويرجع له إختلاق هذه القصة، ومن الممكن أن يكون هذا المصدر، قد نسب قصته إلى كليتارخوس. فقد كان هذا أمرا شائعا جدا في الفترة المتأخرة من العصر الهلنستي، وفي العصر المبكر للإمبراطورية الرومانية، حيث درج بعض من الكتاب المغفوريين أو المجهولين على نسبة فيض من حديقهم إلى أسم معروف جيدا في الماضي، على أن يسبقوه بكلمة Pseudo وعلى نفس النمط ممكن أن نصنف Pseudo Cleitarchus المأخوذه عن پلينيوس.

W.W.Tarn, Alexander the Great, 11, Sources and studies, C.U.P., 1947, P.25 and Note(4), P.P.26- 27.

في هذا المجال يصنف كليتارخوس كخليفة لمؤرخي الإسكندر مثل بطلميوس وأرسطوبولوس، ومنه ما جاء في موسوعة P. W. صفحة ٦٢٢، ولكن تارن يستبعد كليتارخوس ويطلميوس ويضع أرسطوبولوس في مكانة أخرى. هذا ويرى تارن أيضا، أن بداية البعثة الرومانية في پلينيوس غير مقنعة، مثلها مثل رواية إنقاذ بطلميوس لحياة الإسكندر في مدينة مالى Mali

(١٣) Diod., XVII., 113, 1-4 , Just., XII, 13,1

Lionel Pearson, The Lost histories of Alexander the Great, The American Association, 1960, PP. 232-34, PP. 254-55. (١٤)

W.W. Tarn, Op . Cit., 11, p.23. (١٥)

Arr., VII. 15.4-5, 23-2. (١٦)

أغلب الظن أن المقصود هنا، هي البعثات اليونانية على اعتبار أن البعثة المقتونية غير مؤكدة بالرغم من أن أريستوس يذكرها بشكل قاطع، ويوردها ديودوروس أيضا، ويرفضها تارن، على اعتبار أن المقتونيون لم يكن لهم مثل هذه الوسيلة للتعبير، إلا من خلال الإسكندر نفسه. ولا حتى من خلال مجلسهم، الذي لم يكن له أي تمثيل دبلوماسي خارجي. وحتى في الداخل، إقتصرت مهمته السياسية على إختيار وتأييد الملك الجديد، عندما كان العرش يخلو، ويرجح تارن كذلك أن ديودوروس في ذكره لها، غالبا ما كان يشير للفترة التي إنتهت فيها حرية وإستقلال مقتونيا في ١٦٨ ق.م

W.W. Tarn , op . cit. , II,p. 375 and Note(1)

Arr., VII. 15. 5. (١٧)

st., XVI. 1. 11. (١٨)

Diod.,XVII, 113, 1 (١٩)

وفقا لما جاء في ديودوروس أن الإسكندر كانت لديه قائمة بهذه البعثات، مصنفه حسب المهمة التي جاءت من أجلها، وعندهم خمس: الذين حضروا من أجل أمور دينية، الذين حضروا معهم هدايا له، الذين جاءوا من أجل مناقشات الحدود الفاصلة، الذين أتوا من أجل أمور خاصة ἰδιωτικὰ ثم أخيرا هؤلاء الذين حضروا للإعتراض على عودة المنفيين، كما هو معروف في مثال أثينه بالنسبة لساموس، وأيتوليا بالنسبة لأرينداي Oeniadae

W.W Tarn, op. Cit., II, p. 24 and Not (1) ; Peseudo Lycophron, (٢٠) Alexandra, 1. 1229.

يرجع هذا العمل غالباً إلى تاريخ متأخر عن ١٩٧ ق.م. وربما يعود إلى ١٩٦ ق.م. طالما أن روما لم يكن في استطاعتها قبل هذا التاريخ، أن ترسل بعثة إلى الإسكندر، لا عبر البحر ولا عن طريق البر، قبل أن تستقر أمورها في الداخل، وقبل أن تخضع قرطاجة في ٢٠٢ ق.م، أو تصل إلى نتيجة مع مقلونيا قبل معركة كينوس كيفالي Cynoscephalae - ١٩٧ ق.م.

(٢١) إختلاف نظرة الرومان إلى الإسكندر من مرحلة إلى مرحلة أخرى، فقد كانت هناك فترة في تاريخ الرومان، إتسمت بالوجوم التام فيما يخص الإسكندر، وهي في حوالى القرن الثانى ق.م، وقبل عودة الإهتمام بذكره من جديد فى أواسط القرن الأول قبل الميلاد.

راجع: عبد العظيم الراعى، "الإسكندر الأكبر فى نظر الرومان"، المجلة التاريخية المصرية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية المجلد ٢٦، ١٩٧٩، ص: ٥.

وفى هذا الصدد يوضح الباحث، أنه من الصعب الجزم بأن الرومان قد كرهوا الإسكندر أثناء حياته، وإنما من المعقول بعد وفاته، وهذا مرجعه إلى الهالة التى أحاطت بقصة حياته ويطولاته.

(٢٢) نسبت عبارة "Terra marique": "By Land and sea" بمعنى "فى البر والبحر"، إلى أوكتافيوس بعد معركة أكتيوم، وإستخدامها أغسطس فى: Res Gestae, 13 وعلى المعبد فى نيكوبوليس.

(٢٣) ورد ذكر تسمية مذكرات الإسكندر بلفظة: ὑπομνήματα عند ديودوروس: Diod., XVIII, 4,1,2: "for perdiccas had found in the king's ὑπομνήματα his plans ἐπιβολὰς

راجع:

W.W. Tarn. Op. Cit., II, Appendix 24, pp. 378-9

وقريب من هذه التسمية ما إستخدمه فيلكن: "a king's Journal"

U. Wilcken, Philol., LIII, 1894, P. 80.

W.W. Tarn, Op. Cit., II, P. 380.

راجع ذلك فى:

"Alexander's Official Journal" كما تعرف بالمذكرات الرسمية للإسكندر:

H.Endree, Rh. Mus. L XXII, 1917- 18, P. 437.

راجع:

ولكن تسمية "المذكرات الرسمية للإسكندر" مستبعدة، لأن مذكرات الملك أطلق عليها عبارة: "λεγόμενα καὶ πράσσόμενα" أى بمعنى "Things, said and done" أى أشياء ذكرت ونفذت، وبما إنها فى صيغة الماضى ، فهى بالتالى لا تنطبق على الخطط المستقبلية، ولهذا أطلق عليها أيضا: "Alexander's Memoirs" أما تارن نفسه ففى عام ١٩٢١ اعتقد أن الكلمة يمكن أن تحمل المعنى الدارج وهو مجموعة شذرات أو روايات عن موضوعات متنوعة. حتى ديونوريوس نفسه (٤،٤،١) إستخـم الكلمة بمعنى: أى شىء يندرج تحت بند مذكرات تاريخية ثم إستجد مصطلح: "memoranda" المستخـم فى البردى .

E. Bickermann, Arch. F. Papyrus forschung, IX, 1930, pp. 165 sqq. هذا وقد كان يرمس هو المسئول عن هذه المذكرات التى تخص أشياء مستقبلية، لم تجد لها مكان فى اليوميات المسماة "Journal" ويرى تارن أن هذه المذكرات لا تنتمى إلى الإسكندر، ولكن تعود لفترة متأخرة، ربما القرن الثانى ق.م. أو بعد ذلك.

Tarn, Op. Cit., Appendix 24, p. 393.

ثم عن إطلاق تارن عليها "خطط الإسكندر الوهمية":

" Alexander's fictitious plans"

Tarn , Op. Cit., II Section C, P. 24.

Art., VII 15-5, plut., Pomp., XXXIX. (٢٤)

Diod., XVII, 113,I. (٢٥)

Art., V, 26, 2, 3-6, 25, 4-5 (٢٦)

(٢٧) بالنسبة لبلاد العرب، التى تهمنى هنا فى المقام الأول، لم تكن الحملة المزمع إرسالها ذات طابع عسكري، ولكنها كانت حملة إستطلاعية كشفية، بدليل أنها

وردت فى يوميات الإسكندر تحت مسميات منها: "πορεία", "πλοῦς"

أى مسيرة أو رحلة بحرية، ولم ترد كلمة: "στρατεία" بمعنى حملة حربية، وإن الإسكندر نفسه كان ينتوى الذهاب بأسطوله، وليس بصحبة جيشه، وأن المحاولات المبذوبة التى قام بها هيرو Hiero وانكسيكراتيس تؤكد مدى اهتمام الإسكندر بالطواف حول شبه الجزيرة.

راجع: Arr., VII, 25. 2.
"ὑπὲρ τῆς πορείας καὶ τοῦ πολιοῦ, ..., τοὺς δὲ ἅμα οἱ
πλέοντα..."

راجع أيضا : پلوتارخوس، الذي لم يورد أى نوايا للغزو من قبل الإسكندر.
Plut., Alex., L XVIII.

راجع أيضا:

Tarn, Op. Cit., II, PP. 394- 395 ; Mostafa El Abbadi, The life and
fate of the ancient Library of Alexandria, Unesco, 1990, PP. 26- 30
هذا ولد وصفت بعض من رحلات الإسكندر، بأنها كانت رحلات ذات طابع
لثرى، ومثلا على ذلك زيارته لمقابر الآشوريين.

Arr., VII. 22.1 - 5; L.Pearson, Op. Cit., pp.158 - 59.

Tarn, Op. Cit., Appendix 24, p. 398.

(٢٨)

يجوز لى هنا أن أتوه إلى إمكانية إستبعاد العامل النفسى، نظرا لما تفرضه
ظروف التعامل مع تاريخ شخصية، وليس فقط مع حدث تاريخى. وبناء على
ذلك فإن تحقيق المكسب صعب المنال، ممكن أن يكون لى حد ذاته الهدف،
وليس الوسيلة، ويصرف النظر عن مصير هذا المكسب، سواء الإحتفاظ به أو
تسليمه طواعية.

(٢٩) بالرغم مما تردد عن أن الإسكندر كان قد أبلغ فاراسمانس Pharasmanes عن
خطته لغزو العالم، التى يذكرها أريستوس، دون أن ترد فيها كلمة غزو.

Arr., IV, 15,5 sg.; Tarn, Op. Cit., p 398 and Note (5).

C.A. Robinson, Jr., "The extraordinary ideas of Alexander the (٣٠)
Great", Am. Hist. Rev., LXII (1957), p. 337.

يخالف تارن هذا رأى، حيث يرى أن القوة الحقيقية الموحدة، كانت عاقبه، فلم
تكن هناك فكرة مشتركة ولا أتوه.

Tarn, op., Cit, I, C.U.P., 1948, p. 141.

(٢١) C.A. Robinson, Jr., *Op. Cit.*, p. 337.

فى هذا الصدد يورد روبنسون رأى ويلز Welles الذى يرى أن الإسكندر لم يجد غضاضة فى عقد مثل هذا العرس فى سوسا، الذى يقارنه Schachermeyer بعملية توليد المواشى. وتعليقا على ذلك، فأغلب الظن أن Welles إستند فى رأيه هذا على المفهوم الذى ساد بين المقدونيين واليونانيين، حيث كان رأيهم أن الإسكندر قد حط من قدرهم بمحاولاته المتكررة للرفع من شأن الآسيويين للدرجة التى يسعى فيها لمقد مثل هذا العرس. أما فيما يخص رأى الآخر، فهو بهذا التقييم غالبا ما يستبعد البعد النفسى أو الحضارى، الذى من المفروض أن الإسكندر كان يسعى من أجله.

(٢٢) *Arr.*, I. 23. 8; C.A. Robinson, Jr., *Op. Cit.*, p. 329.

من الواضح أن الإجراء الذى إتخذه الإسكندر بأن سمح للملكة الآسيوية بتبنيه، أعطى له بالضرورة صلاحيات أوسع بكثير من كونه ناتحا أو غاريا.

(٢٣) عن تأرجح الإسكندر بين مفهوم الملك والقاتع:

M. Renault, *The Nature of Alexander*, Pantheon Books, New York, 1976, p. 161.

(٢٤) عن نداء كاهن آمون للإسكندر وإستخدامه لفظة "يا بنى": "Ὁ πατριδίου" راجع:

Plut., *Alex.*, XXVII, 8-10; L. Pearson, *Op. Cit.*, pp. 161-2, p. 184.

Arr., IV, 10, 1; *Plut.*, *Alex.*, XVII, 6-8. (٢٥)

وعن إعتقاد الإسكندر نفسه أن يد الإله كانت ترعاه وتمدد خطاه:

Arr., I., 26, 2.

راجع أيضا:

J.P.V.D. Balsdon, "The Divinity of Alexander", *Historia*, I, (1950), P. 373.

Plut., 50, 11; J.P.V.D. Balsdon, *Op. Cit.*, P. 374. (٢٦)

عن تبني الإسكندر للعادات الآسيوية راجع :

Arr., IV, 7, 4; 9, 9; VII, 9, 9; *Diod.*, XVII, 77, 4. F., *Plut.*, 45, 1-4.

Tam, Op. Cit., p. 359. (٢٧)

Tam, Op. Cit., I, pp. 79-80; C.A. Robinson, Jr., Op. Cit., p. 340. (٢٨)

Arr., IV, 12, 1-2; 14, 1. (٢٩)

C.A. Robinson, Jr., Op. Cit., p. 341, p. 344. (٤٠)

(٤١) على سبيل المثال لا الحصر لمثل هذه السابقة، نجد أن أمبيدوكليس Empedokles في صقلية في القرن الخامس ق.م.، يعبر عن ذلك المعنى بأنه كان يحظى بالإحترام كإله $\theta\eta\tau\omicron\varsigma$ "θεός ἀμβροτος οὐκ ἐστὶ θνητὸς" "οὐκ ἀσβίζομαι" ومثال آخر من نهاية القرن الخامس ق.م.، حيث انتشرت الروايات عن عبادة ليساندروس Lysandros في أيونيا، وبالذات في جزيرة ساموس، ولكن مع التحفظ على المثالين السابقين، حيث أن المثال الأول وضع ضمن العبارات الأدبية المنمقة لشاعر، والمثال الثاني، نسب لمصدر تنقصه الثقة، وهو دوريس Duris من ساموس، الذي من المحتمل أنه أضاف للماضى بعض من ملامح العصر الهلنستى الذى عاشه في أوائل القرن الثالث ق.م. نضيف إلى ذلك مثال عبادة كليارخوس طاعية هيراكليا في بونتوس في الجيل السابق للإسكندر.

راجع:

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 364-5, and Note (4); Jacoby, FGH, II A, 76, F. 71 and 26; Plut., Lysandros, 18; Athenaeos, XV, 52, p. 696 E; Plut., Mor., 210 d; Isocrates, ep. 7, 12 f.

ونضيف إلى الأمثلة السابقة نماذج أخرى يرجع تاريخها إلى أبعد من ذلك، فهناك العبارة التى قالها بريام عن هيكتور حينما وصفه بأنه أقرب أن يكون فى بنوته لإله وليس لبشر.

Hom. Iliad, XXIV, 258.

وهذه هي المرة الأولى التى نصادف فيها مثل هذا المعنى "إله بين البشر"، حتى ولو فى صيغتها المستعصية فيها، وهى المدح المبالغ فيه. ونجدها تظهر أيضا فى Theognis Fr. 3.39. تظهر أيضا فى كوميديا القرن الرابع:

Antiphones, trilogistes, Fr. 209.

حيث بوصف فيلوكسينوس Philoxenos بأنه إله بين البشر .
هذا ما يشير إليه أيضا إيسوكراتيس في Evagoras, IX, 72. على أنه مبالغة شعراء.

(٤٢) Arist., III, 13, 13-1284 a, 11

(٤٣) هذا على اعتبار أن اهتمام أرسطو نفسه الأول، كان في هذا المجال، وعلى اعتبار آخر، وهو أنه لا يقوم بتعليم شخص عادي، ولكنه يعلم الأمير الصغير، وبعد ملك المستقبل.

(٤٤) يذكر بالسدون في معرض حديثه عن الموضوعات التي عالجها أرسطو في السياسة، أنواع الحكومات المختلفة، وتصنيفه للملكية، والمقارنة بين حكومة الأقلية المتميزة أو الأرستقراطية والملكية، حيث يقول: "لأننا لا نستطيع أن نعرف ما إذا كان الإسكندر قد إطلع على هذا العمل لأرسطو، أو على جزء منه على الأقل، ولا نستطيع أن نتعرف أيضا على ما هية العلوم التي كان يعلمها أرسطو للإسكندر، ولا القدر الذي وعاه الإسكندر من هذه العلوم حينذاك، والذي أساء فهمه، وما القدر الذي رمخ في ذهنه منها وتذكره بعد ذلك".

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 370.

(٤٥) Isoc., Ep., III phill., 106.

فيما يخص رأى بالسدون، فهو يستند على ما جاء في Wilamowitz ومن أن هذا الخطاب مزيف، ولا ينسب أساسا إلى إيسوكراتيس، ولكنه نحل بعد موته لصالح مقدونيا، كدعاية مضادة لما تردد وإنتشر بواسطة النيمقراطيين، من أن إيسوكراتيس بعد خيرونيا، تحول وسحب ثقته في ليليب.

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., P. 367 and Note (24)

في الحاشية حصر لعدد من الدراسات التي عالجت موضوع مدى صحة نسبة الخطاب لإيسوكراتيس من جانب، ومن جانب آخر، رفض مثل هذا الاحتمال.

(٤٦) Arist., Pol., I 8, 1256 B, 25, I, II, 1252 B, 9, III, 14, 1285 A, 20.

راجع أيضا نفس الموضوع :

Roberto Andreotti, "Per una critica dell'ideologia di, Alessandro Magno", Historia V, (1956), pp. 257-264, p. 274 ff.

Tarn, I, pp 52-54

(٤٧)

يرى تارن أن الإسكندر بهذه الأفكار غير العادية كان عاقدا العزم على إرساء سلام بين حضارات مصر وبابل وفارس.
راجع أيضا:

C. A. Robinson, Jr, Op. Cit., pp. 335-6.

وعن تعليم شباب الفرس اللغة اليونانية، وتدريبهم على استخدام الأسلحة المقدونية.
راجع:

Plut., 47, 3.

Arist., NE, VII, 1,2- 1145 A, 22. f.; Arr., IV, 11, 2.

(٤٨)

Isoc., X, 23; Athenaeos, VI, 62 f., 253 c and E.

(٤٩)

Hyperides, C. Demosthenes, XXXI, 15 ff.

(٥٠)

هذا بالرغم من الرأي القائل بأن ديموستينيس في هذه العبارة، غير من لهجته السابقة، التي كانت ترفض تماما منح الإسكندر شرف التأليه، وأغلب الظن أن هذا التعبير جاء برد فعل الضغط المباشر عليه، والذي لا يحدث إلا بطلب مباشر من الإسكندر نفسه.
راجع:

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 383,385-386.

تعليقا على هذا الرأي السابق، أستطيع أن أقول، أنه استنادا على تاريخ ديموستينيس الطويل، وموقفه المضاد لتولييب المقدوني، وإخلاصه لقضية الحفاظ على استقلال وحرية دولة المدينة اليونانية، مما يجعلني أميل إلى رفض احتمال أنه قد غير لهجته، أو قبل فكرة تأليه الإسكندر، حيث أن العبارة على غير ما تبدو ظاهريا، توحي بإحساس ديموستينيس العميق بالإحباط، لما آلت إليه الأمور في بلاد اليونان، حتى أن الأسماء تساروت بالنسبة له، التمين منها والفت، وهذا في مجمله لا يعنى إلا الرفض. راجع رأي ديموستينيس في الإسكندر كما أورده بلوتارخوس:

Plut., Alex., XI, 1-4. 6.

(٥١) Plut., Mor., 842 D (Vita Xoratorum: Lycurgos, VII).

أغلب الظن هنا أن المصنف يشير إلى علاقات الإسكندر الشاذة، بالرغم من أن هذه الظاهرة كانت أمر غير مستهجن بالنسبة للمجتمع اليوناني.
راجع:

M. Renault, Op. Cit., p. 124, p. 155.

وجدير بالذكر أن ورود مثل هذه العبارة عند ليكورتجيوس بهذا الأسلوب الساخر، يجعلني أميل إلى الاعتقاد بأن هناك فارق بين ممارسة الرجل اليوناني للعادي لمثل هذه السلوكيات، على أنها أمر مألوف في هذا المجتمع، وبين ممارسة القائد الإله لها.
راجع:

J.R. Hamilton, Alexander the Great, University of Pittsburgh press, 1979, pp. 30-31.

(٥٢) لمزيد من الأمثلة الأخرى، هناك داميس Damis الإسبرطي الذي قال بمسخرية لاذعة ما يعنى: "إذا كان الإسكندر يريد أن يكون إلهاً، دعوه يصبح إلهاً".

Plut., Mor., 219 E Apophthegmata Laconica (Damis); Aelian, Varia Historia. 11, 19.

ومثال آخر من أئنه التي كان من المعروف أنها معقل لأرباب مثل هذه الآراء الساخرة، هو ديوجينيس Diogenes الذي قيل على لسانه ما يعنى: "عندما رشح الأثينيون الإسكندر ليصبح ديونيسوس، فمن الأفضل أن تصنعوا منى سرايس".
Diogenes Laertius, VI, 63.

(٥٣) هذه التعليمات أرسلت بواسطة نيكاتور Nicanor ولقحت على اليونانيين المجتمعين في أوليمبيا في عام ٣٢٤ ق.م.، وفي مناسبة الأعياد الأولمبية.

Hyper. 1. 18; Dinarchos, 1-81 f., 103; Diod., XVII. 109-1, XVIII. 8. Q. Curtius. x, 2 4 f.

راجع أيضاً:

Marcus N. Tod, a selection of Greek historical inscriptions, Vol. II, from 403 to 323 B.C., Oxford, 1948, pp. 263-301, N. 192, 201, 202

(٥٤) النص الذي سبق الإشارة إليه عند بلوتارخوس وإيليثيوس:

"Λακεδαιμόνιοι δὲ ἐκείνα ἐπειδὴ Ἀλεξανδρὸς βούλεται
θεὸς εἶναι ἔστιν θεός."

كلاهما استقى معلوماته من مصدر واحد، وهو داميس الأسيرطي، بصرف
النظر عن عدم ذكر اسمه.

والنص الآخر من بلوتارخوس، الذي يورد واقعة إرسال الإسكندر طلب التأييد
هو كما يلي:

"πρὸς τὰ ἐπισταλέντα παρὰ τοῦ Ἀλεξάνδρου θεὸν, εἶναι
ψηφίσασθαι."

ونفس المعنى يرد عند إيليانوس:

"Ἀλεξανδρος ἐπέστειλε τοῖς ἑλλησι, θεόν, αὐτόν
ψηφίσασθαι."

Ap., VII, 14, 6. (cf. 19, 1); VII, 23, 2. (٥٥)

(٥٦) كلمة θεωροί بمعنى مبعوثين رسميين من قبل الدولة في مهمة متقدمة، مثل
الذهاب إلى وحي دلفي أو ديلوس، أو لحضور الأعياد الأربعة الرسمية للدولة.

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 385.

(٥٧) نفس المرجع السابق.

Tarn, Op. Cit., I, pp. 112-113, II, p. 370 f. (٥٨)

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., p. 386. (٥٩)

راجع أيضا حاشية رقم (٥٢) السابق.

Tarn, Op. Cit., I, pp. 112-13, II, p. 370 f. (٦٠)

Tarn, Op. Cit., II, Appendix 25, pp. 434-449. (٦١)

C.A. Robinson, Jr, Op. Cit., p. 343. (٦٢)

J.P.V.D. Balsdon, Op. Cit., pp. 387-8. (٦٣)

(٦٤) لطفي عبد الوهاب بحبي، العرب في العصور القديمة، بيروت ١٩٧٩
ص: ٤٢٢.

Arr., VII, 25. 1-6; St., 16. 1. 15. (٦٥)

Nigel Groom, Frankincense and Myrrh, A study of the Arabian incense Trade, Lib. du Libon, (1981), pp. 5-10. (٦٦)

راجع أيضا:

Walter W. Müller, "Notes on the use of Frankincense in South Arabia," proceedings of the ninth Seminar for Arabian Studies, School of Oriental and African Studies, and the Institute of Archaeology, London, (1975), pp. 124-129.

Plut., Alex., XXV, 6-8. (٦٧)

(٦٨) نفس المصدر السابق .

Plut., Alex., XXV, 8. (٦٩)

Arr., IV, 15-7; St., 16.5-18; Athen., 42 F.; Plut., Alex., LXII, 5-9. (٧٠)

عن تجربة الإسكندر مع مادة Asphalt, naphtha المشتعلة ومصادرهما في يابل راجع:

St., 16.1.15.

Arr., VII 21.1-7; St., XVI. 1.9-10. (٧١)

(٧٢) عن العملة الأثينية وتأثيرها على العملة السبئية.

راجع:

Jacqueline Pirrene, La Grèce et Saba, une nouvelle base pour la chronologie sud-Arabe, Vol. XV, l'Academie des inscriptions et Belles-Lettres, (1954), pp. 175-6, p. 186.

راجع أيضا: عن إنتشار العملة الأثينية : لطفى عبد الوهاب يحيى، المرجع السابق، ص: ١٤٢-١٤٤.

عن عملة الإسكندر راجع:

Tarn and Griffith, Hellenistic civilization, London, 1974, pp. 250-1.

M. Rostovtzeff, *The Social and Economic History of the Hellenistic World*, Oxford, 1972, Vol. I, Chap. III, pp. 134-35. (٧٢)

Tran, *Op. Cit.*, I, pp. 130-1. (٧٤)

(٧٥) يعتبر الإسكندر الأكبر أكبر مؤسس للمدن على مر العصور، حيث يقال أنه أسس أكثر من سبعين مدينة، بالرغم من أن هذا العدد مبالغ فيه.
راجع:

Tarn, *Op. Cit.*, I, pp. 132-3.

ثم عن إرتباك أمور الإسكندر المالية، وإنفاقه ثروات سوسا، وتأثير ذلك على التاريخ.
راجع:

M. Renault, *Op. Cit.*, p. 227, p. 238, p. 143 ff;

Tarn, *Op. Cit.*, I, p. 129.

(٧٦) من الثابت تاريخيا أنه بعد وفاة الإسكندر بعامين، أي في عام ٣٢١ ق.م. في تريباراديسوس Triparadeisos في سوريا، طالب جنود الإسكندر خليفته في قيادة الجيش الملكي أنتيباتروس Antipatros بالوفاء بالمكافأة المالية، التي كان قد وعدهم بها الإسكندر، في مقابل استمرارهم معه في معاركه، وعدم حثوهم حثو الجنود الذين فضلوا تركه والعودة إلى ديارهم وأهلهم في مقدونيا. هذا ويبدو أن الإسكندر كان في نيته الوفاء بهذا الوعد، بعد الإنتهاء من حملاته في آسيا، وذلك بغزو بلاد العرب الذي كان يخطط له قبل وفاته، هذا ولقد جدد هؤلاء الجنود مطلبهم مرة أخرى، وهم في طريقهم إلى أبيدوس، حيث لم يستطع أنتيباتروس إجابة مطلبهم، إلا بعد فحص الوضع المالي للخزائن الملكية التي من المفروض أنها تصحب الملك أينما ذهب - والخزائن الأخرى في أماكن تعركها - راجع نص أريستوس بهذا الشأن في :

Photius epitome of Arrian, τὰ μετὰ Ἀλεξανδρον, (FGH 156 F. 9.32, and Teubner ed., II, p. 265.

راجع أيضا البحث القائم على هذا النص في:

N.G.L. Hammond, "An unfulfilled promise by Alexander the Great", *Zu Alexander d. Gr.*, I, Verlag Adolf M. Hakkert. Amsterdam, (1987), pp. 627-634.

تعليقا على ما سبق، فمن الواضح أن تحقيق مثل هذا المطلوب، كان من الصعوبة بمكان، نظرا لأن المبلغ المطلوب، كان حوالى خمسة عشر ألف تالنت، لم يكن من الممكن جمعه، إلا بالرجوع إلى واحدة أو أكثر من الخزائن الموجودة فى مواقع مختلفة من أوروبا وآسيا.

Tam, Op. Cit., I, p. 131, Note (2), p. 132.

(٧٧)

يذكر تارن أن معظم الدراسات التى تناولت هذا الموضوع لم يحددها
A. Andreades فى بحث بعنوان:

ἱστορία τῆς ἑλληνικῆς δημόσιας οἰκονομίας II, *part* 1:
ἡ δημοσία οἰκονομία τοῦ μεγάλου, Ἀλεξάνδρου, 1930,
pp. 47-74.

بمعنى: تاريخ الإقتصاد العام اليونانى (٢)، الجزء الأول: الميزانية العامة
للإسكندر الأكبر.

وعن أمثله لدراسات أخرى تناولت نفس الموضوع راجع:

L. Pearson, "The Diary and the Letters of Alexander the Great"
Historia III, (1954), *pp.* 429-55.

Roberto Andreati, Op. Cit., p. 267.

الأدوات الطبية في مصر في العصرين اليوناني والروماني

د. منال محمد أحمد

استاذ مساعد بكلية السياحة والفنادق

الادوات الطبية فى مصر

فى العصرين اليونانى والرومانى

د. غنىة محمد محمد

استاذ مساعد بكلية السياحة والفنادق

ما زالت الادوات الطبية فى مصر القديمة من المشاكل الاثرية التي تحتاج لمزيد من الدراسة الدقيقة ، خاصة وان الحفائر قد امنتنا بالعديد من هذه الادوات البعض منها معروض فى بعض المتاحف كالمتحف المصري ومتحف كلية الآثار ومتحف اسوان بالاضافة الي ان كمأ كبيراً منها يعد بالمئات مكس فى مخازن المتحف المصري والأقصر . وعلى الرغم من كل هذه المادة الغزيرة المتوفرة لدينا الا انه لم تدرس حتى الان دراسة واحدة حول الادوات الطبية وذلك لتشكك الباحثين فيما اذا كانت هى ادوات طبية ام ادوات تجميل . علماً بأن الغالبية العظمى من هذه الادوات يوجد لها نظير فى الادوات الطبية الحديثة مع بعض التطورات بطبيعة الحال التي ادخلت عليها نتيجة للفارق الزمنى بين ما هو قديم وما هو حديث كما سيتضح من خلال البحث .

وقبل ان نبدأ الحديث عن الادوات الطبية لابد من عرض سريع للتغيرات التي طرأت على الطب فى مصر فى العصرين اليونانى والرومانى والتي أدت بالضرورة الي حدوث ثورة فى مجال تكنولوجيا الادوات الطبية .

وذلك ان مدينة الاسكندرية تبوءت مركز الصدارة بين العالم القديم فى مجال العلوم الطبية وعلى مدى خمسة قرون تقريباً من الزمان بداية بالقرن الثالث ق . م وحتى نهاية القرن الثانى الميلادى حين رحل عنها علماء الطب

للعمل في روما . ويعتبر القرن الثالث قبل الميلاد الركيزة الأساسية لهذا التفوق الطبي ويرجع الفضل إلي ما بذله الملوك البطالمة الأوائل (١) من جهد لجذب أكبر عدد من الأطباء المثقفين بالعلوم الطبية ليس فقط من بلاد اليونان بل أيضاً من آسيا الصغرى التي كانت ذائعة الصيت في هذا المضمار ، فجاؤا إلي الاسكندرية في اعداد كبيرة كي ينهلوا مما اغدق عليهم البطالمة من امتيازات ومنح إذ كانوا يسافرون مجاناً ويعفون من الضرائب ويقيمون في مساكن مريحة ويتخونون لقب زميل "Fellow" كما هو متبع في بريطانيا في الوقت الحالي . ولعل أكثر ما شجعهم علي الوفود إلي مصر ان البيئة المصرية كانت مهياة بوجه عام لهذا اللون من النشاط الطبي ، فقد عرفت مصر الفرعونية ببراعتها ومهارتها في مجال العلوم الطبية وبها وجدت أكبر مكتبات العالم القديم الطبية وأكثرها شهرة مكتبة منف (٢) التي شهد لها علماء الطب في العالم القديم بداية من ابوقراط وحتى جالنيوس بانهم إستمدوا العديد من معلوماتهم في مجال العلوم الطبية من مكتبة منف وخير دليل علي ذلك ان الطب اليوناني والروماني يدين في كثير من أساسياته للطب الفرعوني (٣) .

ومن جانب آخر كان لوجود دار الحكمة Museum (٤) تلك الجامعة المنظمة أثر كبير في جذب علماء الطب في العالم القديم إلي الاسكندرية ، إما للإقامة بصفة مستمرة او للبحث حيث عاشوا في كنف ورعاية وبذخ الملوك البطالمة الأوائل الذين وفروا لهم كل وسائل وسبل البحث داخل جامعة الاسكندرية فبرز عدد كبير منهم في مجال البحوث العلمية الطبية كان أبرزها علم التشريح علي الأدميين لأول مرة في تاريخ البشرية إذ كانت معلومات التشريح عند الأطباء الفراعنة بدائية جداً ذلك ان الطبيب في هذه الفترة نظر

التي عملية التشريع (٥) علي أنها امر ثانوي طالما انه علي علم بمكونات الجسم البشري من خلال كتاب الموتى والمحفطين والذبائح من الحيوانات الثديية . في حين ادرك علماء الطب الوافدين الي الاسكندرية من شتي بقاع العالم المعروف آنذاك ان عملية التشريع هي الركيزة الاساسية لعلم الطب وبطبيعة الحال لن يتأتي هذا الا بتشجيع من البيت المالكي حتي تتخذ مثل هذه الخطوة الجريئة في مجتمع حرم فيه التشريع الأدمي لأسباب دينية إذ ان عقيدة البعث والخلود عند الفراعنة كانت تستلزم بالضرورة وجود الجسد وقت الوفاة في حالة سليمة ولعل هذا ماعاق تقدم الطب الفرعوني الذي أحيط بسياج من الدين فقيد إنطلاقتها (٦) . والأمر يختلف تماما بالنسبة لهؤلاء العلماء الوافدين الي الاسكندرية وكذلك حكام العصر البطلمي الذين كانوا أجانب على البلاد عملوا قدر استطاعتهم علي اغرقه مصر وبصفة خاصة الاوائل منهم .

كانت دروس التشريع تتم عملياً في قاعات داخل دار الحكمة اعدھا الملوك البطالمة خصيصاً لهذا الغرض ، فيها مارس الأطباء وعلي رأسهم هيروفيلومس Herophilus (٧) فنون التشريع علي جثث الموتى (٨) والأحياء من المجرمين (٩) المحكوم عليهم بالاعدام ، قدمها لهم الملوك البطالمة تيسيراً لإنجاز مهمتهم فكانت الاسكندرية بشهادة جالينوس Galen (١٠) مصدرنا الأساسي عن مدرسة الاسكندرية الطبية وبصفة خاصة في مجال التشريع الأدمي إذ يقول " إن الاسكندرية هي المكان الوحيد بين المراكز الطبية في العالم اليوناني الروماني التي يدرس فيها اسس التشريع الأدمي وانه هو نفسه لم يرق الي أكثر من مستوي تشريع القردة والخنازير " .

هكذا وصلت الاسكندرية في العصر البطلمي والروماني الي مستوي لم

يبلغه أى مركز طبي عالمي آخر من قبل خاصة في غياب علم التشريح الأدمي الذي يحول دون معرفة تشريحية وفيسيولوجية دقيقة ذلك العلم الذي كان له الفضل في قيام اطباء الاسكندرية بعمليات جراحية دقيقة سجلت بكل دقة ووضوح في مجموعة من كتاباتهم (١١) .

ولا يمكن ان يقوم علم جديد دون ان يحدث تطور هائل في مجال تكنولوجيا الانوات الطبية ، خاصة وان رائد علم التشريح السكندري هيروفيلوس Herophilus قد شرح كل جزئية في جسم الانسان بكل دقة واثبت نظريات تتعارض وتلك التي توصل لها الاطباء الفراعنة ، لم يترك شيئاً في جسم الانسان الا و قام بتشريحه (١٢) الشرايين والاوردة والرحم والجهاز التناسلي للمرأة والكبد والكلبي والمخ والعين والقلب والقفص الصدري والمرتتين والجهاز العصبي ... هكذا كانت المعجزة السكندرية اعظم موهبة قدمت للعالم بأسره قديماً وحديثاً في مجال الطب البشري .

وبطبيعة الحال ايضاً فقد ترتب على ممارسة التشريح على الأدميين تقدم فنون الجراحة لدرجة ان اطلق علي اثنين من جراحي الاسكندرية انتيلوس Antylus (١٣) وهيليوذوروس Heliodorus (١٤) * اعظم جراحي العصر القديم * لما اشتهرا به في مجال جراحة الخراجات الداخلية والجروح وإزالة حصوات المثانة . كذلك جراحة تجميل الوجه التي أخبرنا بها كلسوس Celsus (١٥) في الجزئين السابع والثامن من كتابه في سياق حديثه عن جراحي الاسكندرية الذين لم يباشروا مختلف انواع الجراحات المألوفة فقط بل ايضاً الجراحات الدقيقة .

وبطبيعة الحال فإنه بدون انوات طبية لا يمكن أن يكون هناك تقدم

جراحي . والسؤال المطروح الآن هل من الممكن ان يتم كل هذا سواء في مجال التشريح أو الجراحة بمجموعة الأدوات البسيطة التي كان يستخدمها الطبيب في العصر الفرعوني والتي تتناسب مع العمليات الجراحية البدائية المشار اليها في برديتي ابوين سميث (١٦) وايبيرس (١٧) الخاصة بالجراحة عند القراعة . في البردية الاولى أشير الي مجموعة من المشارط والمثاقب النارية ونادراً ما نجد إشارة لخياطة جرح (١٨) . وفي البردية الثانية أشير الي ريشة نسر استخدمت كقطارة للتنقيط في العين وخارج نطاق هاتين البرديتين لم يشر الي أدوات طبية أخرى ترجع للعصر الفرعوني . وهذا يؤكد ان هذه الأدوات البسيطة المشار اليها سابقاً هي كل ما احتاجه الطبيب الفرعوني إذ كان يعتمد دائماً في عملية التطبيب علي العقاقير المصنعة من الأعشاب والدهانات إلي جانب السحر وصيغته ، ولم تجر عمليات دقيقة تستلزم أدوات أكثر دقة ودليلنا علي ذلك ان معظم الحالات التي وردت في بردية سميث الجراحية عبارة عن استئصال للأورام الخارجية وهي لا تحتاج إلا لمشرط لإزالتها ومثقاب ناري لكى الجرح حتى لا ينزف وغالباً كانت تستخدم هذه الأدوات في مجالات أخرى غير الطب (١٩) . فالمشارط كانت تستخدم في التحنيط والمثقاب الناري في الفخار والضمادات والفتائل الكتانية كان المحنطون يزودون بها الأطباء .

وفيما عدا تلك الأدوات المحدودة المشار إليها في البرديات الطبية لا نجد أية إشارة أو تصوير لأدوات أخرى فبالرغم من ان المصري القديم في العصر الفرعوني قد سجل كل تفاصيل حياته وكل ما توصل إليه من علوم وفنون وآداب علي جدران معابده ومقابره إلا انه اغفل الجانب الطبى وأدواته حتي علي جدران المعابد التي كانت تدرس فيها العلوم الطبية فيما يسمى

بيوت الحياة الملحق بها (٢٠) . والنموذج الوحيد الذي صورت علي جدران
أنوات طبية هو معبد كوم امبو ويرجع هذا الجزء من النقش الجداري للعصر
الروماني . ولا يمكن أن نفترض أنه كان هناك في العصر الفرعوني تنوعات
أكثر من تلك المحدودة المشار إليها في البرديات الطبية أحيطت بنوع من
السرية لارتباط الطب وأدواته بالدين والسحر حيث أنها كانت ملك خاص
للمعابد التي تدرس فيها فنون الطب وممارسته ، ولا يحق للأطباء تملكها فهي
مُسَخَّرَةٌ لخدمة أولئك الذين يتلقون فنون الطب . فإذا كان الأمر كذلك فلماذا
أشير الي تلك الأدوات المحدودة في البرديات الطبية الفرعونية علي كثرتها
كما أشرنا سابقاً . إذن لابد أن نسلم أن كل ما هو لدينا من أدوات طبية ،
ماعدًا القلة القليلة منها ، يرجع إلي العصرين اليوناني والروماني ، جاءت مع
ظهور علم التشريح الأدمي وتقدم فنون الجراحة .

بعد هذه البداية البسيطة السريعة لظروف نشأة وتطور الأدوات الطبية
يجب أن نتقل إلى صلب موضوعنا عن الأدوات الطبية سواء تلك المشار
إليها في كتابات جراحي وأطباء الاسكندرية في العصرين اليوناني
والروماني ، أو المعروض في المتاحف سالفة الذكر أو تلك المصورة علي
جدران معبد كوم امبو .

وسأتناول كل علي حده بالوصف والتحليل وإثبات كونها أدوات طبية
أولاً بمقارنتها بالأدوات الطبية الحديثة وثانياً بارتباط أماكن اكتشافها
بمواقع اشتهرت قديماً بوجود مدارس طبية فيها وأخيراً الربط بينها وبين
شخصيات ارتبطت قديماً بالطب كما هو الحال مع لوحة كوم امبو إذ نجد إله
الطب إيمحتب Imhotep (٢١) مصوراً علي يمينها .

فيما يختص بالإشارات التي وردت في كتابات أطباء الاسكندرية عن تطوير واختراع ادوات طبية . فقد ذكر هيروفيلوس أنه اخترع ساعة مائية (٢٢) متنقلة لتسجيل حركة النبض . كما تحدثنا المصادر (٢٣) المختلفة بأن بعض أطباء الاسكندرية ابتدعوا عدداً من الاربطة والاجهزة التي عرفت بأسمائهم وكانت تستخدم في حالة كسر في العظام للتقليل من خلعها (بترها) اوفتق في الأغشية الداخلية وبرز هؤلاء الطبيب السكندري اندرياس Andreas .

وتوضع اللوحة المنقوشة على الجدار الخلفي الواقع في الزاوية الشمالية الشرقية لمعبد كوم امبو (٢٤) وعلي اليمين منظر يصور الامبراطور تراجان Trajan (٩٨ - ١١٧ م) راكعاً أمام اله الطب إيمحتب Imhotep وعلي اليسار من منظر يمثل الولادة حيث توجد إلهتان إيزيس في ضلع الولادة ومسخت Meschent ربة الولادة ، واللوحة عبارة عن أربعة صفوف افقية (شكل ١) كل صف يحتوي علي مجموعة من الأدوات الطبية والتعائم السحرية ، اتفقت اغلب الآراء (٢٥) علي انها ودائع اساس وليست ادوات طبية ، نون تبرير لذلك .

وقد بل ان نتناول بالوصف الأدوات التي بداخل اللوحة والتعرف علي وظيفة كل اداة منها سأحاول إثبات انها لا تخرج عن كونها أدوات طبية .

أولاً : تصوير إيمحتب الذي رُفِعَ إلي مصاف الالهة في العصرين اليوناني والروماني كإله للطب دليل علي أنها ترتبط بالطب .

ثانياً : ان الامبراطور تراجان المصور علي يسار هذه اللوحة كان راعياً للطب في مصر ، كرم الأطباء وبنى المعابد لآلهة الشفاء ففي مدينة

بطلمية (٢٦) أمر ببناء معبد لإله الشفاء اليوناني اسكليبيوس Asklepios وزوجته المعبودة هيگيا Hygieia ربة الشفاء أيضاً . اما عن تكريمه للأطباء فيحدثنا بليني الاصغر Pliny (٢٧) بأنه حين كان في زيارة لمصر تعرض لمرض خطير شفي منه علي يد طبيب من منف يدعي أريوكراس Arpocras ، وتقديراً لمهارته الطبية فقد طلب بليني من الامبراطور تراجان تكريم الطبيب بمنحه المواطنة السكندرية والرومانية . واذا كان تراجان قد كرم طبيب منف Arpocras أليس احق بالتكريم راعي الأطباء وإله الطب في العصرين اليوناني والروماني إيمحتب ، الذي أطلق عليه اليونانيون إسم إيموثيس إيمحتب اسكليبيوس المصري (٢٨) والراكم أمامه علي يسار اللوحة الامبراطور تراجان ، بنقش هذه اللوحة المصورة للأنوات الطبية باعتباره ممثلاً لأطباء منف تلك العبقورية البشرية التي أذهلت العالم القديم بمعجزاته في مجال الطب والسحر فرفعه الاغريق الي مصاف الالهة .

مثلاً : ان هذه اللوحة منقوشة علي جدران الجزء المخصص لعبادة الاله حورس ومن المعروف ان حورس كان إلهاً للطب بصفتة ابن إيزيس صانعة المعجزات السحرية ، وقد اتخذ في النصوص (٢٩) السحرية لقب طبيب Swnw . ومن جانب آخر فقد تطابق بإيمحتب في كثير من النصوص الهيروغليفية والاغريقية . فعلي معبد إيمحتب في فيلة فقرة من نص تقول " إن اوزيريس ليهتهج إذ يدخل ... وأنت تأتي من القصر الكبير حات - عات 3h - ht ... إنه يستقيك وأمامه اوزيريس كل يوم مثل حورس " . وعلي باب المعبد من الداخل يقف حورس علي أحد جانبي الباب يسكب الماء المقدس علي القادمين للمعبد بينما يقف امامه ايمحتب يقرأ من بردية . وعلي السور الخارجي من الداخل لمعبد ادفو المكرس لعبادة حورس ، في الجزء

المصور عليه قصة الصراع بين حورس وست يقف إيمحتب يقرأ من بردية
وبذلك يكون حورس متطابقاً أو مرتبطاً بالمعبود إيمحتب وكلاهما مرتبطان
بالطب والتطبيب .

اللوحة مقسمة (شكل ٢) الي أربعة اقسام افقية يحتوى كل قسم منها
علي مجموعة من الادوات الطبية والسحرية المرتبطة بالشفاء من الامراض
بقراءة تعاويذ سحرية عليها كتعويذ من الطب البديل (النفسي) . وستتناول
عرض ادوات كل قسم طبية كانت ام سحرية مقرونة بتحليل لوظيفة كل
ألة علي حدة . وجدير بالذكر ان بعض الادوات القديمة لازالت تستخدم في
الطب الحديث مع مراعاة التعديلات التي طرأت عليها مع طول
الفترة الزمنية .

القسم الاول (١) يحتوي علي :

- | | |
|---|--------------------|
| ١ - قسطرة . | ٢ - تميمة . |
| ٣ - ابرتان . | ٤ - ملعقة مكحليه . |
| ٥ - مثقاب ناري . | ٦ - منشار . |
| ٧ - علامة مس الهيروغليفي والشكل المتأخر لها . | |
| ٨ - قرني حيوان . | |

١ - فيما يختص بالقسطرة فهي مرتبطة بالمثانة ولأعتقد ان هذه الآلة
وجدت في العصر الفرعوني إذ أن اطباء العصر الفرعوني لم ينكروا شيئاً
عن المثانة إلا مرة واحدة في بردية ايبيرس (٢٠) وكانت الإشارة عن وضع
المثانة اسفل البطن فقط . في حين انه في الاسكندرية كانت تجري عمليات

ازالة حصوات المثانة (٢١) . كما ان جالينوس galen (٢٢) الذي تعلم في مدرسة الاسكندرية الطبية قبل ان يرحل الي روما قد ميز بين تقرحات المثانة والكلي . وهذا يدل على ان هذه الاداة ترجع الي العصرين اليوناني والروماني خاصة وانها لم تظهر بين الانوات الطبية الفرعونية .

٢ - تميمة صغيرة عبارة عن العلامة الهيروغليفية W3d (٢٣) ومعناها بالمصرية القديمة الأخضر وهي ترمز لتجديد النضرة حيث تحفظ الجسد دائماً منتعشاً وكذلك ترمز لقوة الشباب . ولا أعتقد ان تكون هذه العلامة هي W3d W3d (٢٤) الهيروغليفية وتعني عمود البردي المغلق إذ ان نهاية هذه العلامة محدبه وليست مقطوعة كما هو مصور علي اللوحة التي نحن بصدد الحديث عنها ، ولو ان هذه العلامة كانت تستخدم ايضاً كتميمة فهي تهب السعادة القلبية لمن يمسك بها .

٣ - مشرط او شفرة ذات طبيعة حادة يستخدمها الجراح في استئصال الاورام الخارجية علي اختلاف انواعها . وجدير بالذكر ان الطبيب في العصر الفرعوني استخدم اربعة اشكال من المشارط كما يتضح من الحالات التي ذكر فيها استخدام مشرط والمشار اليها في بردية ابون سميث الجراحية (٢٥) . ولا بد انها استمرت ايضاً تستخدم خلال العصرين اليوناني والروماني خاصة وان هذه المشارط أصلاً كانت تستخدم في التحنيط الذي استمر خلال العصرين اليوناني والروماني . ولا زالت تستخدم مثل هذه المشارط في الوقت الحالي لفصل العضلات والاعوية والاعصاب عن العظم (٢٦) . ويبدو ان هذا الاستخدام الحديث هو نفس الاستخدام في العصر الروماني إذ أن هليودوروس Heliodorus (٢٧) الذي تلقى تعليمه في مدرسة الاسكندرية الطبية وأحد مشاهير الطب الكياري يقول " الطريقة

المثلث لبتتر الجزء فوق مفصل المرفق أو أعلى الركبة هي أن يبدأ الجراح بقطع العضلات من الجانب البعيد عن مكان الأوعية الدموية ثم يقوم بنشر العظم ثم يقطع الأجزاء المتبقية بعد ذلك .

٤ ، ٥ - إثنان من الأبر الطبية المعروفة حالياً باسم Ligation كانتا تستخدمان لخيطة الجروح . هذا النوع من الأبر الطبية هو أحد ستة عشر نوعاً من الأبر الطبية ذات اشكال ومقاسات مختلفة معروضة في المتحف المصري حجرة ٢٤ وكلها تقريباً مطابقة تماماً لما يستخدم في الطب الحديث (٢٨) وجدير بالذكر أن الخيطة لم تكن محببة لدى الطبيب المصري في العصر الفرعوني ولم تذكر إلا نادراً في البرديات الطبية ولكنه كان يفضل ضم نهايتي الجرح إلي بعضهما كما في الحالة رقم ٧٢ ، ١٠ بيردية (٢٩) اليون سميت الجراحية إذ يقول الطبيب : " أربط اثنين من الأريطة على الجرح حتي تضم شفطي الجرح لبعضهما " ويبدو أن الطبيب المصري في العصر الفرعوني اضطر إلي استخدام الخيطة في حالات نادرة يصعب فيها استخدام الطريقة المألوفة لديه لإلتأم الجروح إذ غالباً نجد الإشارة إلى الخيطة في حالات خاصة بقطع في لحمية الأذن وهذه المنطقة يصعب وضع قطعة من اللحم الطازج عليها وتضميدها فكان الأفضل لها الخيطة . وحتى في هذه الحالة فلا يحتاج الطبيب فيها إلي طرز متعددة من الأبر الطبية إذ أن الابرة المستقيمة تفي بالغرض ونفس الحال ينطبق علي خيطة الجرح بعد إزالة الأحشاء من بطن المتوفى وتحنيطه . أما في العصرين اليوناني والروماني فالأمر يختلف كلياً إذ أن إجراء العمليات الجراحية الدقيقة التي قام بها أطباء الاسكندرية كانت تستلزم بالضرورة وجود هذا التنوع في اشكال واحجام الأبر الطبية كما سنري فيما بعد .

٦ - ربما كانت هذه الأداة ملققة مكنته تستخدم في إزالة الأجزاء غير الصحية من جدار الرحم والتي تستخدم في الوقت الحالي . وجدير بالذكر أن أطباء العصر الفرعوني لم يستخدموا أية جراحات للرحم وإنما استخدموا البخار كوسيلة علاجية لرد الرحم إلى موضعه كما في بردية إيبيرس (٤٩) الحالة رقم ٩٩ . بينما نجد أن هيروفيلوس في العصر البطلمي قام بتشريح الرحم عند المرأة علي سيدات مسنات (٤١) . ويعرض متحف كلية الآثار جامعة القاهرة مجموعة أخرى من هذه المعالق المكنته وأخرى عثر عليها في حفائر الفيوم وسوف نتحدث عن كل منها فيما بعد .

٧ ، ٩ - إثنان من المثاقب النارية كانتا تستخدمان لكي الجروح حتى يتوقف النزيف . والمثقب عبارة عن جزء مدبب معدني مثبت في جزء خشبي ونتيجة للدوران السريع للجزء المعدني يتولد عنه وهج ناري يوضع علي الجرح فيوقف الإدماء . وقد استخدمه الطبيب المصري في العصر الفرعوني حيث انه ذكر في بردية ابوين سميث (٤٢) الجراحية واستمر استخدامه خلال العصرين اليوناني والروماني .

٨ - منشار لنشر العظام ولم يرد ذكر كلمة منشار في البرديات الطبية الفرعونية مما يدل على انه استخدم فقط في مجال الطب في العصرين اليوناني والروماني . ومثل هذا المنشار يستخدم في الطب الحديث (٤٣) لفصل العظام ويعرض بومان Bowman (٤٤) مجموعة من الأنوات المكتشفة في الفيوم بها منشار شبيه بذلك المصور علي لوحة كرم أمبو .

١٠ ، ١١ - العلامة الهيروغليفية ms بمعنى (تلد) ويتكون رسمها من ثلاث خصلات معقودة والتي جوارها نجد الشكل المتأخر لنفس العلامة (العصر البطلمي) وكانت هذه العلامة توضع امام السيدة المقبلة علي

الولادة كما هو مصور علي جدران بيت الولادة Mammisi (شكل ٢) الملحق
بمعبد أدفو حيث نجد إيزيس تجلس في وضع الولادة وامامها علامة ms التي
تخيل فيها المصري القديم سيدة تجلس علي حجر والطفل يخرج منها .

١٢ ، ١٢ - في نهاية الصف من الجهة اليمني نجد قرني حيوان .
وقد استخدمت هذه القرون بعد قطع الطرف المديب كحقنة شرجية او
دش مهبلية (٤٥) ويوجد في متحف اللوفر قرن مماثل وصفه ليفيغر
Lefebvre (٤٦) بأنه حقنة شرجية . ومن المعروف ان الحقن الشرجية
استخدمت في العصر الفرعوني إذ كان المصري القديم يعتقد بأن الطعام
يتحول الجزء الأكبر منه عن طريق الهضم إلي مواد ضارة فلذلك كان لابد من
استخدام الحقن الشرجية يوميا او بالتناوب كل أربعة او ثلاث أيام
للتخلص من الطعام الزائد الذي يسبب المرض كما أخبرنا بذلك ديونورس
الصقلي Diodorus (٤٧) .

الصف الثاني (ب) ويحتوي علي :

١ - ٢ - ثلاث صنائير Hooks الصغرى علي شكل تيمية .

٤ - ٦ - ثلاث ملاعق مكحتيه . ١١ - إناء بشكل ابريق .

٧ - حافظه محكمة القلق . ١٢ - مبخرة .

٨ - ٩ - اثنان من ماسك القوط ١٣ - إناء بيزيان .

الطبية (جفت) . ١٤ - سكين سحرية .

١٠ - شعلة .

١ ، ٢ - فيما يختص بالصنائير Hooks فهي تستخدم في الطب

الحديث ويوجد منها نوعان صنارة ذات سن غير حاد والآخر ذات سن حاد

الأولي تستخدم في سحب الأوعية ، الأعصاب والأوتار التي تصل العضل بالعظم والثانية في ثقب القصبية الهوائية لتثبيت الغضروف الحلقى وتراجع الجلد في الجراحة التقويمية وكلها جراحات لاشك ان قام بها أطباء الاسكندرية فنحن نعرف أن براكساجوراس Praxagoras (٤٨) في مؤلفه عن التشريح ذكر أنه شرح القفص الصدري ، كما قام ايضاً أطباء الاسكندرية بعمل جراحات التجميل النقيقة . وإذا قارنا بين هذه الصنابير المصورة علي لوحة كوم امبو ومثيلتها المستخدمة في الجراحة الحديثة نجدها نسخة طبق الأصل (٤٩) .

ولما كان السحر قد لعب دوراً كبيراً في مجال الطب (٥٠) واعتبر مكملأله فقد نقشت صنارة علي هيئة تميمة أحد طرفيها يمثل رأس تمساح والطرف الآخر رأس حورس الصقر اللذان كرس معبد كوم امبو لعبادتهما . والتميمة هنا في اعتقادي لدرء شرّ عضة التمساح في ظل حماية حورس ، الذي صورت رأسه في مستوي أعلى من مستوي تصوير رأس التمساح وكأنه يترقبه عن بعد بعينه التي اعتبرها المصري القديم للرؤية عن بعد وعدم النقصان في الجسد أو جرحه والنماء الدائم ومنع المساس بالأفراد من قبل التعاسيع .

٤ ، ٦ - ثلاث ملاعق طبية يوجد نظير لها في الطب الحديث (٥١) تستخدم لتوسيع النهاية الخلفية للقناة المرارية . والمرارة من بين الأعضاء البشرية التي أشار إليها أطباء الاسكندرية في العصرين اليوناني والروماني في حين أنه لم يشر إليها في البرديات الطبية الفرعونية . وقد أشار المشرح السكندري هيروفيلوس (٥٢) إلي ضرورة التوافق بين الأمزجة الأربعة الدم ، البلغم ، المرارة الصفراء والمرارة السوداء كمسببات للمرض .

٧ - حافظة كتانية محكمة الفلق لابد أنها كانت تحتوى علي الفتائل الكتانية التي كانت تستخدم للحشوبعد ان تشبع بالعقاقير كما يخبرنا بذلك بعض حالات من بردية النوين سميث الجراحية (٥٢) . ولابد من غلقها تماماً حتى لا تتعرض للتلوث .

٨ ، ٩ - إثنان من ماسك الفوط Towel clips لوضع الفوط الكتانية المعقمة علي الجلد حول المنطقة التي سيجري فيها العملية الجراحية ولا زالت تستخدم هذه الاداة في الطب الحديث (٥٤) مع بعض التطورات البسيطة التي ادخلت عليها ويوجد حالياً ثلاث طرز منها .

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ - شعلة ، إناء علي شكل ابريق ، إناء بيزيان مبخرة وتيمية علي شكل سكين ، وكلها أدوات لازمة لكي يكون للرقى أثرها الفعال ، فقد كان لابد من مراعاة أشياء كثيرة عن تلوينها منها إنه يتحتم علي من يقوم بتلاوة هذه الرقى أن يغتسل بماء النيل (٥٥) ويتبخر ويظهر فمه بالنظرون وهنا نجد الشعلة لإضاءة المكان والمبخرة (٥٦) للتبخير حيث اعتقد المصري القديم ان رائحة البخور يتنفس عليها الآلهة والاناء البزياني لسكب ماء النيل منه في حالة الغسل والابريق ربما كان يحتوي علي مادة النظرون لتطهير الفم او ربما احتوي علي مادة مخدرة مثل المورفين الذي كان معروفاً في اقليم الفيوم ، او تلك المادة المخدرة التي اخبرنا بها سترابون Strabo بقوله أن المصريين القدماء كانوا يخلطون حجر منف بالخل ويضعونه علي الجلد ليخدره (٥٧) . او ربما كان أحد الآنية المملوءة بالافيون كمادة مخدرة والتي كانت تستوردها مصر وهذا الاحتمال أقرب الي الصواب حيث انه يتشابه وتلك التي كانت تستورد بالفعل من قبرص (٥٨) . اما عن السكين فهي من ذلك النوع الذي أطلق عليه السكاكين السحرية Magic wands وهي

تشبه عصا الصيد المعروفة باسم Bowditching ولها وظيفة سحرية لإبعاد الشر حول النائم وحمايته ودرء الشعايبين السامة والعقارب والحشرات اللادغة أو أي أخطار أخرى . وكانت التعويذة التي تنكي عليها تنص على " لقد أتينا لنوفر الحماية لفلان وذلك اثناء الليل وأطراف النهار " . ويوجد بين الأدوات التي عرضها بومان Bowman (٥٩) من اقليم الفايوم سكنين شبيهة بتلك المصورة (٦٠) علي لوحة كوم أمبو مع اختلاف طفيف للغاية في شكل المقبض وأخري بالمتحف المصري .

الصف الثالث (ج) يحتري علي :

- ١ - ٢ - كلايتان .
- ٢ - ٤ - حافظتان .
- ٥ - ٦ - تميمتان علي شكل عين حورس .
- ٧ - ميزان .
- ٨ - العلامة الهيروغليفية T3 - mhw .

١ - ٢ - كلايتان (جفت) Forceps ولا زالت هذه الآلة تستخدم في الطب الحديث (٦١) مع بعض تطورات حديثة أدخلت عليها .

٢ - ٤ - حافظتان محكمتا النلق واحدة أكبر من الأخرى وربما كانتا لوضع الضمادات الكتانية المعقمة ذات المقاسات المختلفة في السمك والعرض حسب استخدام الطبيب . ولابد انه كانت الأكبر حجماً منها توضع في الحافظة الكبيرة والأصغر حجماً في الصغيرة .

٥ - ٦ - تميمتان علي شكل wddj عين حورس ووظيفتها للرؤية علي بعد وعدم النقصان في الجسد او جرحه والنماء الدائم او كانت تسمى عين الحسد لإبعاد السحر وشره .

وقد نتساءل لماذا نقشتم تميمتان بنفس الشكل تقريباً ؟ ربما كانت

التعيمة الاولى تنلى عليها تعويذات مكتوبة لطرد الماء والدم الفاسد وضعف
الابصار والعمى وتقرح الاجفان وكل انواع التهابات داخل العين كما تنص
علي ذلك بردية ايبيرس (٦٢) . فلقد كان لحورس دور هام في شفاء امراض
العيون التي اختص بها دون سائر الالهة الاخرى المرتبطة بالطب والشفاء
ويتضح ذلك في كثير من النصوص البردية (٦٣) التي تنص علي « عينا
حورس لمن لا عيون له » .

اما العين الاخرى فلا بد انها كانت خاصة بتحضير العقاقير ووزنها
ويؤكد ذلك وجود الميزان الي جوارها فلقد كانت توزن بها الاعشاب والمواد
الطبية الاخرى المضافة اليها ويؤكد ذلك رقيتين في بردية هيرست (٦٤)
الطبية تنلى علي الكيل الخاص بالنواء نص الاول « أيها الكيل الذي اكيل به
النواء انت الكيل الذي كال به حورس عينه ، كان مقياساً سليماً ، عاش في
صحة وسعادة ، هذا النواء يكال بهذا الكيل ليطرد جميع الامراض من
الجسم » . اما الرقية الاخرى فنصها « هذا المقدار يا حورس هو الذي كالت
به ايزيس وحضرته لابنها حورس لإخراج المرض منه » .

والذين ايضاً أهمية كبيرة عند وضع الزيت علي العقاقير . والمعروف ان
المصريين القدماء كانوا يضعون الزيت علي كل العقاقير المراد تحضيرها .
وكان لابد من وجود العين لزيادة مفعول النواء مع قراءة التعويذة التالية (٦٥)
« السلام علي عين حورس ، أنا تحوت الطبيب لعين حورس المناضل من اجل
أبيه امام المعبودة تيت » .

٧ - ميزان لوزن العقاقير الطبية عند تحضيرها .

٨ - إناء يخرج منه نبات اللوتس والبردي - وهنا قبل أن نقرر تفسيراً

لهذا الشكل لابد من وضع عدة إفتراضات حتى نصل الي الحقيقة - إن هذا الشكل هو العلامة الهيروغليفية (٦٦) T3 mhw رمز الدلتا في مصر السفلي وربما وضعت هنا كرمز لمكان ولادة حورس حيث انه ولد في احرش الدلتا . وربما كان هذا الشكل يرمز الى حورس كملاك للشمال والجنوب كما نري علي كثير من اللوحات السحرية الخاصة بحورس إذ يظهر علي جانبي حورس نبات اللوتس والبردي (٦٧) . ولا يحتمل ان يكون رمزاً لاستخدام البردي واللوتس في العقاقير الطبية او التعاويذ السحرية ولو انه يوجد أدية (٦٨) ينبت بها زهور اتخذها المصري القديم كنوع من التعاويذ السحرية لتبعد الوياء الا انه لم يرد ذكر اللوتس والبردي ، اما استخدام هذه النباتات كعقاقير طبية اقتصر فقط في البرديات الطبية علي اللوتس دون البردي حيث استخدم اللوتس في تركيب بعض الابوية لعلاج امراض مختلفة (٦٩) . والارجح ان يكون هذا الشكل هو العلامة الهيروغليفية T3 mhw بمعنى الدلتا اذا وضعنا في الاعتبار محل ميلاد حورس (٧٠) الذي كرس لعبادته هذا الجزء من معبد كوم امبو المصور عليه اللوحة الطبية .

الصف الرابع (د) ويحتوي علي :

- | | |
|-------------------|-----------------------------------|
| ١ - ٢ - إنائين . | ٥ - إسفنجة . |
| ٢ - لفافة بردية . | ٦ - ٧ - اثنان من الملاعق الطبية . |
| ٤ - جفت كبير . | ٨ ، ٩ - قنطريتان . |
- ١ ، ٢ - إناءان ربما كانا لخلط الدهانات او تحضير العقاقير فيها .
وقد تكونا ايضاً لوضع المخلفات الناتجة عن العمليات الجراحية بها . إلا أن وضع هذه الانية مقلوبة يدل علي انها كانت تستخدم بهذا الوضع الذي

يذكرنا بكاسات الهواء التي تستخدم في حالات الروماتيزم ، بها يوضع قليل من الكحول ويمرر بها لهب بسيط ثم توضع علي الظهر لإخراج الروماتيزم منه . وهي وسيلة علاجية لازالت تستخدم حتي الوقت الحالى .

٣ - لفافة بردية لا بد وانها كانت تحتوي على التعاويذ السحرية المكتوبة المرتبطة بشفاء الامراض وتلك التي كانت تقرأ بالضرورة علي تحضير العقاقير الطبية لتأكيد مفعولها في شفاء المرض (٧١) .

٤ - جفت قطع العظم Bone Cutting Forceps وهو خاص بتكسير العظام عند الكبار ولازال يستخدم في الطب الحديث (٧٢) والنوع الصغير منه يستخدم لتكسير عظام الاطفال .

٥ - شكل أشبه بالوسادة وله عدة تفسيرات ربما كانت تلك الوسادة الطبية التي استخدمها الطبيب المصري في العصر الفرعوني في علاج اصابات الجمجمة كما يتضح من بردية ابوين سميث (٧٣) . او لوضع الطفل المولود عليها كما جاء في بردية وستكار (٧٤) وفيها نجد أم تتعني لوليدها ان يوضع علي وسادة بعد قطع الحبل السري . علي أن تصوير هذا الشكل في هيئة الاسفنجة يجعلنا نتجه اتجاه آخر فالمعروف انه في العصر الروماني ، وهي الفترة التي تنتمي اليها لوحة كوم امبو ، كان وضع المخدر قبل اجراء العمليات الجراحية لتخفيف الآلام يتم عن طريق غمس اسفنجة في سائل مخدر ثم وضعها في فم المريض حيث يتسرب منها نقاط في البلعوم فتسبب النعاس .

٦ - ٧ - ملعقتان مكحيتان ذات نهايات حادة . وجدير بالذكر ان هذه المعالق المكحيتة ذات النهايتين الحادة تستخدم في مجال امراض النساء .

٨ ، ٩ - قنطرتان تستخدم فوق العانة لتصريف بول المثانة ، وتستخدم أيضاً لإفراغ البلورا Pleura (الغشاء المصلي المحيط بالرئة) من الصديد الجوفي . وفي الحالة الاولى يوجد نوعان إحداهما الذكر والآخر للانثى كما هو مصور علي اللوحة ، وكلاهما يستخدم في الطب الحديث (٧٥) . اما في الحالة الثانية وهي إفراغ الصديد الجوفي من البلورا فقد كان معروفاً في العصرين اليوناني والروماني حيث تحدث ابوقراط عن تقييح البلورا واعراضها (٧٦) وكان إراسيستراتوس (٧٧) اول باحث عن سبب تشريحي لالتهاب البلورا .

وعلي الجانب الايسر من اللوحة صورت العيادة الطبية لامراض النساء (شكل ٤) حيث نجد سيدتين إحداهما في وضع الولادة وقد صورت واحدة اعلي والاخرى اسفل - السيدة المضورة اسفل تمثل ايزيس حيث ترتدي علي رأسها رمز الرأس الملكي العلامة الهيروغليفية 3st (٧٨) والتي تعني المقعد او العرش وترمز للقوة او السلطة (٧٩) ودر ايزيس هنا رمزي حيث انها تقوم بعملية الوضع (وضع حورس بالطبع) وتري وهي جالسة علي كرس منخفض بالطريقة المألوفة لدي سيدات مصر الفرعونية عند خروج الطفل (٨٠) .

وعملية الولادة كان يعبر عنها بالكلمة الهيروغليفية mshnt وتعني مكان الراحة (٨١) وهي نفس الكلمة التي اطلقت علي إلهة الولادة مسخت Meschent mshnt (٨٢) . وقد اعتادت هذه الالهة ان تظهر بجانب السيدة الحامل وقت الولادة (٨٣) . وعلى لوحة كوم امبو تظهر مسخت Meschent اعلي شكل ايزيس كي تعلمها فنون الولادة وكيفية استخدام قالبى الطوب اللذان ارتبطا بهذه الالهة واطلق عليهما " قالبى طوب الولادة " واصيحا من الانوات الرئيسية للولادة (٨٤) . ودائماً ترتدى مسخت Meschent علي رأسها

العلامة الهيروغليفية المخصصة لرحم الحيوانات الثديية (٨٥) . وحديثاً بالذکر ان المصري القديم في العصر الفرعوني قد طابق أجزاء الجسم الداخلية للحيوانات الثديية بأجزاء جسم الإنسان حيث ان التشريح الأدمي لم يكن معروفاً في مصر القديمة (الفرعونية) . وبذلك يكون هذا الرمز الممثل للعلامة الهيروغليفية *hmt* هو تعبير عن رحم المرأة وتأكيداً للعلاقة بين الإلهة مسخت Meschent كإلهة الولادة والرحم الذي يخرج منه الطفل المولود . ويؤكد ذلك تطابق شكل هذه العلامة ووصف جالينوس (٨٦) للرحم بقوله " إنه له قرنين الأيمن لتكوين الذكور والأيسر لتكوين الإناث " .

وبالإضافة الي ماصور من أدوات طبية علي جدران معبد كوم امبو ، فقد امدتنا الحفائر التي أجريت في اماكن مختلفة بنتاج وفيير من هذه الأدوات الطبية . وغالباً هي اماكن ارتبطت بالطب إما عن طريق الالهة المكرسة لعبادتها أو المدارس الطبية التي وجدت بها هذه الأدوات غير المنشورة معروضة في متحف كلية الآثار جامعة القاهرة ، المتحف المصري ومتحف اسوان .

المجموعة الاولى المعروضة في متحف كلية الآثار (٨٧) جامعة القاهرة (شكل ٥) من نتاج حفائر تونه الجبل وتتكون من اثنتى عشرة قطعة تتراوح أطوالها ما بين ٨ سم ، ١٢ سم سجلت تحت ارقام ٩٧٦ - ٩٨٧ . والغريب ان هذه الأدوات سجلت علي انها أدوات للزينة بالرغم من الطبيعة الحادة جداً لهذه الأدوات والتي تتعارض مع كونها أدوات للزينة فكيف يتأتى لإمرأة ان تستخدم اداة حادة كمروء لوضع الكحل في العين ؟ هذه الأدوات تؤرخ بالعصر الروماني وهي كما ذكرنا عبارة عن مجموعة من الأدوات الدقيقة ربما كانت تستخدم في التشريح الأدمي او العمليات الجراحية الدقيقة وهي قريبة

الشبه للغاية بأدوات جراحية تستخدم في الطب الحديث .

ومن المعروف ان منطقة تونة الجبل (الاشمونين) هلم هرموبوليس
Hermopolis Magna كانت مركزاً لعبادة الاله تحوت (٨٨) الذي كتب
رسائل طبية ، كان لابد علي كل طبيب ان يستخدمها في علاج مرضاه فلقد
كانت بمثابة وصفات معتمدة من الاله تحوت في علاج المرضى ومن يخالف
ذلك من الاطباء والممارسين لمهنة الطب كان يقع تحت طائلة العقاب . وفي
نقش خاص بالمعبود تحوت سجل علي جدران الهيكل الذي بناه له بظلميرس
التاسع ، سوتر الثاني في مدينة هابو ، فيه دعي " بسيد الاشمونين " الاله
الطب وسيد الشفاء " كما سمي ايضاً " هو الذي يسمع " (٨٩) . وقد ظهر
تحوت في الصيغ السحرية الطبية فعلي قاعدة تمثال (٩٠) يوجد احد عشر
صيغة سحرية ضد الثعابين والعقارب ويظهر تحوت فيها ليبراً السم عن
المرضى . كما ان كلمة علم تحضير الانوية Pharmacy واصلها المصري
Ph - arma - ka بمعنى " الذي يمنح الصفاء " وجدت منقوشة علي تمثال
للاله تحوت (٩١) .

أ يكون هناك شك اذن ان تكون تلك الانوات المستخرجة من مركز خالق
الطب المعبود تحوت ادوات طبية وليست ادوات للزينة خاصة وانها كما سبق
واوضحت شبيهة الي حد كبير بانوات تستخدم في الطب الحديث
فالقطعة رقم ١ ، ٨ عبارة عن اداة لتوسيع ضيق مجري البول (٩٢) ،
٢ ، ٣ مفك لتثبيت المسامير في العظام (٩٣) ، ٤ - رافعة عظام (٩٤) ،
٢ ، ٥ ، ٦ موسع للقناة المرارية (٩٥) ، ٧ - مجس شرجي لجراحة
الناسور (٩٦) . ٩ - ملعقة مكحيتة (٩٧) ، ١١ ، ١٢ فاصل للجفاف
وهي اداة مقوسة لتناسب التحديق (٩٨) .

ومن منف تأتي مجموعة أخرى من الأدوات الطبية من العصرين اليوناني والروماني . ولقد اشتهرت منف في هذه الفترة بوجود مدرسة طبية ذاع صيتها ليس فقط في داخل مصر وإنما خارج مصر أيضاً فقد كانت روما تستعين بأطبائها الذين اشتهروا بالمهارة الفائقة والمقدرة علي شفاء اخطر الأمراض كما رأينا في حالة بليزني الأصغر السالفة الذكر . كما ان مدرسة منف الطبية كانت مزودة بمكتبة تحتوي علي العديد من الكتب الطبية النادرة وايضاً السحرية كمصادر يستعين بها الطلاب والأطباء الممارسين لمهنة الطب والسحر وقد استمرت تعمل حتي عصر جوليان (٩٩) والرأي السائد هو ان بريدية برلين (١٠٠) الطبية تنتمي الي مكتبة منف الطبية .

ويتضح أهمية منف كمركز طبي كبير من خلال تصريحات كل من ثيوفراستوس Theophrastus وجالينوس Galen وديوسكوريديس Dioscorides طبيب كليوباترا الخاص وهيراس Heras الذين ذكروا في كتاباتهم عن انعقاير الطبية وصفات صرحوا بانهم تعلموها في معبد بتاح وايمحتب في منف ، بالإضافة الي ان ثالوث منف (١٠١) في العصرين اليوناني والروماني بتاح وسخمت وايمحتب كانوا جميعا الهة للطب . كما كانت منف مركزا اساسيا لتعلم العلوم الطبية في العصرين اليوناني والروماني وبصفة خاصة في كل من الاسكاليبيون Asklepieion والانوبيوم Anoubieion (١٠٢) .

ويحتوي المتحف المصري بالقاهرة علي مجموعة كبيرة من الأدوات الطبية المستخرجة من حفائر الفيوم وبصفة خاصة منطقة سرايوم منف ، البعض منها معروض في القاعة رقم ٢٤ والبعض الآخر مكس في مخازن المتحف المصري . وقد اخترت من بين هذه المجموعة تسعا وسبعين قطعة ضممتها في ثلاث عشرة لوحة وكلها غير منشورة .

اللوحات ارقام (١ ، ٧ ، ٨) تحتوي علي مجموعة من الشفرات متعددة الاشكال والاحجام ، البعض منها له اكثر من حافة حادة ذات احجام مختلفة . ولازال يحتفظ البعض بالخيط الذي كان يلف علي المقبض حتى يسهل مسك الاداة (١٠٣) .

اللوحة (رقم ٩) بها ملقطان واضح انهما من الطراز المسنن الحواف والذي لازال مستخدما في الطب الحديث (١٠٤) ، ويستخدم في ملاصقة الانسجة اثناء التشريح .

اللوحة (رقم ١٠) عبارة عن مجموعة اخرى من الملاقيط مختلفة الاشكال والاحجام والتي يبدو البعض منها حاد الطرف ، وهذا النوع يوجد ايضا في الطب الحديث (١٠٥) لمسك الانسجة الرفيعة كالارعية الدموية .

اللوحة (رقم ١١) عبارة عن مجموعة من المقصات الطبية من ذلك النوع المستخدم للإستئصال الجزئى للأمعاء والذي لازال يستخدم في الطب الحديث (١٠٦) .

اللوحة (رقم ١٢) اثنان من المقصات الطبية احدهما صمم المقبض علي شكل العلامة الهيروغليفية T3 - mhw رمز الدلتا او بمعنى مصر السفلي والتي تستخدم كتميمة في نفس الوقت .

اللوحة (رقم ١٣) مجموعة من الأبر المستقيمة كل مجموعة منها محفوظة داخل جراب لحفظها ولازال البعض منها يحتفظ بالخيط ومثل هذه الابر لازالت تستخدم في الطب الحديث (١٠٧) .

اللوحتان (اشكال ١٤ ، ١٥) مجموعة من الابر الطبية ذات احجام ومقاسات مختلفة من النوع المقوس وهي مطابقة تماماً لما يستخدم حالياً في

الطب الحديث (١٠٨) ويوجد منها اربعة إبرة مقوسة Curved needle دائرتها
 $\frac{3}{8}$ أو $\frac{1}{4}$ أو $\frac{5}{8}$ ، ابرة قطعية Cutting needle مقطعها مثلث او مستقيم
وتستخدم في خياطة الجلد ، ابرة دائرية Round needle مقطعها دائري
تستخدم في خياطة الغشاء البريتوني Peritoneum ، اللغافة Fascia (انسجة
تحت الجلد) او العضلات واخيراً النوع الرفيع منها ويستخدم في خياطة
الامعاء الدقيقة وتسمى الابرة الامعائية Intestinal needle وهذه الانواع كلها
لها فتحة (ثقب) اما النوع الاخير بدون فتحة .

اللوحة (رقم ١٦) تمثل مجموعة من الابر من النوع المسمى حديثاً ابر
البذل او الوخذ Puncture needle .

اللوحة (رقم ١٧) تمثل مجموعة من الابر مختلفة الاشكال ، سكين
سحرية تستخدم كتميمة كما سبق وان ذكرنا ، ملقط صغير حاد الحواف .

اللوحة (رقم ١٨) تمثل مجموعة من المعالق الطبية ، ابر الوخذ ، اداة
تسمى في الطب الحديث (١٠٩) Kelly's retractor او Deaver's retractor وهي
اداة تستخدم حالياً لتراجع حافتي القطع في حالة استئصال الطوحال او
المراة او خلال عمليات الحوض .

وقد نضيف الي مجموعة الفيوم هذه مقصان من حفاثر منف (شكل
١٩) التي قام بها عام ١٩٤١ كل من احمد بدوي Ahmed badawi ومصطفى
الامير Mustafa El Amir (١١٠) . المقصان ذا حواف حادة جداً من الطراز
الذي لازال مستخدماً في الطب الحديث (١١١) لازالة غرز الخياطة .

ومن الفيوم ايضا يعرض لنا بومان Bowman (١١٢) مجموعة من
الابوات الطبية من بينها شفرات مختلفة الاشكال والاحجام ، مذمار ، سكين

سحرية ، معالق طبية وملاقيط (شكل ٢٠) .

وبالرغم من ان متحف اسوان يحتوي علي عدد قليل من هذه الادوات الطبية بالقياس الي المئات المكسدة في المتحف المصري الا اننا لا ننسي الاعمية التي احرزتها هذه المنطقة طبياً في العصرين اليوناني والروماني وبصفة خاصة مع وجود معبد ايمحتب اله الشفاء اسكليبيوس المصري في جزيرة فيلة . هذه الانوات (١١٢) عبارة عن مقص وثلاث من الشفرات الطبية .

وهكذا فقد كان طبيعياً ان يؤدي تقدم علم التشريح على الأدميين ، تلك المعجزة السكندرية ، الى تقدم الجراحة الامر الذي تطلب اختراع ادوات جديدة استخدمت بمهارة فائقة في مجال التشريح والجراحة وكانت سبباً في مجد طب الاسكندرية في العصرين اليوناني والروماني . وهكذا رأينا ايضاً ان الغالبية العظمي من هذه الانوات الطبية صممت بطريقة دقيقة بشكل يجعلنا نقول انها كانت نواة الانوات الطبية المستخدمة في الطب الحديث .

مراجع البحث

- 1- Aluguste Couat, Alexandrian Poetry under the first three Ptolemies (324 - 222 B. C.), London, p. 17.
- ٢ - هاري . ج . ايمحتب اله الطب والهندسة ترجمة محمد العزب موسى
مراجعة محمود ماهر طه مطبوعات هيئة الآثار ، جامعة القاهرة ،
١٩٨٨ ص ٨٩ .
- ٣ - بول غليونجي ، قطوف من تاريخ الطب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ص
٩٩ - ١٠٠ ، ١٠٤ . kamal H. A., A Dictionary of Pharaonic
Medecine, Cairo, 1967, p. 201.
- 4- Couat, op. cit., p. 17; Fraser P. M., Ptolemaic Alexandria, (Oxford
1972), I, pp. 338, 357, 369, 371- 3.
- 5- Smith E. and Dawson W., Egyptian mummies, (London 1924), p.
154; Westendorf W., Anatomie, LÄ, I, 1975, p. 258.
- 6- - Peck H. W., Mummies of Ancient Egypt, Mummies disease and
Ancient Cultures, New York, 1980, p.12.
- 7- Von Staden H., Herophilus, The Art of Medicine in early
Alexandria, (Cambridge University Press).
- ٨ - ان التاريخيتين Tarichevies (المحتطين) الذين تنقل اليهم الجثث بعد
الوفاة ، كان يطلق عليهم في النصوص المصرية المتأخرة كلمة Swnw
اي طبيب مما يشير الي ان الأطباء كانوا يقومون بعملية التحنيط

والتشريح وهي صفة لم تتوافر مع الطبيب المصري في العصر
الفرعوني إذ أنه كان بعيداً عن عملية التحنيط كما يخبرنا بذلك كل من
هيروdot وديودورس الصقلي وبذلك تكون الجثث متوفرة تحت أيديهم .

Diodor, I, 91, 2; Herodot, II, 86; Lefebvre G., Essai Sur La medecine
Egyptienne de LEpoque Pharonique, (Paris 1956), p. 27 note 2; Smith
G. E., Egyptian Mummies, JEA, I, 1914, p. 190

9- Fraser op. cit, p. 348.

10- Moraux P., Galien de Pergame, les belles lettres, (Paris 1985);
Walzer R., Galen, On Medical Experience, (Oxford
1944).

11- Celsus, VII, 3.

12- Fraser, op. cit, pp. 339 ff, note 54, 90; El Abbadi M., the life and
fate of the Ancient Library of Alexandria, (Paris 1990),
p. 118.

13- RE, Antyllos, Cols 2644 - 5.

14- RE, Heliodoros, 18, col. 41.

15- Fraser, op. cit, pp. 363 - 4, 806.

16- Breasted J. H., The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 vols,
(Chicago 1930), cases nos. 7, 9, 10, 12, 39.

17- Ebbell B., The Papyrus Ebers, (Copenhagen 1937), p. 69.

١٨ - توجد اشارات فردية لخيطة بعض انواع الجروح اذ نجد الجراح يقول " ضم له الجرح بالخيطة " . علي ان الخيطة والتي تستلزم استخدام الابرة الطبية لم تكن وسيلة محببة للجراح في العصر الفرعوني اذ كانت الطريقة المتعارف عليها في علاج الجروح هي ضم حافتي الجرح ووضع قطعة من اللحم الطازج عليها لوقف النزيف وفي اليوم التالي للجرح يوضع خليط من العسل والزيت ويضمد الجرح . ويبدو ان الخيطة استخدمت في الأماكن التي يتعذر فيها اتباع الطريقة السالفة كحمية الأذن .

19- Petrie F., Tools and Weapons, (LondOn 1917), pp. 58.

٢٠ - يوجد نص من العصر الفارسي يؤكد تزويد بيوت الحياة الملحقه بالمعابد بأدوات طبية . هذا النص سطر علي تمثال لأحد الشخصيات الهامة التي عاصرت الغزو الفارسي لمصر في عهد دارا الاول عام ٥١٩ ق . م . وقد اقيم هذا التمثال في معبد الالهة نيت بسايس وموجود حاليا بمتحف الفاتيكان تحت رقم ١٥٨ . هذا التمثال يصور وجاحررسنت الذي كان يشغل قيادة الاسطول الملكي المصري في عهد احمس الثانى ثم بسمتيك الثالث . وبعد انتهاء الدولة الصاروية انحاز وجاحررسنت الي جانب الفرس وذهب مع الملك دارا الي عيلام ولكنه امره بالعودة الى مصر لاعادة اقامة دار الحياة في سايس . النص موجود على الدعامة الخلفية في ثلاثة اعمدة ونص الفقرة كالآتي " وقد أمددتهم بكل ما هو مفيد لهم وبكل أدواتهم المنصوص عليها كتابة كما كانت من قبل " ويفهم من هذا النص ان الطلبة الدارسين للطب في بيوت الحياة كان لابد لهم من معرفة الادوات الطبية والغالب علي الظن

تلك المسجلة في البرديات الطبية الفرعونية والتي لم يزد عليها في
العصر الفارسي كما يفهم أيضا من النص .

21- Hurry J. B., Imhotep the Vizier and Physician of King Zoser and
afterwards The Egyptian God of Medicine, (Oxford,
1926), p. 77.

22- Amm Marcellinus, 260 ff.

٢٢ - محمد حمدي ابراهيم : الأدب السكندري - القاهرة ١٩٨٥ ، ص ٩٣
، Galen, XVIII, 338 - 9, 747,

24- Seton - Williams M. V., Ptolemaic Temples, (London 1978), p. 47;
Sauneron S., Stierlin H., Edfou et Philae, (1975), pp.
83, 86f.

٢٥ - جيمس بيكي ، الآثار المصرية في وادي النيل ، ترجمة لبیب حبشي ،
شفیق فريد مراجعة محمد جمال الدين مختار ، القاهرة ١٩٨٧ ،
ص ٦٩ هامش ١ ، بول غليونجي ، زينب الدواخلي :
الحضارة الطبية في مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٢٨ .
Strouhal E., life of The Ancient Egyptians, (Cairo 1992), p. 250.

26- Milne T. G., A History of Egypt under Roman Rule, (London
1924), p. 36.

27- Pliny, Letters, x, 5 - 7 , 10.

28 Sethe K.. Imhotep Der Asklepios Der Aegyptier Ein Vergötterter

Mensch Aus Der Zeit Des Königs Doser, (Leipzig 1902), pp. 96 ff.

- 29- Sigerist H., A History of Medicine, I, (Oxford 1951), p. 288;
Jonckheere F., Les medecine de L'Egypt Pharaonique,
(Bruxelles 1958), p. 141; Strouhal E., op. cit, p. 288.

علي تابوت من سقارة يوجد نص يؤكد العلاقة بين حورس والطب ترجمته :
اي شو أفسح لي الطريق ، فانا طبيب أوزيريس ، أتيت لمداواته كي لا يتورم
جسده Clark R. T. R., Myth and Symbol in Ancient Egypt., (London 1978), p. 162.

- 30- Lefebvre., Essai Sur la Medecine, p. 36f.

- 31- Allbutt A., Greek Medicine in Rome, (London 1929), p. 285; RE.
s. v Antyllus, Cols 2644 - 5.

- 32- Galen, XVI, 147 - 8.

بول غليونجي ، المرجع سالف الذكر صص ٤٤ ، ٤٦ .

- 33- Gardiner S. A., Egyptian Grammer, (Oxford 1979), p. 270; Lefebvre G., Rouge et Nuances Voisines, JEA. 35, (1949), p. 73; Sethe K., Urgeschichte und älteste Religion der Agypter, (Leipzig 1930), p. 160.

- 34- Sethe K., op. cit, p. 6 F.; Gardiner., op. cit, p. 560.

- 35- Breasted., op. cit, cases nos. 863, 864, 872, 876.

- 36- Abou - Zeid S., *Instrument of Surgery*, (Cairo), p. 1 (1), 55 (2).
- 37- Fraser., *op. cit*, I, p. 363, II, p. 538 note 233.
- ٢٨ - ميلاد بشاي ، معجم المصطلحات الطبية والعلمية الحديث ، القاهرة
Abou - Zeid S., *op. cit*, p. 12 (14), 15 F . ص ٦٤٢ ، ١٩٧٤
- 39- Breasted., *op. cit*, pp. 54, 148.
- 40- Ebbell., *op. cit*, p. 109.
- 41- Fraser., *op. cit*, p. 250F.
- 42- Breasted., *op. cit*, p. 366.
- 43- Abou - Zeid., *op. cit*, p. 55 (3).
- 44- Bowman A. K., *Egypt after the Pharaohs*, (Oxford 1990), p.
116, fig. 69. -٢
- 45- Strouhal., *op. cit*, p. 250.
- 46- Lefebvre., *Essai sur la medecine*, p. 44.
- 47- Diodorus, I, 82, 1.
- 48- Fraser., *op. cit*, p. 345, note 41; Michler M., *Die Alexandrinischen
Chirurgen*, (Wiesbaden 1968), pp. 9f.
- 49- Abou - Zeid, *op. cit*, p. 11 (16).
- 50) Ghaliounghi P., *Magic and Medical Science in Ancient Egypt*,
(London 1963), pp. 118 ff.

51- Abou - Zeid. op. cit. p. 23 (8e).

52- Fraser. op. cit. I, p. 353 II p. 520, note 121.

53- Breasted. op. cit. pp. 246-54, cases nos. 9, 12.

54- Abou - Zeid. op. cit. p. 10 (12).

٥٥ - ابولف ارمان ، ديانة مصر القديمة ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم ابوبكر ، محمد انور شكرى ، القاهرة ١٩٥٢ ، ص ٢٢٨ .

٥٦ - هذا الشكل هو العلامة الهيرغليفية Sntr وتعنى مبخرة لحرق البخور

Gardiner., op. cit. p. 501

٥٧ - بولي غليونجى ، قطوف ، ص ٥٦ .

58- Lucas A.. "Poisons in Ancient Egypt". JEA. 24. 1938. p. 199.

59- Bowman., op. cit. p. 116, fig. 69.

٦٠ - المتحف المصري حجرة ٢١ رقم J. 93941 .

61- Abou - Zeid., op. cit. p. 4 (a - b).

62- Ebbell., op. cit. p. 73.

63- Grandsetoft B . Le Dieu DW3W patron des Oculistes. ASAE 41.
(1942), p. 213

64- Reisner G.. The Hearst Medical Papyrus. (Leipzig 1965). p. 6.

65- Ibid.

66- Gardiner., op. cit. p. 569.

67- Danadoni S., Curto S., Roveri A. M., L'Egypte du Mythe
Al'Egyptologie, (Torino 1990), p. 36.

68- Breasted., op. cit. p. 504.

٦٩ - إيزمانكة ، البداوي بالاعشاب في مصر القديمة ، ترجمة
احمد زهير أمين مراجعة محمود ماهر طه ، القاهرة ١٩٩٣ ص

Chalieuugui p., The Fibers Papyrus. (Cairo 1987), p. 132: ٢٧٨

70- Clark.op. cit. p. 186.

71- Strouhal., op. cit. p. 251.

72- Abou - Zeid., op. cit. p. 59 (16).

73- Breasted., op. cit. p. 55.

74- Staehelin E., Binding und Enbindung erwayungen Zu Papyrus
Westcar 10, 2, ZÄS, 96, (1970). p. 129.

75- Abou - Zeid., op. cit. p. 32.

٧٦ - بول غليونجي ، الطب عند الاغريق ص ٢٢ .

٧٧ - المرجع سالف الذكر .

78- Gardiner., op. cit. p. 500.

7٩- Armour R., Gods and Myth of Ancient Egypt, (Cairo 1987),
p. 48.

80- Ions V., Egyptian Mythology, (London 1975), p. 113.

81- Gardiner., op. cit, p. 570; Westendorf W., Geburt, LA, II, (1977), p.459.

82- Lurker M., Götter und Symbol der alten Ägypten, (Wien, 1967), p. 80.

83- Maspero G., the dawn of Civilization, (London 1901), p. 82.

84- Ions., op. cit, p. 113.

85- Gardiner., op. cit, p. 466; Budge W., from Fetish to God in Ancient Egypt, (New York 1988), p. 60.

٨٦ - بول غليونجي ، الطب عند الاغريق ، ص ٤٨ .

٨٧ - متحف كلية الآثار جامعة القاهرة أرقام ٩٧٦ الي ٩٨٧ .

٨٨ - كان مركز عبادة تحوت مدينة الاشمونين قرب مدينة ملوى حالياً ، عبده المصريون علي هيئة الطائر أبيس وأحياناً علي هيئة القرد ورأى فيه الاغريق معبوداً مماثلاً لعبودهم هرميس .

89- Lindsay J., The origins of Alchemy in Graeco - Roman Egypt, (London 1970), p. 163.

90- Klasens A., Magical Statue Base in Mus. of Ant., (Leiden 1952).

91- Lindsay., op. cit, p. 166.

92- Abou - Zeid., op. cit, p. 33 (3).

93- Ibid, p. 62 (24).

94- Ibid, p. 59 (15).

95- Ibid, p. 23 (8c).

96- Ibid, p. 26 (c).

97- Ibid, p. 62 (26).

98- Ibid, p. 51 (5).

٩٩ - ج . هارنى ، المرجع سالف الذكر ، صفحات ٨٩ ، ٩٠ .

100- Ebbell., op. cit, p. 24; Wreszinski w., The text and Translation of
pap. Berlin, (Leipzig 1909).

101- Bergman J., Ich bin Isis. Studien Zum memphitischen Hinter-
grund der Griechischen Isisaretalogien. Acta universita-
tis upsaliensis, Historia religionum 3., (Upsala 1968),
p. 43.

102- Armour., op. cit, p. 132f.; Griffith F. L., Stories of the high
priests of Memphis, (1900), pp. 24, 143; Thompson D.
J., Memphis under the Ptolemies, (Princeton 1988), pp.
208 - 10, 264f., 273 - 6; Kiessling E., Die Götter Von
Memphis in Griechisch - römischer zeit, APF 15,
(1953), 7 - 45.

١٠٢ - المتحف المصري حجرة ٢٤ قطعة رقم J. 28745 .

104- Abou - Zeied.. op. cit, p. 1 (2).

105- Ibid, p. 3 (3).

106- Ibid, p. 22 (c).

١٠٧ - ميلاد بشاي ، المرجع سالف الذكر ، ص ٦٤٢ .

١٠٨ - الابير المستخدمة في الطب الحديث ستة عشر نوعاً الغالبية العظمى منها مأخوذة عن طرز قديمة . Abou - Zeid., op. cit, p. 16; ، ميلاد بشاي ، المرجع سالف الذكر ، ص ٦٤٢ .

109- Abou - Zeid., op. cit, p. 8 (p).

١١٠ - أمدني بهذه الصورة والمطلومة نجل المرحوم الاستاذ الدكتور مصطفى الأمير .

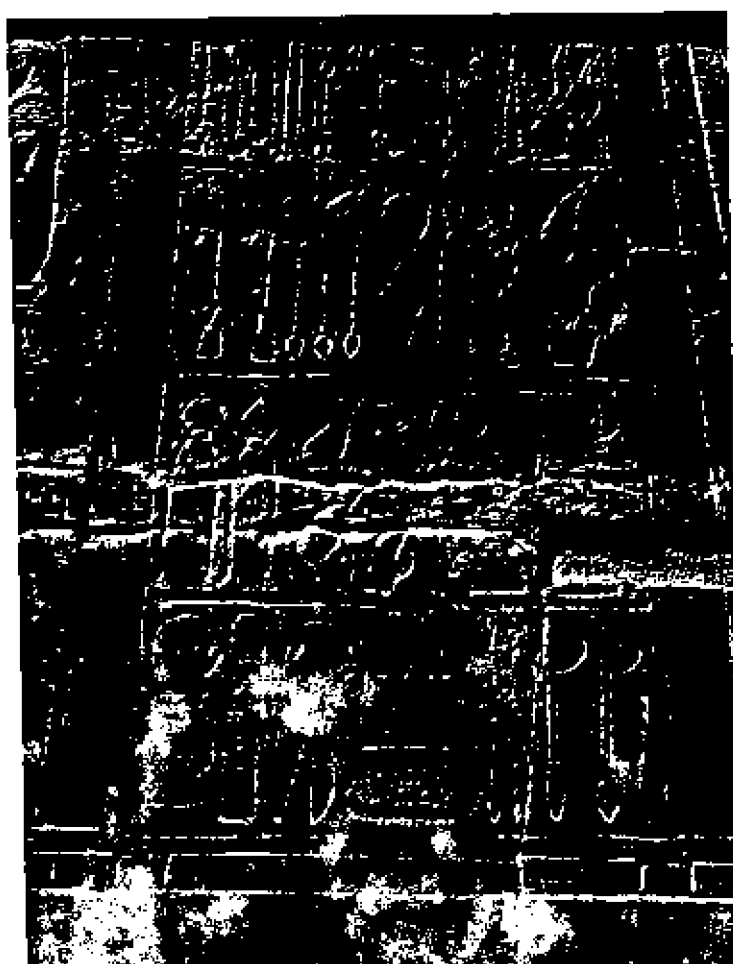
111- Ibid, p. 6 (b).

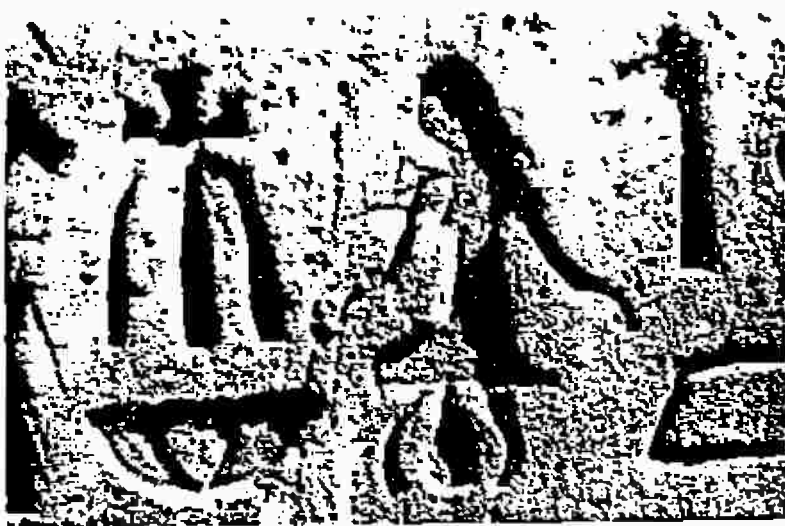
112- Bowman., op. cit, p. 116, fig 69.

١١٣ - متحف اسوان ارقام ٧٧٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧٦ ، ٦٦٤ .

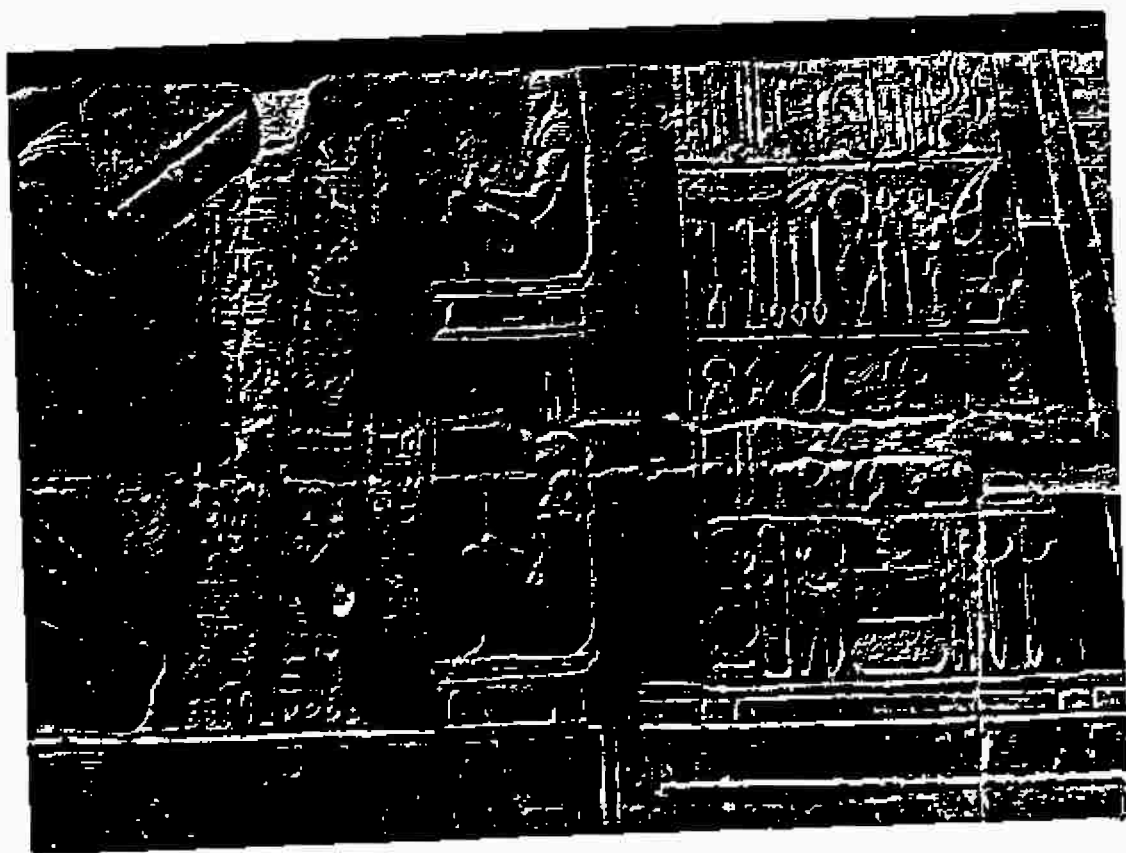


شکل (۱)





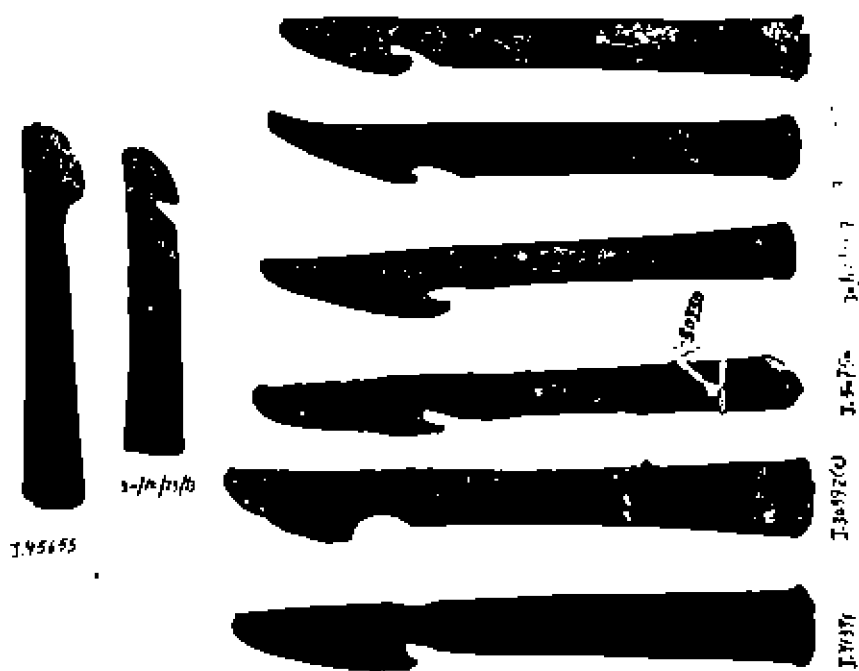
شکل (۲)



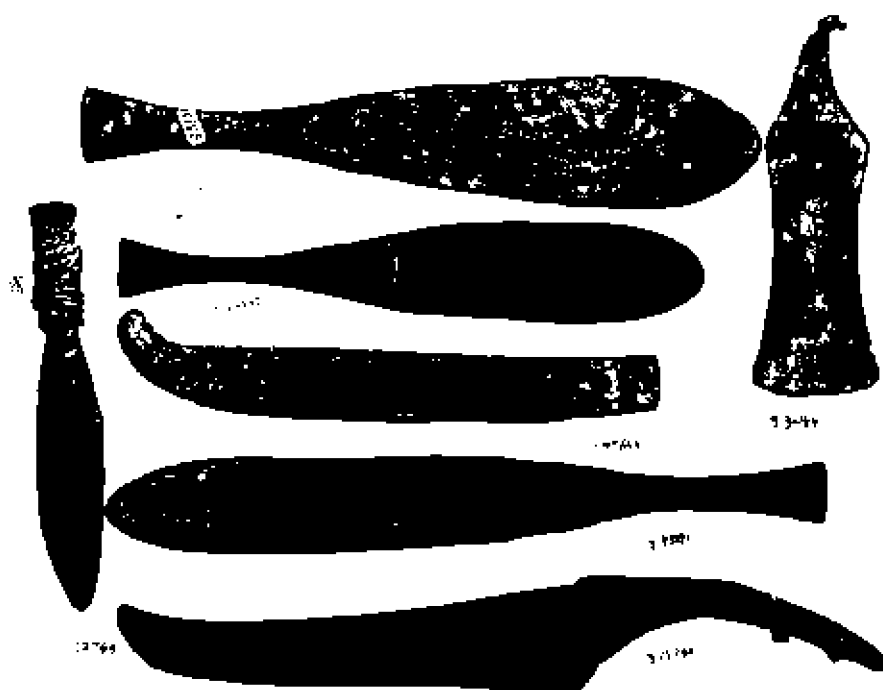
شکل (۳)



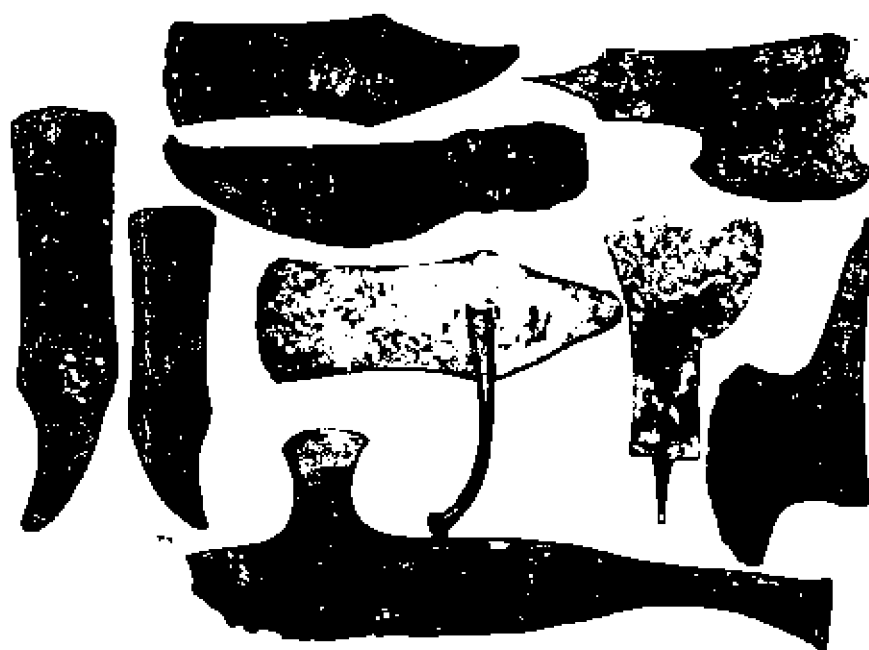
شكل (٥)



شكل (٦)



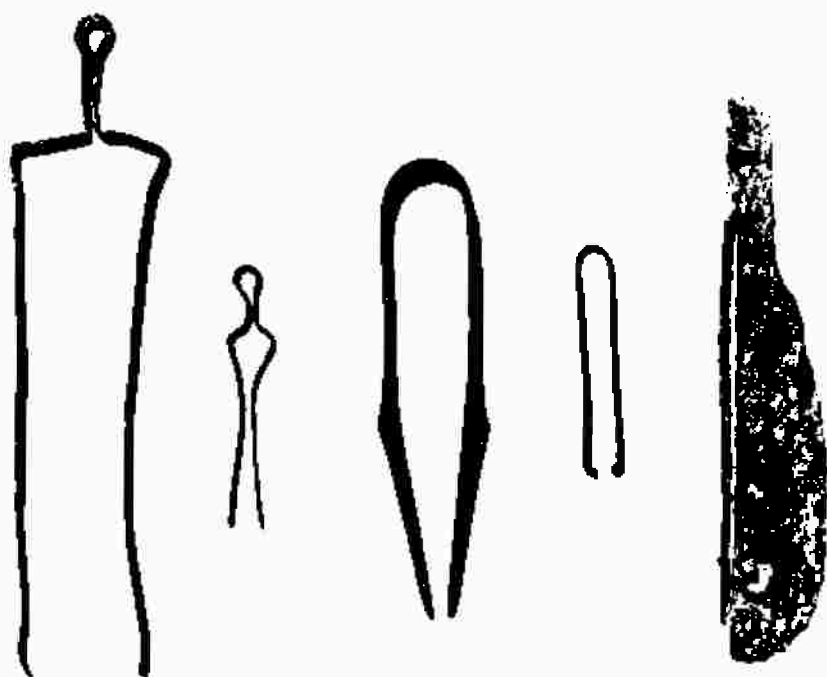
شكل (٧)



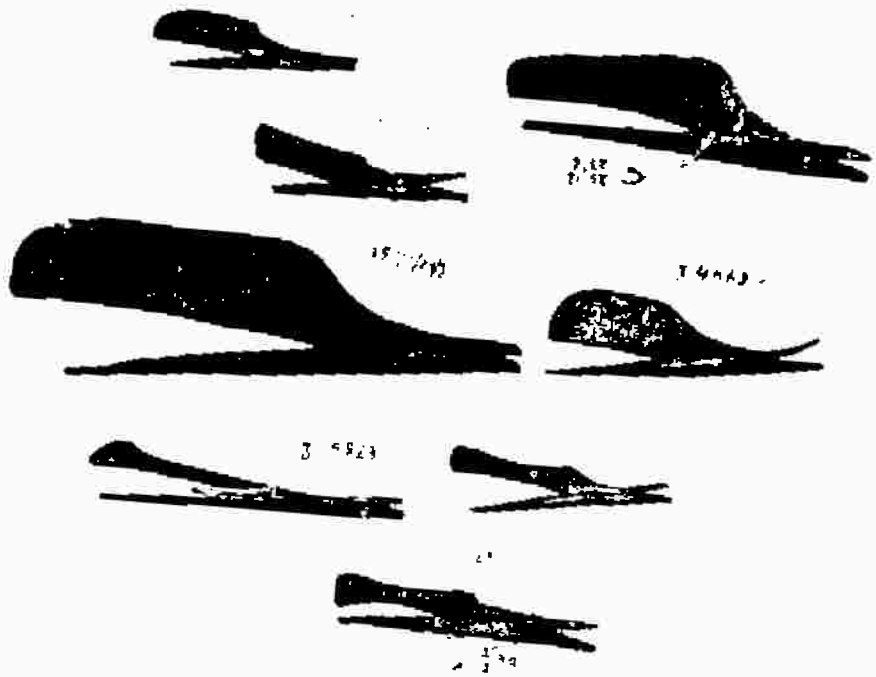
شكل (٨)



شكل (٩)



شكل (١٠)

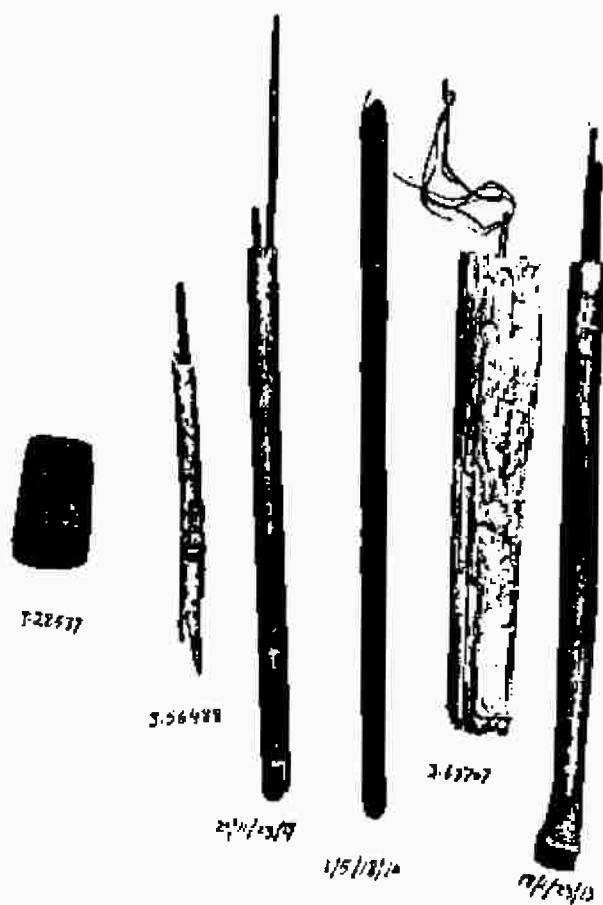


شكل (١١)

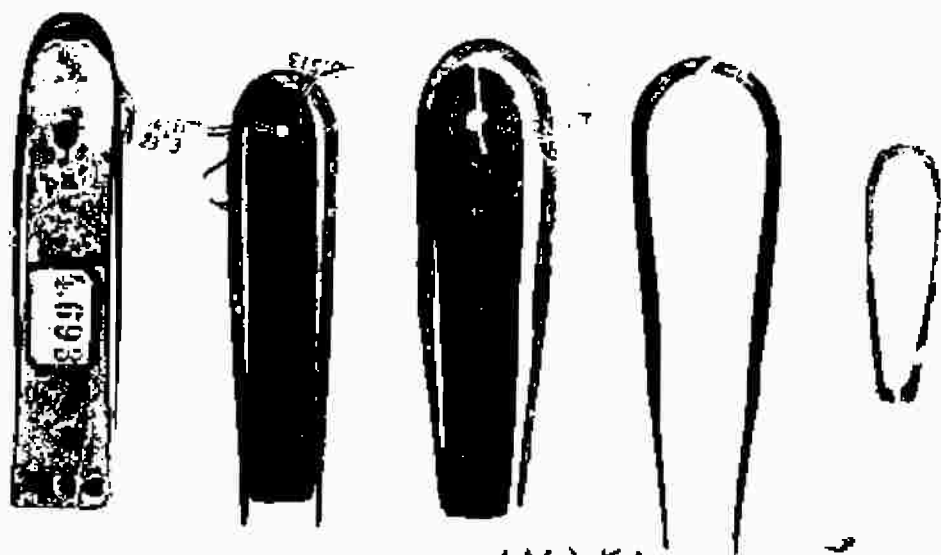


شكل (١٢)

شكل (١٣)



١٨/١٢/٥٧



J 50754



J 33387

13/11/23/13

14/4/23/12



J 33386

14/11/23/11

15/11/23/15



C 14539

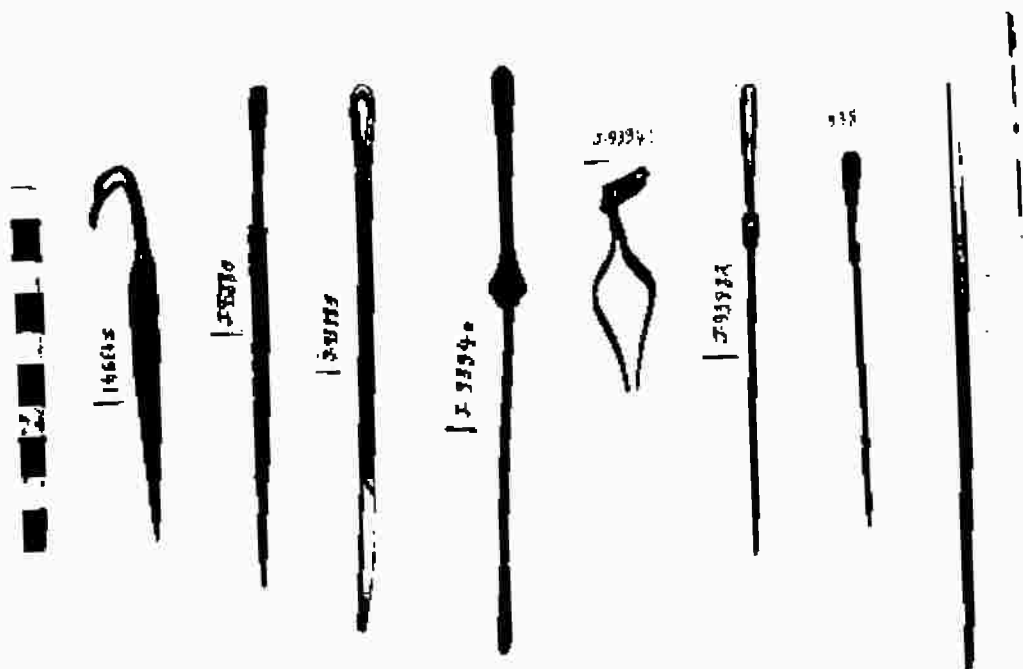
شكل (١٥)



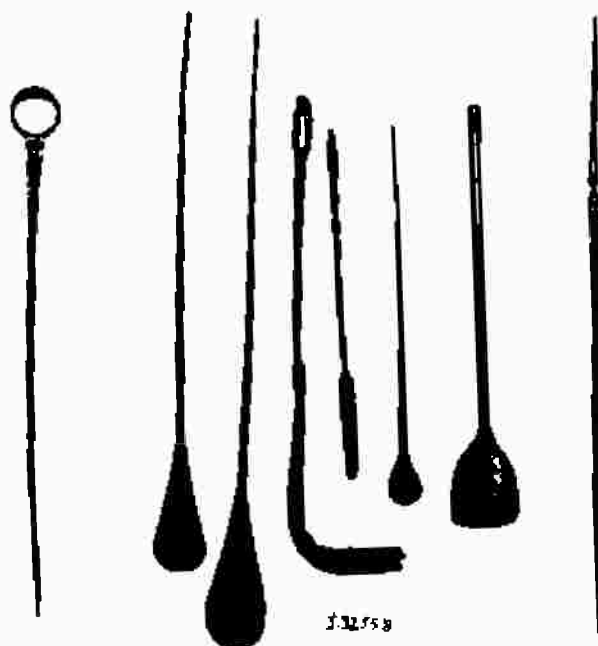
20/11/23/11

24/11/20

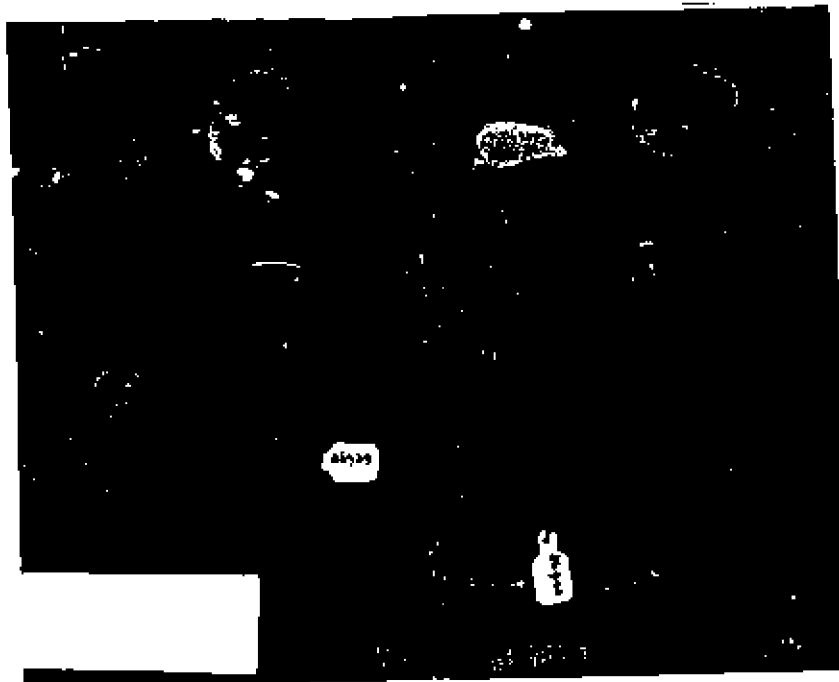
3. 28702



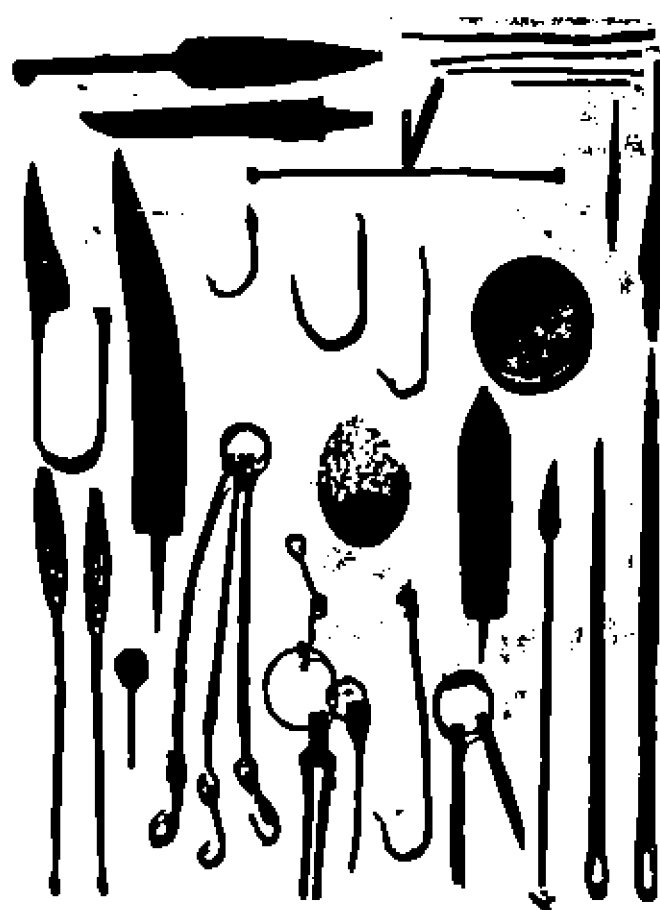
شكل (١٧)



شكل (١٨)



شكل (١٩)



التطهير أم المتعة

اعداد

د. ليلى محمد عبد المنعم

التطهير أم المتعة

ط . ليلغة هلمط محبت المنعم

لقد بات مألوفاً أن يذكر الدارسون ، في مستهل حديثهم عن وظيفة
المأساة الاغريقية ، عبارة ارسطو الشهيرة :

"δὲ ἐλέου καὶ φόβου περαίνουσα τὴν τῶν

τοιοῦτων παθημάτων κάθαρσιν^(١)

ولقد نالت تلك العبارة القائلة : " عن طريق الشفقة والخوف تحقق
(المأساة) التطهير من (أحداث) تتصف بمثل هذه الانفعالات " (٢) ،
اهتماماً فائقاً بين الدارسين يعكسه اتفاقهم علي أن وظيفة المأساة هي
التطهير *περαίνουσα τὴν κάθαρσιν* (٣) ، واختلافهم حول تحديد
متلقى التطهير ، أهو المشاهد أم البطل المأساوي ؟ .

فلم يتوسع ارسطو في الحديث عن هذه النقطة مما أدى إلى انقسام
في رأى الدارسين . أحد الآراء يقول إن التطهير ينصب علي المشاهدين لأنه
يهدف إلى الارتقاء بمشاعر الفرد ، إذ أن الأحداث المأساوية عندما تقع أمام
المشاهد تثير في نفسه شعورى الخوف والشفقة فلا يرى فيها ذاته فحسب ،
بل يرى فيها أيضاً الإنسانية جمعاء ، وهو إذاً يشفق علي مصير صنوه في
الإنسانية ، وإن هذا الإشفاق ليس شعوراً فردياً بل شعوراً إنسانياً
عاماً^(٤) . ومن هذه الناحية يقول أحد الدارسين أن جوقة المأساة الاغريقية
بوصفها تمثل القاعدة العريضة من المشاهدين ، أو الرأى العام وبوصفها
قريبة من الأحداث الجارية على منصة التمثيل ، فإن ردود أفعالها المتمثلة في
احساسها بالشفقة والخوف ستكون موازية لردود أفعال المشاهدين

واحساسهم بالتطهير (٥) .

أما الرأي المفاير لـتزعمة "إيلس" إذ يقول إن هذا التطهير لا ينصب على المشاهد (أو القارئ) بل هو ينصب على الشخصية المساوية ، لأن عرض سلسلة من الأحداث المساوية أمام المشاهد تثير في نفسه الخوف والشفقة نحو الشخصية المساوية وما تعرضت له ، عندئذ يشعر أن هذه الشخصية قد غدت طاهرة *καθαρό* من أفعالها الأثمة (٦) .

ويحسن قبل الإسهام برأينا - المتواضع - في هذا الخلاف ، حول تحديد متلقي التطهير ، أن نتمعن النظر في فقرة أخرى من "فن الشعر" نتحدث عن شعوري الخوف والشفقة أيضاً ، اللذين ينتابان المشاهد ويؤديان ، لا إلي التطهير كما في الفقرة السابقة وإنما ، إلي المتعة ؛ يقول أرسطو :

" Ἐπεὶ δὲ τὴν ἀπὸ τοῦ θεοῦ καὶ φόβου διὰ μιμήσεως
δοῖ ἡδονὴν παρασκευάζειν τὸν ποιητὴν, φανερόν
ὅτι τοῦτο ἐν τοῖς πράγμασι χρησιμεύει. ποῖα οὖν
δεῖν ἢ ποῖα δεῖσθαι φαίνεται τῶν συμπεπαισμένων.
ωμεν." (٧)

ونظراً لأنه من واجب المؤلف أن يحقق المتعة الناجمة من الشفقة والخوف عن طريق المحاكاة ، لذا يتضح أن ذلك متضمن في بنيان الأفعال . وعلي ذلك دعونا نقرر ما الذي يبدو مثيراً للشفقة أو الخوف بالنسبة للمشاهدين .

وليس خافياً أن هذه الفقرة تثير عدة مشاكل ، إذا ما قورنت بسابقتها ، فهي تبين أن واجب الكاتب تحقيق المتعة - لا التطهير - وأن الشفقة والخوف

يثيران المتعة - لا التطهير - وأن المشاهد يشعر بتلك المتعة . ولعل من الأصوب أن نتناول بالمناقشة ما يتفق حوله الفقرتان قبل أن نتناول ما يختلفان فيه . تتفق الفقرتان في ضرورة توفر شعوري الشفقة والخوف سواء أديا إلى تطهير أم متعة .

نلاحظ أن أرسطو قد حدد مبعث هذين الشعورين : الخوف (٨) والشفقة في عبارة صريحة تقول " الشفقة لمن لا يستحق (التعاسة) أما الخوف فمن أجل المماثل (لنا) " :

(٩) " ἡ λείος μὲν περὶ τὸν ἀναξίον, φόβος δὲ περὶ τὸν ὁμοίον "

أما الشخصية التي يثير مصيرها الخوف والشفقة فلها طبيعتها المحددة ، فهي في رأى أرسطو يجب ألا تكون خيرة تماماً أو شريرة صرفة بل في منزلة بين هاتين المنزلتين ، وأن تحل بها المصائب وتتردى في هوة الشقاء لالؤم فيها أو خسة بل لسوء تقدير أو عثرة رأى كبيرة أو خطأ (١٠) ، غير متعمد قد وقعت فيه . ومعنى ذلك أن إثارة الشفقة في نتيجة لما حل بالشخصية الرئيسية من آلام وشقاء لاتستحقها . ἄναξιος ، أما الخوف فلأن هذه الشخصية شبيهة بنا . ὁμοίος ، أى أنها تماثل الإنسان تماماً فى جميع النواحي والوجوه سلوكاً وفعلاً ، ولهذا فإننا نشعر بالخوف عندما نتصور أنفسنا فى نفس موقفه .

ولدينا من بين شخصيات المأساة الإغريقية -- مثالان يلقيان الضوء علي هذه النقطة بالتحديد ، وهما أويدييوس - في مأساة أويدييوس ملكاً - وكليتمنسترا في مأساة أجاممنون . فنحن نشعر بالخوف والشفقة إزاء مصير أويديب الأليم لأنه ناجم عن خطأ غير مقصود ، ولأننا نشعر بأننا

قريبين منه ، وأتينا عرضة لتجربته ، بينما لا تثار فينا تلك المشاعر تجاه مصير كليتمنسترا القاسى لأن خطأها متعمد ، أى أن جزأها من أصل عملها ، فضلاً عن إتنا نشعر بأننا لا نشترك معها في صفاتها ، بل نشعر بأننا بعيدون عنها .

ويعد أن بينا مبعث شعوري الخوف والشفقة - في رأى أرسطو -
ننتقل إلى تناول إحدى المشكلات التي تثيرها فقرة ارسطو السابقة وهى أن
الخوف والشفقة يؤديان إلى الشعور بالمتعة (١١) . ولتوضيح هذه الإشكالية
نقول أن البكاء رغم كونه شيئاً مؤلماً ، فإنه - في بعض الأحيان - مدعاة
للإحساس بالمتعة ، أو الإرتياح ، إذا كان استجابة لآلام جسمانية أو نفسية ،
فاخيلئوس ، علي سبيل المثال ، قد شعر بالمتعة ، أو بالإرتياح ، عندما
انخرط في البكاء بعد مصرع صديقه الحميم باتروكلوس (١٢) . ويقول
افلاطون أن مشاهد المأساة الإغريقية يشعر بالمتعة عندما يدفعه الخوف إلى
البكاء (١٢) .

إنطلاقاً من ذلك المفهوم ، هل يتعارض معنى التطهير مع المتعة ؟ . إن
التطهير يتفق - في تقديرنا - مع المتعة في أنه نوع من الإحساس بالراحة
أو الخلاص مما يعترى النفس من نوازع أئمة ، وليس التطهير من الجريمة .
فالشخصية المأساوية مصيرها محتوم بمعنى أنها فيما تقوم به أو تعانيه من
أحداث في المأساة ليست إلا جزءاً من التراث الذى حدد مصيرها قبل أن
تتناولها المأساة . ومن هنا فإن الشخصية المأساوية لا تظهر ولكنها فيما تقوم
به أو تعانيه تُشعر الغير بالراحة أو الخلاص - بالتطهير أو المتعة - وهذا
الغير ليس إلا جمهور المشاهدين .

ولما كان التطهير أو المتعة يتحققان عن طريق الخوف والشفقة وهما شعوران يُثاران في نفس المشاهد أو القارئ، كما قدمنا ، فإن المشاهد أو القارئ - وليس البطل المأساوي - هو الذي يحظى بالتطهير أو المتعة ، فذلك أقرب إلي طبيعة المأساة باعتبارها فناً إنسانياً مرتبطاً بقضايا الإنسان (١٤) ، والمجتمع (١٥) . كما أن المأساة لا تهتم بالشخصيات كأفراد فحسب ، وإنما الشخصيات في الشعر - ومنه المأساة - رموز لنماذج إنسانية كلية (١٦) ، أي نماذج إجتماعية .

فإذا كان التطهير لا يختلف عن المتعة بالمفهوم الذي قدّمته ، فهل يمكن القول أن وظيفة المأساة هي التطهير أم المتعة ، أم الاثنين معاً ؟ . لعلنا نذكر أن أرسطو يقول في الفقرة الأولى (١٧) أن وظيفة المأساة هي تحقيق التطهير ، ثم يقول في الفقرة الثانية (١٨) ، أن واجب المؤلف تحقيق المتعة ، فهل يوجد اختلاف بين العبارتين سواء في استخدام كلمة المأساة مرة والمؤلف مرة أخرى في حين إنهما يدلان علي شيء واحد ، أو هما وجهان لعملة واحدة .

ونضيف إلى ما تقدم - عن التطابق بين التطهير والمتعة - دليلين ارسطيين آخرين أحدهما من كتابه الأخلاق النيقوماخية (١٩) ، حيث يقول أن الفعل الجاد *spoudaios* يحقق المتعة ، ثم يقول في فن الشعر أن المأساة - التي يصفها بأنها محاكاة لفعل جاد - تحقق التطهير (٢٠) .

أما الدليل الآخر فنجده في السطور الأخيرة من كتابه فن الشعر حيث يقول ، في حديثه - مرة أخرى - عن وظيفة المأساة ، " يجب أن تحقق (المأساة) المتعة " *ἡ δὲ τῆς τραγωδίας ποίησις ὅτι καὶ τὴν ἡδονὴν* (٢١)

وأخيراً أرجو أن أكون قد أسهمت في إجلاء وظيفة المأساة بوصفها
فنّاً إنسانياً إجتماعياً يصور أحداثاً منسوبة من شأنها أن تثير إنفعالات
المشاهد أو جمهور المشاهدين وهم المواطنون الأغريق الذين كانوا يفسون
المسرح الاغريقى مدفوعين بعقيدتهم الدينية وتعلقهم بالتراث البطولي
لمشاهدة ما قام به أبطالهم وما قاسوه من أحداث منسوبة حيث تحقق لهم
المشاهدة تطهيراً أو متعة من نوع خاص ، وهذه هي وظيفة المأساة الحققة
التي تهز النفوس بمحاكاتها للفعل وتعمل عملها فيها بغير طريق الوعظ
والإرشاد .

حواشي البحث

Arist., Poet., 1449 B. 27 - 28. (١)

(٢) - تمت بإضافة بعض الكلمات بين الأقواس محاولة إجلاء الغموض عن هذه العبارة التي اختلف الدارسون في ترجمتها . ففى ترجمة " بوتشر " :

Butcher, S. H., Aristotle's theory of Poetry and Fine Art, with a Critical Text and Translation of The Poetics, Fourth Edition (London, 1907), p. 240.

نقرأ قوله :

"Through pity and fear effecting the proper "Katharsis", or purgation of these emotions".

ويتضح من ترجمته أن التطهير عنده " من هذه المشاعر " أى من الخوف والشفقة ، في حين أن هذين الشعورين هما أدوات تحقيق التطهير ، كما سنوضح فيما بعد .

أما في ترجمة " إيلس " :

Else, G. F., Aristotle's Poetics : The Argument (Cambridge Univ. Pr., 1957), p. 221.

فنقرأ قوله :

"Through a course of events involving pity and fear, the purification of these painful or fatal acts which have that quality".

ونحن نميل إلى ترجمة " إيلس " في ربطه بين شعوري الخوف والشفقة وبين الأفعال ، ومما يدعم موقفنا أن أرسطو - نفسه - يعبر

عن هذه النظرة في أكثر من فقرة من فن الشعر ، ففي فقرة ١٤٥٢
١ - ٤ يقول : " إن المأساة محاكاة لأفعال تتضمن الخوف والشفقة "
، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ٢١ - ٢٢ يقول : " يجب أن تكون (المأساة)
محاكاة تتضمن خوفاً وشفقة ، لأن هذا هو الغرض من المحاكاة التي
من هذا النوع " ، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ١ - ٧ يقول : " إن هذين
الإنفعالين يوجدان في بنيان الأفعال وحده " .

وجدير بالذكر أن أرسطو قد تناول موضوع التطهير في كتابه
السياسة (Polit., 8. 1449B 32ff.) غير أنه ربط بينه وبين الموسيقى
بوصفها تثير مشاعراً تؤدي إلى تحقيقه .

Golden, L., "Catharsis" TAPHA, 93, 1962, pp. 51 - 60. (٢)

....., " The Clarification Theory of Katharsis",
Hermes, 104, 1976, pp. 437 - 452.

Somville, P., Essai Sur La Poétique D'aristote (Paris, 1975) 78
- 95.

Bennet, K., "The Purging of Catharsis, British Journal of
Aesthetics, 21, 1981, pp. 204 - 213.

(٤) - إبراهيم (د. محمد حمدي) ، دراسة في نظرية الدراما الإغريقية
(دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٧) ص ٢١ ، ٩٨ .

Butcher, S. H., op. cit, pp. 262 - 263 & 266 - 267.

Hirsh, Eric. D., "Privileged Criteria In Literary Evaluation"
Problems of Literary Evaluation, Ed. Joseph Strelka
(Univ. Park, Pa : Pennsylvania St. Univ. Pr., 1909)
p. 32.

Robertson, Durant. W., A preliminary survey of The Controversy Over Aristotle's Doctrine of Tragic Catharsis (Chapel Hill : Univ. of North Carolina, 1937) pp. 182 - 183. (٥)

Else. G. F., op. cit., pp. 437 - 438. (٦)

Arist., Poet., 1453B 11 - 15. (٧)

(٨) - الخوف هنا لا يمثل الرعب والفرع ! إنه مجرد الشعور بالخشية . وهذا واضح من نقد أرسطو (Poet. 1453B 8 - 10) الذي يوجهه إلى الشعراء الذين يهدفون إلى إثارة الخوف عن طريق المشاهد المرعبة. *وهذه هي الحقيقة* حيث يقول أن مثل هؤلاء الشعراء ليسوا شعراء مأساة علي الإطلاق .

Arist., Poet., 1453A 5 - 6 . (٩)

Ibid., 1452B 34 - 38, 1453A 17 - 18. (١٠)

وقد عرّف أرسطو هذا اللفظ في مؤلفين آخرين :

(Rhet., 1374B 16, E. N., 1135B 12, 18.)

بأنه " خطأ لا يصدر عن شر متعمد " بمعنى أن صاحبه ليس شريراً بطبيعته .

ويذكر بعض الدارسين المحدثين أن ذلك اللفظ يعني الجهالة أو الاخفاق في الإدراك السليم . انظر :

Wimsatt (William. K.) & Brooks (Cleanth). Literary Criticism,

A short History (New York, 1957) p. 39.

Else. G. F., op. cit, pp. 383 - 384.

- (١١) - راجع حاشية ٧ .
- (١٢) Hom., IL. 24. 513.
- (١٣) PL., Philebus, 47E - 48A.
- (١٤) - يذكر باورا (Bowra, C. M., Landmarks in Greek Litera-
ture, Pelican, 1966) p. 201
- أن المأساة تبحث في قضايا السلوك الإنساني .
- (١٥) - حول صلة فن المأساة بالمجتمع انظر :
- Snell, Bruno, Poetry and Society, The Role of Poetry in Ancient
Greece (Indian Univ. Pr., 1961) pp. 72 - 90.
- (١٦) Arist., Poet., 1951B 8 - 10.
- ويعتبر استخدام القناع في المأساة الإغريقية القديمة دليلاً
واضحاً على عموميتها ، ويعدّها عن تصوير الشخصيات كأفراد
جزئيين ، انظر :
- Bowra, C. M., Op. cit., p. 157.
- (١٧) - انظر حاشية ١ .
- (١٨) - انظر حاشية ٧ .
- (١٩) Arist. E. N., 1174B 20 - 23.
- (٢٠) Arist. Poet., 1449B 24 - 28.
- (٢١) Ibid., 1462B 13.

أحوال برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطي (٢٨٤ - ٤٥٥ م)

دكتور

ابراهيم خميس ابراهيم سلامة

استاذ تاريخ العصور الوسطي المساعد

كلية الاداب - جامعة الاسكندرية

قبل أن نشرع فى الحديث عن احوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الميلادى ، يجب التنويه إلى ما ذكرته المصادر عنها خلال هذه الفترة وإلى ما اشار إليه المؤرخون عن هذه المنطقة. إذ تشير المصادر إلى أن المنطقة الشمالية من القارة الافريقية المعتمدة من غربى مصر حتى ساحل المحيط الاطلنطى كانت تعرف باسم ليبيا^(١) أو افريقيه الشمالية^(٢) ، وتذكر بعض المصادر أن ليبيا كانت تنقسم إلى منطقتين هما : ليبيا الشرقية وتضم منطقة برقة، وليبيا الغربية وتمتد من طرابلس حتى ساحل المحيط^(٣).

Theophanes, Chronographia, cf. P.G.M. (١)

Tom. CV111, Paris, 1863, P.30 b;

Cantacuzenus, Chronicon, cf. C.S.H.B., Bonn, 1882, P.18;

Excerpta Edixippo, Historiorum Reliquiae, cf. C.S.H.B., Bonn, 829, p.15

Procopius of Caesarea, The Anecdota or (٢)

Secret History. Tr. H.B.Deving, London, 1969, P.11;

Zosimus, Commentarius Historicus cf.C.H.S.B., Bonn 1837, P.17.

Merobaudes et Corippus, Panegurici Reliquiae, cf C.S.H.B., Bonn, 1845, P.8;

Michael Clycos, Annalium, cf.C.S.H.B, Bonn, 1836, P.126;

Georgius Cederenus, Historiarum Compendium, cf.P.G.H. Tomcxi, Paris, 1864, P.66

Theophanes, op.cit, P.430; (٣)

Excerpta Edixippo, Ibid;

Georgius Monchus Hamartolus, Chroicon, cf.p.G.M. Tom. CX, Paris, 1863, P.803.

ولا نجد تفسيراً لهذا التقسيم سوى أنه تقسيماً إدارياً فحسب لم
يجر إلا في منتصف القرن الخامس الميلادي تقريباً . إذ ظلت كل من
برقة وطرابلس مرتبطتان إدارياً منذ عام ٢٨٤ م حتى عام ٤٤٢^(١) .

ولم تكن النظم الإدارية وحدها هي التي تربط كل من برقة
وطرابلس، وإنما جمعتهما وحدة الطبيعة^(٢)، ووحدة العادات والتقاليد
للعنصر البشري الذي عاش فيهما^(٣) . إذ كانت القبائل المورية تقطن
المنطقة الصحراوية الشاسعة التي تقع بهما كل من برقة
وطرابلس^(٤) . هذا بالإضافة إلى أن الأحوال الدينية والاقتصادية
والعسكرية في كل منهما تكاد تكون متشابهة^(٥) . لكل هذه الأسباب
رأينا دراسة أحوال كل من برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى
منتصف القرن الخامس الميلادي . على أساس أنهما يمثلان وحدة واحدة
لم تكن بينهما أية حواجز، وأنهما يعتبران امتداداً طبيعياً لحدود مصر
من جهة الغرب^(٦) .

(١) انظر ما يلي عن النظام الإداري في كل من برقة وطرابلس.

(٢) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي، الاسكندرية (د.ت.)، ص ٩٤-٩٨.

(٣) شارل اندري جوليان: تاريخ أفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزلي، دار البشير بن سلامة، تونس
١٩٦٩م، ص ١٢.

Zosimos, Op.cit., P. 66.

(٤)

(٥) انظر ما يلي عن هذه النظم في كل من برقة وطرابلس.

(٦) حسنين محمد ربيع: دراسات في تاريخ البزنطية، القاهرة ١٩٨٣م، ص ٧٨.

وعند الإشارة إلى النظام الإداري في برقة وطرابلس في عهد الإمبراطور دقلديانوس Diocletian (٢٨٤ - ٣٠٥ م) نجد أنهما كانتا يشكلان معاً مقاطعة واحدة من ثمانى مقاطعات^(١) تتكون منهم ولاية افريقيا^(٢)، وكانت تعرف باسم مقاطعة طرابلس، وتضم عدة مناطق Tractus هي لوبيه، ومراقبه، واربا، ولبد، وصبره، كما انقسمت هذه المناطق بدورها إلى عدة وحدات Regiones هي سرت، والبطنان، والجبل الأخضر، وبرقة الحمراء، وكانت كل حدة تنقسم إلى عدد من القري^(٣).

وكان على رأس هذه المقاطعة موظف اداري يعرف باسم رئيس الابروشية^(٤) وله نائب وديوان للادارات المختلفة^(٥) المالية والقضائية والحفوظات والإنشاء.

(١) Theophanes, Op. cit., P. 306.

(٢) المقاطعات هي تريبوليتانا Tripolitana (طرابلس)، وموريطنيا موريطنيس Mouri-tania، وموريطنيا سيترانيس Sitifinsis، وموريطنيا كاساريانسيس Mouri-tania Caesariensis، ونوميديا Numidia، وموريطنيا تنجيتانا Mouri-tania Tingitana، وبيزا Byzacena، وزوجيتانا Zeugitana (زهران) نظر.

Bury, J., History of the latter Roman Empire, 2 Vol., New York, 1985, Vol. 1, P.255.

(٣) سعد زغلول : المرجع السابق، ص ٩٠٩، شارل أندري، المرجع السابق، ص .

(٤) Zsimus, Op. cit., P. 17.

(٥) Theophanes, Ibid.

كما كان يترأس عدداً كبيراً من الموظفين المدنيين، وكنت مهمة هذا الجهاز الإداري تقدير الضرائب وجمعها، وممارسة أعمال القضاء، وإرسال الضرائب إلى حاكم ولاية أفريقية في قرطاج تمهيداً لإرسالها للإمبراطور^(١).

وكانت مدينة طرابلس هي عاصمة هذه المقاطعة ومقر الحاكم الإداري وجهازه من الموظفين، وكان لهذه العاصمة مجلس بلدي Ordo-Decurionum تمثل الطبقة الأرستقراطية في طرابلس معظم أعضائه، وكان يرأسه اثنان من الموظفين الإداريين يتم انتخابهما كل عام بواسطة أعضاء المجلس^(٢).

أما عن المناطق، فكان على رأس كل منطقة موظف إداري يساعده مجلس للشورى يتكون أيضاً من الطبقة الأرستقراطية التي تعيش داخل هذه المنطقة وكان مسئولاً عن المحافظة على النظام في منطقته، وتقديراً للضرائب وجمعها وأعمال القضاء^(٣).

Zosimos, Op. cit., PP. 71, 95, 98

(١)

Theophanes, Op.cit., p. 308

(٢)

Zosimos, Op. cit., P. 95.

(٣)

وكان على رأس كل وحدة من الوحدات الادارية موظف أقل مرتبة من حاكم المنطقة، ويساعده مجلس يتكون من شيوخ هذه الوحدة^(١).

وطبقا لسياسة الإصلاح التي وضعها الإمبراطور دقلديانوس، والتي كان من أهم معالمها فصل السلطة المدنية عن السلطة العسكرية^(٢) لم يبق هؤلاء الموظفون بنشاط حربي طوال عهد الإمبراطور دقلديانوس رغم التهديدات التي تعرضت لها المقاطعة نتيجة لغارات القبائل البدوية. إذ تشير بعض المصادر البيزنطية إلى أن هذه القبائل شنت الغارات على المناطق الزراعية في العام الخامس عشر من عهد الإمبراطور دقلديانوس، وحدثوا كثيراً من الاضطرابات مما أزعج نظيره مكسيميان Maximian ، فقاد الجيش النظامي للإمبراطورية، ورافقه القائد رومينوس Ruminus ، ولجح في القضاء على تمرد هذه القبائل. ورغبة من مكسيميان في إجبار هذه القبائل على الاخلاص للسكينة، أتفق مع شيوخهم على الصلح^(٣) . ولكن بمجرد رحيل الإمبراطور والجيش عادت هذه القبائل إلى شن الغارات واحداث الشغب، ولذلك أطلقت عليهم بعض المصادر اسم

Zosimos, Op. Cit., P. 79;

(١)

Theophanes, op. Cit., p. 306.

Ostrogorsky, G., History of the Byzantine State, Oxford, 1956, P.31.(٢)

(٣) لم نشر المصادر إلى شروط هذا الصلح.

Pacati اى ناقضى السلام^(١).

على أية حال استمر هذا النظام الإدارى فى مقاطعة طرابلس منذ عهد الإمبراطور دقلديانوس حتى عهد الإمبراطور ثيودسيوس الثانى Theodosius II (٤٠٨ - ٤٥٠)^(٢)، وفى الوقت نفسه استمرت غارات البدو على المناطق الزراعية خلال هذه الفترة^(٣) مما جعل حاكم مقاطعة طرابلس يجمع بين السلطين المدينة والعسكرية^(٤).

ولم يكن جمع السلطين فى يد الحاكم هو التغير الوحيد الذى طرأ على هذه المقاطعة ، وإنما أدت المعاهدة التى عقدها ، فالنسيان الثالث Valentinian III امبراطور القسم الغربى من الأمبراطورية الرومانية (٤٢٥ - ٤٥٥ م) مع الوندال عام ٤٤٢ م^(٥) إلى نتائج مؤثرة على التقسيم الإدارى فى كل من برقة وطرابلس. إذ انسلخت

(١) Merobaudes, Op. cit., P. 225;

Theophanes, Op. cit., P. 306.

Zosimos, Op. cit., P. 98; (٢)

Theophanes, Op. cit., P. 308.

Meobaues, Ibid. (٣)

Babour, N., A Survey of North Africa, New York, 1959, PP. 10-11. (٤)

(٥) المزمع من التفاصيل عن هذه المعاهدة:

محبره حيد عمران: ملكة الوندال فى شمال افريقيا، الاسكندرية ١٩٨٥، ص ٢٢-٢٦، وأيضاً:

Gibbon, E., The history of the Decline and Fall of the Roman empire, 7Vols, London, 1925, Vol. III, PP. 481-484;

Lot, F., The end of the Ancient world and the Beginning of the Middle age, London, 1931, PP.207-210.

برقة عن مقاطعة طرابلس واصبحت تمثل مقاطعة قائمة بذاتها ضمن ولاية مصر^(١)، بينما تطلع الوندال إلى السيطرة على طرابلس حتى يجتاحوا في عام ٤٥٥ م من الاستيلاء عليها^(٢).

أما عن النظام الحربي، فقد كانت كل من برقة وطرابلس مركزا للفرق العسكرية المعروفة بجيش الأطراف أو الحدود Limitanei الذي يقوم أفرادهم بزراعة الأرض التي يعوزنها كنزع من الأقطاع العسكري، وترتبط أحقيتهم في ملكية هذه الأرض بأداء الخدمة العسكرية، ويسمح لأبنائهم أن يرثوا هذا الأقطاع بشرط أدائهم للخدمة الحربية. وقد تمتع أفراد هذا الجيش بالإعفاء من دفع الضرائب والالتزامات البلدية عندما يبلغ أحدهم سن الأربعين ويتم إعفاؤه من الخدمة^(٣).

وكانت مهمة جيش الأطراف حراسة الحدود، والمناطق الحصينة التي شيدت بالقرب من المناطق الزراعية لحمايتها من غارات البدو^(٤)، وكان يتولي قيادة هذا الجيش في مقاطعة طرابلس أحد

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ مصر البيزنطية، الإسكندرية ١٩٩٤، ص ٤٩.

(٢) محمود سعيد عمران: المرجع السابق، ص ٢٩.

Zosimos, Op.cit., P. 98;

(٣)

Theophanes, Op. cit., P. 225.

Merobaudes, Op. cit., P. 225.

(٤)

القادة العسكريين الذي يعينه دوق ولاية افريقيا: (١)

والى جانب جيش الاطراف في مقاطعة طرابلس كانت هناك فرق عسكرية أخرى منها الفرق المحالفة من قبائل الموريين (٢). اذ لجأت الأمبراطورية البيزنطية إلى ما يعرف بنظام المحالفة أو المعاهدة، ويعني التحالف مع الشعوب التي تعيش على أطراف حدود الأمبراطورية، حيث ارتبط هؤلاء المحالفين بمعاهدة تحالف مع الأمبراطورية تعهدوا فيها بحماية انفسهم وحماية حدود الأمبراطورية في مقابل إعفائهم من الضرائب أو الاتاوات، وتطور الأمر إلى أن أصبح هؤلاء المحالفين يحصلون على أموال من الأمبراطورية مقابل اداء هذه الخدمات. (٣)

ومن الفرق العسكرية التي وجدت أيضا في مقاطعة طرابلس فئة من الجنود المأجورين الذين كانوا بمثابة حرس خاص لكبار الموظفين أو بعض ملاك الاراضي الزراعية، ولم تكن هناك صلات تربطهم بالجيش أصلا حتى قام الاقطاعيون ومادة هؤلاء الجنود بعرض خدماتهم

(١) Zosimos, Op. Cit, P. 98.

(٢) Joannes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom. Cxxxiv, Paris, 1864, P. 62.

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٧١.

Zosimos, Ibid. (٤)

على الدولة مقابل حصولهم على بعض الأموال^(١).

وعن الأحوال الدينية في كل من برقة وطرابلس، نجد أن انتشار المسيحية في هذه المنطقة كان بطيئاً ومحدوداً^(٢)، ولعل هذا الأمر يرجع إلى ابتعاد برقة وطرابلس عن مراكز نشر المسيحية في مصر وقرطاج، وقلة عدد رجال الدين الذين توجهوا إلى المراكز العمرانية في المنطقة للتبشير بالمسيحية، وصعوبة ملاحقة القبائل البدوية في هذه الصحراء الشاسعة، هذا بالإضافة إلى اضطهاد الرومان لاتباع المسيحية في المرحلة الأولى قبل عهد الإمبراطور ثنسططين.

ومهما يكن من أمر فقد بدأت المسيحية تشق طريقها إلى هذه المنطقة في أواسط القرن الثالث الميلادي نتيجة لجهود أحد القديسين ويدعى سيبريان St Cyprien. إذ نجح في آتباع بعض الأفراد باعتراف المسيحية خاصة عدداً من الجنود في جيش الاطراف. بيد أن هؤلاء المسيحيين بدأوا يتعرضون للاضطهاد من السلطات الرومانية الحاكمة وبلغ هذا الاضطهاد ذروته في عهد الإمبراطور دقلديانوس مما دفع الكثيرين منهم إلى الارتداد عن دينهم^(٣).

(١) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٧١.

Merobaudes, Op. cit., P. 42.

(٢)

Theophanes, Op. cit., P. 313.

(٣)

وبعد أن اعترف الإمبراطور قنسطنطين Constantine (٣٠٥ - ٣٢٧م) بالمسيحية كاحدى الديانات الرسمية في الإمبراطورية^(١)، عادت المسيحية إلى الانتشار في برقة وطرابلس إذ شيدت بعض الكنائس في المدن الرئيسية التابعة لهذه المقاطعة، وظهرت في هذا المجتمع طبقة جديدة من رجال الدين سواء كانوا من الاساقفة أو القساوسة أو الشمامسة، وبدأت المدارس الدينية الملحقة بهذه الكنائس في تعليم الصغار كي يصبحوا مؤهلين لتقلد الوظائف الدينية^(٢).

وعلى الرغم من انتشار المسيحية انتشاراً حثيثاً خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين إلا أن رجال الدين في برقة وطرابلس واجهوا كثيراً من الصعوبات بسبب الخلافات التي بدأت تلوح في الأفق، ومنها كيفية معاملة الأفراد المرتدين عن الدين زمن الاضطهاد، بالإضافة إلى الاختلافات المذهبية^(٣).

(١) Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961 - 1962, Vol. I, P. 52.

Theophanes, Op. cit., P. 310. (٢)

(٣) عن هذه الاختلافات انظر: شارل اندري، المرجع السابق، ص ٢٨٨ - ٢٩٠. سعد زغلول عبد الحميد: المرجع السابق، ص ٩٩.

أما عن الأحوال الاقتصادية، فقد كانت حرفتى الزراعة والرعى
تتمثلان عماد النشاط الاقتصادى فى كل من برقة وطرابلس. إذا
انتشرت الزراعة فى السهول الساحلية المطلّة على البحر المتوسط،
وفى الواحات ولا سيما واحة برقة.

واعتمدت الزراعة فى هذه المناطق على مياه الآبار والأمطار
التي يتم تخزينها فى خزانات تبنى تحت مستوى سطح الأرض لتتجمع
بها هذه المياه، ثم يتم رفعها بواسطة أنابيب ليرى الأراضى
الزراعية^(١).

وكانت لأراضى الزراعة فى بداية الأمر ملكا للدولة أو
الأمبراطورية ثم حدثت تطورات هامة على ملكية هذه الأراضى فى
أواخر القرن الثالث الميلادى. إذ شاع حق ملكية الأراضى للأفراد منذ
عهد الإمبراطور دقلديانوس، وتقرر تأجير أو بيع هذه الأراضى بشرط
أن يقبل المشتري أن يتحمل مسئولية تسديد ما عليها من التزامات
وضرائب^(٢).

Michael Clycas, Op. cit., P. 126.

(١)

Zosimos, Op. cit., P. 21.

(٢)

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ: المرجع السابق، ص ٥٥.

وكانت أهم المحاصيل التي تزرع في هذه المناطق هي الحبوب من القمح والشعير، وأشجار الزيتون، وبساتين الكرم والتين إلى جانب النخيل (١).

وكانت هذه المحاصيل تشكل أساس النشاط الإقتصادي في هذه المناطق (٢). اذ كان انتاج الزيتون والكروم والتين والنخيل يفيض عن حاجة السكان، ومن ثم قامت عليها صناعات مختلفة منها تجفيف التين والكروم والتمر، وصناعة النبيذ، وزيت الزيتون.

والى جانب هذه الصناعات، عرف سكان برقة وطرابلس بعض الصناعات البدائية الأخرى. لا سيما صناعة الأواني الفخارية، وصناعة المنسوجات (٣).

أما عن الرعي، فقد عاش البدو الرعاء حياة التنقل بين أراضى العشب والمراعى الممتدة في هذه الصحراء لرعى الأغنام والماعز، والابل

(١) Michael Clycas, Op. cit, P 126 (١)

(٢) سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق، ص ٤٨.

(٣) Michael Clycas, Op. cit., P. 42; (٣)

Zosimos, Op. cit., PP. 77, 91

والخير للاستفادة من لحومها والبانها ووبرها، والمتاجرة فيها. وقامت على هذه الحرفة أيضا بعض الصناعات منها صناعة منتجات الالبان، وغزل الصوف لصنع الملابس، وايضا صناعة الخيام من جلود الماعز^(١).

وبالنسبة للتجارة، فقد كان التين، والزيتون وزيتهم أهم السلع التجارية لهذه المناطق^(٢)، ولم تزدهر التجارة في برقة بسبب قلة المنتجات التجارية من جهة، ومن جهة أخرى أدت غارات البدو المتكررة على المدن الرئيسية التي تعثر التجارة بها.

أما عن الضرائب فلقد تدخل أعضاء المجالس البلدية في توزيع قيمة الضرائب على الوحدات، وجباتها تنفيذا لأوامر الإمبراطور كل عام. إذ لم يكن مقدار الضريبة المطلوبة ثابتا، وإنما يجرى تقديره كل عام بمقتضى أمر إمبراطوري بناء على التقارير التي يرفعها مندوبون عينوا لهذه المهمة^(٣).

Joannes Zonaras, Op. cit., P. 246.

(١)

Zosimos, Op. cit., P. 91.

(٢)

(٣) محمد محمد مرسى الشيخ : المرجع السابق، ص ٩١.

وكان تقدير الضرائب على الاراضى الزراعية يختلف من منطقة إلى أخرى حسب خصوبة تربتها وكيفية رباها ، ومساحتها، وجري جباية ضريبة الارض عينا، اما الضريبة التي فرضت على الإبل، والحمير، والماعز، والخيرول، فكان يتم تقديرها حسب اعدادها، وتدفع نظديها^(١).

أما عن الأحوال الاجتماعية، فقد انقسم سكان المناطق فى برقة وطرابلس إلى فئتين رئيسيتين هما البدو والحضر، ولم تكن الفوارق الطبقية واضحة بين سكان البادية، بينما ظهرت بوضوح فى مجتمع الحضر الذى استقر بالقرب من المناطق الزراعية، لا سيما بين الطبقة الارستقراطية التي امتلكت الاراضى الزراعية، وطبقة الزراع الذين كانوا يعملون فى هذه الاراضى. إذ عاشت الطبقة الاولى حياة ناعمة داخل المنازل الفخمة والقصور، بينما عانت طبقة الزراع من قسوة المعيشة، وعاشوا داخل بيوت متواضعة^(٢)، وان كانت حياتهم افضل بكثير من البدو الرحل الذين نظروا بعين الحمقد إلى مجتمع الحضر، وظلوا يشنون الغارات المتتالية على المناطق الزراعية.

(١) Zosimos, Op. cit., PP. 71. 294 .

(٢)

Theophanes, Op. cit., P. 308.

وبختم حديثنا عن هذه المنطقة بالإشارة إلى النشاط العمراني في برقة وطرابلس. إذ شيدت المنشآت المعمارية كالحمامات والمصارع والملاعب في كثير من المدن الرئيسية التابعة لمقاطعة طرابلس، وبنيت المنشآت الدينية كالمعابد والكنائس والمدارس في هذه المناطق، هذا بالإضافة إلى المنشآت العسكرية كالقلاع والحصون عند أطراف الحدود، وبالقرب من المناطق الزراعية لحمايتها من غارات البدو، كما تم تعبيد الطرق لسهولة انتقال الفرق العسكرية إلى مناطق الخطر الذي يهدد المنطقة^(١).

هذا عرض لاهم ملامح المجتمع الليبي في كل برقة وطرابلس منذ أواخر القرن الثالث حتى منتصف القرن الخامس الميلادي.

Georgius Cedrenus, P. 954.

(١)

قائمة بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: بيان المختصرات التي وردت في الحواشي:

C. S. H. B : Corpus, Scriptorum Historiae
Byzantinae.

P. G. M. : Patrologia Graeca Ed Migne.

ثانياً: المصادر الأجنبية:

Cantacuzenus, Chronicom, cf. C. S. H. B.,
Bonn, 1882.

Excerpta Edixippo, Historiarum Reliquiae cf.
C.S.H.B., Bonn, 1829.

Georgius Cederenus, Historiqruum Cpmpendi-
um, cf.P.G.M.Tom. CXX1, Paris,
1846.

Georgius Monchus Hamartolus, Chroicon, cf. P.
G. M., Tom. Cx, Paris 1863.

Joanes Zonaras, Annalium, cf. P.G.M., Tom
Cxxxiv, Paris, 1864.

Merobaudes et Carippus, Pangurici Reliquiae
cf. C. S. H. B., Bonn, 1845.

Michael Clycos, Annalium, cf. C. S. H. B., Bonn,
1836.

Procopius of Caesarea, The Anecdota or Secret.
History, Tr. H.B. Dewing, London,
1969.

Theophanes, Chronographia, cf. P. G. M., Tom.
CV11, Paris, 1863.

Zosimos, Commentorus Historicus, cf. C.S.H.B.,
Bonn, 1837.

ثالثاً: المراجع الاختصة

Babour, N., A Survey of North Africa, New York, 1959.

Bury, J., History of the Latter Roman Empire, 2 Vols, New York, 1985

Gibbon, E., The History of the Decline and Fall of the Roman Empire, 7 Vols, London, 1925.

Lot, F., The end of the Ancient World and the Beginning of the Middle Ages, London, 1931.

Ostrogorsky, G., History of the Byzantine state, Oxford, 1956.

Vasiliev, A. A., History of the Byzantine Empire, 2 Vols, Univer. of Wisconsin Press, 1961-1962.

رابعاً: المراجع العربية والمغربية

حسّين محمد ربيع (دكتور):

«دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية»، القاهرة ١٩٨٣م.

سعد زغلول عبد الحميد (دكتور):

«تاريخ المغرب العربي»، الاسكندرية (د . ت .).

شارل اندري جوليان:

«تاريخ إفريقيا الشمالية»، تعريب محمد مزالي & البشير

أبن سلامة، تونس ١٩٦٩م.

محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور):

«تاريخ مصر البيزنطية»، الاسكندرية ١٩٩٤م.

محمود سعيد عمران (دكتور):

«مملكة الوندال في شمال إفريقيا»، الاسكندرية ١٩٨٥م.



أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة المغربية بفاس.

"دراسة في الأثروبولوجيا اللغوية"

مقدم من

د . منال عبد المنعم جاد الله

مدرس بمعهد دراسات البحر المتوسط

كلية الآداب جامعة الإسكندرية

أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة المغربية بفاس.

"دراسة في الأثر وبيولوجيا اللغوية"

مُقَدِّمَةٌ

فضل الله الإنسان على سائر المخلوقات فميزه بالعقل والفكر وجهاز للنطق وحياء بأداة بيولوجية لتعلم أى لغة فى الوجود. (1)

فالطفل يولد بمجموعة كاملة من الأبنية المعرفية التى تسبق فى تطورها الأبنية اللغوية وبذلك يمتلك عمليات معرفية غير لغوية قبل أن يتعلم اللغة (2) للإنسان قدرة فطرية لتعلم أى لغة فى الوجود والمعانى توجد فى العقل ثم يأتى اللفظ المعبر عنها. وكل شيء لا نعرفه لا توجد فى لغتنا ألفاظ تعبر عنه ، فالتشبه يوجد أولا ثم بعد ذلك يوضع اللفظ الذى يطلق عليه. (3)

ويؤكد ذلك الأبحاث التى أجراها تايلور عن الإشارات التى يصطنعها الصم والبكم فى معهد برلين ثم قارنها بتلك التى يستخدمها الصم والبكم فى إنجلترا ، ووجد تشابها كبيرا بينهما ، ثم قارن هذه الإشارات بتلك التى يستخدمها الهنود الأمريكيون فوجد تشابها كبيرا أيضا ، وبذلك قرر أن هناك قدرة خاصة لدى الإنسان على خلق العلامة وأن هذه القدرة أدت إلى اللغة المنطوقة. (4)

والعلامة الدالة Significant أو ذات المعنى على حد تعريف دوسوسير تحلل إلى عنصرين الأول هو العنصر الصوتى أو الظاهر والثانى العنصر العقلى أو التصورى. والمعنى المتضمن فى العلامة هو " فكرة عن شيء " أو ما يتولد فى

* أشكر الاستاذ الدكتور محمد عبد محجوب والاستاذ الدكتور طمى خليل لتفضلهما

بشمول هذا البحث برعايتهما وتوجيهتهما القيمة

دهس المتكلم أو السامع حين تظهر العلامة أو الإشارة وعلى ذلك تمثل العلامة الدالة الجانب المادى للغة ، أما العلامة المتضمنة فهي الجانب العقلى للغة والفصل بينهما فصل نظرى يهتم به المشتغلون بالنظرية اللغوية

أما فى الواقع وفى الحياة العملية فهذان المظهران لا ينفصلان وبطبيعة الحال الصوت الذى لا معنى له لا يعتبر إشارة أو علامة دالة لأنه لا يدل على شيء ولا يعنى شيئاً ، وبذلك لا يكون رمزا ولا يكون هناك تصور ما عنه والعلامات والإشارات لا تنكسر على اللغة بل يقصد بها كل المواقف والرموز غير اللفظية كالصور والرسوم وما إلى ذلك.

وهذا معناه أنه يمكن اعتبار كل شيء تقريبا فى حياتنا اليومية بمثابة العلامة أو إشارة مادام يمكن استخدامه لتوصيل رسالة ما أو للدلالة على شيء ما. فالزهور التى تنمو لا تعتبر علامة إلا إذا استخدمتها ثقافة ما فى شكل باقات ترسل للتهانى أو للعزاء وبذلك فهي تحمل رسالة ولها دلالة ومعنى.^(٥)

وعناصر الكلام - مثلها مثل العلامات والرموز هي مجرد أمور تحكمية وليست فى ذاتها جزءا من الواقع أو التجربة التى يرمز إليها الصوت وهذه الرمزية التحكمية التى تتميز بها الألفاظ تشير إلى الخاصية الاجتماعية للغة^(٦) والتى هي مجال اهتمام الأنثروبولوجيين من خلال تحليل المظاهر اللغوية وغير اللغوية السائدة فى مجتمع ما تحليلًا دقيقًا بالرجوع إلى السياق الاجتماعى لذلك فإن أى نص كلامى - ملفوظا كان أو مكتوبا - لا يوصل إلى معناه الحق الكامل بدراسته وحده مستقلا عن الناحية الصوتية أو النحوية والمعجمية^(٧) فاللفظة قد لا تكون الوحدة الأولى للمعنى ولكنها الجملة ، فالجمل هي التى تنطق وتفهم والألفاظ ليست إلا مستخرجات من المعانى لذلك لا ينبغى أن ننظر للمعنى على أنه علاقة ثنائية بين اللفظ وما يشير

إليه.^(٩) بل على أنه مجموعة من العلاقات الوظيفية متعددة الأبعاد بين النظمة في الجملة وسياقات حدوثها^(١٠)

واللغة بإختصار هي طرائق الكلام الشائعة في مجتمع ما ، والتي تخضع لنظام للمعاني خاص بها نظم تبعاً لمقدمات أو فروض أساسية معينة مما جعل من الصعوبة وجود مجتمعين يحوزان بدقة نفس طرق الكلام. لذلك فالعادات الكلامية تعلم وكذلك النشاط اللغوي طبقاً للنظام التقليدي السائد في أي مجتمع من المجتمعات.^(١١)

فالكلام نشاط إنساني يختلف أيما اختلاف إذا إنتقلنا من مجتمع إلى مجتمع لأنه ميراث تاريخي محض للجماعة ونتاج الإستعمال الإجتماعي الذي إستمر زمناً طويلاً.^(١٢) وجماعة المتكلمين جماعة من الناس يشتركون في ثقافة ذات مفاهيم ومقولات وأنماط خاصة بالسلوك حيث نجد أن الأنشطة العليا للإنسان مثل للتفكير والتخيل والتفكير والتأمل.... إلخ إنما تتبع من تكيف وإتفاق أعضاء المجتمع المشتركين في ثقافة واحدة ولغة واحدة.^(١٣)

ولقد وجد علماء الأنثروبولوجيا المعرفية * إن أكثر عادات المجتمع وتقاليد يمكن التعرف عليها ولهما من خلال التحقق من معاني التركيبات اللغوية السائدة في المجتمع لورد الدراسة.^(١٤) لهذا كان التركيز على دراسة اللغة بما لها من صلة بالثقافة من حيث كونها تتيح فرصة أفضل للتعرف على السمات السائدة وأنماط السلوك وطرق التفكير ، مما دعا إلى التأكيد على ضرورة تعلم الباحث لغة المجتمع والثقافة المدروسة.^(١٥)

واللغة ليست من الأمور التي يصنعها فرد معين أو أفراد معينون ، وإنما تخلقها طبيعة الإجتماع ، وتتبعث عن الحياة الجمعية وما تقتضيه هذه الحياة من

تعبير عن الخواطر ، وتبادل للأفكار . وكل فرد منا ينشأ فيجد بين يديه نظاما لغويا يسير عليه مجتمعه . فيلتقاه عنه تلقيا بطريق التعلم والتثنية ، كما يتلقى عنه سائر انظم الاجتماعية الأخرى.^(١٥)

واللغة كأي مظهر آخر من مظاهر الثقافة خاضعة للتغير وبذلك فإن إستعمال اللغة في كل جماعة لغوية هو إستعمال متطور بطبيعته.^(١٦) مما جعل البحث في الوظيفة الاجتماعية للغة بحثا متجددا على مر العصور .

فالأبنية اللغوية في أي نقطة معينة من تاريخها قد تبدو أنها صلبة وغير متغيرة إلا أن هذا المظهر لا ينم عن الحقيقة . ففى الواقع أن جميع اللغات الحية (أى التى لا تزال منطوقة) تخضع لتغير مستمر يظهر فى كل من أبنيتها الصرفية والنحوية . وقد يكون هذا التغير بطيئا بحيث لا تتسنى ملاحظته فى الممارسة الفعلية ولا يصير ياديا للعيان إلا عندما نلاحظ أن لسائين أو أكثر لا يفهما إلا المتحدثون بكل منها ، مع أنها صادرة عن مصدر مشترك.^(١٧) كما هو فى مصر ومختلف الدول العربية . واضخم تطور فى إستعمال معظم اللغات هو ذلك الذى يمر به العالم الآن وعبر عنه م.م. لويس بأنه " ثورة لغوية " وفتحت هذه الثورة عن ما تعرض له العالم خلال الخمسين سنة الماضية من تقدم فى طرق الإتصال المادى كالتليفون واللاسلكى والطيران والتليفزيون والسينما والصحافة والقرن الصناعى.... إلخ.^(١٨)

ف لغة الفرد فى تغير دائم وديناميكية وما يبين ذلك أن الفرد لا يحيط بجميع مفردات اللغة العامة فى سن معين بل لا يزال يسمع ألفاظا جديدة يضيفها إلى ما يعرفه ، فهو فى كل دور جديد من أدوار حياته وفى كل تجربة من التجارب الهامة التى يخضع لها يسمع ما لم يكن قد سمع ، وهو فى كل حال من هذه الأحوال لا يسمع

مفردات جديدة لحسب ، ولكنه يسمع كذلك تعبيرات جديدة وطرائق من الكلام حديثة.^(١٩)

وهذا ليس على النطاق الفردى بل أشمل وأعم مما جعل المجامع اللغوية فى العالم تجتمع بين فترة وأخرى لتضع أسماء لأشياء جديدة اخترعت وعرفت مهمتها أو كلمات إتفق على وضعها ضمن لغة معينة.

ويتطور مدلول الكلمة فى لغة ما تبعا لتطور الشئون الإجتماعية المحيطة بهذا المدلول. فعلى سبيل المثال فى اللغة العربية كلمة " القطار " كانت تطلق فى الأصل على عدد من الأبل يسير على نسق واحد تستخدم فى السفر وفى النقل ولكن تغير الآن مدلولها الأصلى تبعا لتطور وسائل المواصلات، فأصبحت تطلق على مجموعة عربات تقطرها قاطرة بخارية أو كهربائية.

وكذلك كثرة إستخدام الخاص فى معان عامة عن طريق التوسع فى إستخدامها لسبب إجتماعى ومن ذلك مثلا فى اللغة العربية كلمة البأس وهى فى الأصل العرب ثم كثر إستخدامها فى كل شدة فأكتسبت من هذا الإستخدام معنى عاما.^(٢٠) وكان لها إستخدام خاص لدى الشعب المغربى ، فهذه الكلمة تمثل النمط الشائع للتحية بين مختلف الأفراد عند اللقاء بقولهم " لا بأس " بخير وعلى خير ؟ ، وربما يرجع ذلك لتعرض المجتمع المغربى للإحتلال الفرنسى منولت كثيرة وإنعكاس ذلك على الحياة التى عاشها الشعب التى إتسمت بالحروب والشدة معا أضفى على هذه الكلمة هذا المعنى العام.

وتوصف لغات بأنها حية وأخرى بأنها ميتة والحق أن هذه الحياة وذلك الموت نسبيان يقاسان بإستمرار إستعمال هذه اللغات أو بإتقطاع دورتها على الألسن.^(٢١)

ومن اللغات التي ماتت اللغة القبطية في مصر والبربرية في أقطار كثيرة من شمال أفريقيا. ^(٢٢) والواقع أن اللغة البربرية لازالت حية على ألسن كثير من المغاربة البربر وهي لغة حديث وكتابة ولازال بالمغرب - مجلات تصدر باللغة البربرية * * وأغان كثيرة يتغنى بها البربر في حفلاتهم المختلفة ، ولديهم عادات وتقاليد تختلف عن عادات المجتمع المغربي ولهم زى خاص بهم تحرص المراه المغربية على إرتدائه في العرس من بين الملابس التي ترتديها ولازال البربر حريصين كل الحرص على اللغة البربرية بتعليمها لأبنائهم وإستخدامها في حديثهم داخل منازلهم أو بين أفراد مجتمعهم . ويتعرف البربر على بعضهم خارج القطر المغربي وفي مختلف بلدان العالم من خلال لغتهم وأسمائهم إذ لهم أسماء خاصة بهم كما لهم بعض ملامح فيزيقية تختلف عن ملامح باقي أقطار الشعب المغربي ولا مجال هنا للخوض في وصف هذه الملامح لبعدها عن إهتمامنا في هذا البحث.

-١-

الأنثروبولوجيا واللغة

ظل علماء الأنثروبولوجيا واللغة يعملون معا جنبا إلى جنب سنوات متحدة، إلا أن علماء اللغة كما ذكر ليفي ستروس إنتقلوا إلى الجانب الآخر من ذلك الحاجز الذي يفصل العلوم الطبيعية عن العلوم الإنسانية والاجتماعية. ^(٢٣) وعلى الرغم أن ستروس أكد هنا على سبق علماء اللغة في الدراسة العلمية للغة إلا أنه من ناحية أخرى أكد الصلة الوثيقة بين الأنثروبولوجيين واللغويين .

وقد إهتم علماء الأنثروبولوجيا باللغة ليس من حيث كونها أداة فعالة في الدراسة الميدانية فحسب بل كعنصر أساسي في البنية الثقافية مجال إهتمامهم ودراستهم ، لذلك تمثل اللغة فرعا من الأنثروبولوجيا وتعرف بالأنثروبولوجيا

اللغوية مثلها مثل الأنثروبولوجيا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفيزيائية والدينية إلخ . (٢٤)

وفي الوقت الذى أكد فيه بلومفيلد Bloomfield أن العلاقة بين الثقافة واللغة لاتأنت غير واضحة ولكى تتضح لا بد من البداية الفصل بين Emic & Etic ويقصد بذلك الفصل بين البناء Structure والعناصر الملاحظة Observational. (٢٥) كما أكد بعض الأنثروبولوجيين من ناحية أخرى أن اللغة هى الثقافة وأن الثقافة هى اللغة وبذلك فهما لفظان مترادفان والصلة بينهما عضوية أو حيوية والذى يميزهما أن الثقافة بنية Structure وأن اللغة لو الإتصال هو العمليات Processes التى تتكون فيها هذه البنية. (٢٦) كما ينظر للغة بكونها مفتاحا للثقافة ككل. فالثقافة فى كل مظاهرها عبارة عن لغة. واللغة ليست ظاهرة بسيطة. بل ظاهرة اجتماعية مكتسبة لها دور جوهري فى حفظ التراث الإنسانى وإنماء الثقافة ونقلها إلى الأجيال (٢٧)

ولقد إحتلت اللغة مكانا هاما فى تفكير البنائين نتيجة لتأثرهم بكتابات دوسويسير مثل ادوارد سابير وبلومفيلد والواقع إنهم إختلفوا فى تحديد مجال الدراسة من ناحية وتحديد هدف علم اللغة من ناحية أخرى . وعلى الرغم من ذلك فإن البنائين إهتموا ببحث البرهان الإمبريقي Empirical evidence فى دراسة اللغة. (٢٨)

وقد إعترض على إتجاه البنائية عالم اللغة الأمريكى تشومسكى Noam Chomsky الذى إهتم بالنظرية الفكرية العقلية للغة - التى راضها البنائين - التى تهتم بالكفاءة اللغوية أو المعرفة النطرية للغة

غير الواعية Unconscious Knowledge لدى الأهالي الناطقين بهذه اللغة واتقى يطلق عليها Competence دون الإهتمام بالأداء اللغوى Performance^(٢١) الذى هو مجال إهتمام البنائين ، فاللغة لديهم نسق إجتماعى وثقافى ، وينظر البنائيون عموما للغة على أنها نظام لا يرتبط وجوده بوجود الفرد بل يدخل الفرد فى هذا النسق بولادته . وبذلك تعتبر اللغة أهم عنصر فى عملية التنشئة الإجتماعية كما أنها توصف بأنها (لا شخصية) لأنها تملو وترتفع وتسمو علينا وتتجاوزنا كأفراد . (٢٠) وقد ذهب إدوارد سايير إلى أن اللغة:

" وسيلة إنسانية خالصة غير غريزية إطلاقا لتوصيل الأفكار والإنفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصور بطريقة إرادية " . وقد أثار هذا التعريف حوله جدلا جعل علماء اللغة ينقسمون ما بين مؤيدين ومعارضين وأصحاب هذه النظرية فى اللغة يرون أن الوظيفة الأساسية للغة هى أنها وسيلة من الإتصال أو التوصيل عن طريق الأصوات الكلامية. وإن ما توصله اللغة يتمثل فى الأفكار والمعانى والإنفعالات والرغبات إلخ أو الفكر بوجه عام ، وذهب هذا المذهب كثير من علماء اللغة لا سيما الذين تقوم دراساتهم للغة على أساس منطقي أو فلسفى أو نفسى ويرى هؤلاء أن اللغة لا تعدو أن تكون مرآة ينعكس عليها الفكر أو مستودعا للفكر المنعكس أو وسيلة لتجسيم الفكر أو التعبير عنه.(٢٢)

ولقد كان لماينفوسكى فضل كبير فى تغيير النظر إلى اللغة ووظيفتها فهى ليست مجرد وسيلة للتفاهم أو للتوصيل بل هى حلقة فى سلسلة النشاط الإنسانى المنتظم وهى جزء من السلوك الإنسانى وليست أداة عاكسة للفكر وبذلك يتضح أن إهتمام الأنثروبولوجيا اللغوية لا ينصب على الكلمة أو الجملة وإنما على الحدث الكلامى Speech act ونتيجة لدراسة الحدث الكلامى وما يتصل به من ملامبات

تغير مفهوم اللغويين وأصبحت وظيفة اللغة هي " الدلالة " وتقصى في علم اللغة الاجتماعي إلى نظرية الرمز التي تقرر أن وظيفة اللغة هي الإتصال. لذلك إذا كان اللغويون يعزلون بعض الظواهر اللغوية لدراستها في حد ذاتها فإن علم اللغة الاجتماعي يصر على دراسة الظواهر في إطار كل ما في المجتمع لمعرفة العوامل التي تؤثر في الحدث الكلامي بالنظر للغة على أنها وظيفة إجتماعية.^(٢٢) وهذا هو مجال إهتمام الأنثروبولوجيا اللغوية.^(٢٣)

وفي ضوء ما تقدم ذكره تظهر أهمية اللغة كمجال للبحث ليس فقط من الناحية اللغوية بل كذلك من الناحية الاجتماعية الثقافية بالخروج من نطاق الكلمات إلى الجمل ومدلولاتها وإختلافاتها بإختلاف الثقافة مما جعلها تستحق الدراسة. فكان هذا البحث الذي نحن بصددته لدراسة التأثيرات الأيكولوجية والثقافية في لهجة المغاربة بفاس وسيتم التركيز في هذا المجال على مجموعة من المحاور التي تتمثل في أهمية اللغة ووظائفها المختلفة للفرد والمجتمع ، وأثر اللغة البربرية على اللهجة المغربية وأثر البيئة على اللغة والإستعمار اللهجة المغربية.

وقد أثرنا في هذا البحث إختيار مجتمعين مختلفين ثقافيا وكذلك لغويا وإن كانا ينتميان إلى لغة أم واحدة وهي اللغة العربية فالمجتمع المغربي كما نعلم يتحدث لغة دارجة تختلف عن اللغة العربية الدارجة في كثير من الشعوب العربية ، الأمر الذي يجعل من الصعوبة فهم لغة المجتمع إلا للمتحدثين بها . ولما كان من الضرورات الأساسية للباحث الأنثروبولوجي عند دراسته الميدانية تعلم لغة المجتمع. كان لزاما علينا تعلم اللهجة المغربية كأداة فعالة عند دراستنا الميدانية لبحوث سابقة . والجدير بالذكر أننا منذ بداية دراستنا للمجتمع المغربي ورجع ذلك إلى سبع سنوات ماضية قد فرض علينا الإهتمام بالمنطوق اللغوي لصعوبته من ناحية ولمحاولة تعلمه ليس فهما بل نطقا مع محاولة التعرف على الأصول التاريخية

لبعض الكلمات وخاصة أن المجتمع المغربي كما نعلم مجتمع إختلطت فيه عناصر بشرية مختلفة وإن كان العرب والبربر هما العنصرين الأساسيين في التركيب البشرى المغربى ، إلا أن المغاربة هم نتيجة إنصهار أربعة عناصر هي البربرى والعربى واليهودى *** والزنجى الآتى من جنوب الصحراء ، فضلا عن وفود بشرية فينيقية ورومانية ودم أوروبى كالذى حمله عدد من مسلمى أسبانيا بعد خروجهم من الأندلس .^(٢٤) يضاف إلى ذلك ما ترتب على المواقع الجغرافى المعزاز للمجتمع المغربى مما جعله موطعا للإستعمار الفرنسى لفترة تقرب من أربعة وأربعين عاما مما كان له أكبر الأثر على اللغة العربية والشعب المغربى . والحقيقة إن هذا كان وراء إهتمامنا باللهجة المغربىة والعادات الكلامية الشائعة ذات العلاقة الوثيقة بالتقيم والأفكار والأنظمة السائدة فى المجتمع ومقارنة هذه العادات بما هو فى المجتمع المصرى مع إظهار أوجه التشابه والإختلاف بينهما والأسباب التى وراء ذلك.

وعن المرحلة الزمنية لهذا البحث لا تستطيع الباحثة فى الواقع تحديد فترة زمنية محددة إستغرقتها هذا البحث، بل كما ذكرت من قبل كان موضوع اللغة مجال إهتمام منذ بداية تعلمها كأداة للدراسة الميدانية فى بحوث سابقة وعن فترة الإهتمام بعقد المقارنة بين العادات الكلامية فى المغرب ومصر يمكن لنا أن نصرح بأنها إستغرقت ما يقرب من تسعة أشهر.

نظرية سياق الحال *Context of situation*

إعتمدت الباحثة على نظرية أنثروبولوجية لغوية هامة وهى نظرية سياق الحال وهى نظرية تحليلية لى المقام الأول إذ تعتمد على تحليل ملابسات الموقف

الذى تستخدم فيه اللغة وصولاً إلى تحديد سماتها وسمات المشتركين فيها ورموزها ودلالاتها.

فى القرن التاسع عشر كان ميدان علم اللغة فى أوروبا مهتما بالدراسات الصوتية والنحوية والقاموسية دراسة تاريخية لإجراء المقارنات بين اللغات المختلفة. وبين هذه الدراسات ظهرت فى أوروبا صعوبة ترجمة كلمات اللغة البدائية، ولمواجهة هذه الصعوبة نشأت نظرية سياق الحال وأهميتها بإعطاء وصف كامل للتقانة المحيطة باللغة فى المجتمعات البدائية . وواجه مالىنوفسكى هذه المشكلة فى معظم أعماله حيث وجد أن تحديد المعانى يفرض ضرورة الوصف الأثنوجرافى الكامل لما يحيط بها description Ethnographic واتضح هذا الإتجاه فى كتابات مالىنوفسكى عند أهالى Mailu 1915 ودراسته لحدائق المرجان

Coral gardens 1925 . إذ بذل مالىنوفسكى أقصى جهده لإعطاء للكلمات المحلية native words معانيها من خلال السياق الثقافى ، لذا كان إهتمامه بتعريف الكلمات المفردة فى إطار ما أطلق عليه " مشكلة المعنى " فى لغات المجتمعات البدائية وإهتمامه باللغة من منظور أثنوجرافى . بل لقد أعتبر دراسة اللغة دون أثنوجرافيا دراسة غير مكتملة وكذلك الوصف الأثنوجرافى لا يتم دون الإهتمام باللغة ، لذلك كانت الأثنوجرافيه السياقيه Ethnographic Context حلاً لمشكلة المعنى التى تواجه الأثنوبولوجى عند دراسته للمجتمع . (30)

والبحث فى معانى اللغة من خلال ارتباطها بالسياق الثقافى والإجتماعى يرجع الفضل فيه إلى مالىنوفسكى إذ نظر للنصوص اللغوية من حيث كونها وثائق للمعالية المحلية native mentality وتمثل المعلومات الأثنوجرافية لديه ثلاثة مظاهر أساسية هى :

١- وصف للعادات والتقاليد.

٢- معرفة الطريقة التي يتعرف بها الأهالي بالفعل.

٣- تفسير ما يحويه عقل الأهالي.

وكل ذلك لا يتم إلا من خلال ملاحظة وتسجيل كل ما يقوله الأهالي بحلة^(٣٦) وقد إتفق مالمينوفسكى وفيرث لى تحديد العناصر التى يتكون منها تصورهما عن سياق الحال ونذكر من هذه العناصر:

١- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافى ودورهما فى الموقف الكلامى (مشاركون أم مشاهدون إلخ).

٢- الظواهر الإجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوى لمن يشارك فى الموقف الكلامى كمكان الكلام والحاضرين أثناء الحديث وكل ما يطرأ وله أثر على الموقف الكلامى.

٣- أثر النص الكلامى فى المشتركين كالإستماع أو الأكم أو الأغراء أو الضحك ... إلخ ومن ثم يتضح أن من أهم خصائص سياق الحال إبراز الدور الإجتماعى الذى يقوم به المتكلم وسائر المشتركين فى الموقف الكلامى^(٣٧).

لذلك فإن أى نص كلامى لا يوصل إلى معناه الحق الكامل بدراسته وحده مستقلاً من الناحية الصوتية بل يجب أن يدخل فى تقدير معناه عناصر أخرى تفوق العنصر الكلامى بل تكون معه كلاً متكامل.

فالساق هو إطار مرجعى للكلمات المنطوقة وتحاول معانيها للوصول إلى الأفكار التى وراء الكلمات.^(٣٨) بينما يهتم علماء اللغة بالوصف يهتم علماء الأنثروبولوجية اللغوية بالتأثير المتبادل بين الثقافة واللغة وبذلك فدراسة اللغة لدى

الأنثروبولوجى دراسة عليّة وصفية دقيقة تحمل فيها اللغة طابع الحياة كما تحمل طابع الثقافة. (٢٩)

إعتمدت الباحثة على المنهج الأنثروبولوجى التقليدى (الملاحظة بالمعايشة) ومنهج تحليل المضمون Content analysis وهما يعدان من أنسب المناهج لفهم البناء الإجتماعى للوحدات اللغوية وتحليل العمليات الأساسية فى الحياة الاجتماعية التى تمثل وسائل الإتصال الجمعى. ومن ثم التعرف على الإطار اللغوى العام بأبعاده اللغوية والاجتماعية والثقافية.

كما إستعانت الباحثة بالمنهج الوصفى التحليلى والمنهج المقارن للتوصل إلى أوجه التشابه والاختلاف بين العادات الكلامية فى مصر والمغرب.

وقد إعتمدت الباحثة على أنماط طبيعية من الأحاديث اليومية التى تدور بين إثنين أو أكثر فى مختلف المناسبات. بالإضافة إلى الإعتماد على نمطين من أنماط الحوار ، تمثل النمط الأول فى الشجار بين زوج وزوجته وحضر الموقف الكلامى الزوجة الأولى للزوج التى حاولت بدورها التدخل للتخفيف من وطأ الشجار . وتمثل النمط الثانى فى الشجار بين صديقين أثناء جلوسهما على المقهى .

ويتسم حوار الشجار بالتلقائية والطبيعية على الرغم من حدوثه فى وجود آخرين إلا أن الموقف الكلامى لا يؤثر على الحوار الإنفعالى للمتشاجرين. ويبين للباحثة بالإعتماد على سياق الحال وتحليل المضمون لنمطى الحوار، الدور الاجتماعى الذى يقوم به المتكلم وسائر المشتركين فى الموقف الكلامى. وتحليل الكلمات المنطوقة والوقوف على معانيها فى السياق يمكن للوصول إلى الأفكار التى وراء الكلام ومن ثم تتبىء عن ثقافة المجتمع من معارف وعادات وتقاليد ... إلخ وعن أنوات البحث إستعانت الباحثة بالتسجيل الصوتى والمرئى لبعض من أفراد مجتمع فاس كعينة ممثلة لهذا دون اللجوء للباحثة " كراوية " للكلام المنربى من

أجل الحفاظ على المنطوق الصوتي للهجة المغربية . كما إستعانت في كتابة هذه اللهجة بالذكثورة روحية أحمد محمد من قسم الصوتيات بكلية الآداب جامعة الإسكندرية للحفاظ على الخصائص الصوتية اللغوية بإستخدام - الأبجدية الصوتية العالمية - التي كان يصعب الحفاظ عليها بإستخدام علامات التشكيل حيث أن النطق باللهجة المغربية يتمثل في عديد من الظواهر الصوتية واللغوية .

-٢-

اللغة والإتصال

خصائص اللغة ووظائفها

وقبل التحدث عن وظائف اللغة يجدر بنا الإشارة لبعض خصائص اللغة الإنسانية ذات العلاقة الوثيقة بهذه الوظائف لإلقاء الضوء على الأدوار التي تقوم بها اللغة في حياة الفرد والجماعة.

١- الخاصية الأولى هي الثنائية: فاللغة نظام يحتوى على نظامين لرعيين واحد للأصوات والآخر للمعاني . وهذا ما ذكره جاستوف باشلار ***** حين قال أن كل منهج في التفسير ينطلق من مبدأ أساسى هو أن للكلام معنيين ظاهر وباطن وأن اللغة بالتالى ذات ذر وظيفتين وظيفة تعبيرية وأخرى رمزية.^(١)

وهذا ما عرف لدى اللغويين بالـ Emic & Etic ولدى الأنثروبولوجيين كما عبر عنه ميرتون Merton بالوظيفة الظاهرة Manifest Function والوظيفة الباطنة Latent function. والتي تظهر بوضوح من خلال نظرية سياق الحال.

وقد ذكر ميرتون أن مثل هذا التميز يمكن أن يحقق عدة أهداف هامة في مجال البحث الإجتماعى. فهو يساعد أولا على تحليل الأنماط الإجتماعية التي قد

بدو بعيدة عن العقل والمنطق وتوضيحا وتقريبها إلى الأذهان كما يساعد على تفسير كثير من العادات والتصرفات الإجتماعية التي تصدر عن الناس دون أن يكون هناك غرض واضح منها.

٢- الخاصية الثابتة وهي التحكمية: وهي ذات علاقة وثيقة بالخاصية سائلة الذكر وهي ترجع إلى العلاقة بين الرمز اللغوي والشيء الذي يدل عليه لأنها علاقة تحكمية وإتكانت إتدالية بين أفراد المجتمع ومن ثم تتغير بتغير الممكن وكذلك الزمان.

٣- الخاصية الثالثة تتمثل في النقل الثقافي: فاللغة الإنسانية لا تؤخذ إلا بالإكتساب فهي تعيش ولا تنتقل إلا من خلال الثقافة والمجتمع.

٤- الخاصية الرابعة هي الشمول: فاللغة تستخدم للدلالة على أشياء حقيقية متخيلة ومادية ومعنوية وتشير إلى الماضي والحاضر والمستقبل.^(٤١) فالإنسان باللغة يستطيع أن يتجاوز حدود الزمان والمكان لأنها الوسيلة النطقية التي تمكنه من أن يعيش في تزامن مع الماضي (كما هو في الأسطورة والتخصص الشعبي) وكذا مع الحاضر والمستقبل عن طريق التوقعات والمثل والخطط والبرامج ، فاللغة تسمح للأفراد بفهم العوالم التي لا ترى وكذلك إدراك الحقيقة فيما وراء الملموس فالحقيقة التي فيما وراء الطبيعة تتحدد فقط من خلال الكلمات ويستغلها في أفكار.^(٤٢)

ومما تقدم ذكره يتضح دور اللغة في الإتصال بمختلف الأزمنة (ماضي،حاضر ، مستقبل) والفكر والمشاركة والتفاعل الإجتماعي وغير الإجتماعي والنقل الثقافي وتحديد المفاهيم المجردة مثل الشرف ، الحق ، الخير ، الشر التي لا وجود لها دون اللغة فاللغة تطلق على هذه المفاهيم معنويات تحدد بها ملامحها وخصائصها.^(٤٣)

وقد ذكر السمران بعض أنواع من الكلام ليس بها دور أو وظيفة وخاصة من ناحية نقل الأفكار مثل:

١- الكلام الإفرادى " المونولوجى " بصوره المختلفه ويقصد به تحديث الإنسان لنفسه ويتم فيه إستعمال اللغة بقصد التنفيس والتفريغ عن الآلام أو الأحران . وقد نرى أن هذا النمط من الكلام له دور هام ووظيفة أساسية للمتكلم ذاته الذى يمثل هذا الحوار (دور المتكلم والسامع معا) متحققان فى شخص واحد كما أن لهذا النمط وظيفة واضحة وهامة تعرف بالوظيفة الإنفعالية أو التعبيرية Emotional expression وهى تساعد على التخلص من الطاقات الإنفعالية فى حالة الوقوع تحت ضغط ما. وقد يكون لهذا النمط الذى أطلق عليه عالم النفس الروسى

Lev Semenovich Vygotsky الكلام الداخلى Inner speech وظيفة هامة فى الإستخدام العلى لكلمات الإثارة أو لإستحضار تسلسل الأفكار.^(٤٤)

وقد يأخذ هذا النمط شكل مفردات لفظية وتذكر لتقليل من الإنفعالات كما هو فى كلمات السب أو الشتائم فى حالة الغضب أو النشل والإحباط وكذلك بعض الكلمات الإنفعالية الإيجابية كما هو فى حالات تدفق الحب والفرح والتعجب مثل tut - tut أو wow - wow أو ouch - ouch إلخ باللغة الإنجليزية^(٤٥)

ووجد هذا النمط من الكلام الإفرادى بنوعيه فى المجتمع المغربى . ومن الكلمات الإنفعالية الإيجابية نذكر : hææy hææy hææy 'هائى هائى هائى' للتعبير عن الجمال والإعجاب ومن الإنفعالات السلبية نذكر : weeli weeli "ول ول ول" تعبيراً عن الخجل والضيق الناتج عن ذكر كلمات مخجلة يتسبب عنها حدوث مشاكل بين الحاضرين وكإشارة لعدم التماهى فى هذا النمط من الحديث ونذكر " wiili wiili wiili " ويلي ويلي ويلي " للتعبير عن التعجب

من رد الفعل. ونذكر *yæwilti yææweddi* ياودى ياودى ياودى وهى اختصار *yææ weel* "ياويل".

٢- ومن أنواع الوظائف الكلامية التى لم يجد السمران فيها نقلاً للأنكار كثير من إستعمال اللغة فيما يعرف بالسلوك الجماعى كما هو فى الإجتماعات الدينية كالصلاة والدعاء ومخاطبة الله أو المعبود أو أى كائنات أخرى مقدسة أبعد من أن يعد نقلاً للتكرار.^(٢١)

وإن كان على سبيل المثال الطقوس الجماعية سواء كانت دينية أو سحرية تمثل نقلاً صريحاً للفكر للجماعات الصوفية كما تعلم ذات فكر دينى خاص بها يظهر هذا الفكر واضح بين ممارستها وخاصة للجماعية منها مثل " الذكر " فمن يشترك فى هذا النمط يمكن التعرف على أفكاره ومبادئه وإتجاهاته الدينية.

٣- إستخدام اللغة فى المخاطبات الإجتماعية التى لا تستهدف غاية مثل لغة التحيات ولغة التأدب والكلام عن حالات الجو لهذا النمط يؤيد وجهة النظر التى ترى فى تبادل مثل هذه الكلمات عدم وجود غاية سوى غاية الكلام ذاته. والأقرب للواقع أن إستعمال اللغة فى هذا النمط هو فى أساسه صورة من صور العمل الإجتماعى ووسيلة من ومائلته وذلك لأن كل إنسان يجد فى نفسه الميل الطبيعى إلى الإجتماع بسواه والإستمتاع لصحبة غيره والنفور من الجليس الصامت. والكلام أقرب مستلزمات تحقيق هذا الميل وهو ما أطلق عليه مالبينوفسكى التشارك الإجتماعى *Communism* وتحدث عنه David بأنه وسيلة من وسائل تحقيق التفاعل الإجتماعى وهو يستخدم بغرض الحفاظ على الصلة والوئام والألفة بين الناس^(٢٢) فالكلام هو الوسيلة الضرورية للإتصال والتشارك وهو الآلة الفريدة التى لا غنى عنها بخلق روابط اللحظة التى يستحيل بدونها قيام عمل إجتماعى موحد.

ولغة التحيات والكلام عن الجو كلها عبارات ذات مغزى وتعكس فكر المتكلم ، والإختلاف بين المجتمعات فى عبارات التحية والمشاركة الإجتماعية بصفة عامة يرجع للإختلاف الثقافى فيما بينهم ونذكر على سبيل المثال الكلمات المتبادلة بين إثنيين من الفرنسيين للتحية تعرف بـ *Comment allez vous ?* ومعناها كيف أنت سائر ؟ الشيء الذى يدل على فكرة الحركة الكامنة فى باطن الوعى ويوحى بالإلتفات إلى سير الحياة. أما الإنجليزى حين يلتقى بصديق له يقول *How do you do ?* ومعناها اللفظى " كيف أنت فاعل ؟ " الشيء الذى يعبر عن فكرة العمل ويدل عما يصنع فى الحيات. أما المغربى ليسال ملائكة " إش أخبارك " الأمر الذى يتم عن الميل الطبيعى الذى يجذبه إلى البحث عن الأخبار وعن ما لعله يظهر التعلق بالشكل دون الجوهر والنتيجة التى وراءه. ^(٤٨)

مما تقدم ذكره لا نستطيع أن نقصر وظيفة اللغة - تبعا للنظرية الكلاسيكية - على الإتصال والتعبير عن الفكر وتوصيله للآخرين ^(٤٩) بل من الأرجح أن ننظر للغة والدور الذى تؤديه للفرد والمجتمع.

فاللغة هى قوام الحياة الروحية والفكرية والمادية والتصورية الخيالية ، بها يعمق الإنسان صلتة وأصالته بالمجتمع الذى يتحدد أفراداه بوحدة اللغة والثقافة. ^(٥٠)

وللغة دور هام فى تعزيز معنى الهوية أو الذاتية الشخصية وتظهر فى الإشتراك فى نفس الآراء السياسية أو الإلتواء لجماعة ما سواء كانت رياضية أو دينية أو مهنية... إلخ. ^(٥١) والوظيفة الأساسية والتى على جانب كبير من الأهمية وذات صلة وثيقة بمجتمعى الدراسة هى القومية من خلال إعتزاز كل أمه بلغتها والحفاظ عليها وخاصة فى حالة الصراع الذى ينشب بين الأمم التى تتعرض للإحتلال ، ومن ثم تفرض عليها لغة المستعمر لتصبح لغة التعليم فى المدارس والجامعات وكذلك اللغة الرسمية فى المخابرات الحكومية وفى المحاكم وسائر

الأمر الرسمي ، ومن أبرز الأمثلة على هذا فرض الإيطالية على ليبيا والفرنسية على الجزائر والمغرب وقت الاحتلال . إلا أن هذه الأمم احتفظت بلغتها القومية في المنازل ، ومن أفرادها من كان يحرص على تعليم صغاره اللغة القومية (العربية) سرا في المنزل كما هو في ليبيا أثناء الاحتلال الإيطالي ^(٥٢) والحقيقة أن العلاقة بين اللغة وإعتراف الجماعة بقوميتها وتثبيت هذه القومية وإحيائها علاقة خطيرة الشأن مما يجعل المستعمر يعتمد على اللغة اعتمادا أساسيا لتثبيت أواصر أفراد المجتمع أولا: بفرض لغة المستعمر وهذا ما حدث في المجتمع قيد الدراسة إذ فرضت فرنسا اللغة الفرنسية على المدارس والجامعات وكافة المعاملات الرسمية مع المخازن**** المختلفة والمحاكم.

والأمر لا يقتصر على ذلك بل إتخذ الفرنسيون اللغة كأداة للتفرقة بين أفراد المجتمع المغربي نفسه. وكما هو معروف أن العرب والبربر هما العنصران الأساسيان في التركيب البشري المغربي ولتحقيق التفرقة بينهما لجأت فرنسا إلى إبعاد البربر عن الإسلام ومحاولة دمجهم مع الفرنسيين وتم هذا بإحياء الأعراف البربرية وإحلال اللغة البربرية بإنشاء معهد لتدريسها في مراكش وكذلك مدارس للغة البربرية.

-٣-

اللغة والحركة الجسمية

ومما هو شائع معروف أن لطرائق الكلام والاتصال وسائل لغوية وغير لغوية. فكثيرا ما نقول إن الطريقة التي كان يتحدث بها أحد الأفراد جعلتني أشعر بأحاسيس مختلفة وكلمة الطريقة هذه تدعني درجة الصوت أو شكل الكتف أو تعبيرات الوجه..... إلخ من الأمور المصاحبة للنطق الكلامي أو اللغوي والتي تخاطب العين وتعرف بالاتصال الإنساني غير اللغوي كالإيماءات Gestures وقد

تمثل أداء معتارة لتوصيل الرسائل المعبرة عن الحالة الانفعالية الداخلية للإنسان كالتعبير عن الغضب والتعب والخوف.^(٥٣)

واللغة بوصفها نظاما لا تحدث بمفردها وإنما تصبحها عادة نظم أخرى ، وأحد هذه النظم هو الحركة الجسمية. وأول من اهتم بالحركة الجسمية فى أمريكا هم فرانس بواس Franz Boas وإدولرد سابير وستون لبار La Barre Weston. بيد أن البحث الجدى فى علم الحركة الجسمية لم يبدأ إلا على يد عالم الأنثروبولوجيا الأمريكية بيردوسل Ray L. Birdwhistell وأطلق عليه Kinesics وهو العلم الذى يختص بوصف أوضاع الجسم وحركاته.^(٥٤) وعلم الحركة الجسمية يعتبر جزءا من علم أعم وهو علم العلامات أو السيمولوجيا. والعلامات سمعية وبصرية كالإيماءات أو الإشارات الجسدية . وسوف نتناولها بالدراسة فى مجتمعى الدراسة وكذلك الأشكال أو العلامات البصرية والسمعية خارج الجسم الإنسانى مثل الرايات والضوء والإعلام .. إلخ ولغات الطبول والأجراس كما هو فى الكنائس والمعابد والمدارس.^(٥٥)

والحركات الجسمية أو لغة الجسم كما يطلق عليها أحيانا قد تكون هى شاية فى حد ذاتها كما فى الحديث التليفونى الذى لا يرى فيه الإنسان من يحدثه. وقد يكون للعرض منها رسالة ذات معنى . وفى الواقع سواء هذا النمط أو ذاك فهى متنفس للإنفعالات التى تجيش بها نفس المتحدث ولا يستطيع أن يكتتمها . وهناك من المواقف ما تكون الحركة الجسمية فيه أصدى وأحسن تعبيراً من الكلام . وهناك من الأشياء ما لا نستطيع وصفه دون إستخدام حركة جسمية مصاحبة للوصف وتعرف هذه بالحركة التوضيحية كما هو فى حالة وصف " البريمة " إذ لا بد من رفع السبابة وجعل اليد تدور فى الهواء عدة مرات. ^(٥٦) ولكل شعب حركاته الجسمية التى تميزه عن سائر الشعوب يتعلمها الأطفال خلال تنشئتهم الإجتماعية كما يتعلمون

لغة بلادهم سواء بسواء . وتختلف حركات الجسم باختلاف المستوى الطبقي فالمستوى الأعلى والأدنى يتحدد بسهولة بمجرد التعرف على طريقة النطق اللغوي. وقد ذكر بعض الباحثين أن سكان البحر المتوسط يستخدمون الحركة الجسمية بكثرة أثناء كلامهم لكي يوفروا على أنفسهم مجهود الكلام في الجو الحار الذي يسود بلادهم ، إلا أن هذا لا يعتبر قاعدة تطبق على كافة المجتمعات ذات الجو الحار ، بينما على العكس من ذلك وجدت الحركة الجسمية بكثرة في بعض المجتمعات ذات الجو البارد^(٥٧) ، ونذكر على سبيل المثال مجتمع الدراسة " فاس " يسوده البرد القارس شتاء وعلى الرغم من ذلك يتميز أفراد بكثرة الحديث بالحركة الجسمية التي لا تقتصر على الأصابع واليدين بل وكذلك الرأس والجذع بأكمله. لذلك نرى أن الحركة الجسمية أقرب إلى كونها عادة مصاحبة للكلام تستخدم كوسيلة للتعبير عن اللغة في الحديث ومحاولة تجسيد الكلام بالحركة لسرعة إستيعابها. وسوف نذكر هنا بعضاً من الحركات والإشارات التي تتم دون كلام - وتدل على معنى كامن في ذاتها - وبعض من الحركات التي تصاحب الكلام وتعبّر عن الحالة النفسية والاجتماعية للمتحدث.

أولاً الحركات والإشارات التي تتم دون الكلام.



١- وضع طرف الإبهام فوق الطرف الداخلي للسبابة مما ينتج عنه شكل دائرة مع يسط بقية الأصابع وهذه الحركة ترمز في مصر إلى التهديد والوعيد وفي المجتمع المغربي ترمز نفس الحركة مع هز اليد ورفع الحاجبين لأعلى وضم الشفتين مع رفع الذقن قليلاً لأعلى تعبيراً عن الإعجاب وتذوق الجمال والشياكة أو " الظاظ " كما هو معروف لديهم.

٢- ضم أصابع اليد اليمنى عدا السبابة الذى يثنى قليلا ويمرر
جنبه الأيسر لعمل خط مستقيم منتحت العين على الخد الأيمن
لأسفل حتى الذكن مع الضغط بالأسنان على الشفة السفلية للفم.



تعبيرا عن اللوم والعقاب المصحوب بالشكر والإمتنان. واستخدمت هذه الإشارة
كثيرا لعقاب الباحثة عند تقديمها هدية أو إعطاءها مبلغا من المال لأحد أطفال
الأسرة. وهذه الإشارة خاصة بالمجتمع المغربى.

٣- تحريك الرأس دائريا فى نطاق ضيق وسريع تعبيرا عن الحزن والأسى الذى
يشعر به من يقوم بهذه الحركة.



٤- ضم أطراف اليد اليمنى عدا السبابة وتحريكها حركة دائرية
بإرتكاز طرف السبابة فى مكان النبض الأيمن للرأس ، وهذه

إشارة إلى حاجة أحد الأفراد للضبط العقلى. وترجع هذه الرمزية إلى المشابهة بين
ذلك وما يحتاجه الفرش فى المجتمع المغربى من "بولونات" أى أزرار تثبت
لضبط للصوف الذى يوضع داخل الفرش ومن ثم ترجع المشابهة هنا إلى البيئة.

وفى المجتمع المصرى إشارة مشابهة شكلا ومضمونا وإن كان المجتمع
هنا يستبدل تحريك إصبع واحد بتحريك أصابع اليد اليمنى فى شكل نصف دائرى
عدة مرات فى نفس المكان ويقصد بهذه الإشارة التعبير عن الخلل العقلى.

٥- اللطم على الخد الأيمن مرة أو إثنين بأصابع اليد عدا الخنصر والإبهام مع رفع
الحاجبين لأعلى وضم الشفتين للتعبير عن وقوع الخطأ من المتكلم تحاشيا لما يترتب
على هذا الخطأ من نتائج جسيمة كالطلاق مثلا أو الحرمان من التعليم والخروج من
المنزل. وهذه الإشارة خاصة بالنساء. وهذا النمط يوجد ما هو مشابه له فى مصر
وإن كان أكثر ارتباطا بسماع نيا سىء كالموت أو الخسارة بكافة أنواعها (المالية ،
الاجتماعية ، البشرية)



٦- ضم الأصابع ما عدا الإبهام ووضعها أسفل الذقن

وكان يتم البصم به في هذا المكان للإشارة إلى الزحام.

٧- ضم الأصابع ما عدا الإبهام والإشارة به كأننا نعبر عن شيء يسكب بحركته من اليمين إلى اليسار . والمقصود بها الإشارة لأحد الأفراد يتناول الخمر بكثرة وهي إشارة تعبيرية ظاهرة تمثل كثرة سكب الخمر في الكأس وتناوله.



٨- تحريك كف اليد مرات عديدة وراء بعض في مواجهة المتحدث نفسه كإشارة للمناداء سرا حتى لا يسمعه الحاضرون ووجدت هذه الإشارة في مجتمعي الدراسة. وأحيانا يتم الاستفهام بالإشارة بالسبابة على أحد ثم تحريك الكف الأيمن بعمل نصف دائرة ليصبح الكف من الداخل في مواجهة المتحدث للاستفهام مثلا عن غضب أحد من الموجودين.

ثانيا : الحركات والإشارات التي تتم بمصاحبة الكلام

الإشارة للنفي:

• الإشارة ببسط الكفين ورفعها في حالة النفي بجوار الأذنين

بحيث يواجهان المخاطب (أشبه بوضع التسليم عند التهديد)

"والله ما قلت ولو " (ولو لاشيء على الإطلاق).



• رفع الكفين في حالة النفي أمام الوجه ببسطها للأمام في

مواجهة الجالس ثم تقاطعهما مع بعضهم البعض ثم بسطهما

مرة أخرى.

الإشارة للإستفهام

وتتم الإشارة بيد واحدة وأحيانا باليدين الإثنتين معا ويتوقف ذلك على السياق. وتتمثل الإشارة لى حركة الكف من رشح اليد بعمل نصف دائرة ليصبح كف اليد من الداخل مواجهة للمتحدث .

الإشارة للتوكيد

وهى تشمل إشارتين الأولى ضم الأصابع عدا السبابة والإشارة به مع هز اليد وهذا النمط وجد فى مجتمعى الدراسة بالمعنى نفسه وقد يصاحب هذا النمط إشارة أخرى وجدت فى المغرب وهى رفع الكف للوراء مع بسطه لى مواجهة المتحدث إليه. وهى تدل على التهديد المصاحب للتوكيد.



ثالثا الحركات والإشارات التى تدل على الأفعال

الحركة التى تشير للمضارع (اليوم أو النهاردة) وتتمثل لى الإشارة بالسبابة أمام الجسم فى إتجاه الأرض مع ضم باقى الأصابع وهذه وجدت فى مجتمعى الدراسة بالمعنى نفسه وإن كانت فى المجتمع المغربى تتم بالإشارة باليد بأكملها وليس بالسبابة فقط.

الحركة التى تستخدم للتعبير عن الماضى (إمبارح ، الأمس) تتمثل فى ثنى أصابع اليد عدا السبابة والإشارة به للخلف هذا فى المجتمع الفصرى أما فى المجتمع المغربى قد تستخدم اليد بأكملها للإشارة للخلف بحيث تواجه راحة الكف للمشير بهذه الإشارة تعبيراً عن الماضى القريب ولى حالة الماضى البعيد تستخدم الحركة نفسها مع إتساع المدى الحركى لليد إرتفاعا وتكرارا للحركة.

الإشارة التى تستخدم للتعبير عن المستقبل ككلمة " غدا " فى مصر يستخدم فيها السبابة بضم باقى أطراف الأصابع مع رسم نصف دائرة فى الهواء باليد من

أعلى لأسفل ثم الإشارة بالسبابة للأرض . ويعبر المغري عن المستقبل بإشارات أشبه بما يعبر به عن المضارع.

ومن العادات الشائعة لدى المقاربة ملامسة المتحدثين لبعضهم بعضاً ، وقد يلجأ أحد المتحدثين إلى وضع يديه على ساعد المتحدث إليه بهدف التثبيته بالتركيز معه في الحديث وجذب إهتمامه وتأييده.

وقد ذكر دافيد أن المجتمع العربي وأمريكا اللاتينية من المجتمعات التي يسودها التلامس أثناء الحديث بكثرة عن بعض المجتمعات التي تتجنب هذا التلامس أثناء الحديث مثل أوروبا الشمالية والهند^(٥٩) .

وبالملاحظة تبين أنه عند الإفعال تزداد الحركة الجسمية للنساء بالتمايل أماما وخلفا عن الإشارة باليد . أما الرجال فهم أكثر إستخداما لليدين والحركة الجسمية للتعبير عن الإفعال.

ومن ثم يتضح أن النظام الحركي لشعب ما يسهل عملية التفاهم والتقارب بين الناس والإتصال بنوعيه في الموقف الإفعالي أو العاطفي الذي يسوده الحب والمودة. لذلك ففي كثير من الأحيان تكون الحركة أو الإشارة أبلغ من الكلام.

-٤-

أثر اللغة البربرية على اللهجة المغربية

وقد أجمعت المصادر العربية والأوربية على وجود الجنس البربري في الشمال الأتريقي ولم يجزم أحد من أصحاب هذه المصادر بتحديد الموطن الأصلي لهذا الجنس والذي نزع منه إلى المغرب . ومصدر إسمهم مشتق من كلمة أصلية معناها " الأجنبي " وهي مصدر لكلمات مثل بربري أو بلاد البربر وهم يطلقون على أنفسهم مسمى " الرجال الأحرار " وعلى الرغم من كثرة المحاولات للوصول

إلى منشأ الجنس البربرى إلا أن أصوب ما قيل فى هذا الصدد هو قول جون جنتر (John Gunter) " إن منشأ الجنس البربرى مر غامض ". كذلك لهم لغة خاصة من أصل مجهول حافظت على كيانها أمام اللبنيقية واللاتينية والعربية وظلت باقية حتى الآن.^(٥٩)

والبربر هم خلاصة الحاميين الذين تمسكوا بوطنهم الأصلي - شمال أفريقيا - فنشأوا فى هذا المكان وإستقروا فيه على مر العصور والأزمان . واللغات السامية - ومنها العربية - تشبه اللغات الحامية - ومنها البربرية - شيها لا يدع مجالاً للشك فى أن ثمة صلة وثيقة بين هاتين المجموعتين من اللغات بحيث يمكن إرجاعها قطعاً إلى أصل مشترك . وأكد سلجمان أن الحاميين والساميين معا من أصل سلالى واحد أصابه التحوير والتعديل ، والدليل على ذلك يكمن فى وجود سمات ثقافية مشتركة وتشابه لغوى بينهما.^(٦٠)

ومهما كان تنوع الأصناف الجنسية التى يشتغل عليها الشعب البربرى فإنه على ما يظهر يتصف بإستقرار عجيب فى الأخلاق والعادات . فالبرابرة إجتازوا بخصائصهم القوية الصلبة التى حافظت على نفسها أمام تأثير العبادات اللبنيقية والوثنية و الرومانية وإنتشار اليهودية والمسيحية وحتى أمام إنتصار الإسلام.^(٦١)

وعند الفتح الإسلامى وما لعمه البربر من تسامح المسلمين وعدم إكراههم على إعتناق الدين الإسلامى سعوا لتعلم اللغة العربية وذهب كثير منهم للمشرق للإستفادة من العلم حتى إمتزج البربر والعرب وإعتقاً ديناً واحداً - الإسلام - وأصبح البربرى يفتخر بإنتسابه إلى الشعب المغربى والدين الإسلامى وصاروا أتم عروية بإحتضانهم اللغة العربية وأنكار العرب ودين الإسلام وبذلك أصبح لدى البربر ما يعرف بالإزدواج اللغوى.

وتشتمل اللغة البربرية على لهجات متعددة ومتباينة لدرجة يصعب معها تصور وجود لغة مشتركة بين هذه اللهجات لذلك نجد في القسم الغربي من الأطلس الكبير موطن " الشلوح " وهم يتكلمون *tæʃʃifi* " تاشلحت " وفي الأطلس الأوسط يوجد " الأمازيغ " وهم يتكلمون *tæmæzey* " تاميزغت " وفي قلب جبال الريف الريفيين ويتكلمون *tææzæyyææmæ* " الزياتية " ومن الغريب أن أفراد هذه الجماعات يصعب عليهم التفاهم فيما بينهم لإختلاف اللهجات ومن ثم فهذا التقسيم للجماعات لا يعتمد فقط على الجانب الجغرافي وإنما أيضا على الإعتبارات اللغوية. (١٦)

كما تختلف اللهجات في المجتمع الواحد بإختلاف طبقات الناس وفئاتهم . فالطبقة الأرستقراطية لهجة وللعمال لهجة وللتجار لهجة وللرياضيين لهجة.... الخ ويطلق المحثثون من علماء اللغة على هذا النوع من اللهجات إسم اللهجات الاجتماعية تميزا عن اللهجات المحلية أو الإقليمية. ومن أسباب إختلاف اللهجات الاجتماعية في المجتمع الواحد الفروق بين الناس في الثقافة والطريقة التي يتكلم بها والتربية ومناحي التفكير والوجدان ومستوى المعيشة والبيئة الاجتماعية ، وما تزاوله كل طبقة من أعمال ومهن. وأشهر أنواع اللهجات الاجتماعية ما يسمونه اللهجات الحرفية وهي التي يتكلمها أهل الحرف المختلفة مثل الصيادين ، النجارين ، والتجار..... الخ (١٧)

وقد لاحظ دوركايم إختلاف لهجة الرجال عن النساء في المفردات والجمل المستخدمة وخاصة بين الشعوب البدائية. ووجد أن هذا الإختلاف اللغوي يقل كلما قلت قيود الإختلاط بين الجنسين. (١٨) وكذلك لاحظنا أثناء الدراسة الميدانية وجود الإدواج اللغوي لدى الرجل البربري متمثلا في اللغة البربرية والعربية بينما المرأة البربرية لا تستطيع أن تتكلم عدا اللهجة البربرية ويرجع ذلك إلى قلة تعاملها في

المجتمع الكبير خارج نطاق الأسرة ومجتمعها البربري. بينما الرجل يتعامل بالتجارة أو الحرف المختلفة مع البربر والعرب معا ، مما جعله أكثر معرفة باللغة العربية من المرء البربري . ونذكر على سبيل المثال أنماط من الألفاظ والمصطلحات التي تبين أثر اللغة البربرية على اللغة العربية.

فالألفاظ والمصطلحات العربية الأصل والنطق إن كانت على وزن مختلف عن الأوزان العربية وبعضها ذات تركيب بربري ، فبعض الألفاظ تذكر على وزن

نعيلة مثل: bweeda بويضة أى البويضة

siweera صورة أى الصورة

xubeeza خبيزة أى الخبز.

وكثيرا ما نجد مصطلحات من أصل عربي ذات تركيب بربري كأسماء الوظائف

والحرف والمؤسسات مثل tænyææt تجاريت أى التجارة tæfellæhet

تفلاحيث أى الفلاحة tæmexzaent تمخزينيت أى الطقوس والعادات الحكومية

tækæædaet تقياديت أى وظيفة القائد وهى ذائعة الإستعمال عند المتكلمين

بالعربية أو الناطقين بالبربرية ^(٦٥) ومن ثم يظهر التأثير باللغة البربرية فى المفردات

من حيث إضافة بعض حروف على بعض المجردات وتتمثل الحروف فى البدء

بالتاء والإنتهاء بالياء والتاء.

وكذلك يرجع للبربرية التعبير عن الألوان بصيغة التصغير كما هو منتشر

فى المجتمع المغربي مثل: xdeeder خضيضراى الأخضر

?ehmeemer وحمير أى الأحمر

sfeefer وصفيفراى الأصفر.

اللغة والبيئة

الواضح فى المجتمع المغربى أن اللغة تختلف من إقليم إلى إقليم ومن مدينة إلى أخرى كما تختلف فى المدينة الواحدة . ويرجع ظهور إختلاف اللهجات إلى قلة تحدث الناس أو شعب ما مع أعضاء مجتمعات أخرى عن تحدثهم مع أعضاء مجتمعهم ويرجع هذا إلى الرغبة والحاجة إلى الإتصال بين حدود المجتمع فاللهجة تتباعد وتختلف بتباعد الناس وعدم رغبتهم فى الإتصال والتشارك . وبذلك فالبعد الإجتماعى يمثل بعدا جوهريا مثله مثل البعد الجغرافى فى إعاقته للإتصال^(١٥) وعن العوامل المباشرة فى تفرغ اللغة إلى لهجات^(١٦):

١- عوامل شعبية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق فى الأجناس والفصائل الإنسانية التى ينتمون إليها والأصول التى إنحدروا منها فلهذه الفروق إشارة بليغة فى تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات ولغات وهذا أكثر وضوحا بين سكان المغرب الذين إسترجت عناصرهم البشرية ما بين بربر تعربوا وعرب تبربروا....إلخ.

٢- عوامل إجتماعية نفسية: تتعلق باستقلال المناطق التى إنتشرت فيها اللغة بعضها عن بعض وغنى عن القول أن إنقسام الوحدة السياسية تودى إلى إنقسام الوحدة الفكرية واللغوية . (وسوف نوضح ذلك عند تعرضنا لأثر الإستعمار على اللغة فى المجتمع المغربى)

٣- عوامل إجتماعية لغوية: وتتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من إختلافات فى النظم الإجتماعية والعرف والتقاليد والعادات ومناخى التفكير والوجدان فمن الواضح أن الإختلاف فى هذه الأمور يتردد صدىه فى أداة التعبير .

وقد عرف المجتمع المغربي بوجود تميزات مجتمعية في داخله تجعله متشعبا بنوع من الإقليمية وبذاتية محلية وهذا يتضح للعيان بتحدث أهل مراكش عن بلدهم من حيث كونها أجمل بلاد المغرب وكانت من قبل إسما للمملكة المغربية ككل وكانت عاصمة المغرب، أما أهل الرباط فيتحدثون عن أنفسهم من منطلق كون الرباط هي العاصمة السياسية والإدارية للمملكة المغربية. أما أهل الدار البيضاء فإنهم يشعرون بتميزهم من منطلق كونها عاصمة المغرب الصناعية والتجارية....إلخ.

٤- عوامل جغرافية (طبيعية): تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في الجو وطبيعة البلد وبيئتها وموقعها، فلا يخفى أن هذه الفروق والفواصل الطبيعية تؤدي عاجلا أو آجلا إلى فروق وفواصل في اللغات ويتضح ذلك بين مختلف الأنطاز المغربية التي تختلف إيكولوجيا وفيزييا واجتماعيا وكذلك لغويا فالشمال المغربي يتحدث العربية مع كثير من الأسبابية بينما في بعض مناطق كما سبق وذكرنا نتحدث البربرية وكذلك البعض الآخر الفرنسية وهكذا.

٥- عوامل لسيولوجية: تتمثل فيما بين سكان المناطق المختلفة من فروق في التكوين الطبيعي لأعضاء النطق.

وتتمثل عوامل الخلاف بين اللهجات بوضوح في:

١- الإختلاف في الأصوات التي تتألف منها الكلمة الواحدة.

٢- طريقة النطق تبعا لإختلاف اللهجات^(٦٨)

ونذكر على سبيل المثال الفرق بين البيئة البدوية والحضرية من حيث النطق بأصوات اللغة فالبدوي يميل إلى الجهر بالصوت في الصحراء الشاسعة بينما الحضري يميل إلى الهمس ، لأنه تعود الحديث بين أربعة جدران في غالب الأحيان بينما البدوي يميل إلى الصوت الانفجاري الشديد مستعينا بالحركة للفت الأنظار

إليه. فحياة البداوة كما ظهر ذلك في المجتمع المغربي حياة تنقل وترحال لهم بدو رحل ألفوا حياة الخيام مما إنعكس ذلك على مآكلهم وملبسهم وسلوكهم وكان لكل هذا صداه في طريقة نطقهم فقد تعودوا الضجيج وعادة الصباح في المخاطبة وهذا ما أظهرته الدراسة الميدانية وقد تشابهت بعض الخصائص التي ذكرها عبد العزيز مطر. ^(٦٩) لوصف أصوات البدو في مربوط مع خصائص أصوات لهجة المغاربة ونذكر منها بإختصار شديد حيث أن هذا ليس مجال تخصصنا - كما سوف نوضح عند تحليل نعطي الحوار في المجتمع المغربي :

١- الأصوات الصامتة Consonants.

٢- الإمالة والتطويل وما يعرف بتوالي الصوت Diphthong.

٣- الأصوات الصائتة Vowels ونذكر منها الكسرة الخالصة كما هو في كلمة

biniila بنيته أي بنت .

٤- التصغير ويستخدم لدى البدوي للتحقير بينما لدى المغربي قد يستخدمه بهدف التعظيم.

مما تقدم ذكره يظهر التشابه بين لهجات البدو في مختلف المجتمعات العربية كما هو في بدو مصر وبدو المغرب ومن ثم تتضح أهمية دراسة أثر البيئة على اللغة .

يعيش الإنسان في بيئات مختلفة ، أنساق ونظم ووسائل قنية إنتاجية " تكنولوجيا "وكذلك رموز مختلفة والجزء الأكبر من الرموز لدى الأفراد محصور في اللغة ^(٧٠) والرمز بمعناه البسيط هو " فكره عن شيء " أو ما يتوارد في ذهن المتكلم أو السامع حين يذكر الرمز وبذلك يتضح توازي اللغة مع الفكر بمعنى أن ما يكتسبه الفرد من معارف داخل ثقافته لا بد أن يوازيه وجود لغة تعبر عنها وهي علاقة معرفية مرنة ، أي تقبل التطور باستمرار ، وبذلك تعبر اللغة معارفا عن

الثقافة وتسهل للأفراد التعبير عن ثقافتهم من خلالها وهذه النظرة تقود إلى ما يعبر عنه وورف Whorf بالنسبية المعرفية أو النسبية اللغوية التى ترى أن مجموعة المعارف داخل كل ثقافة إنما يعبر عنها فى لغة ، فالإنسان فى علاقته مع البيئة إنما ينتج تلك العلاقة المتوازية بين اللغة والفكر ، فالإسكيمو يميزون فى لغتهم بين عدة حالات من الجليد فى تحولاته المختلفة وهذا لا يوجد فى اللغة الإنجليزية مثلا ، لأن الإسكيمو يعيشوا بيئة جليدية ويتعرضوا لمشكلات تتصل بتلك البيئة ، وكان من الطبيعة أن يعبر رجل الإسكيمو - الذى يقطن فى بلاد باردة - عن حدث سار قائلا " أنه ينفىء فؤادى " كما أنه من الطبيعى أن يعبر العربى أو من يقطن الأقطار الحارة عن نفس الحدث بأنه " يتلج صدرى " فالشعور بالفرح عند هذا وذلك هو نفسه إنما يتغير القول تبعاً لمعومات البيئة وضغوطها .^(٢١)

وكذلك على سبيل المثال تحتوى اللغة الإنجليزية على عديد من الكلمات المستخدمة للحرب والخطط الهجومية والمقاتل إلخ من الألفاظ التى تعبر عن هذه المعانى مما يعكس بوضوح حقيقة الثقافة الإنجليزية ويبدو الأمر مختلفا تماما وربما منعما فى الثقافة التى لا تعرف الحرب ولا تترك النظم الخاصة به .^(٢٢)

كما يوجد لدى الأمريكان كلمات كثيرة تعبر عن السيارات ومنها Automobiles^(٢٣) بينما تعبر الكلمة عن مختلف أنواع السيارات فى المجتمع المغربى عدا التاكسى .

كما أظهرت الدراسة الميدانية بالمجتمع المغربى وجود عدد من الكلمات للتعبير عن الجلاب الذى يعبر عنه فى مصر بكلمة واحدة ويعرف فى المجتمع المغربى بالققطان والجلابه والقميص والجدورة ، وتبر هذه المسميات عن الجلاب مع إختلاف أشكاله ، فالجلابه هى جلاب وبه القب والقميص جلاب بكم ودون قب

والجندورة جلاباب بدون كب وكم قصير والتقطان جلاباب ويرتدى فوقه دفيئة أى سيدارى.

والزى المختلف عن الزى المغربى التقليدى يطلق عليه على إختلاف أشكاله كلمة واحدة وهى كسوة رومية ، وبذلك يتضح تأثير البيئة على ثقافة المجتمع ومن ثم على اللغة وإختلاف الثقافات بإختلاف الظروف الأيكولوجية التى يتعرض لها المجتمع وعلى سبيل المثال مجتمع النوير بأفريقيا يختلف عن المجتمعات الأمريكية الأوروبية فى فقهه لكلمة أو تعبير يشير لزمان أو الوقت ومن المحتمل أنهم لا يشعرون نهائيا بالصراع ضد الوقت أو الحاجة للتنسيق والتنظيم تبعاً للوقت أو فصول السنة . لحياتهم منظمة بالرجوع إلى النشاط الإقتصادى المتمثل فى الرعى والزراعة . وعندما يحاول النوير - كغيرهم مثل الأوروبيين - وضع محدد زمنى يذكروا فى ذلك " نحن سوف نعود فى الحلب أو سوف أخرج عند عودة العجل لثبيت " (٢٤)

ومجتمع فاس بالمغرب يغلب عليه النشاط التجارى فهم تجار من الدرجة الأولى ومن أكثر أقطار المغرب تديناً وتعلقاً بالله عز وجل ورسوله (ص) فهم بروح الإسلام متشبهون ولإسم الله ذاكرون ولعواقيت الصلاة حافضون وكثيراً ما يلجأ المغربى للتجديد الزمنى يربطه بمواقيت الصلاة فيقول مثلاً " نتلاكى مع المغرب " أو " مع الظهر " أو " مع العصر " وهكذا. وبذلك يعطى متسعاً زمنياً غير محدد بتوقيت دقيق ، فالظهر ممتد حتى العصر والمغرب ممتد حتى العشاء والعشاء ممتد حتى الفجر وهكذا . وهذا يوضح نظرة المجتمع المغربى للزمان والوقت وأهميته ونذكر هنا مقولة شهيرة لأحد الشبان الجالسين وهم فى إنتظار شيء ما عند سؤالهم عن قصد إتجاههم يجيب أحدهم :

" شى باس ماكين كتتملاو "

[jiibææs mekææyn kææn sinaw]*

" أى ليس هناك ما يشوش البال إنما نحن فى الإنتظار "

ولاهل مراکش فى ذلك قصة شهيرة تحكى للسخرية من عبثهم بالوقت سال شخص

صديقه المقعد كرسيا فى مقهى عن سبب إنتظاره المترقب فكان جوابه:

"برت موعد مع فلان ساعة التمنية وجيت لى التسعون"

[dirit mwæætiid maʔæflææn seeʔæ temenyæ wiʔit fetsefu]

أخذت ميعاد من فلان فى الساعة الثامنة وجتته فى التاسعة.

" وكسيت حتى العشرة ولو جيت إحداش وما جاش "

[witseniit tæʔaʔsaraeelæʔætehdaas we mæʔææs]

وإنتظرته حتى العاشرة وإذا بقت الحادية عشر ولم يظهر له أثر.

"عاد نمشى من هناى مع التناش "

[yɔime ʃi men henæy mæʔtenaaʃ.]

مشيت من هنا الثانية عشرة. (٢٥)

وبالإضافة إلى ذلك لا يخضع الزمان لدى المغربى للتجريد وإنما يشخص

بتعاقب النصول كما تشخص التواريخ فى سياقه ونذكر على سبيل المثال قولهم فى

ذلك :

" شى واحد ولد فى صيف عام للروز "

[ʃiɯwææhed weled feseef fe ʔomroos.]

" شى واحد ولد فى صيف عام الجوع "

[ʃiɯwææhed weled fe seef ʔemel ʒ unʔ]

* تعنى هذه العلامة [] الكتابة الصوتية التى تم إستخدامها فى هذا البحث

والمقصود إن فلان ولد في صيف عام الأ^ر أو في صيف عام الجوع بمعنى أن فلان رأى النور في ذلك الفصل من تلك السنة التي كانت فيها المجاعة على الأبواب وبذلك وزعت الحكومة الأرز وهو نادر التداول في بوادي المغرب عوضا من القمح الذي لم يثبت بسبب الجفاف وكذلك نسمع في حديث المغربي أن زفافا ثلاثة إلى فلان قد تم في سنة المسيرة الخضراء لتحرير الصحراء وهي كانت ١٩٧٥ إلخ. (٧٦)

فاللغة مرآة يتمكن فيها ما يسير عليه الناطقون بها في شئونهم الاجتماعية العامة . وعلى سبيل المثال درجة القرابة التي تربط الفرد بكل من أسرة الأب وأسرة الأم . فالأسم التي تسمي نظمها الاجتماعية على إنزال هاتين الأسرتين منزلة واحدة تقريبا في درجة قرابتهما للفرد تطلق لغتها كلمة واحدة على كل من العم والخال Uncle،Oncle والعم والخالة Aunt ، Tante وابن العم أو النعم وابن الخال أو الخالة Cousin أو Cousine على حين أن الأم التي تدرك نظمها الاجتماعية بين هاتين الأسرتين في درجة قرابتهما للفرد تختلف في لغتها الكلمات الدالة على أفراد أسرة الأب عند أفراد أسرة الأم كالعَم والخال أو العمة والخالة وابن النعم وابن الخال (٧٧)

وعرف الخال في المجتمع المغربي بالحبيب وابن الخال أو بنت الخال ابن حبيبي أو بنت حبيبي وهذا يدل على لرابة أهل الأم عن أهل الأب في هذا المجتمع ، وإن كانت الخالة تنادي بما هو متعارف عليه (خالتي) إلا أن المجتمع المغربي كما نعرف ساد فيه تعدد الزوجات للرجل الواحد والمتعارف عليه أن ينادى أبناء الزوجة الأولى زوجة الأب بإسم "عمتي" أو "للا" كنوع من الإحترام.

فاللغة تتأثر أيما تأثر بحضارة الأمة ونظمها وتقاليدها وعقائدها وإتجاهاتها العقلية ودرجة ثقافتها ونظرتها إلى الحياة وشئونها الاجتماعية العامة وما إلى

ذلك وكل تطور يحدث فى ناحية من هذه النواحي يتردد صدها فى أداء التعبير لذلك تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب.

وتختلف مظاهر اللغة فى الأمم والمناطق تبعاً لاختلافها فى نوع الإنتاج ونظم الاقتصاد وشتون الحياة المادية والمهنة الأساسية السائدة [زراعة ، صناعة ، تجارة ، رعى ، صيد] وقد تؤثر هذه المظاهر فى أصوات اللغة نفسها.

لقد يودى نوع العمل الذى يزاوله سكان منطقة ما إلى تشكيل أعضاء نطقهم فى صورة خاصة تتأثر بها مخارج الحروف ونبرات الألفاظ ومناهج التطور الصوتى^(٣٨) وانتقال الأمة من البداوة إلى الحضارة يهذب لغتها ويسمو بأساليبها ويوسع نطاقها ويزيل ما عسى أن يكون بها من خشونة ويكسبها مرونة فى التعبير والدلالة. وعجمل ذلك أن خصائص الأمة العقلية وميزاتها فى الإدراك والوجدان والنزوع ومدى ثقافتها ومستوى تفكيرها ومنهجها ، وتفسيرها لظواهر الكون وفهمها لما وراء الطبيعة ، كل ذلك وما إليه ينبعث كذلك صدها فى لغتها . وفى الأمم البدائية التفكير الضيقة المدارك تغزو الكلمات الدالة على المحسوسات والأمور الجزئية وتتعمد أو تقل الألفاظ الدالة على المعانى الكلية وتخلو دلالات المفردات من الدقة والضبط ويكثر فيها الخلط واللبس والإبهام ، وعلى سبيل المثال لغة السكان الأصلية لجزيرة [تسمانيا - Tasmanie قرب أستراليا] لا يوجد من مفرداتها لفظ يدل على الصفة ، فإذا أرادوا وصف شيء لجأوا إلى تشبيهه بأخر مشتمل على الصفة المقصودة فيقولون مثلاً فلان كشجرة كذا إذا أرادوا وصفه بالطول.^(٣٩)

فاللغة تحمل طابع الحياة التى يحياها المتكلمون بها ويظهر ذلك فى اختلاف المفردات بين مستوى لغوى ومستوى آخر . وبين لهجة إجتماعية ولهجة إجتماعية

أخرى تختلف ليس من حيث الألفاظ المنطوقة فحسب بل وكذلك حالة الصوت
ارتفاعا وإنخفاضا وكذلك عامل السن والموطن الأصلي^(٨٠)

-٦-

الإستعمار واللهجة المغربية

منذ إحتلال الفرنسيين للجزائر ١٨٣٠ ولتونس ١٨٨١ وللمغرب ١٩١٢
وحدات فرنسا تثبت أقدامها وتضع أساس الإقامة أو التوطن في كل شمال أفريقيا.
لذلك أرادت إدماج هذه المنطقة في الوطن الفرنسى، ولم تجد أمامها عقبة
تحول دون ذلك سوى الإسلام واللغة العربية . لذلك فرضت فرنسا لغتها على
مصالح الحكومة ودواوينها وكانت أساسا لتعليم كثير من موارد الدراسة في
المدارس الرسمية مما جعل المغاربة أجادوا الفرنسية وبذلك تسربت كثير من
ألفاظها إلى اللغة المغربية وهذه الألفاظ كثيرة التداول بين مختلف أقطار المغرب
وإن كانت نكل تدريجيا في الشمال وتزداد في جنوب المغرب . والملاحظ أثناء
الحديث مع المغربي وخاصة من هم يعملون في المخازن إمتزاج العربية بالفرنسية
ويتم ذلك حين يعجز عن التعبير بالعربية فيلجأ إلى الإستعانة ببعض التعبيرات
الفرنسية الحاضرة لتعزيز العربية لتوصيل المعنى الذي يريده .. أما الذي أظهرته
الدراسة الميدانية فهو إنتشار بعض المفردات الفرنسية أثناء الحديث وهذا بين أفراد
المجتمع ممن لم ينالوا قسطا من التعليم ومن ثم لم يجيدوا القراءة والكتابة وهذه
المفردات في غالب الأمر تمثل مسميات لأنواع من الأطعمة أو بعض الأشياء
المنزلية.... إلخ.

ومن ناحية أخرى إتخذ الفرنسيون طريقة التفرقة بين العرب والبربر
كوسيلة لتثبيت أقدامهم ولجذب البربر ودمجهم في المجتمع الفرنسى للولوف أمام
الإسلام والتقليل من نفوذه وقوته لجأت فرنسا كما سبق وذكرنا إلى أحياء الأعراف

والتقاليد واللغة البربرية مما كان له أثر كبير على اللهجة المغربية^(٨١) كما سوف نوضح .

والمعروف عن المجتمع المغربي أنه إختلط بكثير من العناصر البشرية المختلفة مثل الفرس والترك والفرنسيين والأسبان وكان لهؤلاء جميعا أثر فى تغذية المفردات اللغوية المغربية بالألفاظ جديدة كانت تطلق بطبيعة الحال على الأشياء التى لا يعرفها المغاربة أو لم يستعملونها فى حياتهم العامة قبل إتصالهم بتلك الشعوب.

وبمرور الزمن صهرت هذه الألفاظ والكلمات الدخيلة فى بوتقة المجتمع إتصهارا أدى إلى زوال جنسها وبقاء أصواتها مع الإحتفاظ بالمعانى التى كانت تزودها فى وطنها الأول وظلت تعيش بجانب زميلاتها من الألفاظ العربية إلى أن مر زمن طويل نسى الناس فيه أصل الألفاظ وتكلموا بها كجزء من العامية الدارجة للغتهم^(٨٢).

ونذكر على سبيل المثال بعضا من الألفاظ التى يذكرها أفراد المجتمع دون معرفة أصلها وهى ليست من اللغات ذات التأثير المباشر على المغرب مثل الفرنسية والبربرية والأسبانية والعربية الأم . ونذكر:

?essanrut " الساروت " ويطلق على المفتاح.

[æɾɣæm " الشرجم " وتطلق على الشباك.

mzewaara " مزوارة " العرأة التى تزوجت من رجل واحد.

keefer " التيفر " أوعية مطرزة ملوئة بالهدايا كالتمر والحليب والحنة

والحلويات وكافة مستلزمات العروس ويتم إرسالها من دار

العريس إلى العروس عن طريق " الزرزاي "

?ezzerɣæxy " الزرزاي " هم رجال يحملون هذه الهدايا من دار لأخرى فى

أزقة مجتمع قاس.

werraaabooz " الرابوز " آلة مثل المفتاح تستخدم بهدف إشغال الفهم

وإستخدامه فى الطهى وإنه قل إستخدامها الآن فى المدن.

وأكثر العناصر البشرية أثرا على المجتمع المغربى من ناحية اللغة والثقافة هى فرنسا واللغة الفرنسية مما كان له أكبر الأثر ليس وقت الاحتلال فحسب بل إمتد أثره لما بعد عام ١٩٥٦. فرجال الإدارة المغربية الذين أخذوا صلاحيات الموظفين الفرنسيين المنسحبين ، واحتلوا مكاتبهم وتزيوا بزيهم وتبنوا عقليتهم ، إلا أنهم ظهروا فى ذلك الحين غير متحليين بمعارف تعادل ثقافتهم أو بتأهيل يضارع خيرتهم.

وعلى الرغم من إقرارهم لإستعمال لغتهم العربية إلا أن الإدارة المغربية أدت إلى إستعمال كلام الإدارة الفرنسية بمفرداتها وأسلوبها ومعانيها . وغنى عن البيان أن الإنتصار فى حالة الغزو اللغوى لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عايشا من قبل . واللغة التى يتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل أن طول إحتكاكها باللغة الأخرى . يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها. ومن ثم فالألفاظ الأصلية للغة الغالبة ينالها بعض التحريف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى . وكذلك الكلمات الدخيلة التى تتبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها. (٨٢)

وبذلك يرى المغاربة أنهم ملزمون بالقيام " برياضة ذهنية " يمارسونها كلما تكلموا بالعربية وهم يفكرون بالفرنسية أو عندما ينطقون الفرنسية بيد أن تصوراتهم وتخميناتهم بالعربية، أو عندما يهاجم الإشهار التجارى المرئى (أى الإعلانات) من خلال " التلفزة " أو التلفزيون سمعهم وبصرهم باللغة الفرنسية وعلى أشكال بعيدة عن مفاهيمهم وبروح غريبة عن والعمم المجتمعى . والأمر الذى لا شك فيه دور

وسائل الإعلام الحديثة (التليفزيون والقرص الصناعى إلخ) فى نشر العامية المصرية وقد أثرت العامية المصرية فى السنوات الأخيرة.

ولا تزال تؤثر فى سائر العاميات العربية على تفاوت فى الدرجة ، لمكانة مصر حديثاً من العالم العربى فالأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية تكاد تكون الأفلام الوحيدة التى تفرض فى كثير من البلدان العربية وكذلك القصص والتمثيلات والأشغالات التى تنتشر فى مختلف الدول العربية أكثر من أغانيهم الوطنية^(٨٤) وقد نتج عن ذلك معرفة العامية المصرية فى سائر الأقطار العربية وفى المغرب بصفة خاصة مما له أكبر الأثر فى تحسين اللغة العربية لدى المغاربة. وعلى الرغم من ذلك يرى المغربى أن عقله يخضع عند القول أو أثناء التفكير أو العد إلى توتر معوج لهو فى حالة من النزاع القائم باستمرار فى الأفكار والتصورات من ناحية وطريقة التعبير عنها من ناحية أخرى.

-٧-

اللغة وبعض العادات الإجتماعية والمعتقدات المغربية

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فى حالة الكلام باللغة العربية والتفكير بالفرنسية وضرورة القيام بالرياضة الذهنية للتوافق بينهما ، فالأمر أكثر صعوبة وتعقيداً عند التعامل مع النصوص العربية المدونة التى أشبه بتعبيرهم " بلوحة عربية " فى حاجة لحل رموزها فى إستقراء لإعطائها معنى ومدلولاً عن كونها قراءة بالتطويع الصحيح لنص يبين القصد منه على الفور وبوضوح بمجرد النظر فيه مما جعل بعض أعلام الأدب العربى يضعون هذه المقارنة الشهيرة القائلة إن المرء يقرأ فى كل اللغات ليفهم نصاً ويتعلم شيئاً. أما بالكتابة العربية فعليه إن يتعلم ليفهم ، فيستطيع أنذاك أن يقرأ نصاً. وبذلك القراءة فى هذه الحال وقفنا على بعض

werraabooz " الرايوز " آلة مثل المفتاح تستخدم بهدف إشعال الفحم

وإستخدامه فى الطهى وإنه قل إستخدامها الآن فى المدن.

وأكثر العناصر البشرية أثرا على المجتمع المغربى من ناحية اللغة والثقافة هى فرنسا واللغة الفرنسية مما كان له أكبر الأثر ليس وقت الاحتلال لحسب بل إمتد أثره لما بعد عام ١٩٥٦. فرجال الإدارة المغربية الذين أخذوا صلاحيات الموظفين الفرنسيين المنسحبين ، وإحتلوا مكاتبهم وترىوا بزيهم وتبنوا عقيتهم ، إلا أنهم ظهروا فى ذلك الحين غير متحليين بمعارف تعادل ثقافتهم أو بتأهيل يضارع خبرتهم.

وعلى الرغم من إقرارهم لإستعمال لغتهم العربية إلا أن الإدارة المغربية أدت إلى إستعمال كلام الإدارة الفرنسية بمفرداتها وأسلوبها ومعانيها . وغنى عن البيان أن الإنتصار فى حالة الغزو اللغوى لا يتم إلا بعد أمد طويل لا يخرج المنتصر من معاركه على الحالة التى كان عليها من قبل . فاللغة التى يتم لها الغلبة لا تخرج سليمة من هذا الصراع . بل أن طول إحتكاكها باللغة الأخرى . يجعلها تتأثر بها فى بعض مظاهرها وبخاصة فى مفرداتها. ومن ثم فالألفاظ الأصلية للغة الغالبة ينالها بعض التحريف فى أصواتها ودلالاتها وأساليب نطقها عن صورتها الأولى . وكذلك الكلمات الدخيلة التى تنقبسها اللغة الغالبة من اللغة المغلوبة ينالها كذلك بعض التحريف فى حروفها ومعانيها وأساليب نطقها. (٨٦)

وبذلك يرى المغاربة أنهم ملزمون بالقيام " برواضة ذهنية " يمارسونها كلما تكلموا بالعربية وهم يفكرون بالفرنسية أو عندما ينطقون الفرنسية بيد أن تصورتهم وتخميناتهم بالعربية، أو عندما يهاجم الإشهار التجارى العربى (أى الإعلانات) من خلال " التلفزة " أو التلفزيون سمعهم وبصرهم باللغة الفرنسية وعلى أشكال بعيدة عن مفاهيمهم وبروح غريبة عن واقعهم المجتمعى . والأمر الذى لا شك فيه دور

وسائل الإعلام الحديثة (التلفزيون والقمر الصناعي إلخ) فى نشر العامية المصرية وقد أثرت العامية المصرية فى السنوات الأخيرة.

ولا تزال تؤثر فى سائر العاميات العربية على تفاوت فى الدرجة ، لمكانة مصر حديثاً من العالم العربى فالأفلام السينمائية المصرية وأكثرها بالعامية تكاد تكون الأفلام الوحيدة التى تفرض فى كثير من البلدان العربية وكذلك القصص والتمثيلات والأغاني ذات الانتشار فى مختلف الدول العربية أكثر من أغانيهم الوطنية^(٨٤) وقد نتج عن ذلك معرفة العامية المصرية فى سائر الأنطوار العربية وفى المغرب بصفة خاصة مما له أكبر الأثر فى تحسين اللغة العربية لدى المغاربة. وعلى الرغم من ذلك يرى المغربى أن عقله يخضع عند القول أو أثناء التفكير أو العد إلى توتر معوج فهو فى حالة من النزاع القائم باستمرار فى الأفكار والتصورات من ناحية وطريقة التعبير عنها من ناحية أخرى.

-٧-

اللغة وبعض العادات الإجتماعية والمعتقدات المغربية

وإذا كان الأمر بهذه الصورة فى حالة الكلام باللغة العربية والتفكير بالفرنسية وضرورة القيام بالرياضة الذهنية للتوافق بينهما ، فالأمر أكثر صعوبة وتعقيداً عند التعامل مع النصوص العربية العذوبة التى أشبه بتعبيرهم " بلوحة عربية " فى حاجة لحل رموزها فى استقراء إعطائها معنى ومثلولا عن كونها قراءة بالنطق الصحيح لنص يبين القصد منه على الفور وبوضوح بمجرد النظر فيه مما جعل بعض أعلام الأدب العربى يضعون هذه المقارنة الشهيرة القائلة إن المرء يقرأ فى كل اللغات ليفهم نصاً ويتعلم شيئاً. أما بالكتابة العربية فعليه إن يتعلم ليفهم ، فيستطيع أذاك أن يقرأ نصاً. وبذلك القراءة فى هذه الحال ولنا على بعض

المولعين المتحمسين أو الشجعان الصابرين لأنها تتطلب جهدا معنويا وخاصة لمن يعتاد المطالعة.

والمعروف عن المغاربة أنهم ليسوا كلهم عارفين بالكتابة متمكنين من القراءة ، بيد أن كلا منهم يسمع ويتكلم ويحكي الواقع الذي يعيشه أو الحدث الذي يشاهده ومن ثم يكون ذلك وراء سعيهم الحثيث إلى الأخبار الرائجة والإشاعات الدارجة.

وفي هذا الصدد جاء على السنة كبار السن مقولة مشهورة تعرف بأن أحد الجنين عفريت أسمه " قالوا " والثاني وهو ترومه " سمعنا " وهما يقطنان في المجتمع المغربي مما له الأثر على القول وأهميته ودوره في المجتمع. (٨٥)

ويستعمل لفظ الكلمة في اللهجة المغربية الدارجة مرادفا للحكم والسلطة والنفوذ فيقال الكلمة "روح" وتتحول السلطة التشريعية في أذهان المغاربة وأقوالهم إلى "كلام الشرع" وكل إدراك معنوي من هذا القبيل يسمى "كلاما" ومن ذلك أيضا الحكمة الرائجة على لسان المغاربة الناطقين بالبربرية وتعرف بـ "ويل لمن هو مضطر إلى ترقب الكلمة" (٨٦)

وأظهرت الدراسة الميدانية أن أفراد المجتمع يعبرون عن الحديث الذي يدور بينهم lahadra بـ "الهذرة" وحين يطلب من أحد الكلام يقولوا في ذلك wehdæ "أهذر" أو iwedwii? "أدري" أما كلمة أتكلم أو قول تستخدم عندما يأخذ الحديث شكله الرسمي ويتحول إلى ما هو أقرب إلى التحقيق أو محاولة الوصول للحقيقة كسرا وبذلك تنعكس قوة الكلمة كمذلول في أحاديثهم اليومية.

وللكلمة قوة ذات معنى خاص في الدين الإسلامي فالقرآن كما نظم هو كلام الله والأحاديث النبوية هي كلام الرسول (ص) وبني الإسلام على الشهادتين لولا والصلاة ، وهي ذكر وهما على كافة المسلمين أغنياء.. فقراء ، ضعفاء .. أتوباء ،

أصحاء .. مرضى أما باقى ما فرض على المسلم كالتصوم والزكاة والحج وهى كلها أفعال فى مضمونها إقترنت بما يدل على أنها للقادر من ناحية الصحة وبعضها من ناحية الغنى والبعض من ناحية الإثنين معا.

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تذكر فيها الكلمة أو القول للتعبير عن الإرادة الالهية كما هو فى قول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم * إنما امره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون * (٨٧) * وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * (٨٨)

وكثيرا ما نلاحظ فى عادات المغاربة الكلامية إسناد الفعل لغير فاعله وبذلك يتحول من فاعل إلى مفعول بوقوع الفعل عليه أو له . ويتم هذا التعبير اللفظى عما يكن فى غامض الوعى من رفض لتحمل المسؤولية أو قد يكون هناك تفسير آخر أقرب للواقع ويتمشى مع فكر المغربى وتصوره وهو النظر للفعل بكونه خارج عن نطاق الإرادة البشرية وربما يرجع ذلك لتصورات المغربى للكائنات الروحية (الجن والشياطين) وأثرها فى حياته.

وكثيرا من المغاربة يعتقدون فى وجود هذه الكائنات وشغلها نفس الحيز المكانى الذى تشغله الكائنات الإنسانية وحين يتكلمون عن هذه الكائنات لا بد أن يقرنوا كلامهم لهذه العقولة الشهيرة " التسليم لرجال البلاد " والتى تدل على مدى إعتقادهم فى هذه الكائنات. ولذلك لرى أن هناك مضمونا آخر كامن وراء هذه التعبيرات (إسناد الفعل لغير فاعله) وتذكر منها على سبيل المثال:

"لساروت ما بفاش كينور فى بلاصكه"

[surruut mæbeyæ?edyufebeyasso]

أى المفتاح لا يريد أن يحور فى مكانه

"الكاس كان فى يدى را طاح واتهرس"

[?ilkææskææn fe ?idææyæ raatah wetherris]

أى الكوب سقط من يدى وإنكسر

المولعين المتحمسين أو الشجعان الصابرين لأنها تتطلب جهدا معنويا وخاصة لمن يعتاد المطالعة.

والمعروف عن المغاربة أنهم ليسوا كلهم عارفين بالكتابة متمكنين من القراءة ، بيد أن كلا منهم يسمع ويتكلم ويحكي الواقع الذي يعيشه أو الحدث الذي يشاهده ومن ثم يكون ذلك وراء مسعيهم الحثيث إلى الأخبار الرائجة وإشاعات الدارجة.

ولم ي هذا الصدد جاء على السنة كبار السن مقولة مشهورة تعرف بأن أحد الجنيين عقرت أسمة " قالوا " والثاني وهو توأمه " سمعنا " وهما يقطنان في المجتمع المغربي مما له الأثر على القول وأهميته ودوره في المجتمع .^(٨٥)

ويستعمل لفظ الكلمة في اللهجة المغربية الدارجة مرافقا للحكم والسلطة والنفوذ فيقال الكلمة "روح" وتتحوّل السلطة التشريعية في أذهان المغاربة وأكوالهم إلى "كلام الشرع" وكل إدراك معنوي من هذا القبيل يسمى "كلاما" ومن ذلك أيضا الحكمة الرائجة على لسان المغاربة الناطقين بالبربرية وتعرف بـ "ويل لمن هو مضطر إلى ترقب الكلمة" ^(٨٦)

وأظهرت الدراسة الميدانية أن أفراد المجتمع يصبرون عن الحديث الذي يدور بينهم lahadra بـ " الهدرة " وحين يطلب من أحد الكلام يقولوا في ذلك wehdæ " أهدر " أو iwedwii? " أدوى " أما كلمة أتكلم أو تكلّم تستخدم عندما يأخذ الحديث شكله الرسمي ويتحول إلى ما هو أقرب إلى التحقيق أو محاولة الوصول للحقيقة قسرا وبذلك تنعكس قوة الكلمة كمنطوق في أحاديثهم اليومية.

وللكلمة قوة ذات معنى خاص في الدين الإسلامي فالقرآن كما نعلم هو كلام الله والأحاديث النبوية هي كلام الرسول (ص) وبني الإسلام على الشهادتين قولا والصلاة ، وهي ذكر وهما على كافة المسلمين أغنياء.. فقراء ، ضعفاء .. أقوياء ،

أصحاء .. مرضى أما باقى ما فرض على المسلم كالصوم والزكاة والحج وهى كلها أفعال فى مضمونها إقترنت بما يدل على أنها للقادر من ناحية الصحة وبعضها من ناحية الغنى والبعض من ناحية الإثنين معا.

وفى القرآن الكريم كثير من الآيات التى تذكر فيها الكلمة أو القول للتعبير عن الإرادة الألبية كما هو فى قول الله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون " (٨٧) " وإذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون " (٨٨)

وكثيرا ما نلاحظ فى عادات المغاربة الكلامية إسناد الفعل لغير فاعله وبذلك يتحول من فاعل إلى مفعول بوقوع الفعل عليه أو له . ويتم هذا التعبير اللفظى عما يكن فى غامض الوعي من رفض لتحمل المسئولية أو لئلا يكون هناك تفسير آخر أقرب للواقع ويتمشى مع فكر المغربى وتصوره وهو النظر للفعل بكونه خارج عن نطاق الإرادة البشرية وربما يرجع ذلك لتصورات المغربى للكائنات الروحية (الجن والشياطين) وأثرها فى حياته.

وكثيرا من المغاربة يعتقدون فى وجود هذه الكائنات وشغلها نفس الحيز المكانى الذى تشغله الكائنات الإنسانية وحين يتكلمون عن هذه الكائنات لا بد أن يقرنوا كلامهم لهذه المقولة الشهيرة " التسليم لرجال البلاد " والتى تدل على مدى إعتقادهم فى هذه الكائنات. ولذلك نرى أن هناك مضمونا آخر كامن وراء هذه التعبيرات (إسناد الفعل لغير فاعله) ونذكر منها على سبيل المثال:

"الساووت ما بغاش كيدور فى بلاصته"

[surruut mæbeyææ?edyufebeyasso]

أى المفتاح لا يريد أن يدور فى مكانه

"الكاس كان فى يدى را طاح واتهرس"

[?ilkææskææn fe ?idææyæ raatah wetherris]

أى الكوب سقط من يدى وإنكسر

"الماشينة هربت على"

[?elmaʃiːna haarbaat ʔaaleya.]

أى القطار مشى .

وكلها تعبيرات تدل على وجود طاقة خفية وإرادة كامنة تمكن من فعل

الشيء وتتغلب على إرادة الإنسان فى ذلك الوقت .

فالأمر الذى لا شك فيه أن للإنسان رغبة وإرادة لفتح الباب أو غلقه وكذلك
الحاق بالقطار والحفاظ على الكأس دون كسره. إلا أنه على الرغم من ذلك سلم
المغربى بوجود إرادة تفوقت على إرادته وجعلته فى هذه اللحظة مسلوب الأيدى.

وتتردد مقولة المقصود منها التسليم لإرادة الله بين المغاربة فى أحاديثهم
وخاصة عند تعرض أحدهم إلى اللوم أو العتاب لقول أو لفعل وتتمثل فى "أيوه اللى
أعطاه الله هو هادى " *ʔiywa ʔentallaa hewwææd* أى هذه إرادة الله ،
والمقصود منها أن لا يتحدث أحد عن لوم أو عتاب فهذه هى عطية الله فى ذلك
الوقت لهذا الشخص وهذا ما حدث ولا راد لعطاء الله ، وقد يتفق هذا مع شخصية
المغربى المعتقد للتعاليم الإسلامية ، والملاحظ للعيان أن مجتمع فاس وهو الأكثر
تدينا بين المغرب يحرس معظم أفراداه على التشيع بروح الإسلام ونكر إسم الله
على الدوام ، وقد يأخذ ذلك فى بعض صورته العادة الكلامية إذ على سبيل المثال لا
يقم المغربى شيئا يركز أو يشرب وخاصة فى مجتمع فاس إلا ويسبقه بكلمة بسم
الله وهى بمثابة نذير للبدء وكذلك يقولها البعض عند تناول كنوس الخمر ، أو فى
بعض ممارستهم التى هى فى ظاهرها وجوهرها بعيدة كل البعد عن الجانب الدينى
وعن الألفاظ الدينية المتداولة بين أفراد المجتمع نذكر: *Yaalateef yaalateef*

أى يا لطيف يا لطيف وهى كلفظ يرجع لأيام الحروب عندما إستخدمها الصوفية
(أبناء الطريقة الشاذلية) أساسا فى أورادهم للتخلص من الإستعمار والتغلب عليه
وإستمرت من وقت الحرب وحتى الآن متداولة بكثرة للتعبير بها عن وقوع حدث ما

ألقى من تحمل الإنسان وتقبله عليه ويتداول هذا اللفظ بين النساء والرجال والكيار والصغار .

ومن العادات السائدة في المجتمع المغربي أن تقتزن أحاديثهم الاجتماعية المختلفة بأنماط من الأدعية التي تأخذ الطابع الديني ويظهر ذلك واضحا خلال معاملاتهم اليومية بين كافة المستويات الاجتماعية ، ونذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر .

الله يعطيك الخير
?ælla^b ye tiq ?xxcer

الله يعطيك السر
?ewælla^b ?yc tiq ?esser
الله يعطيك السر

الله يرحم الولدين
?iwællah yerhem ?elwæledeen

الله يفتح عليك
?alla^b yeftyh qeleek

الله يعطيك الصحة
?ælla^b yeftiik ?esseha

الله يرضى عليك
wælla^b yerdaæleek

الله يهديك وابنييتي

[?alla^b yehtiik yææ biniiti]

والتعبير عن التضرع توجد بعض الأدعية الصريحة المتداولة على ألسنة بعض أفراد مجتمع فاس ونذكر منها

الله يعطيك الولد
?allah yeftiik ?el weel

الله يعطيك المرض القبيح
?allah yeftiik ?elmered leqbeeh
الله يعطيك المرض الخبيث

الله يعطيك السم
?allah yeftiik ?essem

الله يعطيك الموت
?alla^b yeftiik ?elmoot

الله يعطيك الجهل
?allah yetteeq ?eyæhel

الله يشويني نيك
?allah y!wiinifik
الله يحزني عليك

وكما ينعكس الطابع الديلي الغالب على أفراد مجتمع فاس عند التعبير عن الشكر في كافة المناسبات الاجتماعية كتقديم الطعام ونذكر من بين تعبيراتهم المتداولة :

الله يخلف الله يجعل البركة
?allah yexelef ?allah yeyæ æl ?elbaraka]

الله يجعل كل حبة بمائة حسنة.
[?allah yeyæ æl kol hebaæ bmeyyææt hæsaænæt]
وللرد على هذه التعبيرات يقول المضيف :

بالصحة وهادا مش كد دخلتك على
[besseha we di mæ !eet xeeltikileyyæ]

بالصحة وهذا مجرد شيء لليل وأنت تستحق أكثر من هذا.
وكما هو معروف في المجتمع المصري عند التعبير عن الشكر لتقديم الطعام ، يغلب على هذه العبارات الشكر على الطعام وإعطاء المضيف العمر والصحة ، لتكرر هذه الدعوة وللحضور في دعوات سعيدة (كأتراح وحفلات ... إلخ)
وهذه التعبيرات كثيرة وتختلف باختلاف كثرة الأفراد على التعبير وإنشاء الكلمات المناسبة التي تتواءم مع ذوقه وثقافته ونذكر منها على سبيل المثال سفره دايمة ، إن شاء الله لأكمل يوم فرح فلان إلخ. ويرد المضيف بالهنا والشفاء.

والمجتمع المغربي أكثر إستيعابا لكل ما هو واقعي ملموس ولديه صعوبة التصور المجرد ويتضح ذلك من مسمياته المختلفة والتي تأخذ المطابقة في الشكل عن المضمون أو الوظيفة ونذكر على سبيل المثال بعض من هذه المسميات:

الطوال : للدلالة على الحبال	twaal
الساليجة للدلالة على أيس كريم	sææliijæ
البيضة الخضراء للدلالة على البيضة النثية.	beedaaxadar
" لهلا يخطيك " أى ربنا يخليك لنا.	læhlæ yeexettiig
والمقصود أن لا يخطو فرقك أحد وهذه المقولة تشير إلى الحياة والموت من حيث المكان ، فحياة المرء فوق الأرض والموت تحتها وهى دعاء بطول العمر	
" يشوينى نيك " أى يحزننى عليك .	ye wiinifiuk
وهو عادة دعاء على المقربين من الأبناء والأكارب بالموت مما يودى إلى الحزن الشديد.	
وللتعبير عن الزمن يسأل أحد الأفراد?e fhaææl fel mæ. gæænæ? إشحال فى المجاعة ؟ أى كم فى الساعة؟ وأداة الإستفهام إشحال هذه تستخدم كذلك للسؤال عن السعر فإذا كانت الساعة جديدة أجاب بالسعر وإذا كانت قديمة أجاب بالوقت ويتم ذلك من فهم للسياق ويجيب قائلا على سبيل المثال eeʒoqsom أى جورج وقسم أو feeʒoqsomæy جورج وقسمين ويقصد بذلك الثانية وخمس دقائق أو الثانية وعشرة دقائق ، فالمغزى يعلم جيدا أن قسم هذا يرمز إلى ٥ دقائق ومن ثم تسمين ترمز إلى عشرة إلا أنه لا يتعامل مع المضمون الرمزى بقدر تعامله مع الصورة الظاهرة فهو ينقل إتجاه المؤشر كما يراه تماما دون ترجمة حسابية لهذه الأكسام .	

وعند التعبير عن الألم لجأ المجتمع المغربي لإعطاء وصف عام للألم.
وعلى إطلاعه بمختلف الأنواع ونذكر على سبيل المثال إستخدامه لكلمة *hereq*
كلمة الحرق أى الوجع

حرق فى الرأس (الصداع)	<i>heriq fe ?ettaas</i>
حرق فى الكرش (المنص)	<i>heriq fe ?ekker[</i>
حرق فى اليد	<i>?eheraaq fe ?elyed</i>
حرق فى الرجل	<i>?elheraaq fe ?irre el</i>
حرق فى الضرس (الأسنان) .	<i>?elheraaq fi derra</i>

ونذكر بعض التعبيرات الاصطلاحية *Idiom* التى تعكس إهتمام المجتمع
ونظراته لبعض الظواهر الإجتماعية.

١- [*?eh we hæ daa mosmaar wæ taragnæeh*] أيوه هادا مسمار
طرقناه.

وتشير هذه العبارة إلى موضوع تم الإنتهاء منه تماما وعبر عن هذا المعنى
فى اللهجة المصرية بـ " حط النقط على الحروف " وكما هو واضح فى التشبيه
المغربى فهو أقوى من ناحية المضمون نظراً للمسمار أمراً ليس هيناً كما أنه من
الصعوبة الدخول عن طريقه. أما النقط على الحروف فهى بمثابة إيضاح للمعنى
ويغلب عليها الشكل عن المضمون مما يعكس صعوبة الفعل فى المجتمع المغربى
عنه فى المجتمع المصرى وهذا يتوافق مع المقولة الشهيرة والتى سبق لنا ذكرها
وتعرف بـ: " ويل لمن مضطر لتراب الكلمة "

٢- [We byeet nefergeq hædellæhææ] " بغيت نفرجع هاد الدلاحة "

الدلاحة باللغة المغربية أى ناكهة البطيخ فى مصر علما بأن فى المغرب ناكهة البطيخ وهى تطلق على الشمام فى مصر.

والمقصود من العبارة أن المتحدث يرغب فى إقضاء السر والمعنى المتضمن أن قول السر سوف يحدث ضجة فى المحيط المتصل به ، وقد يرجع تشبيه السر بالدلاحة إلى أن مصيرهما واحد وهو الفرقة طالت المدة أو قصرت.

ومن عادات المغاربة الكلامية أن يلجأوا إلى تلطيف العبارة بالتورية ، وقد يكون تفاديا من قول ترفضه الأسماع أو يجرح الإحساس أو من ناحية أخرى قد يكون تعبيراً عن حقيقة كاملة يراها أفراد المجتمع المغربى ويعتقدون فى وجودها وهى على سبيل المثال. مثل التعبير عن الأعمى بأنه " بصيرا " ويرجع ذلك التعبير فى حقيقته إلى النظر لأبعد من الظاهر فالإنسان بصر وبصيرة والبصيرة تتم بالقلب والبصر بالعين ولذلك فقد يكون الأعمى بصيرا بالقلب وهذا الغالب فى نظر المغاربة لفقد البصر. وكذلك اللون الأبيض حين يطلق على الكحل أو أسود اللون إذ يرى المغاربة إن الإنسان الأسمر الكحل طيب القلب ومن ثم يوصف بالبياض وصفا لقلبه وليس لمظهره الخارجى.

وللتحدث عن بعض العادات الكلامية المتبعة فى المجتمع المغربى وقع إختيارنا لبعض عبارات التهانى التى تذكر فى حالتى الزواج والإتجاب والتى تعكس لنا النمط التفكيرى السائد لدى أفراد المجتمع وإختلافه عن ما هو سائد فى المجتمع المصرى لإختلافهما فى المعتقدات والعادات الشعبية وكذلك النظرة المستقبلية ونذكر على سبيل المثال بعض عبارات التهانى بالزواج فى قانس :

مبروك الجواج مبارك مسعود

[mebruuk ?ezzewææ} mbaarkæ masuud]

أيوه الله يهنهم

[?ey wæ ? ællæ yehenneehom]

أيوه الله يعاونهم أيوه الله يكمل لهم على خير

[?eywæ ?ællæh ye? ææwenhuum we ye kammæl ?eæleehom
? ælæ xeer]

(الرد)

العجوبة لوليدتك

[le?egbææl wleedætkom]

عقبال أولادك

ويبين من هذه العبارات أن ما يهم الأهل والزوجين هو إتمام هذا العرس على خير وتحقيق السعادة والهناء بالزواج وإستمراره فالمجتمع المغربي ينتشر فيه تعدد الزوجات مما يجعل الكل مشغول بنجاح الزواج وإستمراره دون النظر للمرحلة المستقبلية كما هو شائع في مصر إذ لا بد أن نقرن التهاى بالزواج بعبارة " عقبال البكارى " والمقصود بذلك تعزيز الزواج بالإيجاب. وعن عبارات التهاى بالإيجاب في المجتمع المغربي نذكر:

الله يحببه لك الله يحضه لك

[?ællæh yehʒoboleek ? ællæh yehfoda leek]

أيوه خمسة وخمسة عليك

[?eywææ xæmsææ we xmeesæ ? æleek]

خمسة وخميس والحرم في التلايس

xæmsæ we ?elxæmææmes we ?elheram ftelææles.]

(الرد)

رب بخلبك ويطول عمرك

[bor beex ?elycek we yetawl ?omrok]

والمعروف عن المجتمع المغربي أنه من أكثر المجتمعات إعتقاداً في الجن والكائنات الروحية وأثرها بصفة خاصة على الأطفال حديثي الولادة . لذلك ففي التهنائي بالإيجاب تحرص النساء بصفة خاصة على ذكر بعض الكلمات التي ترى أنها بمثابة حصن وحفظ للمولود والمعروف والشائع لدى المجتمع الفاسي أن تحرص الأم على وضع ما يعرف بكف فاطمة والمقصود بها كف صغير لونه أسود يعلق مع بعض الحبوب حول يد الطفل أو قدمه كحجاب واق وحافظ ومن هنا يذكر: " الله يحبك ويحبك وخمسة وخمسين والحرمل في الثلاثين " والمعروف أن الحرمل هذا من العناصر التي يتأثر التبخير بها في المجتمع المغربي والحرص على وضعها في الأحذية لما لها من أثر في الحفظ والتحصين ^(٨٩) وهذا في مختلف المستويات إلا أن نوع ومعدن هذا الكف هو الذي يختلف من مستوى لآخر إذ ليس هناك علاقة قوية بين المستوى الإجتماعي والإعتقاد في هذه المعتقدات وخاصة في مجتمع فاس.

والحقيقة أننا إكتفينا بهذه الأمثلة لإلقاء الضوء على إرتباط الاختيار الأسلوبي للتهاني بما يتناسب مع النظم والظروف الإجتماعية السائدة . وبالإضافة إلى ذلك لوحظ تأثير الكلام ببعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع ونذكر منها على سبيل المثال: ما عرف عن المجتمع من حسن الضيافة والمناقسة في التبخير وخاصة في المناسبات التي يدعو لها الأهل والأصدقاء وهي ظاهرة التضخم والأطناب وتتمثل هذه الظاهرة مفعولها في الكلام . فنجد على سبيل المثال العبارات المستخدمة في التحية في أي لغة ما لاتتعدى جملتين أو ثلاثة ، أما في اللغة المغربية فهي تشتمل على جمل متتالية لا توقف فيها لإنتظار الرد ونذكر منها على سبيل المثال بعض عبارات التحية المعتادة بين أفراد مجتمع فاس:

اهلا کی دایره ؟ کیف دایره مع الصحة اش اخبارك؟
[?æhlæn kidæyra... ? kideyra mææsha??ee] ?axbaariq?]

لا باس الله بيارك فيك وانت لا باس ؟ (الرد)
[leeh bæslæ yabæænikfikie we ?inti leeh bas.]

الحمد له
[?el ħamdu lillææh]

وکی دایره مول دار وکی دراری
[wimikin dir moldaaree kokii lendeeri]
مول دار ای رب الأسرة ودراری ای الأطفال

لا باس الله بيارك فيك وانت (الرد)
[leeh bas ?alla yebaarik fiiki we ?inti]

الحمد له
?elħamdu lellææh

ایوه الحمد له یا لا نهار کبیر هادا /تفضلی تفضلی. (لا ای متی)
[?eyywa ?elhamdu lillææh nehaar kbiir haada ?etfadi
?et fadlee]

یاک کل شیء لا باس
[yekul lee lee ba?s]

ونهار کبیر هادا.
[we nehaar kibiir hææda]

التحية عند الإنصراف

هانا مشیت الله یهنيكو
[hænxæ mʃiit ?allah yeheneekom]

أيوه الله يماونكم تهلا في راسك. (خلى بالك من نفسك)
[?ee wallah yeʔ æənkom taahela fraasak]

(عبارة التحية بعد طول الغياب)

أهلا نب - كبير هادا يا لالا
[?æəhlæən nehaar kibur hæədæ yææ lællæ]

أيه هادي الغيبة تشي أخبارك؟
[?eykedæ heed le hee be ?ee] ?axbaareq...?

أيوه لا بأس الله بيارك فيك (الرد)
[?ew læ bæʔs ?elle yebæærnik feeki]

وسولتوا علينا وسولتوا وجلتوا
[we sweltu ?æleenæ we sultu beltu]

فيينا فين عيينا واحنا
[fiina feen yebnæ we ?ehna]

حيينا حتى عندكم برجايينا
[ʔiina ?ehtæær ?endokom breʔiina]

أيوه الله إحنا سولنا وحتى أنتوما ما سولتوا.
[?ee weella ?illæhene yosæ wellnæ ?ewetin to mætsouula]

أيوه لهار كبير هادا يا لالا
[?ewnehaar kbiir hedæ yæ lælla]

والله لتوحشناك وخصنا نقيم الحليب والتمر (لتوحشناك إي وحشنا)
[wellah lætwehi] naak ?eeh lexasnaqdmol fieleeb we tmaar]

يا زهرة لرا الحبيب والتعمر. ***** (أرا اى هاتى)

[yæləe yazahra ʔalellæheelb we tmaar]

أيوه إتفضلى واللإ إتفضلى.

[ʔey ʔotfoodlii yaa lællæ ʔetfadli]

أيوه نهار كبير هادا.

[eywæ nehaar kebiir hæædæ]

التحية عند الإصراف:

أيوه بالسلامة وسلموا لنا على مول الدار.

[ʔew beslææmæ we dlimiilinæ ʔælæ moldaa]

والله بخلف والله فرحتوا بينا بالزاف

[walla yexelf wella ya farehtu beena bezzææf]

والله فرحتوا بنا خالص خالص

أيوه والله كتستهلوا أكثر من هادا الشىء.

(الرد)

[ʔey wællæ ket testææhel ktaar min hætfi]

أيوه والله أنتم تستهلوا أكثر من هذا الشىء.

أيو غير اللبوا علينا أيو وما تقطعوش الرجل أيو لتتينا مرة مرة سولوا علينا

[we ʔer qübelo ʔeleenæ ʔeywa we maqtetætofer ʔel ʔewæ hæænti morra morra suula ʔaleenæ]

إتفضلوا وما تقطعوش الرجل أى كرروا الزيارة مرة مرة ووأسالوا علينا

الله يرضى عليك سلمى على مول الدار والدارى

[ʔella yerda ʔælæcki ʔew wslemiilena ʔelæ mwææl ʔedaar

we ʔælædeerni] الله يرضى عليك وسلمى على رب البيت والأطفال

ويوملنا الدارى

[wi busiilna ʔedææri]

يوسى لى الأطفال

حوار بين زوجين

شى جوج مچوچين كيديزرو

[jiizooʒ metɕæwɕiɪn kiidæbzɯ]

خناق بين زوجين

وحضر الموقف الكلامى الزوجة الأولى للزوج والخامسات وهم إثنين

والحمل.

ويتمثل الموقف الكلامى فى شراء الزوج للكباش التى تنبع فى العيد

وإرسالهم للدار عن طريق الحمل كما هو شائع فى مجتمع فاس.

المرء لولا

?elmarraehuula

الزوجة الأولى

المرء ثانية

?elmarra?etenyæ

الزوجة الثانية

والجملهم

weraazelhom

الزوج

الحمال

?elhæmmææl

الحمال

الزوجة الأولى:

أنتوما ما كتسمعوش باب الدار كنىق طامو..... رحمة

[into hene kætəsmæ fuɯlbææb ?eddaa : kaddoq taamo.
rafmæ]

أنتم لا تسمعوا باب البيت يدق طامو..... رحمة

- إضافة حرف الكاف للقل المضارع كما هو فى تسمعوش وتنق

الزوجة الثانية:

را هم خيضرين نه تصبين لى سطح

[raaym xæydeey fitsebee fe staaḥ]

"را" أداة إشارة هم ملخومين لى القسيل فى السطح

هانا غاد يمشى نحل باب

[hænæ yædyemiʃe ʔelḥelbee]

أنا سوف أمشى أفتح الباب.

- ها تستخدم للتعبير عن سرعة الفعل. غاد بمعنى سوف

الزوجة الثانية: أصبر .. أصبر .. أشكون هادا للى غاد يفرع علينا الباب ها كده

[ʔaxbaa ʔe ʃede ʔelyefreh ʔæ leenæ ʔelbææb hæ kdææ

أصبر .. أصبر .. من هذا للى سوف يكسر علينا الباب كده.

ياغى تفرع علينا الباب

bææhet free ʔeleenæ ʔelbææb]

عايز تكسر علينا الباب

العمال:

أو مالكم كنتم ميتين م صباح وأنا كنخبط

[ʔe mælkom kunto meytiin ʔe mesbaaḥ we noxbot.]

ليه مالكم كنتم ميتين من الصباح وأنا نخبط. ميتين تحمل نفس معنى كلمة

نايمين على ودانكم باللهجة المصرية.

الزوجة الثانية:

بلا ما تتجنن علينا غاد نمشى نعط للى يعاونك.

[blæ mitjennæn ʔeleenæ ʔæd yeme ʃiin ʔæleek ʔelæ

ʔoona.]

بدون ما تتجنن علينا سوف أمشى أنادى إلى من يساعدك.

- نعط أى ننادى وكذلك تستخدم للتعبير عن المكالمة التليفونية نعطك أى نكلمك

بالتليفون.

طاموا ... رحمة إنزلوا دغيه بجوج.

[taamo raḥimæ neʃluntʔebʔoʔ]

طاموا .. رحمة .إنزلوا بسرعة أتلما الإثنين.

العمال:

أنا مشيت ما كرا أكباشكم أنا مشيت.

[? ænæ mʃiit hæætu ? ækbææʃkom ? ænæ mʃiit]

أنا خرجت خذوا كباشكم أنا خرجت.

كثير ما يعبر في اللهجة المغربية عن المستقبل بالماضي مثل أنا مشيت أو أنا كليت

(دخل الزوج على الزوجة الأولى وهي مع العمال بملايش البيت وقال وهو يدلع

الزوجة بقوة).

الزوج:

سيرى ... سيرى يا قليلة العرض .. الله يشوولى فيك.

[siiri siiraa qlleta ʔaat mæ ye ʃwiini fiik]

إمشى إمشى يا قليلة الأدب أو الشرف ... الله يحزنى عليكى.

وقفه لى فى باب الدار ما كده

Waqfaaleek bææb ʔæddæær hækdæ]

وقفه لى فى باب البيت كده.

الزوجة الثانية:

ويلى اطلق لى يدى

[wiliqliŋq leededii

ياويلى أترك لى يدى

ويلى ويلى /حمتيتى

weeli wee lih maaqetiŋ]

يا ويلى يا ويلى إتجننتى

- ويظهر هنا مخاطبة المذكر بالمؤنث.

/ ويلى استغفر الله

الزوج:

[ʔaa we llʔessætayfee llaah

أ أداة نداء يا ويلى استغفر الله.

وقفه لى لدام العمال عريانة

waqfaa liqeddææm ʔelʔæmmææm ʔ æryæænææ.

وقفه لى أمام العمال عريانة

وتقولى احمقيت اشكون الى عاد يحمقنى من غيرك أنت.

wofqan leeh hīmaaqeet ?eefkol yæædihæmaqni men yeerk
?enzaak.]

وتقولى إتجننت من الى سوف يجننى من غيرك أنت

- ويظهر مخاطبة المرنث بالمذكر.

الزوج: شولوا ياللا كيش كانت لابسة كدام الحمال . شولوا باعباد الله .

[Juuf wælæ ?ellææ kifæ/kænt læbsææqeddææm
?elhaemmææ. Juufuyæ ?ebaad?allah.]

بصوا يا ستى كوف كانت لبسة أمام الحمال . بصوا يا عباد الله.

الزوجة الأولى: أ يا سيدى المتعلقات كانوا قد سطح.

[?ææ sidi ?elmetsæ ?lemææt kææ no fstaah

أ أداة نداء يا سيدى الخادعات كانوا فى السطح

والحمال إتقلق وكان عاد يهرس باب الدار.

we ?elhaemmææ. ?etqallaqu we kææn yædii

والحمال تضايق وكان سوف يكسر باب البيت

ما صابت لايين . والله يهديك الحاج

ma saabet lææyen wæ?allaah deek ?elhææ]

ما وجدت شيء آخر والله يهديك الحاج.

ما صابت لايين عبارة اصطلاحية تستخدم بمعنى ما وجدت أفضل من هذا

أ لا يهرس الحيوط ماتحلوش

الزوج:

[? ælællæ yehærris læhhyoom mæthielluu]

أ أداة نداء /ستى/يكسر/الحوانط/ماتفتحوش

ما تحلوش للباب وهى عريانه

mæthielluu/?elbææb we heyyæ ? æryæænæ.]

ما تفتحوش/الباب/وهى عريانه

الله يسامح الحاج هادى وتوبة.

الزوجة الأولى:

[? ællach ye sææmeh yæ ?ælfææz hæædyee ?etooba.]

الله /يسامح/ الحاج / هذه / والتوبة.

الزوجة الثانية:

وعلاش الله يسامح.. /أشوو عملت.

[We ʔeleʔ ʔalla yssæxemeʔ ʔeeʔ heʔmelt]

ولماذا/الله يسامح/ ماذا / فعلت.

الزوج: (ثم حاول ضرب الزوجة كنوع من التهديد)

ما زالت زايده فى التخزير

[mæzz læzzæyy dæh txæn zeer.]

ما زالت / مستمرة / فى التخزير. (وهو رمز لقلة الأدب)

الزوجة الثانية:

إذا كنت راجل قرب لى.

[Wee læ kunti ræxjeʔ karreb leeyæ]

إذا / كنت / رجل / قرب / لى.

وهو تهديد ردا على محاولة الزوج لضرب الزوجة.

الزوج:

إنت كلبه وليلة الحيا.

[ʔenti kelbuuq lee leʔyaaq]

إنت / كلبه / وليلة / الحيا (أى الأدب)

الزوجة الثانية:

أنا كلبه يا الشريف يا لعقروش

[ʔænæ kelbææʔ ʔarafalæʔaqrooʔ]

يا الشريف (وهى تطلق على الأشراف من نسل الرسول (ص))

يا لعقروش (وهى تطلق على الرجل الكبير فى السن والمتظاهر بالشباب)

الزوجة الأولى:

ويلى يا هدى ما بقتيش كتعرلى /أشوو كتخرجى على فمك.

[Weeli yææ huudæ mabqitii ʔ tetrafi ʔnoo xargee ʔala fommak.]

يا ويلي/ يا هدى / أصبحتى / لا تعرلى / ماذا / يخرج / من فمك.
- أحيانا كما هو واضح فى هذه العبارة تستخدم على بدلا من من فمك.

الزوج:

على بذلك الحلو فى الكبير أى القسم بالله العظيم

[ʔ æleeyæ bdææk ʔelfæluuf lekbee]

الزوجة الأولى: / الحاج / الحاج .. هن راسك شوية .. إنجل الشيطان.
 [ʔælhææ ʔælhææz hædden raasa ʃweyye ʔenɾɪʃeetaa.
 أ أداة نداء / الحاج / أ أداة نداء / الحاج / هذا / راسك / شوية..
 أستعيز بالله من الشيطان (ولى ذلك يقول الله يلعله ويخزيه)

بدل ساعة بأخرى يصبح ويفتح
 bedel seʔææt xoo yesbafi we yeflaafi]
 إمتبدل / ساعة / بأخرى / يصبح / يفتح (أى الله يفتح علينا بالخير .
 صافى صافى خرج منى الطرف : الزوج
 [saafi saafi xæræz menni ʔelohloof.]
 خلاص / خلاص / خرج / منى / القسم .

حوار بين صديقين

شى جوج كيداكروا فى القهوة
 [ʃiːʒooʔ keddakro fe ʔelgahwa]
 خناق بين صديقين

(م) mostaafaa
 مصطفى

(ع) ʔabdolla
 عبد الله

(ع)
 كيدر سى مصطفى كيدر مع صفا
 [kdeer see mostaafaa kdeer mʔa ʃiaa]
 عامل إيه سيدى مصطفى عامل إيه مع الصفا

كيدر مع شى خنعة لا باس بخير وعلى خير
 [kdeer mʔaʃxedma lææbæs bxeer weʔa xeer]
 عامل إيه لى الشغل كل شىء بخير .

(م)

لا بأس لا بأس
[læ bææs læbææs]
كويين كويين

(م)

أ عبد الله ما عندي ما لجولك أنت بعدة كتر لئش بعدة الصبحه.
[ʔaʔabdolla mæ ʔ ændi mægkollik min sææbeɾdaa Kææteɾraa
f] baadessoɦba.]
أ عبد الله ما عندي ما نقوله لك أنت بعد كده ما تعرفش الصداقة.

راجل مزيان ما يدريش ذاك الشيء.
[rææ el mezyææl mæydeer] dææk[i]
رجل كويين ما يعملش كده.

(ع)

أشنو درت . أيو كولى أشنو درت.
[ɲoo dert ʔeywæ kolli ɲoo dert ʔ]
ماذا فعلت نعم قول لى ماذا فعلت .

(ف)

والله كتسكوت . والله كتسكوت.
[wællæ tææteskot wællæ tææteskot.]
والله أسكوت والله أسكوت

ما يمكنش نقولك لهدره ما كتفرحش.
[mæyemkn ʃee kollik læhædræ mæket fraɦ].]
لا أستطيع أن أقول لك الكلام ما يفرحش.

وش حشمت ولا محشمتش.
[wææɦ ɦiɦmti welemæɦɦemti]
إتكسفت ولا ما تكسفتش

وحشومة تعنى العيب. حشومة عليك أى عيب عليك

ياك كولتي كتختنوا رشوة
[yaak kolti kaan xodoraʃwaa]
نعم كولت على ناخذ الرشوة

(ع)

ايشلوا اشنوا جولت انا ما جلت والو
[ʃnoo ʃnoo kolt ʔænæ mæ kolt wæyloo]
ماذا ماذا كولت انا لم اقول شيء على الإطلاق.
ايوه اللي جلك هاد الهرة را مش بالصبح.
ʔelli ʔelliqalliʔ hææde ʔelhadra ra mafi bsafi
من قال هذا الكلام ليس بالصدق
جولى بعده شكون اللي جلك هاد الهرة
qolli bæʔqæ [kolli gæælik hæædæ ʔelhædræ]
قول لي أولا من قال لك هذا الكلام.

(م)

ايوه سمعتها
[ʔowæ smeʔthæ]
ايوه سمعتها.

(ع)

انت كمتعرفش للناس ميلايكشوتوا شي جوج
[ʔentaka mateʔraf] ʔennææs millikey ʃufu ʃiʔoʔona]
انت لا تعرف الناس لما يروا (تتين)
متلاين كييفوا يفركوهم
[mitleeqiin kiyibyu yefrokoohm]
متصاحبين يريدون يفرقوا بينهما

(م)

صافي صافي ما كاين والو
[saafi saafi mæken weel]
خلاص خلاص لا يوجد شيء على الإطلاق.

على الرغم من أهمية الكلام التي تم عرضها وتحليلها في هذا البحث إلا أنها بلا شك لا تعبر عن خصائص اللهجة المغربية بوجه عام فقد إعتدنا في إختيارها على كثير من العشوائية ، وإن كانت تعكس قيما ومعتقدات وروى ، وكذلك خصائص لغوية وصوتية ، كما سوف نوضح على النحو التالى:

ومن تحليل نمطى الحوار إتضح تشابه مجتمعى الدراسة - إلى حد كبير - فى المشكلات الإجتماعية التي تواجه كل منهما:

ففى الحوار الأول ظهرت مشاكل القيل والقال وإذاعة الشائعات ومحاولة التفرقة بين الأصدقاء وكذلك مشكلة الرشوة التي تدل على مبدأ المنفعة والمصالح المتبادلة ، ويتفق ذلك مع المقولة المغربية الشهيرة - والتي سبق شرحها - وهى ويل لكل من هو مترقب للكلمة.

وعن المشاكل التي ظهرت فى الحوار الثانى نذكر ظاهرة تعدد الزوجات وما يتبعها من مشاكل وخاصة فى حلة الزواج غير المتكافئ فى السن مثل مشكلة الغيرة والتفاوت فى التفكير.

وقد إنفرد المجتمع المغربى بظاهرة تعدد الزوجات والجمع بينهن فى دار واحدة وإن كانت هذه الظاهرة بدأت تنحصر بين أفراد الجيل الجديد ، إلا أنه لا زال لها بقايا رأتها الباحثة وعاشت بين أفراد أسرة من هذا النوع مما أتاح لها أن ترى عن قرب بعض خصائص هذا النمط الزواجى ونذكر على سبيل المثال: تحول دور الزوجة الأولى إلى دور الأم للزوج وتحملها مسئولية عبء الإشراف على المنزل من حيث النظافة وإعداد الطعام وكل ما يخص الأسرة (مع ملاحظة وجود خاديمات أو " متعلمات " للمساعدة والعون). وهذا الأمر يتم تلقائيا بزواج الزوج من زوجة أخرى وفى ذلك ذكر المثل القائل " إيلأ شفت زوج متعاشرين عرلت الحرك على

واحد.* والمقصود من هذا إنك لو رايت إثنين من الزوجات فى بيت واحد أى متعاشرين أعلم أن الدرك أى النقل والمعبء على واحدة منهما وهى فى الأغلب الزوجة الأولى التى تكون أكثر صبرا وتسامحا.

- ويلجأ الزوج للزوجة الأولى فى إستشارتها فى كافة شئونه ويحفظ معها أوراقه ومستنداته الخاصة بل والأكثر من ذلك يستشيرها عند رغبته فى الزواج من زوجة أخرى وقد يطلب منها أن ترشح له إحدى الفتيات ويتم ذلك بالفعل.

- والمرأة المغربية تؤمن بأن الهدف من الزواج هو الإستقرار والسعادة فى الحياة الزوجية سواء بزوجة واحدة أو أخرى ويحث أفراد المجتمع المغربى الزوجة على الصبر حتى تستمر حياتها الزوجية وعرف بذلك المثل المغربى للقاتل " الحرة إيلا صبرت دارها عمرت".

- والمعنى واضح من المثل الذى يشير إلى إستمرار الحياة الزوجية من أجل الزوجة والأبناء معا حيث أن عدم صبر الزوجة وتحملها قد يؤدى إلى الطلاق مما يعرضها لحديد من المشاكل ونذكر فى ذلك المثل المغربى القائل: " تخاصم بىاى مع مى ما عرفت عند م نمشى لدار حيبى ولا لدار عمى" ويقصد بهذا المثل ما يترتب على طلاق الأب والأم من حيرة الأبناء بين اللجوء إلى دار الخال أو دار العم لذلك على الزوجة الأولى الصبر ومحاولة إضفاء جو من الهدوء والطمأنينة على الحياة الزوجية لها وللزوجة الثانية والشائع بين أفراد المجتمع تمسك الزوج بزوجه الأولى إلا فى حالات نادرة قد يحدث فيها طلاق وفى ذلك عرف المثل القائل " الجديد ليلوه جده والبالى لا تترط فيه " والمقصود الإحتفاظ بالزوجة الأولى مهما كان الزوج أكثر ميلا للزوجة الثانية.

إذا حدث نزاع بين الزوج وزوجته الثانية تتدخل الزوجة الأولى بمحاولة التهدئة والتخفيف من وطأة ما حدث للحفاظ على الجو العام للأسرة من تألف ومودة ومحبة والتخلص مما قد يعكر هذا الجو ، الأمر الذي قد ينعكس بدوره على الأبناء .
وسما تقدم ذكره يبين على الرغم من التشابه - إلى حد ما - بين المجتمعين في المشكلات الاجتماعية وكذلك في كونهما فرعين من فروع اللغة العربية الأم ، إلا أن هناك عديدا من الاختلافات بينهما في اللهجة وكذلك الخصائص اللغوية والصوتية والتي سوف نذكر بعضا منها، مع إقرارنا مسبق بعدم تخصصنا في هذا المجال وإن كان لهذه الخصائص أهمية في بحثنا هذا لمعرفة ما تعرضت له اللهجة المغربية من نضال هو في حقيقته أشبه بما تعرض له شعبها الذي ناضل منذ التاريخ^(٩٠)

فالشعب المغربي - كما ذكرنا من قبل - لا يسوده إلتزاج اللغوي فحسب بل هو مزيج من عديد من اللغات (فرنسية - بربرية - عربية - إسبانية ... وغيرها) مما زاد الأمر تعقيدا عند محاولة الوصول إلى التأثيرات اللغوية المختلفة على اللهجة المغربية مما جعلنا نجتهد في هذا الأمر دون إثبات قاطع لما تذكره في هذا الصدد. فبعض الخصائص كما هو ظاهر ترجع للتأثر باللغة الفرنسية ونذكر على سبيل المثال:

- تأنيث المذكر وتنكر المؤنث - وظهر ذلك واضحا في تعطى الحوار وذكر سلجمان^(٩١) أن لغة البوشمن - وهي من أكثر شعوب أفريقيا بدائية - ينعدم فيها التمييز اللغوي بين المذكر والمؤنث.

وأضاف السمران أن الفرنسية لا تميز إلا بين المفرد والجمع دون التفرقة بين المتكلمين على أساس التنكير والتأنيث^(٩٢)

- تكثير الاسم المفرد بذكر كلمة شى قبله معا يدل على عدم تعيينه مثل شى راجل، شى مرا، شى خدمة ، بدلا من رجل أو إمراه أو خدمة ... إلخ ^(٢٦)

- وقد يرجع التأثير باللغة البربرية إلى إضافة بعض الحروف الزائدة للكلمة مثل الكاف قبل المضارع : كنكتب ، كنخرج ، كنمشى ، كنقول ، كنأكل... إلخ.

- التطويل فى اللهجة المغربية يأخذ شكل الإمالة والتطويل فى الحركات أو الصورة التى تعرف بتوالى الصوائت كما هو لى الحوار الأول والثانى

- التكرار فى اللهجة المغربية مثل " كيف كيف " وتعنى " مثل بعض " و " بحال بحال " وتعنى " لا فرق بين الأمرين . "

- ووجد الحذف فى اللهجة المغربية وهو ظاهرة واضحة وخاصة فى المقاطع الأخيرة من الكلمة فمثلا كلمة كى دايه كيف دايه. وهذه الكلمات غالبا ما تحتوى على الأصوات الآتية اللام / النون / والراء / والفاء.

وكذلك النحت وهو دمج أو إسقاط بعض أصوات من كلمات متتابعة مثل لاين ، تهلا - يستخدم المجتمع المغربى للنفى كلمة " جع " وكذلك " ولو " يستخدم للإثبات "وخ" وللتحذير يستخدم عندك تقول كذا ... أو بالك تعشى لـ ...

- وللتعبير عن المكان يستخدم هناى أى هنا ، ومشن لقم أى ذهب هناك. - وعند النطق يتم إستبدال الدال عن الذال ، التاء عن الثاء ، العين عن القين، الجيم عن القاف

- ولى الإستفهام يوجد كثير من الكلمات المستخدمة بل وتستخدم الكلمة الواحدة لأكثر من تساؤل تبعا للسياق الذى تستخدم ليه ونذكر على سبيل المثال:

شحال ؟ للسؤال عن السعر وكذلك عن الوقت شحال فى المجاعة؟

شنو؟ للإستفهام عن (من) أو (ماذا)

فوتش ؟ للإستفهام عن (متى)

شكون ؟ للإستفهام عن (من)

علائش ؟ للإستفهام عن (لماذا)

وقد يرجع أفراد المجتمع المغربي كثرة وجود الشين في مفرداته إلى تأثره باللغة اليمنية.

- وقد وردت بعض العبارات الإصطلاحية والتي ورد بعضها في الحوارين السابقين ونذكر: " ما صابت لاین " "تهلا في راسك." " لهلا يخطبك "
- " ما تقطعوش الرجل ."
- " بدل ساعة بأخرى يصبح ويفتح."
- " هادا مسمار وطرئناه."
- " بغيت نفرجع هادي الدلاحة"

والملاحظ كثرة إستخدام الكلمات العربية الفصحى بين مفردات اللهجة المغربية في الأسماء والأفعال وكذلك الصفات وتذكر على سبيل المثال من بين الأسماء زربية أي سجادة ومن بين الأفعال إنهض ، إجلس ، سير ومن بين الصفات " الزين " "الإتساع " " الضيق " .

خاتمة ونتائج

أكدت الدراسة دور اللغة كأداة للإتصال والتعبير عن التصورات والأفكار والقيم والمعتقدات . ومن ثم إتضح أن اللغة تمتلك قوة التأثير المعرفي على من يتحدثونها بمعنى أنهم يعبرون من خلالها عن الأفكار التي تتطلبها الثقافة وهذا لا يعني القول بالاحتمية اللغوية بقدر ما يعني أن إستمرار اللغة بنفس المفردات والتركيب والدلالات إنما يرتبط بمدى إستمرار السياقات الثقافية والاجتماعية نفسها وإختلاف اللغة يرتبط بدوره بإختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية.

وإذا كان دور اللغة في البداية تابعا للإنسان ، أي أن السياق يتحدد أولا نتيجة علاقات الإنسان بالبيئة ثم تبدأ اللغة برموزها اللغوية وغير اللغوية في تحديد كل ما يقع في مجال إهتمامات الإنسان سواء في العالم الطبيعي أو ما فوق الطبيعي

إلا أن اللغة تصبح بمثابة أداة يستطيع الإنسان أن يعبر بها عن أفكاره ويتواصل من خلالها مع غيره^(١٤)

وبذلك فاللغة ليست أداة لتوليد الأفكار الملفوظة فحسب ، وإنما بها تترجم الأفكار والأحاسيس ، وهي برنامج مرشد للنشاط العقلى وتحليل تصوراته وأفكاره ومعتقداته.

وقد أظهرت الدراسة أن اللغة هى الوسيلة الأساسية لنقل التراث الثقافى والتنشئة الإجتماعية . كما أنها تؤثر فى كيفية رؤية الأفراد للعالم ، وذهب أرموند ليش B. Leach لأبعد من ذلك قائلًا أن إدراكنا للعالم المحيط بنا يتأثر بالمقولات النطقية التى نستخدمها لوصفه^(١٥) فاللغة هى المرأة التى تحمل شخصية الأمة وهويتها على مر التاريخ ، إذ تستوعب جميع جوانب حياتها العملية والدينية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية .

كما أظهرت الدراسة أثر البيئة على اللغة وتشابه المجتمعات البدوية فى خصائصها اللغوية كما هو الحال مع بدو المغرب وبدو مصر . على الرغم من إختلاف المجتمعين فى اللغة فى عمومها.

تبين بالدراسة الإختلاف فى الحركات الجسمية غير انصاحبة للكلام والمصاحبة للكلام فى مجتمعى الدراسة . ويرجع ذلك إلى ارتباط الرموز والإشارات والعلامات بالثقافة السائدة فيها. ومن ثم إختلافهم من ثقافة لأخرى . ومن مظاهر إنعكاس الثقافة على اللغة فى المجتمع المغربى نذكر على سبيل المثال: - أثر الإزدواج اللغوى على ما يحتاجه المغاربة من القيام " برياضة ذهنية" عند الحديث باللغة العربية وللتفكير باللغة الفرنسية.

- الغزو اللغوى والذى تمثل فى وجود كثير من المفردات غير العربية بين اللهجة المغربية وهو إنعكاس طبيعى للغزو الثقافى الوافد من الثقافات المتقدمة.

- بعد اللهجة المغربية عن اللغة العربية لى الأصوات والدلالات وأساليب النطق وإن كانت اللغة العربية ذات طابع خاص أو بعبارة أدق لها مكانة خاصة فى قلوب المتكلمين بها وعقول الدرسين لها منذ أن نزل القرآن الكريم ناطقا بها فتحوّلت من لغة حياة إلى لغة عبادة وحياة معا^(١٦)

وكان ذلك بلا شك وراء إحتفاظ المجتمع المغربى بلفته ومحاولته الدائمة لتعريب ما خلفه المستعمر على الرغم من صعوبة هذا الأمر ، إلا أن المجتمع المغربى قد شعر حقا بالأخطار التى تهدد ثقافته لإحتكاكه بالثقافات الأخرى الأكثر تقدما وتطورا ، والتي قد تصل إلى حد طمس معالمها وهدم مقوماتها الأساسية مما أثار إحساسا عميقا بالقلق ، تمثل فى المناداء بضرورة العودة إلى التراث بدءا باللغة التى هى أساس تكويننا الفكرى والقيالى^(١٧).

هوامش ومراجع البحث

- (1) Robert , B. Taylor : 1980 Cultural ways, Third Edition, Allyn and Bacon INC. London, Toronto. P78.
- (2) Darwin L. Thomas & Others : 1980 Social psychology, prentice - Hall, INC. Englewood Cliffs, N.J.P.76
- (٣) محمد متولى الشعراوى : تفسير الشعراوى ، دار لخبار اليوم : إدارة الكتب والمكتبات ، العدد الأول ١٩٩١ ص ٨٤.
- (٤) عبده الراجحي: اللغة وعلوم المجتمع ، مجلة كلية الآداب : ١٩٧٧ ص ١٩ .
- (٥) أحمد أبو زيد " النصوص والإشارات " عالم الفكر . المجلد الحادى عشر ، العدد الثانى سبتمبر ١٩٨٠ ص ٢٤٧ .
- (٦) أحمد أبو زيد " حضارة اللغة " عالم الفكر العدد الثانى . المجلد الثانى ١٩٧١ ص ١٩ .
- (٧) محمود السمران : اللغة والمجتمع رأى ومنهج ، المطبعة الأهلية - بنغازى ليبيا ١٩٥٨ ص ١٤ .
- (٨) عبده الراجحي ، للمرجع السابق ، ص ٢٦ ، ٢٧ .
- (9) F.R. Palmer, 1968 Selected Papers of J.R. Firth, Green and Co., Ltd, London, p.24
- (١٠) رالف ل . بيلز، هارى هويجز : مقدمة لى الأنثروبولوجيا العامة الجزء الثانى. ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، دار لهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٧ ص ٦٧٣ ، ص ٦٧٥
- (١١) محمود السمران : علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ ص ٦٠

(12) John Lewis, 1969 Anthropology Made Simple, W.H. Allen & Co., Ltd, London P.198

* الأنثروبولوجيا المعرفية هي نفسها أعظم مثال لبحث العلاقة بين اللغة وعناصر الثقافة

(13) Robert B.Taylor, op.it., p 87.

(14) Raymond Firth , 1963: Man and Culture, Rontledge &Kegan, panl., London. p.95

(١٥) على عبد الواحد وافي: اللغة والمجتمع ، الطبعة الثانية ١٩٥١ ، دار إحياء الكتب العربية ص ٤

(١٦) عبده الراجحي ، المرجع السابق ص ١٣

(١٧) رالف ل، بيلز ، المرجع السابق ، ص ٦٤٩

(١٨) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، المقدمة

(١٩) نفس المرجع السابق ، ص ٢٣

(٢٠) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١٩

(٢١) محمد متولى للشراوى ، المرجع السابق ، ص ٨٤

(٢٢) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ١٠١

** انظر " تاوسنا " مجلة شهرية للبحث والتوثيق تصدر مؤلفنا كل ثلاثة أشهر وتاوسنا تعنى ثقافة باللغة البربرية

(٢٣) لؤاد زكريا " جذور البنانية " الكويت حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت ، العدد الأول ص ٨.

(24) William Bright " Language And Culture " In International Encyclopadia Of The Sciences by David L. Sills 1972 vol 9 the Macmillan company & the Free press, New York, p.18

(25) Ibid., p.20

(٢٦) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٣٥

(٢٧) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ٢

(28) Robert p. Gwinn, Chairman , Board of Directors, 1990 The New Encyclopaedia Britannica vol 7. peter B. Norton, president, chicago, p. 378

(29) Ibid., p 378

(٣٠) أحمد أبو زيد " التصوص والإشارات المرجع السابق ص ٢٥٣

(٣١) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ٤ ، ٥

(٣٢) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ١١

(٣٣) محمود السمران ، ١٩٥٨ ، المرجع السابق ص ١٠

*** يعتقد أن اليهود المغاربة منحدرون من ثلاثة أصول : اليهود الذين جاءوا من اشرق ثم الذين طوردوا من اسبانيا وأخيرا الذين هم من سلالة بربرية تهوت.

(٣٤) يحيى بن سليمان " نحن المغاربة " مشاكل النمو بين التقليد والتجديد ، شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى ١٩٨٥ ص ٤٠

(35) Joshua A. Fishman , 1968 Readings In The Sociology Of Language, Mouton, co,the Hague Paris , p137 , p 38

(36) Hillary Henson , 1974 British Social Anthropologist And Language, Claren Don press, Oxford, p 46 , p. 47

(٢٧) محمود السمران ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ ، ٢٢٩

(38) A New Survey Of Universal Knowledge, The Encyclopaedia Britanica, 1929 vol 13. Encyclopaedia Britanica, INC., New York p25

- (٣٩) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٧٨
- **** جاستوف باشلار فيلسوف روسي.
- (٤٠) محمد علي الكردي " نظرية الخيال عند جاستوف باشلار ، عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني مئتمبر ١٩٨٠ ص ٢٠٤
- (٤١) عبده الراجحي ، المرجع السابق ص ٦٦:٦٩
- (42) Joel M. Charon, 1979, Symbolic Interaction Prentice - Hall, Inc, Engle wood, Cliffs, N.J, P59.
- (43) Robbins Burling , 1992, Patterns Of Language, Academic press INC. , New York , London, Toronto , p383
- (44) David Crystal, 1989: the Cambridge Encyclopedia of language, Cambridgeuniversity press, Cambridge New york , p. 13
- (45) Ibid., p 10
- (٤٦) محمود السمران ، ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٨
- (47) David Crystal, op.cit, p 10
- (٤٨) يحيى زين سليمان ، المرجع السابق ص ١٢
- (٤٩) محمود السمران ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ١٠:٥
- (٥٠) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٥ ، ص ٥
- (51) David Crystal, 1989, op.cit, p 13
- (٥٢) محمود السمران ١٩٥٨ ، المرجع السابق ، ص ٤٤
- ***** المخازن (أي الإدارة والحكومة والدولة .. أي كل ما من شأنه أن يحكم أو تكون له سلطة)
- (53) Robbins Burling , 1992 , opcit., p 2,3

(٥٤) فاطمة محمد محبوب : دراسات فى علم اللغة دار النهضة العربية ، القاهرة
١٩٧٦ ص ١٦٧

(٥٥) محمود السمران ، ١٩٦٢ ، المرجع السابق ، ص ٦٨

(٥٦) فاطمة محمد محبوب ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ ، ١٦١

(٥٧) نفس المرجع السابق ، ص ١٨٥

(51) David Crystal, 1989, op.cit, p 400

(٥٩) عبد المنعم سيد عبد العال : لهجة شمال المغرب تطوان وما حولها دار

الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م ، ص ٢٤

أنظر : شارل أندرى جوليان : أفريقيا الشمالية تسير القرميات الإسلامية والسيادة

الفرنسية ، المنجى سليم وآخرون ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر ١٩٧١ ، ص ٢١

(٦٠) م.ج. . سلجمان: السلالات البشرية لى إفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ،

مكتبة العالم العربى ، ١٩٥٩ ، ص ٨٨

(٦١) شارل أندرى جوليان ، المرجع السابق ، ص ٢٢

***** أشهر من عنى بدراسة اللهجات الإجتماعية العلامة الإجتماعى نان جينب

Arnold Van -Gennep

(٦٢) عبد المنعم سيد عبد العال ، المرجع السابق ، ص ٣٧

(٦٣) على عبد الواحد وللى ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ ، ١٥٠

(٦٤) نفس المرجع السابق ، ص ١٥٤

(٦٥) يحيى بن سليمان ، المرجع السابق ، ص ٣٠١

(66) Robbins Burling, 1992, op.cit. , p 171

(٦٧) عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٧٠

(٦٨) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١٣٢

(٦٩) عبد العزيز مطر: لهجة البدو فى إقليم ساحل مريوط ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٦ - ١٩٦٧ ، المقدمة

- أنظر يحيى بن سليمان : المرجع السابق ، ص ٦٠

(70) Chapple and Coon , 1942 Principles Of Anthropology New York Henry Holt and company . p. 374.

(71) Darwin L. Thomas & Others, 1980 op.cit, p. 75.

(72) William A. Haviland, 1978: Cultural Anthropology Holt Rinehart and winston, U.S.A. p. 105.

(73) Robbins Burling , 1992, op.cit , p.35.

***** القب غطاء للرأس مثبت فى الجلابه ، وهى الزى الرسمى للمعاربة فى مختلف الأقطار .

(74) Robert Taylor, 1980 , op.cit, p 86.

(٧٥) يحيى بن سليمان المرجع السابق ، ص ٦٢ ، ٦٣ .

(٧٦) نفس المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(77) Robbins Burling, 1992 , op. cit, p 35.

(٧٨) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ص ٩ ، ١١ .

(٧٩) نفس المرجع السابق ، ص ١٨

(٨٠) حلمى خليل : إرغاصات فى علم اللغة الإجتماعى عند الجاحظ ، ١٩٩٤ ،

ص ١٩ أنظر عبده الراجحي ، المرجع السابق ، ص ٣٦ .

(٨١) عبد المنعم سيد عبد العال المرجع السابق ، ص ٥٣

(٨٢) نفس المرجع السابق ، ص ٥٣

(٨٣) على عبد الواحد وافي ، المرجع السابق ، ص ١١٣ ، ١١٤

(٨٤) محمود السحران ، المرجع السابق ، ١٩٥٨ ص ١٠٧

(٨٥) يحيى بن سليمان ، المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٤

(٨٦) نفس المرجع السابق ، ص ١٥

(٨٧) سورة يس ، آية ٨٢

(٨٨) سورة البقرة آية ١١٧

(89) Manal Abd El Moneim Gad Allah: 1994 'Folk Believes Spiritual Beings And Social Control' Anthropological study in Mediterranean peoples. In proceedings of the colloquium on popular customs and the Monotheistic Religions in the Middle East and North Africa by A.Fodor A. Shvitiel, the Arabist Budapest studies in Arabic 9-10.

pp.119 : 140

***** والمعروف عن المجتمع المغربي أنه يقدم الحليب والتمر في الزيارات الرسمية على كافة المستويات ، وكذلك في الإحتفالات (زواج ، ختان ، إنجاب ، سابع) وكما هو شأن لا يحضراى زائر رسمى للمملكة المغربية ألا ويستقبل فى المطار بالحليب والتمر ويرى أفراد المجتمع فى ذلك رمزا للكرم والخير أسوة بالرسول (ص) وبذلك فهى عادة نبيلة إسلامية يحرص عليها أفراد المجتمع فى حفلاتهم وكذلك لزوارهم الذين يدخلوا دارهم لأول مرة أو بعد غياب طويل.

(٩٠) عبد النعم سيد العال ، المرجع السابق ، ص ٦٣

(٩١) م.ج. سلجمان : المرجع السابق ، ص ١٧ ، ١٨

(٩٢) محمود السحران ، المرجع السابق ، ص ٩٧

(٩٣) عبد النعم سيد العال ، المرجع السابق ، ص

(٩٤) عبد الله عبد السلام خميس : اللغة ونسق الضبط الاجتماعى " بحث فى

الأنثروبولوجيا اللغوية ، رسالة ماجستير إشراف أ.د. فاروق إسماعيل جامعة

الأكندرية كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، ص ١٩١

(95) Edmund Leach .1976 : Culture and Communication , Cambridge University press. P.33

(٩٦) حلمى خليل ، ١٩٩٥ المرجع السابق ، ص٦

(٩٧) احمد أبو زيد " موقفنا من التراث " عالم الفكر ، المجلد الرابع عشر ، العدد

الثانى ١٩٨٣ ، ص٤

الأبجدية العالمية الصوتية

الأبجدية العربية	الأبجدية العالمية الصوتية	الأبجدية العربية	الأبجدية العالمية الصوتية
ب	b	ج	ʒ
م	m	ك	k
ف	f	ع	g
و	w	خ	x
ت	t	غ	ɣ
د	d	ح	ħ
ص	s	ع	ʕ
ز	z	هـ	h
ن	n	همزة	ʔ
ل	l	ط	t̤
ر	r	ض	d̤
ي	y	ص	s̤
ش	ʃ	ظ	z̤

الحركات الطويلة: { ii , ee , ææ , aa , oo , uu } Long vowels

الحركات القصيرة: { e , æ , a , o } Short vowels

قائمة المصادر والمراجع

- (١) أحمد أبو زيد : " لعبة اللغة " ، عالم الفكر ، المجلد السادس عشر ، العدد الرابع ١٩٨٦.
- (٢) أحمد أبو زيد " النصوص والإشارات " عالم الفكر ، المجلد الحادي عشر ، العدد الثاني سبتمبر ١٩٨٠.
- (٣) أحمد أبو زيد " حضارة اللغة " ، عالم الفكر ، العدد الثاني ، المجلد الثاني ١٩٧١.
- (٤) أحمد أبو زيد " مواقفنا من التراث " ، عالم الفكر ، المجلد الرابع عشر ، العدد الثاني ١٩٨٣.
- (٥) حلمي خليل : مقدمة لدراسة علم اللغة ، دار المعرفة للجامعة ١٩٩٥.
- (٦) حلمي خليل " عربية الأندلس " دراسة في البنية اللغوية والإجتماعية لأهل الأندلس ، ندوة الأندلس ، الفرس والتاريخ ١٩٩٤.
- (٧) حلمي خليل : إرهابيات في علم اللغة الإجتماعي عند الجاحظ ندوة لسانيات اللغة العربية جامعة بوخارست ١٩٩٤.
- (٨) والف ل . بيلز ، هاري هويجز : مقدمة في الأنثروبولوجيا العامة ، الجزء الثاني ، ترجمة محمد الجوهري وآخرون ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٧.
- (٩) فؤاد زكريا " جذور البنائية " الكويت ، حوليات كلية الآداب جامعة الكويت ، العدد الأول
- (١٠) س.ج. . سلجمان: اللغات البشرية في أفريقيا ، ترجمة يوسف خليل ، مكتبة العالم العربي ، ١٩٥٩.
- (١١) شارل أندري جوليان : أفريقيا الشمالية تسير التوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية ، ترجمة للمعنى سليم وآخرون ، الشركة الوطنية للنشر ، الجزائر ، ١٩٧١.
- (١٢) عبد العزيز مطر: لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط ، دار انكاتب العربي للطباعة والنشر . القاهرة ١٣٨٦ - ١٩٦٧.
- (١٣) عبده الرابحي : اللغة وعلوم المجتمع ، مجلة كلية الآداب ١٩٧٧.

- (١٤) عبد المنعم سيد عبد العال : لهجة شمال المغرب تطوران وما حولها دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- (١٥) عبد الله عبد السلام خميس : اللغة ونسق الضبط الاجتماعى " بحث لى الأثروبولوجيا اللغوية ، رسالة ماجستير إشراف أ. د. فاروق مصطفى إسماعيل إسماعيل جامعة الإسكندرية كلية الآداب ، ١٩٨٥ ، من ١٩١
- (١٦) على عبد الواحد والى: اللغة والمجتمع ، الطبعة الثانية ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٥١ .
- (١٧) لاطمة محمد محجوب : دراسات لى علم للغة دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٧٦ .
- (١٨) محمد إين أحمد شماعو : مائة ألف مثل من الأمثال الشعبية المغربية ، المجموعة الأولى ، الطبعة الثانية ، مطبعة المعارف ١٩٨٥ .
- (١٩) محمد على للكردى " نظرية الخيال عند جاستوف باشلار " ، عالم الفكر ، المجلد الحادى عشر ، للعدد للثانى سبتمبر ١٩٨٠ .
- (٢٠) محمد متولى للشعرلوى : تفسير الشعرلوى ، دار أخبار اليوم : إدارة للكتب والمكتبات ، للعدد الأول ١٩٩١ .
- (٢١) محمود الشعران : اللغة والمجتمع رأى ومنهج ، للطبعة الأهلية - بنغلزى ليبيا ، ١٩٥٨ .
- (٢٢) محمود الشعران : علم اللغة مقدمة للقرىء العربى ، دار المعارف بمصر ١٩٦٢ .
- (٢٣) يحيى بن سليمان " نحن المغاربة " مشاكل النمو بين للكليد والتجديد شركة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء - دار المغرب الإسلامى . الطبعة الأولى . ١٩٨٥
- (24) A new survey of universal Knowledge, The Encyclopaedia Britanica, 1929 vol 13. Encyclopaedia Britanica, INC., New York.

- (25) Bright, William ' Language and Culture ' In International Encyclopaedia of the social sciences by David L. Sills 1972 vol 9 the Macmillan company & the Free press, New York
- (26) Burling, Robbins : 1992, Patterns Of language Academic press INC. , New York , London, Toronto.
- (27) Chapple and Coon : 1942 Principles Of Anthropology, New York , Henry Holt and company .
- (28) Charon, Joel M : 1979, Symbolic Interaction Prentice - Hall, Inc, Engle wood, cliffs, N.J.
- (29) Crystal, David : 1989: The Cambridge Encyclopaedia Of language, Cambridge university press, Cambridge New York.
- (30) Firth, Raymond: 1963: Man and Culture, Routledge & Kegan, paul., London .
- (31) Fishman, Joshua A: 1968 Readings In The Sociology Of Language, Mouton, co, the Hague Paris .
- (32) Fromkin , Victoria & Robert Rodman : 1978 : An Introduction To language, second edition Holt , Rinehart and winston , New York Chicago .
- (33) Gad Allah , Manal Abd El Moneim: 1994 ' Folk Believes Spiritual Beings And Social Control' Anthropological study in Mediterranean peoples. In proceedings of the colloquium on popular customs and the Monotheistic Religions in the Middle East and North Africa by A.Fodor A. Shvriel, the Arabist Budapest studies in Arabic 9-10.

- (34) Gwinn, Robert p., Chairman , Board of Directors, 1990 The New Encycloepadia Britannica vol 7. peter B. Norton, president, chicago .
- (35) Haviland , William A: 1978: Cultural Anthropology Holt Rinehart and winston, U.S.A.
- (36) Hillary, Henson: 1974 British Social Anthropologist And Language, Claren Don press , Oxford .
- (37) Jerez , De la Frontera To liberty party Encycloepadia Britannica, Vol 13 (ed) by William Benton , Publisher, London, Geneva, Tokyo.
- (38) Keesing , Roger M: 1981 Cultural Anthropology A Contemporary Perspective, Second Edition , Hotel Rinehart and winston , New York , London.
- (39) Leach , Edmund: 1976 Culture And Communcation , Cambridge University press.
- (40) Lewis, John: 1969 Anthropology Made simple, W.H Allen & Co., Ltd, London .
- (41) Palmer, F.R: 1968 Selected Papers Of J.R. Firth, Green and Co., Ltd, London.
- (42) Robins, R.H: 1976 General Linguistics : An Introductory Survey, longman , Group Limited, London .
- (43) Taylor , Robert B. : 1980 Cultural Ways, Third Edition, Allyn and Bacon INC. London, Toronto.
- (44) Thomas , Darwin L. & Others : 1980 Social Psychology, prentice - Hall, INC. Englewood Cliffs, N.J.

ضرروس الشاطئ (*)

توزيعها، تصنيفها، نشأتها

(مثال من ساحل مدينة الإسكندرية)

دكتور فحي عبد العزيز أبو راضى

قسم الجغرافيا - كلية الآداب

جامعة الاسكندرية

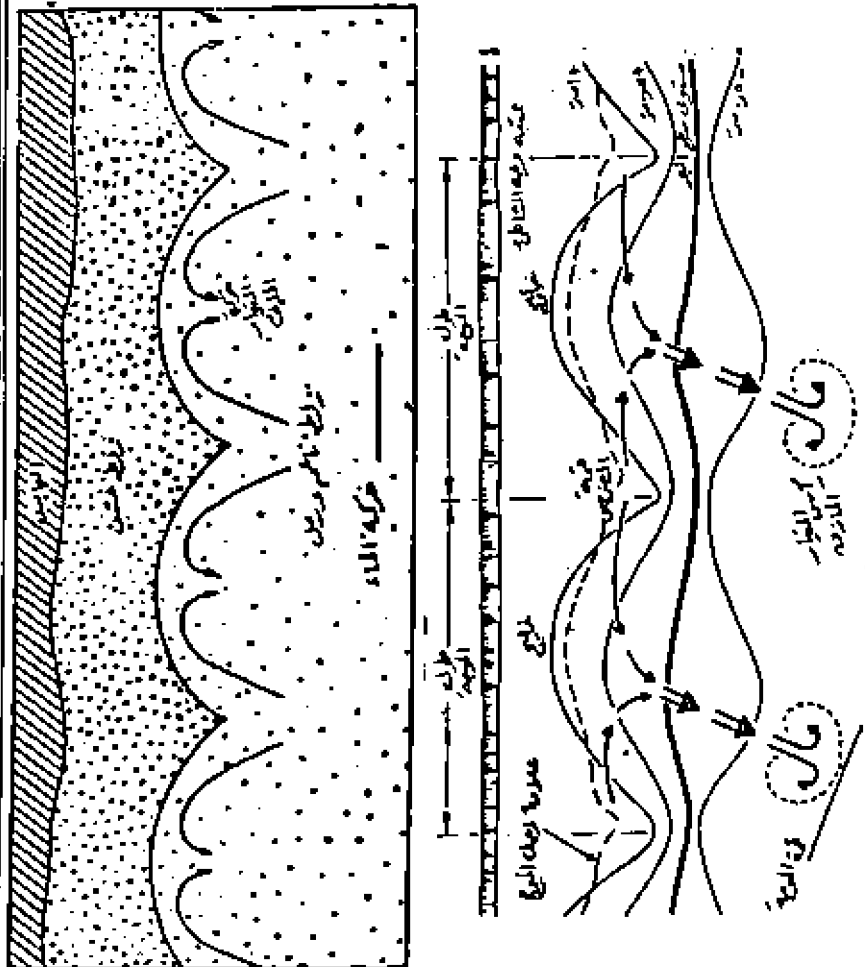
مقدمة

على الرغم من أن أكثر ما يلاحظ من ظاهرات الإرساب الشاطئية - على وجه العموم - هي تكوينات الرمل المتفاوتة الحجم بين الناعمة والخشنة والزلط، فإن هناك ظاهرات صغيرة لافته للنظر بجذبتها وتشعرى الانتباه فرق كثير من الشواطئ، من بينها ظاهرة ضرروس الشاطئ Beach cusps التى تتفاوت فى أبعادها أو أشكالها وظروف نشأتها وخصائصها الجيومورفولوجية. وضرروس الشاطئ عبارة تكوين منتظم يتم بفعل الأمواج على الشاطئ الأمامى Foresore، قوامها الجيومورفولوجى مجموعة من القمم المستدقة أو الرؤوس المدببة Horns المؤلفة من المواد الخشنة والتى تفصلها خلجان جرف Sweeping bays وتأخذ سلسلة الضرروس شكل حرف لـ بهيئة موجة على طول امتداد الشاطئ وتتوسطها هذه القمم المستدقة وتأخذ اتجاهها عاما نحو البحر (شكل رقم : ١).

وقد استرعت ظاهرة ضرروس الشاطئ انتباه كثير من الباحثين أمثال جونون (Johnson, 1919)، وتيمرمانز (Timmermans, 1935)، وياجولد (Bagnold, 1940)، وجلشبر (Guilcher, 1954)، وميى (Mii, 1958)، ولونجويت هيجتز وباركن (Longuet - Higgins & Parkin, 1962)، وأوتفوس (Otvos, 1964b)، وفليمنج (Flemming, 1964)، وكينج (King, 1965)، وكلاود (Cloud, 1966)، وورل (Worrall, 1969)، وكومار (Komar, 1973)، ووليامز (Williams, 1973)، وسالنجر (Sallenger, 1979)، وانيمان وجوزا (Inman & Guza, 1982)، وآتيا (Anna, 1987)، كما طرحت حولها كثير من النظريات

* سُمي عليها المجمع الفئوى مسى تعريب المصطلحات الجيومورفولوجية (مجمع اللغة العربية

(شكل رقم : ١) : شكل الضروس وعناصرها



والآراء لباحثين مثل إيفانس (Evans, 1938) وكوين (Kuenen, 1948) وروسل
وماك انتير (Russell and McIntire, 1965).

وعلى الرغم من شيوعها ضمن الظواهر الشاطئية، إلا أنه ليس من المعروف
على وجه اليقين كيفية تكونها وأسباب انتظامها واكتسابها لأبعادها المميزة.
وعلى الساحل الشمالى لمصر، وساحل مدينة الإسكندرية جزء منه، لم تلق هذه
الظاهرة اهتمام الباحثين، بينما اهتمت بها بعض الأبحاث التى تناولت
جيومورفولوجية ساحل خليج العقبة فى مصر (التركمانى، ١٩٨٧)
وجيومورفولوجية الساحل الشرقى لخليج السويس (الموضى، ١٩٩٣).

ويهدف هذا البحث الميدانى الذى يتناول جوانب معينة تتعلق بتوزيع ونشأة
وتصنيف ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية - كجزء من دراسة
موسعة عن التغيرات الجيومورفولوجية والخصائص الإرسائية المعاصرة لهذا
الساحل - إلى تحقيق الآتى :

١- دراسة التوزيع المكاني لضروس الشاطئ وخصائصها المورفومترية على
ساحل مدينة الإسكندرية، كمثال من الساحل الشمالى لمصر.

٢- دراسة الخصائص الطبيعية لحييات رواسب الضروس (القوام) عن طريق
تحليل عينات من مواد الضروس وخلجانها ميكانيكيا وإحصائيا.

٣- تصنيف ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية.

٤- محاولة تفسير نشأة وتطور ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الإسكندرية.

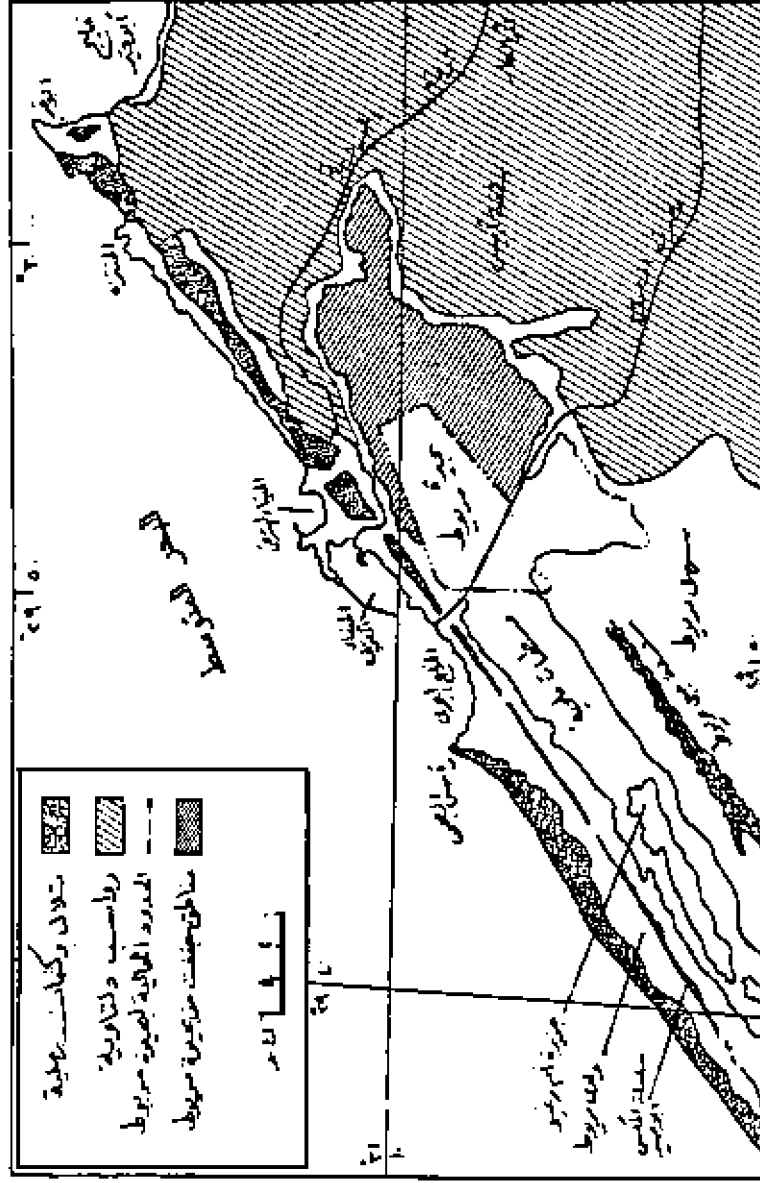
ولتحقيق الأهداف السابقة فقد مرت هذه الدراسة بمرحتين: فى المرحلة
الأولى تم الرجوع إلى الدراسات المختلفة التى تناولت ظاهرة ضروس الشاطئ على
السواحل الطبيعية أو التى درستها داخل العامل. أما المرحلة الثانية فقد تم خلالها
إجراء الدراسة الميدانية على شواطئ ساحل مدينة الإسكندرية الخمسة عشر ابتداء
من أبى قير حتى العجمى لمدة عام كامل (من ابريل ١٩٩٢ حتى مارس
١٩٩٣). وقد روى تقسيم هذه المدة الزمنية إلى فترتين لانتماء العمل الميدانى:
الفترة الأولى خلال موسم الصيف والخريف حتى يمكن التعرف على ضروس
الشاطئ ومراقبة العمليات المتعلقة بتكوينها وجمع عينات من موادها، والفترة
الثانية فى موسم الشتاء والربيع لملاحظة العمليات التى تقوم بها الأمواج سواء فى
النحت أو الإرساب.

١- مواضع وإجراءات الدراسة :

١-١ التركيب البيئي لمنطقة الدراسة

يقع الساحل الذى يحتضن مدينة الإسكندرية من الجهة الشمالية في أقصى الطرف الشمالى الغربى لساحل دلتا النيل ، وينحصر بين دائرتي عرض ٣١° ٠٨' - ٣١° ٢١' شمالا وخطى طول ٢٩° ٤٧' - ٣٠° ٤٠' شرقا باتجاه عام من شمال الشمال الشرقى إلى جنوب الجنوب الغربى (شكل رقم : ٢) . وتتمدد الجبهة البحرية لساحل الإسكندرية لمسافة ٣٨ كيلومترا من أبى قير شرقا حتى العجمى غربا، كما يتسم خط الشاطئ باستقامته مع بعض التمرجات التى ينشأ عنها خلجان صغيرة في بعض المواضع (مثل خليج المنتزة وماتاني) تبدو بروزاتها في البحر في شكل رؤوس صخرية، وتضم معظم الشواطئ الرملية الضيقة نوعا، إلا أن هناك مواضع عديدة تختفى منها الشواطئ الرملية ويظهر فيها الساحل صخرها. وعلى النقيض تتسع الشواطئ على الأطراف الشرقية والغربية لخط الشاطئ مثل شواطئ المعمورة والعجمى. وتقسم شبه جزيرة الأنفوشى منطقة ساحل الإسكندرية إلى قسمين: قسم غربى وقسم شرقى بضمان كلا من ميناء الاسكندرية الغربى الحديث والميناء الشرقى القديم المهجور. ويشمل القسم الغربى شواطئ الأنفوشى والمكس والدخيلة والعجمى، بينما يضم القسم الشرقى شواطئ الشاطبي والابراهيمية وسيدى جابر وماتاني وجليم وسبعشهر وميامى والعصافرة والمنتزة والمنتزة والمعمورة وأبوقير. ويبلغ امتداد هذه الشواطئ الخمسة عشر ما يرو على الثمانية عشر كيلومترا (١٨٣٥٠ كيلومترا).

وتتصف منطقة الاسكندرية بضيقها وقلة ارتفاعها، كما تتصف بوجود سلاسل صخرية متوازية ومتتابعة، تمتد بموازاة الساحل، وتختصر فيما بينها أودية طويلة تسير في نفس الاتجاه. والموضع الذى قامت فوقه المدينة ذاتها يمثل واحدة من هذه السلاسل الساحلية المونستيرية (البليستوسين الأعلى) والتي تقع بين البحر المتوسط في الشمال وبحيرة مريوط في الجنوب (شكل رقم : ٣) . ويقع الجمر الأكبر من المدينة على الأجزاء المرتفعة لأكثر من ٥٠ متر فوق سطح البحر من السلسلة التى قامت فوقها المدينة والتي يصل أقصى ارتفاع لها في غرب المدينة (كوم الشقافة) إلى ٣٠ مترا، بينما تشمل الأطراف الغربية والشرقية على



أكثر الأراضي انخفاضاً. ويظهر قبالة الساحل الحالي وبوابة تقريبا في بعض المواضع عدة جزر متفرقة، كما يمتد أمامه مباشرة في مواضع أخرى أمشاج من أراضي صلبة غاطسة. وربما تمثل هذه وتلك سلسلة غارقة وخط شاطئ قديم انغمس بفعل الهبوط والارتفاع النسبي لمنسوب سطح البحر الذي تعرضت له المنطقة (Ross and Unchupi, 1977) مما أدى إلى انخفاض منسوب السلسلة الساحلية عن مستوى سطح البحر وبهذا غمرت المياه هذه السلسلة فلم يبق منها سوى الجزر (شكل رقم : ٤).

ويتميز ساحل الإسكندرية بأنه ساحل رملي منخفض يتكون من رواسب هشة تنتمي لعصرى الجليستوسين والحديث (Hilmy, 1951)، ويتميز بضخامة البحر أمامه إذ يبعد عنه خط عمق ١٠٠ متر بحوالى ٢٠ كيلومترا تقريبا، وتغطي شواطئ الخمسة عشر بالرمال السائبة الجيدة التعنيف والتي تختلف محليا في القوام والأصل (Abou-Raddy, 1989). ويمكن تقسيم شواطئ الإسكندرية حسب مكوناتها الرسوبية إلى ثلاث وحدات : تمتد الأولى من العجمى إلى المكس وتغطي برمال كلسية بيضاء اللون وناعمة، وتمتد الوحدة الثانية من المكس إلى سيدى بشر وتغطي برمال كوارتزية متوسطة الحجم وخشنة نسبيا مختلطة ببقايا القواقع والأصداف، بينما تمتد الوحدة الثالثة من سيدى بشر إلى أبى قير وتغطي برمال كوارتزية ناعمة نسبيا مختلطة ببقايا القواقع والأصداف البحرية وبعض الرواسب الطينية النيلة. وتتراوح درجات انحدار وجه الشواطئ بين ٢-١٦ درجة مع أكثرية تتراوح بين ٢-٦ درجة. وتتم الشواطئ المتسعة، مثل المعمورة والعجمى، بانحدار ضعيف أو هين تتراوح درجاته بين ٢,٥-٤ درجة، بينما تتصف الشواطئ الضيقة، مثل جليم وسيدى جابر، بانحدار متوسط أو شديد نسبيا تتفاوت درجاته ما بين ٨-١٦ درجة.

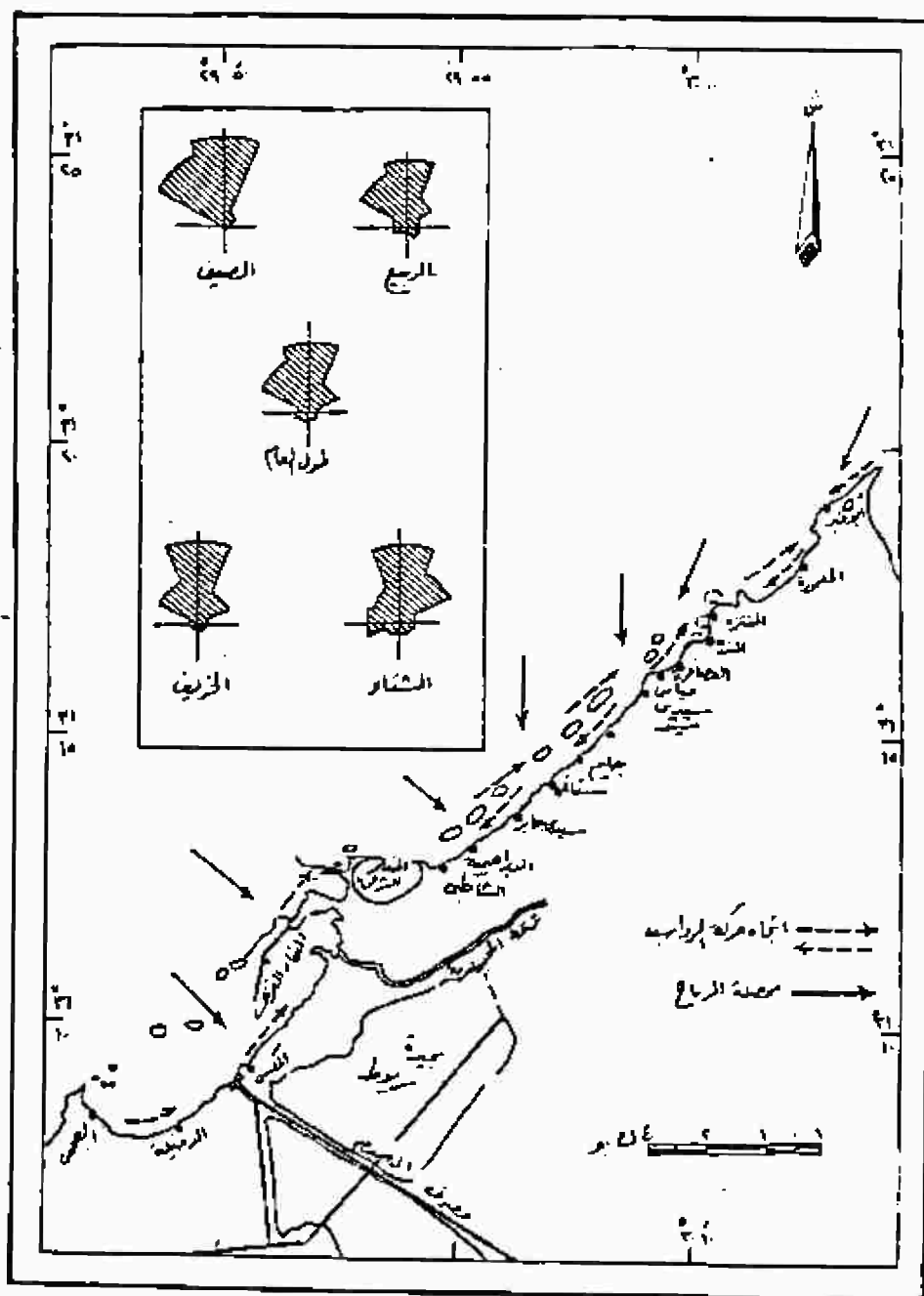
يخضع ساحل الإسكندرية سمات الساحل الذى يمر بمرحلة الشباب (Shukri and Philip, 1955)، كما أنه يمثل وحدة جيومورفولوجية واحدة هيمنت عليها التدخلات الإنشائية والتأثيرات التكتونية التى تحكمته فى تطورها وتطور ساحل دلتا النيل بوجه عام (El-Halaby, 1975; Ross and Unchupi, 1977). وتتم عمليات تشكيل ساحل الاسكندرية ومنطقته الشاطئية الأمامية

والخلفية بواسطة الطاقة التي تجلبها العوامل الجوية والعوامل البحرية عبر الوسيط المائي للبحر المتوسط والتي تمثل في الرياح والأمواج والتيارات التي تتولد عنها والتيارات الساحلية التي ينتج عنها نحت ونقل وإرساب الرواسب الشاطئية.

ومن الثابت أن اتجاهات الرياح تتباين فصليا على ساحل الإسكندرية (شكل رقم : ٥) حيث تسود الرياح الشمالية الغربية أثناء شهور فصل الصيف، وتتولد عنها أمواج عادية Swells ينتج عن انكسرها يلزم دفع طولى Longshore drift، كما تسود الرياح الجنوبية الغربية والشمالية الشرقية خلال شهور فصل الشتاء (نوفمبر / مارس)، بينما يغلب هبوب الرياح الشمالية نحو الساحل طوال العام. ومن الثابت كذلك أن الرياح التي تمر على سطح البحر باتجاه نحو الساحل تتولد عنها أمواج لها القدرة والفاعلية على نقل الطاقة الحركية للمياه kinetic energy نحو الساحل. وعلى النقيض، تعد الرياح التي تهب بعيدا عن الشاطئ Offshore winds أقل أهمية وأضعف قدرة على نقل الرمال الخشنة (Blatt et al., 1972) نظرا لصغر نسبة هبوبها بصفة عامة حيث لا تزيد هذه النسبة على ٢٥٪ من الرياح الغالبة في منطقة ساحل الإسكندرية. وعلاوة على ذلك تتباين سرعة الرياح فصليا، حيث تبلغ أقصاها (٣٥ كم/ساعة) في موسم التواتر خلال فصل الشتاء.

ومن المعروف أن الرياح الغالبة على ساحل الإسكندرية تولد الأمواج وتلغغ التيارات المقتربة بالحركة الدائرية للمياه صوب الشمال الشرقي في البحر المتوسط. ويبدو أن جزءاً من الطاقة قد يصبح محاصرا قبالة الساحل مما يؤدي إلى زيادة الطاقة على الساحل التي تتخذ شكل الأمواج الحادة (١) المتحركة على طول الشاطئ. ومن المعروف أن التأثير المتبادل بين الأمواج المسطحة المتحركة باتجاه الشاطئ والأمواج الحادة المتحركة على طول الشاطئ ينتج عنه نطاقات متعاقبة من الأمواج العالية والمنخفضة التي تحدد مواقع التيارات المازقة (الثقبة) Rip currents التي تتدفق نحو البحر (Sparks, 1970). وتتخذ النمط الناتج عن هذا التدفق شكل خلية أو دوامة أفقية تسمى خلية دوران الساحل الداخلي (Inman & Bagnold, 1962).

(١) الأمواج الحادة Edge waves هي عبارة عن أشكال خاصة من الأمواج يتمثل في تفرجات ذات قسم حادة (محدبة) تنصلها بعضها من بعض قيعان طويلة مسطحة نسبياً كما تتردد بفترات زمنية طويلة أثناء انتقالها على طول الشاطئ (Inman & Bagnold, 1962; King, 1972).



(شكل رقم : ٥) : الاتجاهات الفصلية والسنوية للرياح ، ومحصلة اتجاه الرياح واتجاهات تحرك الرواسب في منطقة الشاطئ للغرب اسم الامكندرية .

وقد أثبتت الدراسات الحقيقية لهذا البحث أن الأمواج هي القوة الأساسية ذات التأثير الأعظم على شواطئ ساحل الاسكندرية، ويمكن أن يوصف تأثير الأمواج على الشاطئ هنا بأنه تأثير فصلى بطبيعته وتحتل في أمواج العواصف Storm waves في فصل الشتاء (من أكتوبر إلى نهاية مارس) وفي الأمواج العادية Swells في فصل الصيف (يوليو، أغسطس وبداية سبتمبر)، وتتميز فترة أبريل ومايو وبداية يونيو بأنها فترة انتقالية وهنوء نسبي لحركة الأمواج في البحر. وتقوم الأمواج بنحت رواسب الشاطئ في المناطق التي تتميز بأن المعدل العام لانحدار شاطئها أكبر من معدل الانحدار المتوازن الذي ننتظره. ومن تحليل القياسات والملاحظات الحقيقية الخاصة بالأمواج تبين أنه في ٥٠٪ تقريباً من القياسات كانت ارتفاعات الأمواج أكثر من ٠.٧٦ متر، بينما وصلت الارتفاعات في ٨٠٪ من القياسات إلى أكثر من ٠.٥٥ متر، هذا ولم يتجاوز أقصى ارتفاع للأمواج ٣.٠٠ متر خلال فترات القياس. كما اتضح من تحليل القياسات أن أكثر الأمواج تواتراً وتكراراً من حيث الارتفاع (ع) وزمن الموجة (ز) وانحدار (ص) الموجة Waves steepness (لح حيث $L = \text{طول الموجة}$) هي التي يتضمنها الجدول التالي (جدول رقم ١):

(جدول رقم ١ : ارتفاع وزمن وانحدار (ص) الأمواج)

الفصل	ارتفاع الموجة بالستيمر (ع)	زمن الموجة بالثانية (ز)	انحدار الموجة ($\frac{L}{H}$)	
			القصي قيمة	المتوسط
أمواج العواصف	١٥٧	٧ - ٨	٠.٤١	٠.١٩
الأمواج العادية	٣٥ - ٧٠	٩ - ١٠	٠.٠٩	٠.٠٠٨

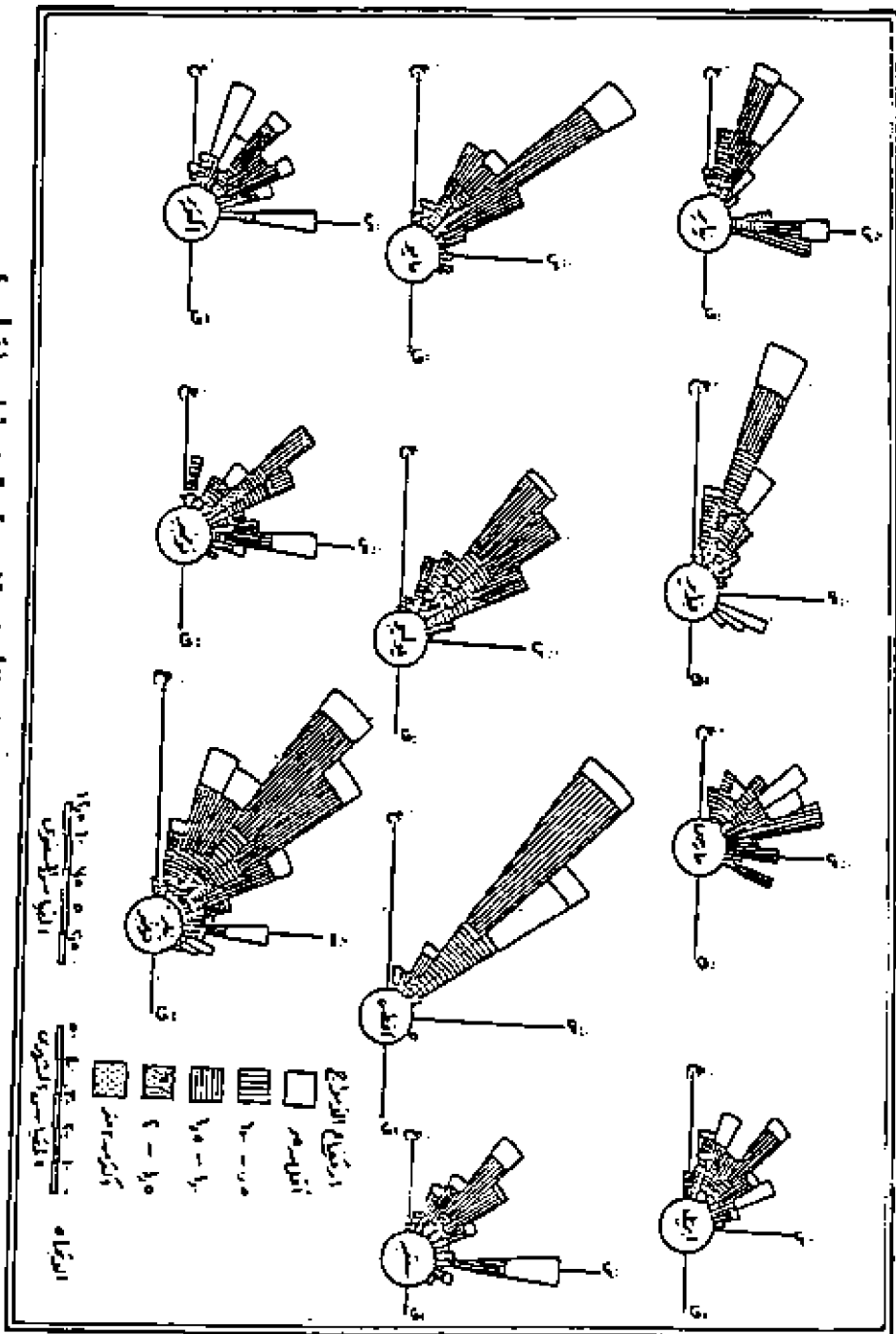
ومن الجدول يتضح أن الأمواج القصيرة ذات القيمة المرتفعة نسبياً في إنحدار (ص) الموجة والتي تبلغ حوالي ١ : ٣٥ تحتاج إلى معدل إنحدار للجزء الأدنى للشاطئ الأمامي يكون شديداً إلى حد ما والذي يتجاوز في درجته المعدل المنخفض العام لإنحدار شواطئ ساحل الإسكندرية، ومن ثم فإن عملية النحت التي تقوم بها الأمواج على ساحل الإسكندرية ما هي إلا محاولة من الأمواج لبناء

معدل إنحدارها المتوازن بالنسبة لمعدل الإنحدار الطفيف إلى المعتدل نوعاً الذي تتميز به الشواطئ الأمامية للساحل بصفة عامة. وتتم هذه العملية عن طريق تأثير اصطدامات الماء بالساحل من ناحية وفعل الفتحات التي تنقلها الأمواج من ناحية أخرى. وفي فصل الشتاء تتميز الأمواج المتكسرة بالقرب من ساحل الإسكندرية بكثرة تكرارها مما يجعل تأثيرها الهدمي على الساحل واضحاً وعندما تكسر هذه الأمواج التي تكون فيها حركة الماء دائرية تقريباً، فإن كتلة الماء تتجه إلى أسفل، وتدفع الماء فوق الشاطئ بقوة ضعيفة. بالإضافة إلى ذلك فإن الحركة الرجعية للماء (الخضرية) أي المياه العائدة (المرتدة) Backwash تكون لانزال تتحرك أسفل الشاطئ عند وصول الموجه التالية مما يؤدي إلى زيادة ضعف اندفاع الماء أو زحف الموج فوق الشاطئ (العجيج) Swash. ونتيجة لذلك فإن هذا النمط من الأمواج يحشط المواد من أعلى الشاطئ إلى أسفل مؤدياً إلى تأثير نحى بحث.

ومن تحليل قياسات الأمواج تبين أن الاتجاهات الغالبة التي تأتي منها معظم الأمواج إلى ساحل أبي قير خلال فصل العواصف (أكتوبر - مارس) تكون من شمالي الشمال الغربي والشمال الغربي (شكل رقم ٦). أما الأمواج العادية فتأتي عموماً إلى هذا الجزء من الساحل من شمالي الشمال الغربي وشمالي الشمال الشرقي بفترة تردد تتراوح من ٧-٩ ثانية، بينما تقل كثيراً نسبة الأمواج العادية الآتية من الشمال ولاسيما في شهري إبريل ومايو.

وتعد التيارات الساحلية العامل الأساسي المسؤول عن حركة دفع الرواسب على طول الشاطئ ونقلها صوب البحر بالإضافة إلى عملية النحت والإرساب التي تقوم بها في نطاق تكسر الأمواج "Breaker zone" (Manohar et al., 1977; El-Gindy et al., 1984; Inman & Bagnold, 1962; King, 1972).

ويظهر أثر التيار البحري Littoral current الذي يتجه من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي بمحاذاة ساحل الإسكندرية (شكل رقم ٤) في دفع الرواسب الكثيرة نحو الشمال الشرقي مما أدى إلى قلة عمق البحر هناك. وينجم عن التيارات الموجبة المصاحبة للأمواج المائلة الآتية إلى الشاطئ تراكم الماء على طول الساحل الأمر الذي يساعد على توليد تيارات مازقة (شقية) Rip currents وتيارات طولية Longshore currents. ونشأ النوع الأول من تجمع الماء المتدفق



(شكل رقم ٦) : توزيع الأنواع العشبية والنباتات المعمرة في مصر
(المصدر: El-Genai et al. 1991)

قبالة الشواطئ بحيث يكون في بعض المواضع كافيا ليبدأ تدفقات عائدة نحو البحر. بينما ينشأ النوع الثاني من التيارات عندما يقل تدفق الماء وينشأ إنحدار هيدولي بطول الشاطئ (Bowen, 1969). كما تحدث الأمواج المائلة طوليا يكون في إمكانه أن يساعد في عملية تحريك المواد على طول الساحل. ويتوقف الاتجاه السائد للحركة على اتجاه الرياح. فالرياح الغالبة الشمالية الغربية على ساحل الإسكندرية تدفع التيارات المقترنة بالحركة الدائرية صوب الشرق في البحر المتوسط. ومن المعروف أن التيارات السطحية تساب بصفة عامة من الغربي إلى الشمال الشرقي أمام ساحل الإسكندرية بسرعة يصل متوسطها ٠,٥ عقدة (٢٨ سم/ثانية) (Eid, 1979).

كما أوضحت القياسات الحقلية لهذا البحث أن أقصى سرعة للتيارات الطولية المتجهة صوب الشمال الشرقي لا تزيد عن ١,٧ عقدة (٨٥ سم/ثانية). وحيث أن امتداد السطح Lengib feich الذي تهب فوقه الرياح التي تتولد عنها الأمواج يتحكم في حجم واتجاه التيارات الطولية الناشئة عنها فإن التيارات المتجهة صوب الشرق لسود خلال شهور فصل الصيف. كما تمتد سيادتها حتى أكتوبر في بعض الأحيان، وبذلك تكون حركة الرواسب على ساحل الإسكندرية صوب الشمال الشرقي. ويمكن ملاحظة اتجاه التيار الطولي السائد عن طريق الاستعانة ببعض الظواهر. فقد لوحظ أثناء الزيارات الحقلية أثر تراكم الرواسب فوق حواجز الأمواج يكون دائما على الجانب الغربي للحواجز أى على الجانب المواجه للاتجاه الذي يأتي منه التيار السائد (صورة رقم : ١). وينعكس الاتجاه الجنوبي الغربي / الشمالي الشرقي السائد للتيار خلال شهور الشتاء (ديسمبر / فبراير) ليتحول إلى الاتجاه الشمالي الشرقي / الجنوبي الغربي نتيجة ظروف شاذة للرياح (Abdallah, 1979; Eid, 1979; fons, 1986). وتحرك هذا التيار المضاد بسرعة يصل متوسطها نحو ٠,٨ عقدة (٣٥ سم/ثانية)، كما وصلت أقصى سرعة له إلى ٠,٨ عقدة (٤٠ سم/ثانية) كما يصل إلى مسافة ٣٠ كيلومترا تقريبا في منطقة الساحل الخارجى (Gerges, 1978).

وتعد معرفة اختلافات مستوى سطح البحر ذات أهمية أساسية عند تحليل ونقص العمليات البحرية نظرا لأن مستوى الماء يعتبر من العوامل الهامة في تحديد

خصائص التيارات البحرية في منطقة الشاطئ الداخلي Inshore، كما أن له تأثيرا واضحا على وضع خط الساحل وتعيين خصائص الأمواج، بالإضافة إلى ما يحتاجه المهندسون البحريون من معلومات عن مستويات الماء عند تصميم المنشآت الساحلية لتحديد مستويات قممها بالنسبة لمستوى الماء السائد. وتتميز مستويات سطح البحر بأن أهميتها محدودة على منطقة ساحل الإسكندرية كغيرها من المناطق الساحلية للبحر المتوسط (Manohar, 1981). فيتراوح متوسط الفرق بين المد والجزر عند الإسكندرية بين ٣٥ ستيجترا، ٦٠ ستيجترا. وقد يبلغ أقصى ارتفاع لمستوى الماء ١,٠٨ متر فوق سطح المقارنة (متوسط أقل انخفاض لمستوى الماء) كما يظهر من الجدول التالي (جدول رقم : ٢) :

(جدول رقم : ٢) أماد مستوى سطح البحر بالنسبة لسطح المقارنة
في ميناء الإسكندرية

القيمة (بالمتر)	المستوى
٠,٤٢	متوسط مستوى سطح البحر
٠,٥٥	متوسط مستوى الماء العالى
١,٠٨	أقصى ارتفاع لمستوى الماء
٠,٢٩	متوسط مستوى الماء المنخفض
٠,٠٩-	أدنى انخفاض لمستوى الماء

وبعد صغر النطاق المدى على ساحل الاسكندرية سببا من أسباب تركيز هجوم الأمواج على نفس مستوى الساحل لمدة ٢٤ ساعة يوميا. وذلك على العكس من السواحل التي يكون عليها نطاق المد كبيرا والذي قد ينتشر فوق نطاق شاطئ أمامى متسع، الأمر الذى يؤدي إلى أن قللا كبيرا من هجوم المرج وطاقته سوف يستنفذ عليه (King, 1972).

يقوم هذا البحث أساساً وبالدرجة الأولى على الدراسة الميدانية التي امتدت لفترة عام كامل من ابريل ١٩٩٢ حتى مارس ١٩٩٣ ، والتي كانت تتم مرتين كل شهر. وكان العمل الميداني على الشواطئ الخمسة عشر لساحل الإسكندرية يستغرق في كل مرة مدة يومين إلى أربعة أيام تجرى فيها جميع القياسات والملاحظات اللازمة. وقد تم عمل مخطط لهذه الدراسة شمل الجوانب الخاصة بالعمليات البحرية والخصائص المورفومترية لكل من الشواطئ والضرروس وخلجانها.

فعلى حسب طرق القياس المعتادة (King, 1972) تم جمع بيانات - أثناء الزيارات الميدانية - عن خصائص الأمواج (زمن الموجة، ارتفاع الموجة، اتجاه الموجة) في المياه الضحلة بالقرب من الشاطئ ، وخصائص التيارات الساحلية (من حيث السرعة والاتجاه) في المنطقة المحددة لقياس العوامل البحرية عند شاطئ سيدى جابر (شكل رقم : ٢) ، بالإضافة إلى قياس مسافة زحف المروج Swash على الشاطئ الأمامى والتي تمثل في المسافة التي عندها تبدأ للموجة في التكرس أو في الإندفاع وأقصى نقطة يصل إليها زحف الموجة داخل الخليج بين ضرسين. كما تم الحصول على بيانات، عن طريق القياس، لكل من أطوال الضرروس وعرضها وارتفاعاتها وتباعدها والمسافة التي تغطيها من الشاطئ، بالإضافة إلى قياس انحدار أسطحها وجوانبها وانحدار خلجانها، وانحدار وجه الشاطئ الأمامى الذى تقع فوقه الضرروس. وقد اشتملت الأجهزة التي استخدمت في عمليات القياس على شريط صلب وجهاز كليومتر لقياس الانحدار، وهوصلة منشورية (برنتون) لقياس الاتجاهات. وعلاوة على القياسات السابقة كانت تجرى متابعة ومراقبة التغيرات التي تطرأ على الضرروس خلال كل زيارة وذلك عن طريق تسجيل الملاحظات الميدانية إما بالوصف أو بالصورة. وقد شملت هذه الملاحظات عمل الأمواج وزحف الأمواج والرياح السائدة في النحت والنقل والإرساب.

كما اشتملت الدراسة الميدانية على جمع عينات من مواد ضرروس الشاطئ وخلجانها بلغ عددها ٣٦٠ عينة (١٨٠ عينة من الضرروس ، ١٨٠ عينة من الخلدجان) بواقع عينة واحدة من الضرروس وأخرى من الخلدجان من كل شاطئ تختار عشوائياً مرة واحدة كل شهر. هنا إلى جانب ملاحظة التركيب الداخلى

الطباقية الرواسب عن طريق الحفر في رواسب الشاطئ الأمامي. وفي نفس الموضع المختار عشوائيا للعينة كان يجري اختبار النفاذية لرواسب الضروس وخلجانها بالأسلوب الذي وضعه رول (Worall 1969) في هذا الخصوص. وبعد كل زيادة كان يتم إعداد العينات لتحليلها معمليا للتعرف على خصائصها الطبيعية عن طريق تعريضها للهواء لتجفيفها ثم نخلها بالنخل الجاف الكهربائي - بمعرفة الباحث - على جهاز Ro-Tap لمدة خمس عشرة دقيقة لكل عينة في مناخل ذات فتحات مقدارها $\phi 0.5$ (من $\phi 1.5$: $\phi 4.0$)، ثم وزن مابقى في كل منخل بعد انتهاء النخل والحصول على نسبة كل مقدار من الحجم الكلي للعينة.

وقد تضمنت إجراءات الدراسة كذلك استخدام الحاسب الآلي في معالجة البيانات التي جمعت أثناء العمل الميداني وبيانات التحليل المعطى لرواسب الضروس وخلجانها للحصول على المقاييس الاحصائية اللازمة لهذه الدراسة مثل المتوسط والانحراف المعياري، ومعامل الاختلاف، ومربع كاي، ومعامل الارتباط (الجزئي والمتعدد)، وتحليل الانحدار، والمعاملات الاحصائية للخصائص الحجمية للرواسب. واستلزم ذلك الاستعانة ببعض البرامج الخاصة في هذا الشأن مثل برنامج CORR لحساب معامل الارتباط لصيغة بيرسون، وبرنامج MSX-BASIC لحساب الخصائص الحجمية للرواسب حسب معادلات جرينيورد (Greenwood, 1969). وقد نفذت معالجة البيانات على جهاز الحاسب الآلي الشخصي PC Mandax M-209.

٢- التوزيع المكاني والخصائص المورفومترية للضروس على شواطئ الاسكندرية

١-٢ التوزيع المكاني

يتشر على سطح الشواطئ الأمامية لمدينة الاسكندرية عدد كبير من ضروس الشاطئ التي تتباين فيما بينها من حيث الأبعاد والتباعد وسماتها الشكلية. وفي محاولة لبيان توزيعها تم تحديدها من واقع الدراسة الميدانية التي أجريت في الفترة من أبريل ١٩٩٢ حتى مارس ١٩٩٣. يوضح (الجدول رقم ٣) توزيع الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم ٣) التوزيع المكاني للضروس على شواطئ الإسكندرية
في الفترة من أبريل ٩٢ وحتى مارس ١٩٩٣

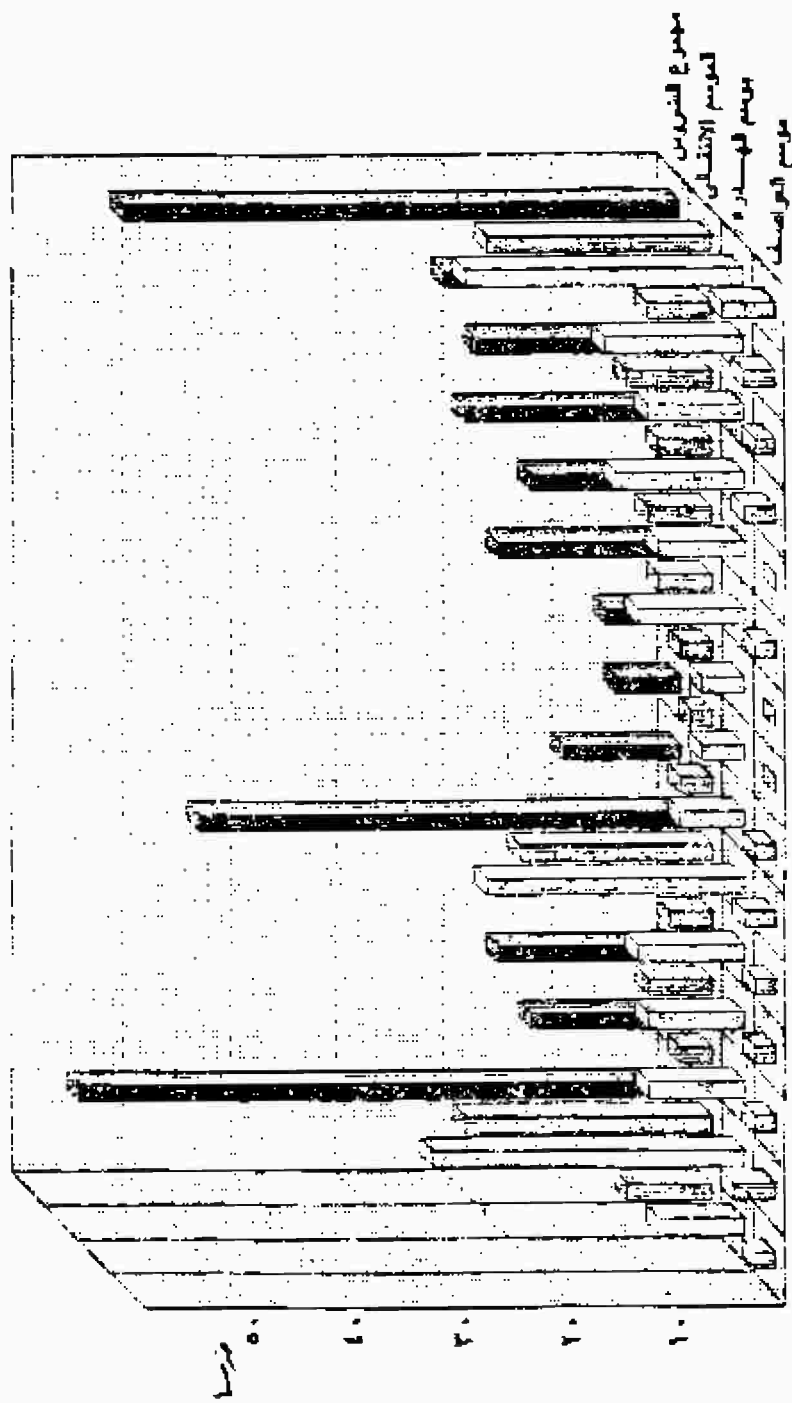
الشاطئ	طول الشاطئ (كم)	عدد الضروس أبريل ٩٢ يونيو ٩٢ (موسم انتقال)	عدد الضروس يوليو ٩٢ سبتمبر ٩٢ (موسم الهدوء)	عدد الضروس أكتوبر ٩٢ مارس ٩٣ (موسم فريسة)	مجموع الضروس	المسافة بين تنظيها بين الشاطئ (كم)
١- أبو قير	١,٢٠٠	٨ (٤٤,٤)	٨ (٤٤,٤)	٢ (١١,٢)	١٨	٠,٥٥٠
٢- المنصورة	٢,٢٠٠	٢٣ (٤١,١)	٢٩ (٥١,٨)	٤ (٧,١)	٥٦	١,٠٥٥
٣- المنصورة	١,٣٠٠	٣ (٢١,٤)	٩ (٦٤,٢)	٢ (١٤,٣)	١٤	٠,٢٩٠
٤- المنصورة	٠,٨٠٠	٦ (٣٥,٣)	٩ (٥٢,٨)	٢ (١١,٧)	١٧	٠,٤٨٠
٥- العجوة	١,٠٦٠	٤ (٢٥)	١٠ (٦٢,٥)	٢ (١٢,٥)	١٦	٠,٤٢٠
٦- ميتي وسيدى بشر	٢,٤٠٠	١٨ (٤٠)	٢٤ (٥٢,٢)	٣ (٦,٧)	٤٥	٠,٨٩٠
٧- جليم	٠,٦٠٠	٣ (٣٧,٢)	٦ (٥٤,٥)	٢ (١٨,٢)	١١	٠,٢٢٥
٨- ميتي	٠,٢٥٠	٢ (٢٢,٢)	٤ (٦٧,٧)	—	٦	٠,١٢٥
٩- ميدى جابر	٠,٢٩٠	٣ (٤٢,٩)	٤ (٥٧,١)	—	٧	٠,١٥٠
١٠- الابراهيمية	١,١٠٠	٥ (٢٩,٤)	١٠ (٥٨,٨)	٢ (١١,٨)	١٧	٠,٣٦٥
١١- الشاطئ	٠,٩٠٠	٦ (٤٢,٩)	٨ (٥٧,١)	—	١٤	٠,٢٩٥
١٢- الأنفوشي	٠,٨٠٠	٥ (٢٥)	١٢ (٦٠)	٣ (١٥)	٢٠	٠,٤٣٥
١٣- الكس	٠,٩٥٠	٨ (٤٢,١)	٩ (٤٧,٤)	٢ (١٠,٥)	١٩	٠,٤٢٠
١٤- الدخيلة	١,٢٠٠	٦ (٢٧,٢)	١٣ (٥٩,١)	٣ (١٢,٦)	٢٢	٠,٥٧٥
١٥- العجى	٢,٣٠٠	٢١ (٤٠,٤)	٢٩ (٥٠)	٥ (٩,٦)	٥٥	٠,٨٨٠
المجموع	١٨,٢٥٠	١٢١ (٣٦,٢)	١٨١ (٥٤,٢)	٢٢ (٩,٦)	٢٢٤ 21٠٠	٧,١٨٥

الأرقام بين الأقوس تمثل النسبة المئوية .

ويلاحظ من بيانات الجدول أن الضروس وخلجانها تتوزع بصورة كثيفة أمام الشواطئ التسعة (العريضة) في شرق المدينة (المحصورة، ميامي وسيدى بشر) أو غربها (المجمي). ومن ثم يرتبط توزيع ضروس الشاطئ مكانيا على شواطئ مدينة الاسكندرية بوجود مواد شاطئية بصرف النظر عن أصلها، وقوامها، ودرجة تصنيفها. كما يبلغ عدد الضروس على شواطئ الجناح الشرقي من ساحل مدينة الاسكندرية ٢٢١ ضرسا وهو مايشكل نسبة ١٧, ٦٦ من جملة الضروس التي أجريت عليها الدراسة، بينما بلغ عدد الضروس على شواطئ الجناح الغربي للمدينة ١١٣ ضرسا، وهو مايشكل نسبة ٨٣, ٢٢٢ من المجموع الكلى للضروس على جميع شواطئ منطقة الدراسة. وبهذا التوزيع فإن الكثافة العامة للضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية بلغت ١٨, ٢ ضرسا لكل كيلومتر الطولى الواحد. وفي ضوء الطبيعة الدينامية للضروس فإن توزيعها المكانى والزمانى على طول شواطئ الاسكندرية يدل على زيادة نسبتها أثناء الفترة من يوليو حتى أكتوبر وهى فترة الهدوء فى الأحوال الساحلية حيث تصل هذه النسبة إلى أكثر من ٢٤٠ على سبعة من الشواطئ الخمسة عشر، وتتنسق هذه النتيجة مع النتائج التى توصل إليها رسيل وماك أنتير (Russell and McIntire, 1965) فقد لاحظ أن الضروس تنزع إلى النشوء المتزايد خلال ظروف الشاطئ الانتقالية من الشتاء إلى موسم الصيف والتى تتصف بضعف الطاقة الواردة إلى الشاطئ. وخلاصة القول أن أكبر نسبة لضروس الشاطئ ٢, ٥٤ تحدث خلال فترة الهدوء الصيفى (يوليو - سبتمبر)، بينما تتميز فترة العواصف والأعاصير الشتوية (أكتوبر - مارس) بتقلص عدد الضروس على الشواطئ واختفائها من بعض الشواطئ وانخفاض نسبتها إلى ٦, ٢٩. أما الفترة الانتقالية فى الظروف الساحلية (أبريل - يونيو) فيتكون بها عدد لا بأس به من الضروس بنسبة تصل إلى ٢٠, ٣٦٪. (شكل رقم ٧).

٢-٢ السمات المورفومترية للضروس

يتناول هذا الجزء ضروس الشاطئ من زاوية الشكل للوقوف على طبيعة العلاقة بين عناصرها المختلفة. وتعتمد دراسة شكل الضروس على مجموعة من الخصائص الشكلية أو القياسات المورفومترية ومعالجتها احصائيا. ويمكن حصر هذه الخصائص فى تكرار الضروس وأبعادها وإنحطاطها واتساع خلجانها.



الجدول رقم ٧ : توزيع الكهرباء على مختلف القطاعات في مدينة الإسكندرية.

(شكل رقم ٧) : توزيع الكهرباء على مختلف القطاعات في مدينة الإسكندرية.

٢-٢-١ تكرار الضروس (الكثافة) Cusp Frequency

يقصد بتكرار الضروس قسمة مجموع الضروس على مجموع المسافات التي نخطيها، أما معدل كثافة الضروس في الكيلومتر فهو عبارة عن مجموع التكرارات منسوبا إلى عدد الحالات (الشواطئ) التي شوهدت عليها ضروس الشاطئ وخلجانها . يوضح الجدول رقم (٤) تكرار الضروس وكثافتها على شاطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم (٤): تكرار الضروس وكثافتها على شواطئ الاسكندرية
(ضرس لكل كيلومتر)

الشاطئ	تكرار الضروس	الشاطئ	تكرار الضروس	الشاطئ	تكرار الضروس
١- أبو قهر	٣٢,٧٢	٧- جليم	٤٨,٨٩	١٢- الانغوشى	٤٥,٩٧
٢- المعمورة	٥٣,٠٨	٨- ستلى	٤١,٣٨	١٣- المكس	٤٤,١٨
٣- المنزة	٤٨,٢٧	٩- سيدى جابر	٤٦,٦٧	١٤- الدخيلة	٣٨,٢٦
٤- المنزة	٣٥,٤٢	١٠- الاربعية	٤٦,٥٧	١٥- الحمسى	٥٩,٠٩
٥- الحسانرة	٣٨,٠٩	١١- الشاطئ	٤٧,٤٦	متوسط التكرار	٤٦,٤٨
٦- ميامى وميدى بشر	٥٠,٥٦			معدل الكثافة	٤٥,٧١

ظاهر من الجدول أن تكرار وكثافة ضروس شواطئ الاسكندرية يتراوح بين ٣٢,٧٢، ٥٩,٠٩، ٥٩,٠٩ ضرسا لكل كيلومتر، وذلك بمتوسط يصل إلى ٤٦, ٤٨ ضرسا لكل كيلومتر ومعدل عام للضروس يبلغ ٤٥,٧١ ضرسا لكل كيلومتر. ومعدل كثافة الضروس في منطقة الدراسة يقل عن القيمة التي توصلت إليها كنج (King, 1965) والتي بلغت ٦٧,٥ ضرسا لكل كيلومتر. وربما يرجع السبب في ذلك إلى ضعف الطاقة الديناميكية الواصلة إلى للشواطئ في شكل أمواج قليلة الارتفاع أثناء، فرة تكرنيتها وبالإضافة إلى خشونة راسب بعض الشواطئ وضعف تصنيفها. كما يبدو من الجدول أن شواطئ المعمورة وميامى وميدى بشر والجمعى هي أكثر الشواطئ استجابة لبناء هذه الظاهرة بمعدل يفوق استجابة بقية

الشواطئ لها، وربما يرجع ذلك لطبيعة أحجام التكوينات حيث أظهرت نتائج التحليل الميكانيكى لتكوينات هذه الشواطئ أنها أقل خشونة وأكثر تصنيفاً من تكوينات الشواطئ، الأخرى لمنطقة الدراسة. وتبلغ نسبة هذه الشواطئ الثلاثة ٢٠,٠٪ من جملة الشواطئ وتعارض ذلك مع النتائج التى توصل إليها كل من أرنوس (Orvos 1964) وشبرد (Shepard, 1973) من حيث زيادة تكرار الضروس على الشواطئ الخشنة الرواسب عن الشواطئ الناعمة الرواسب. فى حين تبلغ نسبة الشواطئ التى تشكل الضروس بها تكراراً متوسطاً (٤٠-٥٠ ضروساً/ كيلومتر) - وهى شواطئ المتزة وجليم ومثانلى وسيدى جابر والابراهيمية والشاطبي والأنفوشى والمكس - ٥٣,٣٪ من جملة شواطئ المنطقة، بينما تبلغ نسبة الشواطئ التى تشكل الضروس بها تكراراً منخفضاً (أقل من ٣٥ ضروساً/ كيلومتر) - وتقتصر على أبى قير والمنيرة والعصافرة والدخيلة - ٢٦,٧٪ من جملة شواطئ منطقة الدراسة.

٢-٢-٢ خصائص الأبعاد Dimensional Characteristics

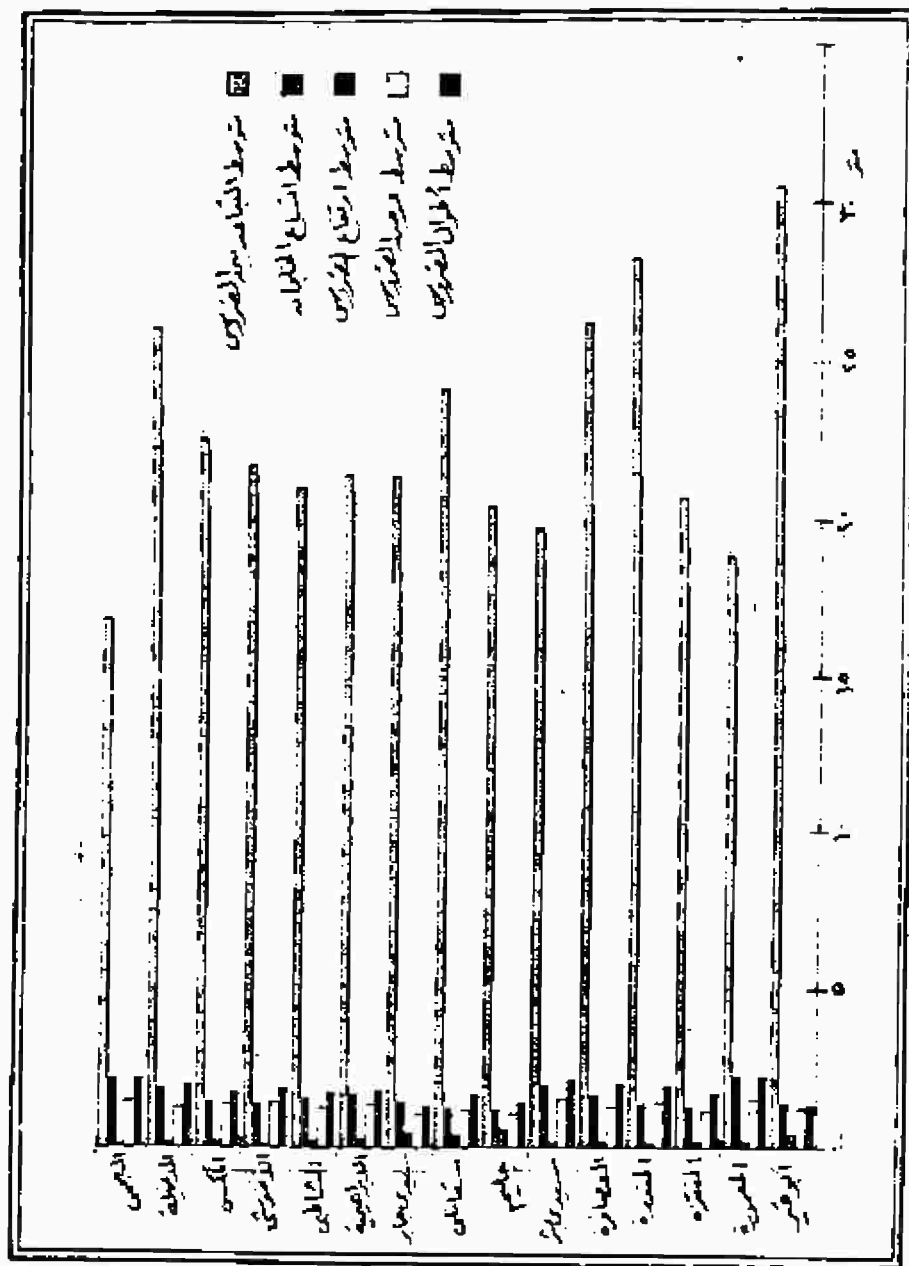
تتفاوت الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية من حيث الطول (الامتداد)، والعرض (الاتساع)، والارتفاع، والتباعد، والاتساع، خلجانها تبعاً للتحافات فى أشكالها ومواقعها وتباعداتها. وسوف نعرض على الصفحات التالية أهم الخصائص المورفومترية التى تم قياسها فى الدراسة الميدانية وهى الطول والعرض والارتفاع والتباعد واتساع خلجانها والتى يوضحها الجدول رقم (٥).

أ - الطول Cup Length

وقد تم قياسه على أطول خط مستقيم يمتد به قرن الضروس تجاه البحر. وتراوح متوسطات أطول الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية. كما يظهر فى الجدول رقم (٣) - بين ١,٥٥ ، ٢,٢٥ متراً، فى حين بلغ معدل طول الضروس ١,٨٨ متراً بانحراف معيارى $\pm ٠,٥٦$ متراً، ومعامل اختلاف ٢٩,٨٪. ويدل ذلك على تميز الضروس الشاطئية فى منطقة الدراسة بتجانسها النسبى فى أطوالها، ويتفق متوسط أطوال ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية مع ما توصل إليه نيدال (Twidale, 1976) من أن متوسطات أطوال الضروس تتراوح من متر واحد إلى بضعة أمتار. وقد لوحظ أثناء الدراسة الميدانية أن معظم قرون الضروس

جدول رقم (٥): أبعاد ضروس الشاطئ وعلجانها على شواطئ الاسكندرية

الشاطئ	متوسط أطوال الضروس (الامتداد) بالمتر		متوسط عرض الضروس (الامتداد) بالمتر		متوسط ارتفاع الضروس (العلجان) بالمتر		متوسط اتساع العلجان بالمتر		متوسط التباعد بين الضروس بالمتر	
	المتوسط	الانحراف المعاري	المتوسط	الانحراف المعاري	المتوسط	الانحراف المعاري	المتوسط	الانحراف المعاري	المتوسط	الانحراف المعاري
١- لوتس	١,٣٧	٠,٢٢	١,٣٧	٠,٢٢	٠,٤٦	٠,٠٧	١,٤٠	٠,٤٢	٢٠,٥٦	١٢,٤
٢- الصبورة	٢,٢٥	٠,٤١	١,٥١	٠,٢٤	٠,٢٣	٠,٠٥	٩,٢	٠,٢٦	١٨,٨٤	١١,٢
٣- الليرة	١,٧٢	٠,٥٥	١,١٧	٠,١٢	٠,٢٢	٠,٠٦	١,٢	٠,٢٨	٢٠,٧١	١٥,١
٤- الليرة	١,٩٥	٠,٤٨	١,٤٥	٠,٢٨	٠,١٧	٠,١١	١,٤	٠,٢٥	٢٨,٢٤	١١,٥
٥- الصانرة	٢,٠٥	٠,٥١	١,٢٢	٠,٢٩	٠,٢٤	٠,٠٩	١,٧	٠,٢٥	٢٦,٢٥	١٢,٨
٦- ملى وسلى بشر	٢,١٧	٠,٤٢	١,٥٧	٠,٤١	٠,٢١	٠,١٤	٢,٠	٠,٢٢	١٩,٧٨	٨,٨
٧- جليم	١,٤٥	٠,٥٨	١,١٠	٠,٢٥	٠,٦١	٠,٠٥	١,٢٠	٠,٢٢	٢٠,٤٥	٦,٣
٨- مطفى	١,٦٨	٠,٥٥	١,٢٠	٠,٢٦	٠,٤١	٠,٠٦	١,٢	٠,٢٩	٢٤,١٧	١٠,١
٩- سلى جابر	١,٣٥	٠,٢٩	١,١٢	٠,٤٥	٠,٥٢	٠,٠٩	١,٥	٠,٢٨	٢١,٤٢	٧,٤
١٠- الأبراهيمية	١,٨٤	٠,٦٤	١,٢٩	٠,٢٢	٠,٢٦	٠,١٠	١,٧	٠,٢٧	٢١,٤٧	١٠,٧
١١- الشاطئ	١,٧٧	٠,٥٧	١,٣٠	٠,٢٧	٠,٢٧	٠,١٢	١,٦	٠,٢٧	٢١,٠٧	١١,٦
١٢- الأفرنى	١,٩١	٠,٧٥	١,٤٧	٠,٢٨	٠,١٢	٠,٠٨	١,٤	٠,٢٧	٢١,٧٥	٩,٨
١٣- لكس	١,٧٥	٠,٤٨	١,٤٠	٠,٢٩	٠,٢٢	٠,٠٧	١,٥	٠,٢٥	٢٢,٦٣	١١,٥
١٤- القنطرة	٢,٠١	٠,٥٦	١,٣٠	٠,٤٤	٠,١٩	٠,١٢	١,٩	٠,٢٥	٢٦,١٤	١٢,٢
١٥- الحمى	٢,١٩	٠,٦٢	١,٥٠	٠,٢٢	٠,١٤	٠,٠٧	٢,٢	٠,٢٥	١٦,٩٢	١٠,٩
المطل	١,٨٢	٠,٥٢	١,٣٤	٠,٢٦	٠,٢٩	٠,٠٩	١,٦٢	٠,٥١	٢٢,٦١	١٠,٩
متوسط الاختلاف	٢٢٨,٤		٢٢٦,٨		٢٣١,٠		٢٣١,٣		٢٤٨,٠	



شكل رقم (٨) : أبعاد متوسط المساطم وتلجاطها على شواطئ الاسكندرية

تتخذ قمته apex الشكل المستدير أو القبابي ، والقليل منها يتخذ الشكل الحاد أو المذهب . كما لوحظ من خصائص طول الضروس أنه يرتبط ارتباطا وثيقا وواضحا بطول زحف الأمواج Swash أكثر من ارتباطه بالتباعد ، حيث تتقارب أطوال الضروس وتتوافق مع أطوال زحف الأمواج على وجه الشاطئ .

ب- العرض Cusp width

وتم قياسه بناء على أطول خط مستقيم يتعامد على طول قرن الضرس . ويتراوح عرض الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية بين ١,١٠ مترا لضروس شاطئ جليم و ١,٥٧ مترا لضروس شاطئ ميامي وسيدى بشر . كما يبلغ معدل عرض ضروس الشاطئ ١,٣٤ مترا بانحراف معياري $\pm ٠,٣٦$ مترا ، ومعامل اختلاف ٢٦,٨ مما يؤكد أن الضروس تعرض نوعا من التجانس بين عرضها (أو اتساعها) على طول شواطئ مدينة الاسكندرية .

ج- الارتفاع (التضاريس) Cusp height (Relief)

ويقصد به الارتفاع بين أعلى نقطة على قمة قرن الضرس وأدنى نقطة على خليج الضرس . ويظهر من الجدول السابق (جدول رقم ٥) تقارب قيم ارتفاع الضروس على طول شواطئ الاسكندرية حيث سجلت معدلا قدره ٠,٢٩ مترا بانحراف معياري $\pm ٠,٠٩$ مترا ، ومعامل اختلاف قدره ٢١,٠ . وهي بذلك تعرض تبانيا بفوق ما تعرضه أطوالها أو عرضها ، كما أنه يتباين بشدة بين كل من الشواطئ المتسعة العريضة (المعمورة ، سيدى بشر ، العجمي) والشواطئ الضيقة (جليم ، ستانلى ، سيدى جابر) . فعلى الأولى يتراوح بين ٠,١٤ - ٠,٢٢ مترا ، بينما على الثانية يتراوح بين ٠,٤١ - ٠,٦١ مترا . وبصفة عامة تتركز الضروس المرتفعة على الشواطئ الخشنة فى رواسبها الرملية (شاطئ جليم) ، ويؤيد ذلك ما فوصل إليه مبي عند دراسته لهذه الظاهرة على سواحل اليابان (Mii, 1956) .

د - اتساع الخلجان (الجلونات) Cusp bay breadth

وتم قياسه بناء على أطول خط مستقيم يتعامد على المسافة بين الضرسين على أطراف الخليج (الور) وحتى نقطة التقائه بمنحنى الخليج (شكل رقم ١) . ويتراوح متوسطات اتساع خلجان الضروس على شواطئ الاسكندرية بين ١,٢٠ ،

٢,٣٠ مترا بمعدل قدره ١,٦٣ متر وانحراف معياري $\pm 0,٣١$ مترا ومعامل اختلاف وصل إلى ٢١,٣، وبذلك على وجود اختلاف نسبي بين اتساع خلجان الضروس على طول شواطئ منطقة الدراسة حيث سجلت الخلجان بين ضروس كل من شاطئ المعمورة وشاطئ العجمي أكبر متوسطات اتساع بلغت ٢,٣ مترا، ٢,٢ مترا على الترتيب، في حين سجلت خلجان ضروس الشواطئ الضيقة عند جليم والمنزة وستانلي أقل متوسطات اتساع بلغت ١,٢، ١,٣، ١,٣ مترا على التوالي. ويتفق هذا إلى حد كبير مع دراسات جلشير عن خلجان الضروس (Guileher, 1948; 1958).

هـ- التباعد Cusp Spacing

يقصد به طول المسافة بين مقعدة كل ضرسين، وهي التي يعبر عنها بطول الموجة (Russell and McIntire, 1965). ويكشف تباعد الضروس نمط انتشارها على صفحة الشاطئ. ومن بيانات الجدول (رقم ٥) نرى أن متوسطات التباعد بين ضروس الشاطئ تتراوح بين ١٦,٩، ٣٠,٥٦ مترا بمعدل قدره ٢٢,٦٩ مترا وهو يقع ضمن الحدود التي ذكرها جلشير ورسيل ومكميلان والتي تتفاوت ما بين خمسة أمتار إلى ما يزيد على ٦٠ مترا وقد تصل إلى ٧٧ مترا (Russell and Macmillan, 1952; Guileher, 1953) كما يتفق المعدل العام (٢٢,٦٩ مترا) مع النتائج التي توصل إليها باحثين آخرون مثل رسيل وماك أستير (Russell & McIntire, 1965) وويليامز (Williams, 1973). ومن فحص المتوسطات الشهرية للتباعد من الضروس على شواطئ الإسكندرية تبين أنها لا تكشف اتجاهات عامة بحيث تتقارب هذه المتوسطات فيما بينها ويتفق ذلك مع مشاهدات كل من شورت (Short, 1979a) وسالنجر (Sallenger, 1979) وسيمور وأوبري (Seymour and Aubrey, 1985) حيث بنيت مشاهداتهم على أساس أن التناقص والانتظام في تباعد الضروس يعد سمة هامة، وصفة مميزة للضروس التي تتكون بفعل زحف الموج المصاحب للأعراج الحادة المضطربة. وقد بلغ الإنحراف المعياري للتباعد $\pm 10,٩$ مترا ومعامل اختلاف ٤٨,٠٪ والذي يظهر بأن هناك تفرقات واضحة في التباعد بين الضروس على شواطئ الإسكندرية، وإن كان ذلك يتفق مع النتائج التي توصل إليها إيفانس الذي لاحظ أن متوسط

اختلافات التباعد بين الضروس يصل إلى 140 كحد أدنى (Evans, 1938)، كما أكد إنمان وجوزا أن هناك تفاوتاً ملحوظاً في التباعد بين ضروس الشاطئ. حيث يتحكم في هذا التباعد أساساً طول موجة التيار الطولي Longshore wave length بفعل الأمواج الحادة Edge waves، كما أن أقصى طول للمسافة بين الضروس والذي يسمح بالوجود المستمر للأمواج الحادة يكون دالة كافية لامتداد الموجة الساقطة (Inman and Guza, 1982). وقد أثبتت القياسات الميدانية أن هناك اختلافاً ملحوظاً في التباعد بين الضروس الصيفية والشتوية، حيث يكون التباعد في الأولى أقل منه مع الثانية بسبب زيادة عددها مع ضعف العمليات البحرية أثناء موسم الصيف. ومن مقارنة بيانات الضروس في موسم النهوض في الأحوال البحرية (موسم الصيف) لشواطئ الاسكندرية اتضح أن ثبات وانتظام التباعد بين الضروس يكون بصورة جيدة على الشواطئ التي تسم بالخشنة في موادها كشواطئ جليم وسيدي جابر والتي يتراوح التفاوت فيها ما بين 30-134، على حين كشفت الشواطئ والتي تصنف بنعومة موادها كشواطئ المعمورة والعجمي بقلة التباين والانتظامية في التباعد حيث بلغ الاختلاف فيها عن المتوسط ما بين 59-164. بينما تظهر الشواطئ التي تتكون من رواسب متوسطة الحجم كشواطئ متانلى والأنقوش لباعداً بين الضروس التي تنشأ فوقها تفاوت فيما بين 40-145 عن المتوسط (مثل رقم ٨).

٢-٢-٣ الانحدار Cusp slope

تعد درجات الانحدار من السمات المورفومترية الهامة في دراسة خصائص ضروس الشاطئ، وتأتي في المرتبة الثانية بعد أطوالها. واعتمدت دراسة انحدارات ضروس الشاطئ وخطجانها عن طريق عينة مكونة من 5-10 حالة من كل شاطئ من الشواطئ الخمسة عشر. ويوضح الجدول التالي (جدول رقم ٦) نتائج هذه الدراسة.

جداول رقم : ٦) انحدارات الضروس وخلجانها على شواطئ الإسكندرية

الشاطئ	متوسط انحدارات جوانب الضروس (درجة)	متوسط انحدارات أسطح الضروس (درجة)	متوسط انحدارات الخلجان (درجة)
١- أبو زهر	٥,٥	٢,٥	٥,٥
٢- للصورة	٤,٠	٢,٠	٤,٠
٣- التوا	٥,٠	٣,٠	٥,٠
٤- للندرة	٧,٥	٢,٥	٥,٥
٥- الصلابة	٦,٥	٢,٥	٤,٥
٦- بلى وسبى بشر	٨,٠	٢,٥	٥,٠
٧- جليم	١٨,٥	٥,٥	٧,٥
٨- ستان	١٤,٠	٤,٠	٦,٥
٩- سبى جمر	٢١,٥	٤,٥	٨,٥
١٠- الأربعة	١٠,٠	٤,٠	٥,٥
١١- الشاطئ	٨,٥	٢,٥	٦,٠
١٢- الأنفوسى	٨,٥	٤,٠	٥,٠
١٣- للكس	٧,٥	٢,٥	٥,٥
١٤- الدخيلة	٥,٥	٢,٠	٥,٠
١٥- الجيسى	٤,٥	٢,٥	٣,٥
المتوسط	٩,٠	٢,٥	٥,٥
الانحراف للمبارى	٤,٩٥	٠,٩٢	١,٢
معامل الاختلاف	٥٤,٤	٢٢٦,٢	٢٢١,٨

وتنضح من الجدول السابق أن متوسط إنحدارات جوانب الضروس تتراوح بين 4.0° ، 21° بمعدل بلغ 9.0° وانحراف معياري $\pm 4.95^\circ$ ومعامل اختلاف 154.4 مما يدل على أن هناك تفاوتاً ملحوظاً بين متوسطات درجات انحدار جوانب الضروس، وإن كانت تتسم بتشابهها في أنها متوسطة الانحدار في جملتها العامة كما يعكسها قيمة المتوسط العام لها. فهناك ضروس خفيفة الانحدار (أقل من 5°) وهي التي تتركز على الشواطئ التي تتصف بنعومة رمالها كشواطئ المعمورة والمجمي، أما الضروس المتوسطة الانحدار ($5^\circ - 10^\circ$) فتوجد على الشواطئ التي يلبغ على قوام رواسبها الرمال المتوسطة الحجم كشواطئ الشاطئ والأنفوشي. وتكثر الضروس ذات الانحدار فوق المتوسط ($10^\circ - 18^\circ$) على الشواطئ التي يحيل قوام رمالها إلى الخشونة كشواطئ ستانلي والابراهيمية. أما الضروس الشديدة الانحدار ($18^\circ - 25^\circ$) فتوجد على الشواطئ ذات الرواسب الخشة كشاطئ جليم وسيدى جابر.

وقد سجلت إنحدارات أسطح الضروس على شواطئ مدينة الإسكندرية درجات يتراوح متوسطها بين 2.0° ، 5.5° بمعدل بلغ 3.5° وانحراف معياري $\pm 0.92^\circ$ ، ومعامل اختلاف 226.3 لذا نعرض إنحدارات أسطح الضروس تبانياً طبقاً وإن كانت تشابه جميعها تقريباً في أنها خفيفة الانحدار في جملتها العامة كما تعكسها قيمة معدلها.

وتتراوح متوسط إنحدارات خلجان الضروس بمنطقة الدراسة بين 3.5° ، 8.5° بمعدل 5.5° ، وانحراف معياري $\pm 1.2^\circ$ ، ومعامل اختلاف بلغ 221.8 مما يدل وجود اختلاف طفيف في متوسط إنحدارات الخلجان عن المعدل العام لها. وسجلت خلجان ضروس الشواطئ التي يلبغ على قوام رواسبها الخشونة أكبر الانحدارات التي بلغت 7.5° ، 8.5° على شاطئ جليم وسيدى جابر على التوالي، في حين سجلت خلجان ضروس الشواطئ ذات الرواسب المتوسطة الحجم عند العصفرة وستانلي والشاطئ والمكسي - على سبيل المثال - درجات إنحدار تتراوح بين 4.0° ، 6.5° ، بينما سجلت خلجان ضروس شواطئ المجمي والمعمورة أقل الانحدارات التي بلغت 3.0° ، 4.0° على الترتيب. وقد وجدت علاقة بين درجة إنحدار جوانب الضروس الشاطئية ودرجة إنحدار خلجان الجرف

وصلت قيمة معامل الارتباط بينهما ٠,٨٦ (له دلالة عند مستوى ٠,٠١) وهو يمثل ارتباطا طرديا قويا، وكما أنه يمثل ارتباطا متلازما حيث أن هناك عاملا وسيطا يمثل فت التيار الشقي Rip current وعامل الزحف والأرتداد الموجي Swash and Backwash.

٢-٣ العلاقات الارتباطية بين خصائص الضروس وعوامل تشكيلها

يتناول هذا الجزء توضيح العلاقات الارتباطية بين الخصائص المورفومترية للضروس وخطجتها وبعض عوامل تشكيلها بغية الخروج منها ببعض الحقائق عن مدى إسهام هذه العوامل في تكوين وتشكيل كل من الضروس وخطجتها على شواطئ الإسكندرية. ويوضح الجدول رقم (٧)، رقم (٨) نتائج التحليل الإحصائي لهذه العلاقات باستخدام معامل ارتباط بيرسون ومعامل الارتباط الجزئي والمتعدد وتحليل الانحدار.

(جدول رقم ٧) معطلة العلاقات الارتباطية بين مورفومترية ضروس للشاطئ وخطجتها وبعض عوامل التشكيل البحرية

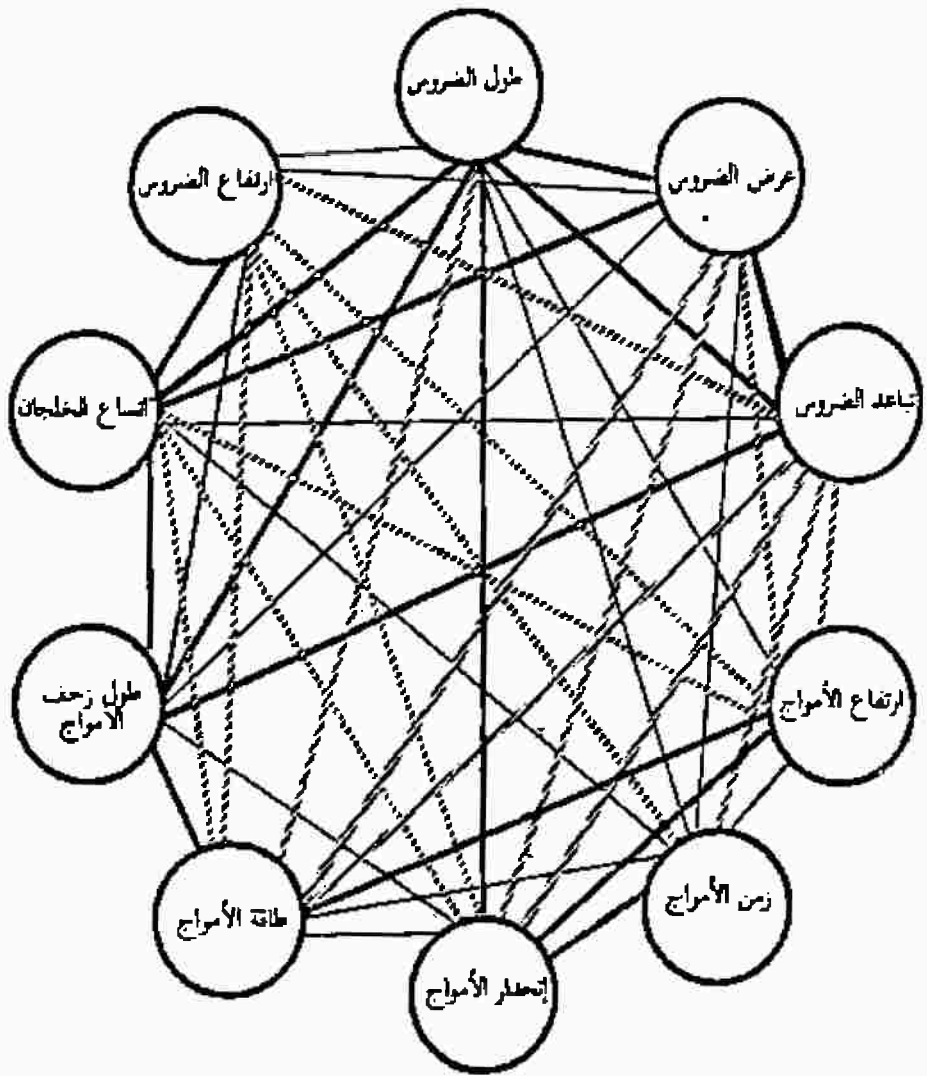
المعطيات	طول الضروس	عرض الضروس	ارتفاع الضروس	الميل بين الضروس	إسراع الخطجان	ارتفاع الأمواج	زمن الأمواج	تسلسل الأمواج	موجة الأمواج	طول وشك الموج
طول الضروس	-	٠,٦٩	-٠,٦١	٠,٧٣	٠,٧٤	٠,١٩	-٠,٤٧	٠,٣٣	٠,٧١	
عرض الضروس		-	٠,٠٦	٠,٧١	٠,٧٦	٠,٣٧	٠,٨	-٠,٢٥	٠,٤١	
ارتفاع الضروس			-	٠,٢٦	٠,١٥	٠,٣٦	٠,٢١	-٠,١٩	٠,١٩	
الميل بين الضروس			-	-	٠,٥٧	٠,٢٨	-٠,١٢	-٠,١٥	٠,٦٨	
إسراع الخطجان				-	-	٠,٣٢	٠,٢٧	-٠,٢١	٠,٣٥	
ارتفاع الأمواج					-	-	٠,١٨	-٠,٥٦	٠,٥١	
زمن الأمواج						-	-	٠,٥٤	-٠,١٩	
تسلسل الأمواج							-	-	٠,٢٨	
موجة الأمواج								-	-	

(٠,٠١ له دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠١ - ٠,٠٥ له دلالة إحصائية عند مستوى ٠,٠٥ - ٠,٠١)

(جدول رقم ٨: الارتباط الجزئي والمتعدد ومعاملات الإنحدار
لبعض عوامل تشكيل ضروس الشاطئ)

للضربات	معامل الارتباط الجزئي	مستوى الدلالة	للضربات	معامل الارتباط المتعدد	مستوى الدلالة	للضربات	معامل الارتباط المتعدد
٣٠.٢١	٠.٦٧	٠.٠٢	٢٢.٠١	٠.٤٩	٠.٠٥	١ (٠.١) (٠.١)	١.١٦+٩.٥٥=
٢٠.٣١	٠.١٩	غير دال	٢٢.٠١	٠.٥٣	٠.٠٥	١ (٠.١) (٠.١)	١.٥٩+٠.٦١=
١٠.٢١	٠.٧٨	٠.٠٠٥	٢٣.٠١	٠.١٥	غير دال	١ (٠.١) (٠.١)	١.١٧+٢.١٧=
٢٠.٤١	٠.٣٨	غير دال	٢٣.٠١	٠.٥٩	٠.٠٥	٢ (٠.١) (٠.١)	١.٩٨-١٤.٣٧=
٤٠.٣١	٠.٣٤	غير دال				٢ (٠.١) (٠.١)	١.١٢+١١.٣٣=
٣٠.٤١	٠.٢٩	غير دال					
٤٣.٢١	٠.٦٨	٠.٠٢					
٤٢.٣١	٠.٠٥	غير دال					
١- متوسط التباعد بين الضروس (متر)							
٢- متوسط ارتفاع الضروس (سم)							
٣- طول زحف الأمواج (متر)							
٤- ارتفاع للوحة (سم)							
٥- زمن للوحة (لانية)							
١- متوسط التباعد بين الضروس (متر)							
٢- طول زحف الأمواج (متر)							
٣- ارتفاع الموجة (سم)							
٤- زمن الموجة (لانية)							

يتضح من الجدول رقم (٧) والشكل رقم (٩) وجود علاقة طردية قوية بين أطوال الضروس وعرضها وتباعدها واتساعات الخلجان فيما بينها إذ أنه بزيادة أطوال الضروس تزداد اتساعاتها وتباعدها واتساعات خلجانها. كما توجد علاقة عكسية متوسطة بين إنحدار الأمواج وأطوال الضروس بحيث تعوق زيادة إنحدار الأمواج إمتداد الضروس وتحد من أطوالها، بينما توجد علاقة طردية قوية بين طول زحف الموج وأطوال الضروس فحيثما يزداد طول زحف الموج على وجه الشاطئ يزداد إمتداد الضروس بالمثل. وظاهر من الجدول كذلك وجود علاقة ارتباطية عكسية ضعيفة - غير مؤكدة - بين طاقة الأمواج من جهة وأطوال الضروس واتساعاتها وارتفاعاتها واتساعات خلجانها من جهة أخرى، وبين ارتفاع الأمواج واتساعات الضروس وارتفاعاتها وتباعدها واتساعات خلجانها. ولاتنفي العلاقة الأخيرة مع دراسات لونغويت - هيجنز وباركن (Longuet - Higgins & Parkin, 1962) للضروس على شاطئ تشيسل Chesil Beach. وربما يرجع

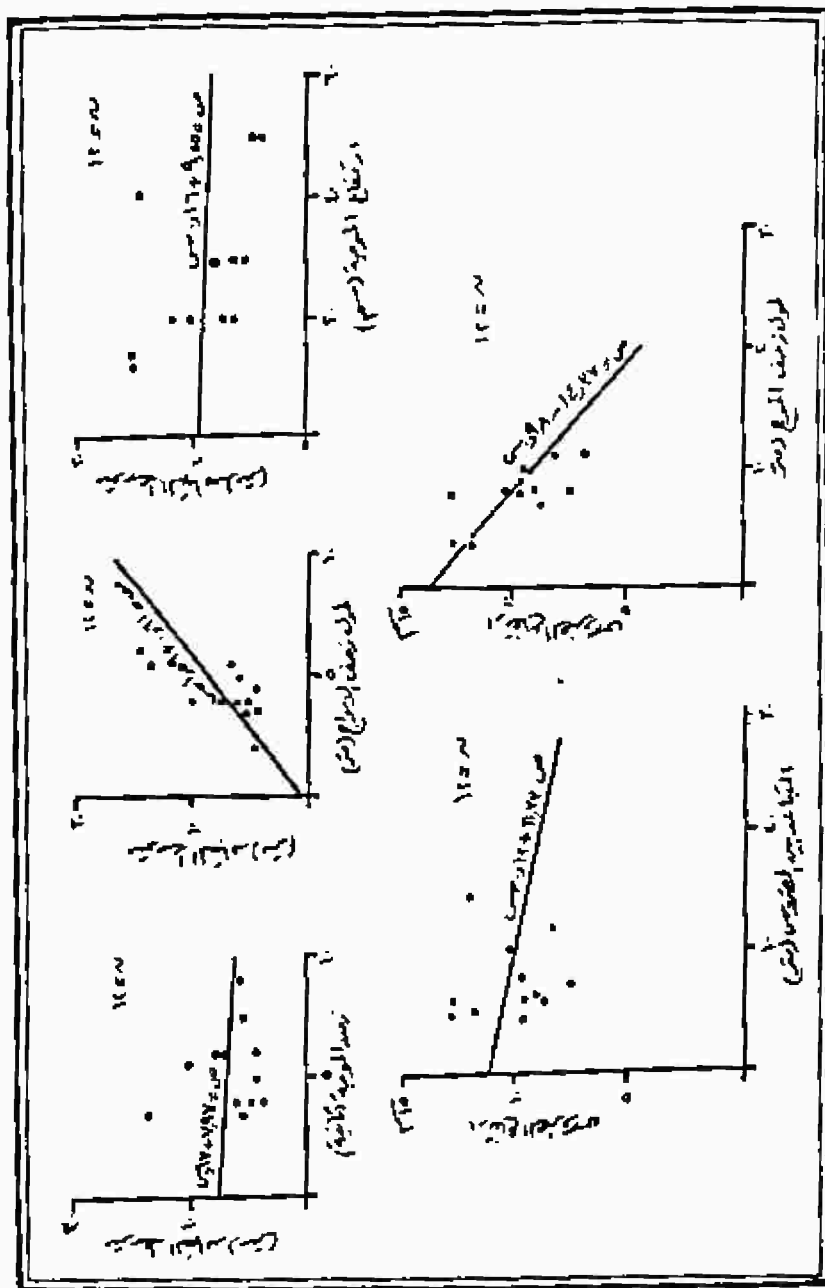


- ارتباط موجب غير دال احصائيا
 ————— ارتباط موجب دلالة عند مستوى ٠,٠٥
 ————— ارتباط موجب دلالة عند مستوى ٠,٠١
 ————— ارتباط سالب غير دال احصائيا
 ————— ارتباط سالب له دلالة عند مستوى ٠,٠٥

(شكل رقم : ٩) العلاقات الارتباطية بين مورفولوجية ضروس الشاطئ وبعض عوامل تشكيلها

ضعف العلاقة السابقة إلى عوامل أخرى أكثر أهمية مثل نمط التدفق في منطقة الشاطئ الخارجى Offshore. كما توجد علاقة طردية قوية بين عرض (اتساع) الضروس وتباعدها واتساعات خلجانها. ويتضح من ذلك أنه كلما زادت اتساعات الضروس زاد التباعد بينها واتسعت خلجانها في حالة زيادة طول زحف الأمواج، في حين يعمق ارتفاع الأمواج وزيادة طاقتها نمو الضروس، ويحد من أطوالها واتساعاتها واتساعات خلجانها. ويتضح كذلك وجود علاقة طردية بين طول زحف الأمواج من جهة وارتفاعات وتباعد الضروس واتساعات الخلدان فيما بينها من جهة أخرى. ونستخلص من العلاقات السابقة أن اتساعات الضروس وتباعدها واتساعات خلجانها تزداد في حالة زيادة أطوالها، بينما تختفى الضروس وتزال، وتردم خلجانها، وتتشع معالمها في حالة أمواج العواصف أثناء فصل الشتاء، ولذا تعتبر أشهر فصل الصيف أنسب أوقات نموها وزيادة أعدادها (شكل رقم : ٧).

ويظهر من الجدول رقم (٨) والشكل رقم (٩) شدة العلاقة بين زحف الأمواج وتباعد ضروس الشاطئ في منطقة الدراسة، مما يؤكد على هيمنة هذا العامل وسيطرته على هذه الخصيصة لضروس الشاطئ وبالتالي على تطورها بوجه عام، وهو ما يتفق مع ما توصل إليه لونغويت - هيجنز وباركين (Longuet-Higgins & Parkin, 1962). كما يوضح الجدول ائتلاف العوامل الثلاثة : زمن الموجة وارتفاع الموجة وطول زحف الموجة في تفسير 7.٥٩ من التباين والاختلاف في تباعد الضروس على شواطئ الإسكندرية، بينما تعزى نسبة التباين الباقية غير المنسرة بهذه العوامل الثلاثة إلى عوامل أخرى مثل اتجاه الرياح والفصل الذى تنمو فيه، والمد والجزر، وحجم الرواسب التى تتكون منها الضروس، مما يؤكد على ما توصل إليه لونغويت - هيجنز وباركين فى تحليلهما المحال للعللاقة بين تباعد الضروس وخصائص الأمواج التى اسهمت فى تشكيلها (Longuet-Higgins & Parkin, 1962). ومن جهة أخرى لم تتفق نتائج التحليل الإحصائى للإنحدار بين ارتفاع الأمواج والتباعد بين الضروس على شواطئ الإسكندرية مع ما اقترحه جونسون (Johnson, 1919) فى هذا الشأن من أن مسافة التباعد بين الضروس تتضاعف مع تضاعف ارتفاع الأمواج.



(شكل رقم : ١٠) : تحليل الانحدار للعلاقة بين بعض خصائص مزارع السمك وبعض عوامل تشكيلها .

٢- الخصائص الطبيعية لأحجام تكوينات الضروس واخلجانها

Textural Characteristics

تتميز ضروس الشاطئ بتنوع أحجام حبيبات الرواسب التي تتكون منها من شاطئ لآخر في منطقة الدراسة. وهناك عدة طرق اتبعها علماء الجيولوجيا لتقسيم حبيبات الرواسب، وتحديد العلاقات الحجمية بين كل من الزلط والرمل والطين. وبعد مقياس تدرج الحبيبات Grade Scale لونتورث (Wentworth, 1922) الأكثر استخداما بين علماء الجيولوجيا. ومن الباحثين الآخرين الذين اهتموا بدراسة حجم حبيبات الرواسب نذكر كرومباين (Krumbein, 1934) الذي قام بعمل مقياس آخر شائع يعتمد على مقياس فاي (Phi-Scale) اللوغاريتمي، وفوك (Folk 1954) وهولي (Whalley, 1972)، وبتيجون (Petijohn, 1975).

ولدراسة الخصائص الحجمية لتكوينات الضروس واخلجانها، تم جمع ٢٦٠ عينة سطحية من الضروس والخلجان (١٨٠ عينة من الضروس، ١٨٠ عينة من الخلجان)، وبسبب يتراوح بين ٣-٥ سم، كما تم تحليل هذه العينات ميكانيكيا. ويوضح الجدول رقم (٩) ورقم (١٠) نتائج التحليل الميكانيكي والتحليل الإحصائي لتكوينات عينات الضروس واخلجانها على شواطئ مدينة الإسكندرية.

(جدول رقم : ٩) نتائج التحليل الميكانيكي لتكرينات الضروس وخلجانها
على شواطئ مدينة الاسكندرية

الشاطئ	الضروس			الخلجان		
	الرمل الخشن والخشن جدا ٠.١ : ٠.٥ : ٠.٢	الرمل المتوسط والناعم ٠.١ : ٠.٢ : ٠.٤	الرمل الناعم جدا والمثلث ٠.٢ : ٠.٤ : ٠.٤	الرمل الخشن والخشن جدا ٠.١ : ٠.٥ : ٠.٢	الرمل المتوسط والناعم ٠.١ : ٠.٢ : ٠.٤	الرمل الناعم جدا والمثلث ٠.٢ : ٠.٤ : ٠.٤
١- أبو قير	٧٨	١٦	٦	١٠	٧٩	١١
٢- المحمرة	٦٥	٢٠	٥	٤	٨٢	١٤
٣- المترة	٧٣	٢٢	٥	٨	٨٠	١٢
٤- المنطرة	٧٥	٢١	٤	١١	٧٩	١٠
٥- العصارفة	٧٦	٢٠	٤	٩	٨١	١٠
٦- ميامي وسيدى بشر	٧٥	٢٠	٥	٩	٧٧	١٤
٧- حلوم	٧٨	١٤	٨	١٢	٧٣	١٥
٨- متقل	٧٣	٢١	٦	٩	٨١	١٠
٩- سيدى جابر	٧٨	١٥	٧	٨	٧٨	١٤
١٠- البرامية	٧٢	٢٣	٥	١١	٧٩	١٠
١١- الشاطئ	٧٦	١٨	٦	١٢	٧٧	١١
١٢- الانغوشى	٧١	٢٤	٥	١٠	٨٠	١٠
١٣- المكس	٦٩	٢٥	٦	٨	٨١	١١
١٤- الدخيلة	٦٨	٢٨	٤	٩	٨٢	٩
١٥- العجسي	٦٩	٢٥	٦	٣	٨٠	١٧
المتوسط العام	٧٢,٨٦	٢١,٨٧	٥,٢٧	٨,٨٧	٧٩,٢٦	١١,٨٧

ويتضح من هذا الجدول أن معدل نسبة المواد الخشنة (الرمل الخشن والخشن جداً، ١.٠ - ٥.٠%) بلغ حوالى ٧٢.٨٦ من جملة تكوينات الضروس على شواطئ الاسكندرية، بينما انخفضت هذه النسبة فى خلجانها فبلغت ٨.٨٧ فى حين شكلت المواد الناعمة (رمل ناعم جداً والملت، أكبر من ٢.٠%) نسبة ضئيلة بين تكوينات الضروس (٢.٥، ٢٧)، بينما ارتفعت هذه النسبة فى تكوينات الخلجان لتصل إلى حوالى ١١.٨٧ من جملة التكوينات. وتعد كل من نشتى الرمل المتوسط الحجم والرمل الناعم (١.٠ - ٢.٠%) أكبر الفئات تحميلاً حيث بلغ متوسطهما العام بين عينات الضروس ٧٢.٨٦ من جملة التكوينات، وارتفع هذا المتوسط بين عينات الخلجان إلى ٧٩.٢٦ من جملة تكويناتها. وصفوة القول أن تكوينات الضروس على مستوى شواطئ مدينة الاسكندرية تميل للخشونة، بينما تميل تكوينات خلجانها للدقة والنعومة - كما هو واضح من بيانات الجدول رقم (٩) - وربما يرجع السبب فى ذلك لفرملة التكوينات التى تقوم بها الأمواج، حيث يعمل زحف المروج Swash بالنحت فى الخلجان بينما تقوم المياه المرتدة Backwash بالإرساب فى قرون الضروس (صورة رقم ٢)، ويتفق ذلك إلى حد كبير من دراسات من باتيك (Pathick, 1984) وباجنولد (Bagnold, 1940).

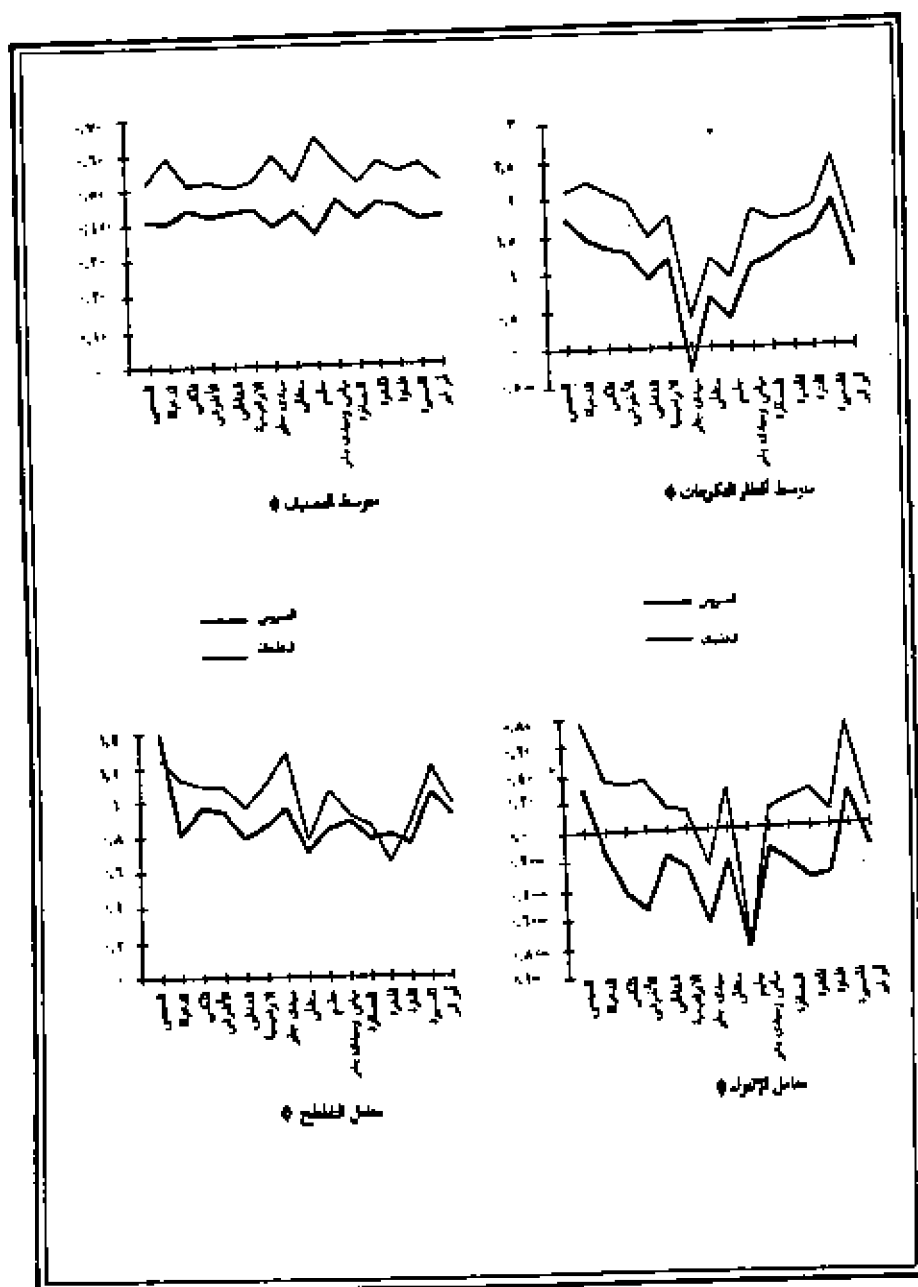
(جدول رقم : ١٠) نتائج التحليل الاحصائي لعينات لتكوينات الضروس
وعلاجانها على شواطئ مدينة الاسكندرية

الشاطئ	متوسط أقطار التكوينات Φ		متوسط التصنيف Φ		معامل الالتواء Φ		معامل التضطح Φ	
	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان	الضروس	الخلجان
١- أبو قير	١,٠٢	١,٤٦	٠,٤١	٠,٢١-	٠,١٦-	٠,١٠+	٠,٩١	٠,٩٨
٢- المعمورة	١,٨٩	٢,٥٢	٠,٤٠	٠,٥٦	٠,٢١+	٠,٦٩+	١,٠٤	١,١٩
٣- المترة	١,٤٨	١,٨٦	٠,٤٤	٠,٥٤	٠,٢٤-	٠,٠٩+	٠,٧٥	٠,٨٨
٤- المنيرة	١,٣٧	١,٧٢	٠,٤٥	٠,٥٧	٠,٣٧-	٠,٢٥+	٠,٨٠	٠,٦٥
٥- الصافرة	١,١٨	١,٦٨	٠,٤١	٠,٥١	٠,٢٥-	٠,١٩+	٠,٧٨	٠,٨٦
٦- ميامي وسيدى بشر	١,٠٦	١,٨١	٠,٤٦	٠,٥٧	٠,١٦-	٠,١٢+	٠,٨٩	٠,٩٢
٧- جليم	٠,٣٩	٠,٩٢	٠,٣٧	٠,٦٤	٠,٨٢-	٠,٧٨-	٠,٨٤	١,٠٦
٨- ستلى	٠,٦٤	١,١٨	٠,٤٣	٠,٥٢	٠,٢٣-	٠,٢٧+	٠,٧١	٠,٧٨
٩- سيدى جابر	٠,٣٢-	٠,٤١	٠,٣٩	٠,٥١	٠,٦٥-	٠,٢٥-	٠,٩٥	١,٢٨
١٠- الابراهيمية	١,١٥	١,٧٥	٠,٤٤	٠,٥٢	٠,٢٧-	٠,١٣+	٠,٨٦	١,١١
١١- الشاطئ	٠,٩٢	١,٤٨	٠,٤٣	٠,٥٠	٠,١٨-	٠,١٥+	٠,٧٩	٠,٩٦
١٢- الانفوشى	١,٢٥	١,٩٦	٠,٤٢	٠,٥٢	٠,٥٥-	٠,٣٦+	٠,٩٤	١,٠٩
١٣- المكس	١,٣٢	٢,٠٨	٠,٤٤	٠,٥١	٠,٤٣-	٠,٣٢+	٠,٩٦	١,١٠
١٤- الدخيلة	١,٤٣	٢,٢٢	٠,٤٠	٠,٥٩	٠,١٧-	٠,٣٥+	٠,٨١	١,١٣
١٥- المجمعى	١,٧٢	٢,٠٩	٠,٤١	٠,٥٢	٠,٢٨+	٠,٧٥+	١,٢٨	١,٢٥
المعدل	١,٠٠٥	١,٦٧٦	٠,٤٢	٠,٥٤	٠,٢٧-	٠,١٨+	٠,٨٦	١,٠١
الانحراف المعيارى	٠,٢٩٨	٠,٢٤٧	٠,١٣	٠,١١	٠,٠٨-	٠,٠٥+	٠,٢٧	٠,٢٩
معامل الاختلاف	٢٢٩,٦٥	٢١٤,٧٤	٢٣٠,٩	٢٢٠,٤	٢٢٩,٦	٢٢٧,٨	٢٣١,٤	٢٢٨,٧

ظاهر من الجدول أن متوسطات أقطار حبيبات تكوينات الضروس وخلجانها على شواطئ مدينة الاسكندرية تتراوح بين $0.32, 0.52, 2.0$ مم يدل على أن فئات الرمل الخشن جداً أو الخشن والمتوسط هي أكثر الفئات تشبيهاً بين التكوينات، وهذا ما أكدته نتائج التحليل الميكانيكي للتكوينات، كما يبدو من الجدول أن متوسط أقطار تكوينات الخلجان أصغر من (قومة ϕ كبيرة) من مثيله لتكوينات قرون الضروس المجاورة لها على الشواطئ قيد الدراسة، وتتفق هذه الملاحظة إلى حد بعيد مع ما سجلته أدبيات جيومورفولوجية السواحل المهتمة بمثل هذه الدراسة. وتعرض الشواطئ التسعة التي تتصف بنعومة رواسبها (مثل شاطئ المعمورة والعجمي) أقل نسبة لبائن ($21-25\%$) في متوسط أقطار التكوينات السطحية لكل من الضروس وخلجانها، على حين تعرض الشواطئ التي تتميز بخشونة رواسبها (مثل شاطئ جليم وسيدى جابر) أكبر نسبة اختلاف ($65-95\%$) في متوسط أقطار تكوينات الضروس وخلجانها (شكر رم: ١١)

وبمقارنة قيم معامل التصنيف لتكوينات الضروس وخلجانها في منطقة الدراسة التي تتراوح بين $0.37, 0.64, 0.76$ بترتيب التصنيف التي وضعها فوك ووارد (Folk and Ward, 1957) يتضح أن تصنيف تكوينات قرون الضروس يقع من فئة التصنيف الجيد (أقل من 0.50) بينما تقع قيم تصنيف الخلجان في فئة التصنيف المتوسط ($0.50 : 0.76$)، وربما يرجع ذلك لميل تكوينات قرون الضروس للخشونة، بينما تميل تكوينات خلجانها إلى النعومة، وذلك بسبب اختلاف تأثير الأمواج وعملية الزحف والأرنداد الموجي في نفضت الرواسب وجرفها، بالإضافة إلى تأثير العتق المحلي على درجة التصنيف حيث لوحظ أن الرواسب الضعيفة التصنيف نسبياً يكون العتق أمام شواطئها ضحلاً لا يتعدى المتر أثناء المد العالي، وشاطئ جليم وسيدى جابر مثال لذلك، وهذا بهامد على تقليل كمية طاقة الأمواج التي تصل إلى الشاطئ والتي تضعف معها تكرار الرواسب مما يؤدي إلى الوصول بها إلى حالة من عدم التجانس نسبياً.

ويتضح من الجدول السابق أن قيم معامل الالتواء لمينات التكوينات السطحية بضرروس الشاطئ وخلجانها في منطقة الدراسة تتراوح بين $0.27, 0.18, 0.14$ وهذا يدل على تميز التكوينات بنمط توزيعي متماثل تقريباً للخلجان، بينما تميل



(شكل رقم 11) : شائع التحويل الاحصائي لتكرينات المراسلة
وعملها على شوارع مدينة الاسكندرية

تكوينات الضروس إلى الحيود نحو المكون الخشن، على حين يظهر علم وجود اختلاف واضح بين معامل الالتواء لكل من تكوينات قرون الضروس والخلجان على شاطئ جليم حيث تميل التكوينات هنا إلى الحيود تجاه المكون الخشن. كما أن تكوينات الخلجان على شاطئ المنتزة تتميز بالالتواء متماثل تقريبا إذا ما قورن بالالتواء تكوينات ضروسها التي تميل إلى الحيود تجاه المكون المتوسط الخشونة، بينما تنزع تكوينات الخلجان على شاطئ المعصورة إلى الحيود نحو المكون الشديد النعومة إذا ما قورنت بتكوينات الضروس التي توصف بحيودها تجاه المكون الناعم نسبيا.

ومن الجدول السابق يتضح أن قيم معامل انحراف عينات الضروس وخلجانها يتراوح بين $0.75 \pm 1.38\phi$ لذا تقع في جميع ثبات التفرطح (المفرطح - المتعادل - المذهب) مما يدل على عدم تجانسها ونباهن أنواعها وخصائصها، ويؤكد ذلك ارتفاع قيمة معامل الاختلاف لمؤشر التفرطح والتي بلغت 231.4% للضروس، 228.7% للخلجان. كما يظهر من الجدول أن متوسط انحراف عينات لضروس على الشواطئ الناعمة (المعصورة والمجمي) يبلغ $1.04 \pm 1.38\phi$ بينما يبلغ في خلجانها $1.19 \pm 1.25\phi$ وهذا يعني أن نمط التوزيع في كل من الضروس والخلجان يأخذ الشكل المذهب في حين تميل نمط التوزيع لتكوينات الضروس والخلجان على الشواطئ الخشنة (جليم وسيدى جابر) تجاه النمط المفرطح أو المتعادل على الضروس حيث بلغ متوسط معامل انحرافها $0.84 \pm 0.95\phi$ بينما يأخذ التوزيع الشكل المذهب في الخلجان حيث بلغ متوسط معامل انحرافها $1.06 \pm 1.28\phi$ ، وهذا يعني أنه على الرغم من عدم التجانس بين التكوينات إلا أن تكوينات الضروس تسجل نوعا من التجانس النسبي بالمقارنة بخلجانها على مستوى منطقة الدراسة. وقد سجلت عينات ضروس وخلجان شاطئ أبو قير تفرطحا بلغت قيمته $0.91 \pm 0.98\phi$ على الترتيب، أي أنها تقع في فئة التوزيع متوسط التفرطح (أو التوزيع المتماثل). وبينما سجلت عينات ضروس وخلجان شاطئ ستاتلى توزيعا مفرطحا، سجلت عينات الضروس على شاطئ الدخيلة تفرطحا بلغت قيمته 0.81ϕ أي أنها تقع في فئة التوزيع المفرطح، الذي يعكس تشتت القيم حول متوسطها، إذا ما قورنت بعينات الخلجان الذي يأخذ نمط توزيعها الشكل المذهب حيث بلغ متوسط معامل انحرافها 1.13ϕ .

والنسبة لمقارنة خصائص التكوينات السطحية بالتكوينات تحت السطحية (٥-١٠ سم)، فقد أظهرت الملاحظات الميدانية أن حبيبات التكوينات تستدق وتميل إلى النعومة بشكل متتابع من أسفل إلى أعلى في ضروس بعض الشواطئ مثل شاطئ الشاطئ والأنفوشي والدخيلة، بينما ينعكس الوضع فيزداد حجم الحبيبات وتميل إلى الخشونة بشكل متتابع أيضاً من أسفل إلى أعلى داخل تكوينات الضروس إذا ما قورنت بتكوينات خلجانها التي تستدق وتزد نعومتها من أسفل إلى أعلى في بعض الشواطئ مثل شاطئ المنيرة والعصافرة والابراهيمية والمكس في حين لم نشاهد أية اختلافات في تتابع وزيادة خشونة الحبيبات من أسفل إلى أعلى في كل من تكوينات قرون الضروس وخلجانها على شاطئ جليم وميدى جاير. أما على شواطئ أبي قير والمنطرة ومثالي لم يظهر أى من هذه التباينات على كل من الضروس والخلجان التي نشأ فوقها. وعلى الرغم من انتشار تقصى الحقائق عن خصائص التكوينات السطحية لضروس الشاطئ على نحو متزايد في الآونة الأخيرة إلا أن قليل جداً من الدراسات هي التي وجهت اهتمامها نحو دراسة التركيب الداخلي وخصائص التكوينات تحت السطحية للضروس الشاطئية وخلجانها (Chaftez & Kocurek, 1981, Artia, 1987). فقد أشار كافتر وكوكيرك إلى أن هناك نزعة للضروس المتجمعة فوق الشاطئ لأن تعرض تكوينات قرونها تتابعاً خشناً من أسفل إلى أعلى. ويتفق هذا الرأي مع ما أظهرته الدراسة الميدانية لضروس شواطئ مدينة الاسكندرية غير أنه ليس من السهل تفسير أصل هذا التتابع وتعليل اختفائه من تكوينات الضروس على بعض الشواطئ قيد البحث.

٤- تصنيف الضروس

من الثابت أنه ليس هناك بحثاً واحداً تناول تصنيف ضروس الشاطئ بالتفصيل، وربما يرجع ذلك إلى اعتقاد الباحثين في أنه حينما نشأ هذه الضروس تكون طريقة تكوينها واحدة متشابهة. ولكن بعد الدراسة الميدانية المكثفة لمدة عام كامل لثلاثمائة وأربعة وثلاثين ضرساً على شواطئ مدينة الاسكندرية اتضح وجود تباين بين هذه الضروس من حيث قوة عامل النشأة الرئيسى الذى انعكس على كل من الأبعاد والشكل الذى تتخذه قرون وخلجان هذه الضروس.

اتضح وجود تباين بين هذه الضروس من حيث قوة عامل النشأة الرئيسى الذى انعكس على كل من الأبعاد والشكل الذى تتخذه قرون وخلجان هذه الضروس. كما تختلف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية من حيث مدى تلاشيها واختلافها من الشاطئ، وكذلك نوع رواسبها.

وسوف نعرض فى هذا الجزء محاولة أولية -ستجها محاولة أخرى تفصيلية- لتصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية، كما سوف نتناول دراسة وتحليل أوجه التباين بين الضروس لكشف مدى الاختلاف بينها وتوضيح نوع العلاقات بين المتغيرات التى تحكم فى أبعاد وشكل هذه الضروس. وبناء على ذلك فإن أهم الأسس التى سوف نستخدم عليها عند تصنيفنا للضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية يمكن حصرها فى : الأبعاد (الطول-العرض)، التباعد، ودرجة التضرج.

٤-١- تصنيف الضروس حسب الأبعاد (الطول-العرض)

ذكرنا آنفاً أن الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية تتفاوت من حيث الطول والعرض تبعاً للتفاوت فى أشكالها والمساحات التى تغطيها. وتتراوح متوسطات فى أطوال الضروس بين ١,٣٥ على شاطئ سيدى جابر، ٢,٢٥ متراً على شاطئ المعمورة، فى حين بلغ معدل طول الضروس ١,٨٣ متراً (جدول رقم ٥). كما تتراوح متوسطات عرض (إتساع) الضروس بين ١,١٠ متراً على شاطئ جليم، ١,٥٧ متراً على شاطئ مياسى وسيدى بشر (جدول رقم ٥).

(جدول رقم ١١) تصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية

حسب أطوالها وعرضها

التصنيف حسب أقصى عرض				التصنيف حسب الطول			
النسبة المئوية	عدد الضروس	أبعاد العرض متر	الوصف	النسبة المئوية	عدد الضروس	أبعاد العرض متر	الوصف
٥,٤	١٨	أقل من ٠,٥	ضروس قليلة العرض جداً	٣,٦	١٢	أقل من ١,٠	ضروس قليلة الطول جداً
٢٤,٨	٨٣	٠,٥٠ -	ضروس قليلة العرض	٨,٧	٢٩	١,٠٠ -	ضروس قليلة الطول
٥٨,٤	١٩٥	١,٠٠ -	ضروس متوسطة العرض	٤٦,٧	١٥٦	١,٥٠ -	ضروس متوسطة الطول
٩,٣	٣١	١,٥٠ - ٢,٠٠	ضروس كبيرة العرض	٣٦,٢	١٢١	٢,٠٠ - ٢,٥٠	ضروس كبيرة الطول
٢,١	٧	أكثر من ٢,٠٠	ضروس كبيرة العرض جداً	٤,٨٠	١٦	أكثر من ٢,٥٠	ضروس كبيرة الطول جداً
١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلى	١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلى

ويوضح الجدول التالي (جدول رقم : ١١) تصنيف ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية حسب فئات الطول المختلفة، وتبعا لأقصى عرض لها.

يظهر من الجدول أن الضروس متوسطة الطول (١,٥٠-٢,٠ متر) تستحوذ وحدها على ما يقرب من نصف عدد الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية، أى ما يعادل ٦٤٦,٧٪ وتليها الضروس الكبيرة الطول ٢,٢٣٦,٢. ويلاحظ أن الضروس ذات الطول الكبير جدا (٢,٥ متر فأكثر) تشكل نسبة ضئيلة من ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية إذ بلغ عدد ١٦ ضروسا بنسبة ٤,٨٪ فى حين يلاحظ أن الضروس قليلة الطول جدا (أقل من ١,٠ متر) تمثل أقل أنواع الضروس انتشارا على وجه شواطئ مدينة الاسكندرية. وهذا يعكس لحد كبير ظروف النشأة لعدد كبير من الضروس لاسيما تلك التى ارتبطت نشأتها بفصل نموها ودرجة انحدار الشواطئ الذى تنتشر فوقه ودرجة توجيه خط الشاطئ وتعرضه لتأثير الأمواج.

ويوضح من الجدول كذلك أن الضروس قليلة العرض والمتوسطة العرض تمثل نسبة كبيرة جدا من مجموع عدد الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية ٨٣,٢٪ يليها فئة الضروس كبيرة العرض التى بلغت نسبتها ٢٩,٣٪. وهذا يعكس أيضا طبيعة النشأة لعدد كبير منها، إذا ارتبط بدرجة انحدار الشاطئ الأمامى وزيادة طول زحف الأمواج عدد كبير من الضروس التى أظهرت استطالة واضحة وضيقا فى العرض. وتشكل الضروس ذات العرض الكبير جدا نسبة صغيرة جدا من إجمالى عدد الضروس مما يدل على أن عددا من ضروس شواطئ الاسكندرية يقل فيها العرض عن الطول، أى تكون أميل إلى الاستطالة منها إلى الامتدادة.

٤-٢- تصنيف الضروس حسب التباعد

تباين خصيصة التباعد بين ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية تباينا كبيرا إذ تتراوح متوسطاتها بين ١٨٨٤,١٠٥٦ مترا فى حين بلغ معدل التباعد ٢٦,٦٩ مترا (جدول رقم : ٥). ويوضح الجدول رقم (١٢) تصنيف هذه الضروس حسب فئات التباعد (المسافة بين كل ضرسين) المختلفة.

(جدول رقم ١٢) تصنيف الضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية
حسب التباعد (طول المسافة بين الضروس)

النسبة المئوية	عدد الضروس	متوسط التباعد (متر)	الوصف
٢٨,٤	٩٥	أقل من ١٠	ضروس تباعدها قليل جدا
٤٧,٠	١٥٧	١٠ - ٢٠	ضروس تباعدها متوسط
٢٠,٤	٦٨	٢٠ - ٣٠	ضروس تباعدها كبير
٤,٢	١٤	أكثر من ٣٠	الأشكال الهلالية
١٠٠	٣٣٤		المجموع الكلى

يلاحظ من الجدول أن الغالبية العظمى من الضروس على شواطئ الاسكندرية إما قليلة التباعد جدا أو متوسطة التباعد، إذ بلغ عددها ٢٦٠ ضرسا بنسبة ٧٧,٤ معظمها حديث النشأة، ويليهما الضروس الكبيرة التباعد ٢٠,٤٪. كما يلاحظ أن الضروس الهلالية الشكل (تباعدها أكثر من ٣٠ مترا) تشكل نسبة ضئيلة جدا من ضروس شواطئ مدينة الاسكندرية إذ بلغ عددها ١٤ ضرسا بنسبة ٤,٢٪، ولهذا فإن مثل هذه المسافات بقل وجوبها على ساحل منطقة الدراسة إذا ما قورنت بأنواع الضروس الأخرى.

٤-٣- تصنيف الضروس حسب درجة تضرورها

لقد تبين لنا من خلال المشاهدات الميدانية أن قيم أطوال الضروس تختلف باختلاف أطوال المسافات بينها (التباعد). وللتأكد من ذلك سحبت عينة عشوائية من ١٠٠ ضرس واستخدم مقياس مربع كاي حيث تم حساب ترتيب الوسيط ٥٠,٥ وقيمته ٢٧,٦ متر لطول المسافة بين الضروس (التباعد)، أما قيمة الوسيط لطول الضروس فتبلغ ١,٩٥ مترا. ويوضح الجدول رقم (١٢) توزيع أطوال المسافة بين الضروس (التباعد) ودرجة تعرض الشواطئ للعوامل البحرية.

(جدول رقم : ١٣) التوزيع الاحصائي لضروس شواطئ مدينة الاسكندرية
حسب درجة التضرع (العدد ١٠٠ ضرر)

المجموع	الوسيط	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (جيدة)	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (متوسطة)	درجة تعرض الشاطئ للعوامل البحرية (ضعيفة)	المجموع
٤١	٢٧.٦ ≥	١١	٧	٢٣	٤١
٥٩	٢٧.٦ ≤	٣٧	٨	١٤	٥٩
١٠٠		٤٨	١٥	٣٧	١٠٠

ومن معالجة بيانات الجدول السابق تم الحصول على قيمة مربع كاي (١٣.٥٤) وهي قيمة ذات دلالة عند مستوى دلالة ٠.٠١ حيث أنها أكبر من القيمة النظرية (٩.٢١) لذا نرفض الفرض الصفري التاميل بعدم وجود اختلاف بين درجات تعرض الشاطئ للعوامل البحرية، ونستنتج أن كل فئة من الفئات التصنيفية ذات انحرافات لها دلالة، وإن قيم أطوال الضرور تختلف باختلاف أطوال المسافات بينها، ولذا فإنه يمكن القول بأن بينهما تبايناً دون أن تخضع هذه المجموعات للتوزيعية العشوائية.

وبناء على هذه الفئات التصنيفية أمكن تقسيم ظاهرة ضرور الشاطئ التي تم اختيارها وقياسها ميدانياً (١٠٠ ضرر) حسب درجة التضرع إلى المجموعات التالية بهدف التعرف على سماتها المورفولوجية :

١ - الضرور الشاطئية الناضجة

وهي التي تنشأ فوق الشواطئ التي تكون درجة تعرضها للعوامل البحرية جيدة، بحيث تضم هذه المجموعة من الضرور تلك الضرور الشاطئية التي يقل طولها والمسافة بينهما معا عن قيمتي الوسيط، كما تضم ضرور الشاطئ التي يزيد فيها كل من طول الضرور وطول المسافة بينهما عن قيمتي الوسيط لكل منهما. ويصل عدد حالات هذه المجموعة ٤٨ حالة بنسبة ٤٨٪. وتتوزع الضرور

الناضجة عموماً على شواطئ المنيرة والعصافرة وجليم وسيدى جابر. وربما يعزى ارتفاع نسبة الضروس الناضجة هنا إلى انخفاض مؤشر لدرج الموجة، وخشونة الرواسب الشاطئية في غالبية مواضعها، وضخالة المنطقة الساحلية أمام الشواطئ التي تتركز فوقها، هذا بالإضافة إلى عامل الانتظام أو التجانس في عمليات التحت والإرماب الشاطئية.

ب- الضروس المتوسطة النضج

وهي التي يكون فيها طول الضروس أقل من قيمة الوسيط، بينما تكون طول المسافة بينها أكبر من قيمة الوسيط معاً. كما تضم هذه المجموعة تلك الضروس التي يكون طولها أكبر من قيمة الوسيط بينما تقل المسافة بينها عن قيمة الوسيط. وعامة يقل عدد الضروس في هذه المجموعة نسبياً بحيث يصل إلى ١٥ حالة بنسبة ١٥٪ من مجموع عددها. وتتركز هذه الضروس أساساً على شواطئ أبو قير المعمورة وسيدى بشر والابراهيمية والأنقوشى والعجمى.

ج- الضروس غير الناضجة

وتتحدد خصائص هذه المجموعة في اختلاف أطوال الضروس على جانبي خلجانها، بحيث يكون طول أحد الضروس على جانبي خليج نحت الأمواج أقل من وسيط طول الضروس، والثاني يكون طوله أكبر من قيمة الوسيط. ويرتفع عدد الحالات هنا نسبياً ليصل إلى ٣٧ حالة بنسبة ٣٧٪، وبهذا يبدو لنا أن هذه الضروس غير متجانسة. وتوزع هذه الضروس على شواطئ المنتزة وستاتلى والشاطئ والدخيلة.

٥- نشأة الضروس وتطورها

على الرغم من ظاهرة ضروس الشاطئ لاتعد من الظواهر الجيومورفولوجية الساحلية واسعة الانتشار، كما أنها ليست من أشكال السطح الكبيرة في حجمها أو مدى تضررها الذي لا يتجاوز كما رأينا المتر الواحد (جدول رقم ٥)، إلا أنها لم تحظ باهتمام كثير من الباحثين. وعلى الرغم من أن أصل ضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية ليس واضحاً للوهلة الأولى إلا أنها تلفت النظر

بسبب زركشتها لخط الشاطئ، وتشد الانتباه إلى محاولة تفسير أصل نشأتها وتطورها. وبطبيعة الحال لا يمكن أن يعتمد التفسير الدقيق أو التأكيد الحاسم والمقنع لأصل هذه الظاهرة على شواطئ مدينة الاسكندرية على دراسة واحدة -مثل الدراسة الحالية- بل أن الأمر يتطلب أكثر من دراسة تفصيلية لأكثر من خصيصة للضروس، ويعزى ذلك إلى الطبيعة المتقلبة لهذه الظاهرة المتميزة بسرعة زوالها واختفائها، إلى جانب ندرة البيانات الدقيقة عن خصائص الأمواج، وعدم القدرة على مراقبة سلسلة العمليات الجيومورفولوجية السابقة لتكوين ونشأة الضروس لاسيما في المواضيع التي لم تنشأ عليها من قبل.

وبصفة عامة، تختلف العوامل المشغلة عن تكوين ضروس الشاطئ وخلجاتها من شاطئ لآخر، كذلك على الشاطئ الواحد في أوقات مختلفة، وعلى هذا الأساس فإن إرجاع هذه الظاهرة إلى أصولها موضوع صعب وغامض غير معروف أختلف الباحثون بشأنه. إذ يرى البعض أن ضروس الشاطئ وخلجاتها تمثل مظهرا جيومورفولوجيا نجم عن النحت غير المنتظم للأصواج في وجه الشاطئ (Schwartz, 1972; Twidale, 1976)، ومنهم من عزاها إلى عملية البناء والإرساب بفعل الأمواج وزحفها (Komer, 1976; King, 1972; Russell & McIntire, 1965)، وهناك من يذكر بأنها لنجم عن النحت والإرساب معا بفعل الأمواج الهدامة والأمواج المرتدة في تشكيل مجموعة من المقعرات والمحددات تعتمد محاورها على خط الشاطئ، وتلك الأمواج المرتدة المقعرات فتنتج فيها وترسب في المحدبات، ومن ثم تشكل الضروس في مناطق المحدبات، بينما تشكل الخليجان في مناطق المقعرات (Timmermans, 1935; Kuenen, 1948). ففى حين حبل البعض وجود علاقة بين الخصائص الطبيعية للأمواج وبين تكوين ضروس الشاطئ مثل تقاطع سلاسل الأمواج وطاقة الموجة ومنهم (Dalrymple, 1962; Lanau, 1976; Longuet-Higgins & Parkin, 1962) بينما أرجعها البعض إلى أنها دالة للتفاعل بين الأمواج من جهة وطبوغرافية الشاطئ من جهة أخرى (Doubois, 1978; Otvos, 1946; Evnas, 1938). أما راسيل وماك انتير (Russell & McIntire, 1965) فقد أرجعوا نشأة ضروس الشاطئ في غرب استراليا إلى تأثير التيار الساحلى، كما قرروا بأن فتحات الضروس (ويقصد بها خليجان النحت البحرى) قد تكونت في ضرات ثابتة، بينما يعتقد كافتر وكوكيرك

(Chafetz & Kocurek, 1981) في أن نشأة وتطور الضروس قد ترجع إلى عمليات التحت في أثناء المد العالي وأثناء فترات الأمواج الأكثر ارتفاعاً، كما يقرر وورل (Worrall, 1969) بأن ثبات وجودها يرجع إلى الانتظامية في تأثير الموج.

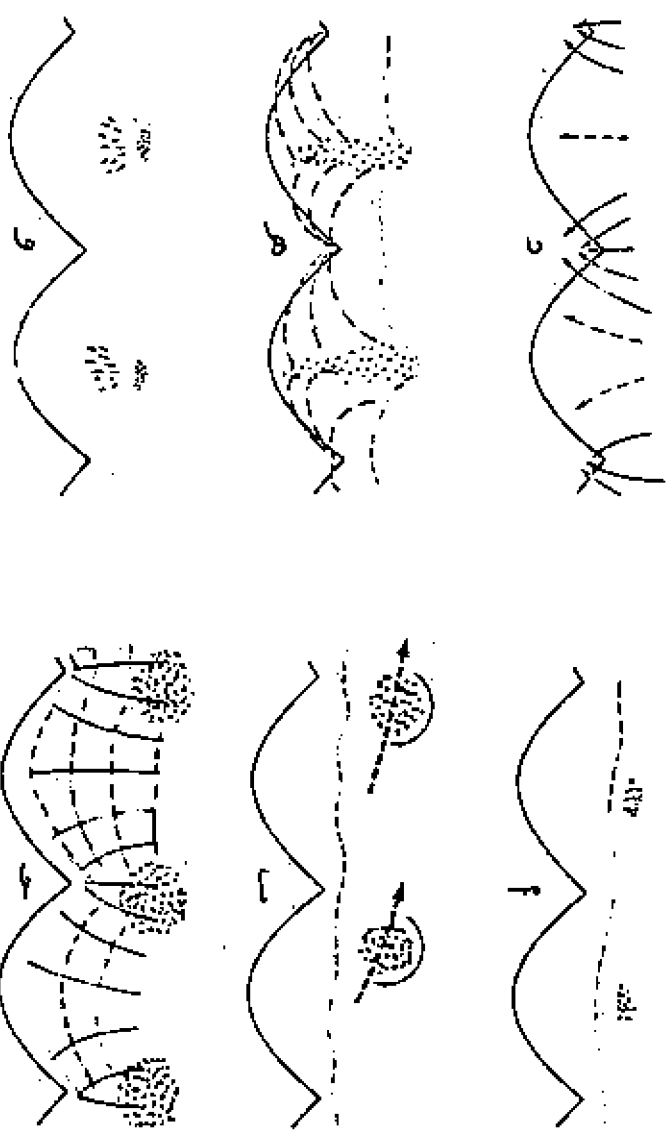
وربما يرجع هذا الخلاف بين الباحثين وتضارب آرائهم حول كيفية نشأة ضروس الشاطئ إلى الخلط بين مفهومين مختلفين هما الأصل والتشكيل. فالأصل يبحث في أسباب النشأة وعوامل ضبط التوزيع المكاني للظاهرة أى سر وجودها في مواضع معينة من الشاطئ دون سواها، بينما يعنى التشكيل جميع العوامل والعمليات التى أسهمت بدور في حفر الخلجان وتكوين الضروس سواء أكان ذلك بفعل الأمواج أم بفعل التيار الساحلى. فالأصل هو نقطة البداية الذى منه شرعت العوامل في تكوين الضروس وإيرازها بأبعادها وأشكالها المميزة. وعلى هذا فإن التعرض لنشأة ضروس الشاطئ وتطورها يتطلب التفرقة بين أسباب النشأة وعوامل ضبط توزيعها المكاني، والعوامل والعمليات الجيومورفولوجية التى أسهمت بدور في تكوين وتطور ضروس الشاطئ وخلجانها.

ولعل أهم ما يساعد على نشأة وتطور ضروس الشاطئ وجود مخزون كبير من الرواسب الشاطئية كبيرة الحجم - رمال خشنة ومسطح زلطي حصوى. وغالباً ما تختفى ظاهرة الضروس وخلجانها من الشواطئ التى يقل إنحدارها بصفة عامة عن درجة واحدة، أو تعيل إلى الاستواء التام، كما أنها تختفى من الشواطئ التى يزيد إنحدار واجهاتها عن ٢٥°.

وقد أوضحت الدراسة الميدانية أن أنسب الشواطئ الأمامية التى يتراوح إنحدارها بين ٤° إلى ١٦° حيث يساعد الإنحدار بهذا المدى عمل الأمواج الهدامة الزاحفة والأمواج المرتدة العائدة في تشكيل مجموعة من المقعرات والمحدبات تشكل في النهاية الخلجان والضروس. وتعد الأمواج عاملاً هاماً في ظهور الضروس أو في اختفائها، وبالتالي في تطورها (Riner, 1986; Komar, 1973) فحيثما تبديد طاقة الموجه على وجه الشاطئ وواجهته وتزحف في شكل شعاب تفصلها المحدبات، ثم تتحد كل شعبتين في شعبة واحدة تسمى الموجه المرتدة أو العائدة (الخضرية) التى تجدد طريقها إلى المقعرات تجاه البحر فتقوم

بنحتها لتشكل في النهاية خلجان الضروس (شكل رقم ٢١) وفيما بينها يتم الترسيب لتتشكل قرون الضروس نفسها (Petlick, 1984). وبناء على ذلك ترسب المياه العائدة المواد الخشنة في قرون الضروس فيما بين الخلجان، وبالتالي فتأثير عمليات التجريف على الخلجان أكبر من تأثيرها على الضروس لارتفاع نفاذيتها، وذلك لخشونة موادها التي تعمل على تبديد الطاقة (King, 1972). وبالرغم من ذلك فالضروس تهجر وتختفي عندما لهاجمها أمواج العواصف القوية لاسيما إذا ما التقت بخط الشاطئ بزاوية مائلة أو شبه عمودية (Mii, 1958) لوجود عنصر الهلم فيها (Otvos, 1964b)، بينما تنمو وتتطور في حالة الأمواج الهادئة في حالة ما إذا التقت بخط الشاطئ بقمم موازية له. كما يعمل زحف الأمواج على نشوء الضروس أو وقف تقدمها تجاه البحر، بينما تعتمد الضروس في تطورها على سرعة ارتداد أو رجوع الأمواج التي ينبغي أن تكون عالية لتزيد من قدرتها على حمل الرواسب، فعلى حين يؤكد كوينين (Kuennen, 1948) على عمليات الإرساب في نشأة الضروس، نجد أن جليشير (Guilcher, 1958) يعزو تكوينها إلى تحطيم وتخرق حواجز الشاطئ أو جسور الفحالب البحرية المتجمعة فوق وجه الشاطئ الأمامي. غير أن رسيل وماك اتشير (Russell and McIntire, 1965) ينسب نشأة الضروس إلى ضعف طاقة الأمواج في الفترة الانتقالية بين الظروف الصيفية والشتوية حيث تؤدي أنماط التدفق الخلوي للمياه في هذه الفترة إلى تكوين الضروس على رجة عتبة الشاطئ Beach berm المواجه للبحر.

وقد أبانت الدراسة الميدانية في منطقة الدراسة، أن الأمواج الهادئة في موسم الصيف والخريف تلتقي بخط الشاطئ بقمم شبه موازية له غير مائلة هي أنسبة أنواع الأمواج لنشوء هذه الظاهرة والعمل على تطورها، بينما تختفي في حالة أمواج العواصف الشتوية التي ترتطم بالشاطئ بزاوية مائلة حيث تصبح السيادة لعملية التجريف على امتداد الشاطئ وتشتت المواد الشاطئية على سطح القاع البحري القريب من الشاطئ. كما اتضح من الدراسة الميدانية أن هناك ضروسا تتكون على شواطئ مدينة الاسكندرية بفعل الأمواج أثناء المد العالي خاصة، ومجموعة أخرى تشكل بفعل زحف الأمواج Swash، والضروس الباقية فانها



الضغط من الجانبين
مواضع الجبال

(بعد رقم ١٠٠ : المراحل المتتابعة لكثافة توزيع وتدفق التيار المصاحبة لمن المضيبي)

من المحتمل أن ترجع نشأة الغالبية العظمى منها إلى تضايف عدة عوامل يشترك فيها طاقة الأمواج واتجاهها والتيار الساحلى. فالضروس التى ترجع إلى فعل الأمواج وطاقاتها واتجاهها أثناء المد العالى ثم مراقبتها لمدة نهار يوم ١٥/٩/١٩٩٢ على شاطئ المعصورة حيث لوحظ أن عامل التجريف الساحلى وراء نشأتها، فالأمواج كانت شبه موازية لخط الشاطئ حيث أن توجيهه 35° ق واتجاه الأمواج 18° ق (أى أن زاوية تعامد الأمواج 17°) وسرعة التيار الساحلى ١٦,٨ متر/دقيقة. فحينما يحدث المد يرتفع مستوى المياه فتترفع الرواسب لأعلى ويحدث لإرساب أمام أطراف الضروس نتيجة انخفاض سرعة تيار المياه أمامها فتزيد أطوال الضروس بينما ينحرف تيار المياه نحو الخلجان الصغيرة بين الضروس بسرعة تفوق سرعة الموجة نفسها حتى تقطع مسافة الخليج، فيؤدى ذلك إلى عمليات التعت التى تشكل بها الخلجان بين الضروس. ومن مراقبة هذه الضروس وجد أنها تتقدم ٢٠ سنتيمترا فى زمن قدره ١٠ ساعات نتيجة عملية التجريف الساحلى من الجنوب الغربى إلى الشمال الشرقى.

ومن الدراسة الحالية لضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية ظهر أنها تنتمى فى نشأتها أيضا إلى عمليات والإرساب. فلقد اتضح من الدراسة الميدانية أن عدداً غير قليل من الضروس نشأ بفعل الإرساب على أساس أن قرون الضروس تتألف دائما من تكوينات خشنة، بينما تحتوى الخلجان على مواد ناعمة (شكل رقم : ١٠)، علاوة على تأكيد المشاهدات الميدانية لتتابع النسق الحبيبي وزيادة الخشونة من أسفل إلى أعلى فى التركيب الداخلى لتكوينات قرون الضروس. ويتفق ذلك على دراسات كل من راسيل وماك انتير (Russell & McIntire, 1965) وكافتر وكوكيرك (Chafetz & Kocurek, 1981). ويظهر من الدراسة الميدانية أيضا ما يؤكد على النشأة الإرسابية للضروس على شواطئ مدينة الاسكندرية حيث يشتد الإنحطار على جوانب قرون كثير من الضروس بالمقارنة مع الإنحطار داخل خلجانها.

واعتمادا على خصائص التركيب البنى والقياسات الميدانية للشواطئ قيد الدراسة على ساحل مدينة الاسكندرية فقد تبين أن نشأة الضروس عليها ترتبط ارتباطا وثيقا بدرجة إنحطار الشاطئ الذى تتشر فوقه. ومثل هذه النتيجة توصل

إليها مى (Mii, 1958) من قبل ، كما أكدتها بعض الدراسات النظرية والأبحاث التجريبية العملية (Guza & Inman, 1975; Inman & Guza, 1982; Takeda & Sunamura, 1983 and Kaneko, 1985) غير أن التقييم الميداني الدقيق لتأثير درجة إنحدار الشاطئ على نشأة الضروس فى مواضع أخرى لازال نادرا حتى الآن. وبصفة عامة فإن وجود إنحدار غير عادى شديد أو ضعيف جداً، لوجه الشاطئ الأمامى - تبعاً لحدود شدة تدرج الأمواج - يجعل تأثير زحف المروج غير فعال أثناء عملية نشأة الضروس، ويترتب على ذلك ندرة وجود ضروس على مستوى منخفض من وجه الشواطئ وهو ما يتمثل على بعض شواطئ ساحل مدينة الاسكندرية كشاطئ المعمورة وسيدي جابر - ويعزى ذلك إلى أن درجة إنحدار الشاطئ الأمامى تتخطى درجة الإنحدار الحرجة لنشأة الضروس على الشواطئ غير المدية وهى 3° فأقل.

نخلص من ذلك إلى أن نمطاً معيناً من الضروس يتشعب على شواطئ ساحل مدينة الاسكندرية بوجه خاص يرتبط بظروف معينة بمواد وإنحدار الشاطئ، وخصائص الأمواج، إضافة إلى النمط الخلوي للتدفق للمياه فى مناطق الشاطئ الخارجى Offshore له والذي يرتبط بالعمليات التى تؤدى إلى نشأة تيارات محلية مازقة (تيارات شقية) Rip currents.

٦- الخاتمة

كشفت الدراسة الحالية لضروس الشاطئ على ساحل مدينة الاسكندرية عدة حقائق نوجزها فيما يلى :

١- تزيد كثافة الضروس على الشواطئ المتميزة بنعومة رواسبها، كشاطئ المعمورة والعجمى، استجابة لدرجات الإنحدار الحرجة لتكوين الضروس إذا ما قورنت بالشواطئ التى تغطيها الرواسب المتوسطة الحجم إلى الخشنة كشواطئ جليم وسيدي جابر.

٢- تسود نشأة الضروس، وتزايد اعدادها، أثناء فترات الهدوء فى الظروف البحرية، مع النزعة للإتقراض والاختفاء بتقدم فترات العواصف المتميزة بطاقتها العالية، كما تلعب التغيرات المورفودينامية لظروف الشاطئ دوراً بارزاً فى نشأة

وتكوين الضروس والتي تتوالد بكثرة عندما تسود حالة إنكسار للطاقة على الشاطئ مما ينتج عنها حدة في إنحدار الشاطئ ونقل كميات كبيرة من روابه على الجبهة البحرية بفعل الأمواج الغالبة العادية Swells.

٣- تزداد أطوال الضروس ونقل ارتفاعاتها على الشواطئ التي تغطيها الرواسب الناعمة بينما يحدث العكس على الشواطئ التي تغطيها الرمال من الحجم المتوسط إلى الخشن.

٤- أوضحت القياسات الميدانية لانحدار الشاطئ الأمامي أن الضروس تنقرض وتختفى من منطقة الشاطئ عندما تصل درجات انحدار الشاطئ إلى أكثر من ١٣ درجة (كما هي الحال عند شاطئ سيدى جابر) وبالمثل تختفى الضروس من الشواطئ التي تقل درجات إنحدارها عن ٣ درجات في بعض الأوقات من السنة (كما هي الحال عند شاطئ الدخيلة).

٥- تباين الخصائص الطبيعية لتكوينات كل من الضروس والخلجان على شواطئ ساحل الاسكندرية وهو ما يتفق مع معظم الدراسات المماثلة.

٦- استنادا إلى المشاهدات والقياسات الميدانية يمكن تمييز دلائل النشأة الإرسابية والنحتية للضروس على كل الشواطئ قيد البحث، إلا أن الأهمية النسبية لهذه النتيجة لا يمكن تأكيدها من الدراسة الحالية بل أن الأمر يتطلب إجراء دراسات تفصيلية أخرى، حيث أوضحت القياسات أن بقاء الضروس على الشاطئ أو اختفائها وانقراضها منه إنما يتحكم فيه عاملين هامين هما درجة انحدار الشاطئ الأمامي وتأثير زحف الأمواج على الشاطئ.

وأخيراً، فإن هذه الدراسة تعتقد في أن ظاهرة ضروس الشواطئ تعد علامة، من الدرجة الأولى، من العلامات التي يعتمد عليها في التعرف، بسهولة، على التغيرات التي تتنبأ أحوال الأمواج وظروف الشاطئ. ومن هنا فإن اهتمامنا سيوجه مستقبلاً نحو إلقاء الضوء على التغيرات الزمانية في أبعاد ضروس الشاطئ ونمذجة خصائصها وسعاتها الجيومورفولوجية على أجزاء أخرى من ساحل مصر الشمالي.

المراجع العربية والأجنبية

أولا : المراجع العربية

- (١) الركمانى، جودة فتحى متولى (١٩٨٧): إقليم ساحل خليج العقبة فى مصر، دراسة جيومورفولوجية، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة القاهرة.
- (٢) العوضى، حمدينه عبد القادر السيد (١٩٩٣) : إقليم الساحل الشرقى لخليج السويس - دراسة جيومورفولوجية رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآداب - جامعة الاسكندرية.
- (٣) عبد الحكيم، محمد صبحى (١٩٥٨) : مدينة الاسكندرية، القاهرة.
- (٤) عثمان، لىلى محمد (١٩٧٨) : الجيومورفولوجيا (مترجم)، القاهرة.
- (٥) مجمع اللغة العربية (١٩٧٢) : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية مجلد ١٤، القاهرة.

ثانيا: المراجع الاجنبية

- Abdallah, A.M., 1978. Study of the currents and hydrographic structure of the water masses in front of Alexandria coast *M.Sc. Thesis. Alex. Univ.*
- Abou-Raddiy, F.A., 1989. Local Areal variations of beach sand along the Coast of Alexandria City, Egypt, *Bull. of the Faculty of Arts, Univ. of Alexandria Vol. XXXVI*, pp. 35-67.
- Allen, J.R.L., 1982. Sedimentary Structures - Their Character and Physical Basis. (Developments in Sedimentology, 30D). *Elsevier, Amsterdam*. 663pp.

- Antia, E.E., 1987. Preliminary field observations on beach cusp formation and characteristics on tidally and morphodynamically distinct beaches on the Nigeria. *Mar. Geol.*, 78: 23-33.
- Bagnold, R.A., 1940. Beach formation by waves; Some model-experiments in a wave tank: *Inst. Civil Engineers Jour.*, v. 15, p.27-52.
- Blatt, H. Middleton, G., and Murray, R., 1972. *Origin of Sedimentary rocks*, Prentice-Hall, In., Englewood Cliffs, New Jersey, 634 pp.
- Bowen, A.J. and Inman, D.L., 1971. Edge waves and crescentic bars. *J. Geophys. Res.*, 76: 8662-8671.
- Chafetz, H.S. and Kocurek, G., 1981. Coarsening-upward sequences in beach cusp accumulations. *J. Sediment. Petrol.*, 51: 1157-1161.
- Cloud, P.E., 1966. Beach cusps: response to Plateau's rule. *Science*, 154:890-891.
- Dairymple, R.A. and Lanan, G.A., 1976. Beach cusps formed by intersecting waves. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 87: 57-60.
- Dubois, R.N., 1978. Beach topography and beach cusps. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 89: 1133-1139.
- Eid, F.M., 1979. Currents and water masses in the Coastal area from Abo Qir area to Agami. *M.Sc. Thesis. Alex. Uni.*
- El-Ganainy, M.A., Fanos, A.M. and Nafaa, M.G., 1991. Characteristics of waves off the Mediterranean coast of Egypt. *Alexandria Engineering Journal*, 30:25-34.
- El-Gindy, A., Abozed, A.B. and Farag, E., 1984. Circulation pattern beyond the breaker zone along the Nile Delta Coast during winter. *Internal Report. Coastal Research Institute. Alexandria, Egypt.* p. 9.

- El-Halaby, O.M.G., 1975. Comparative studies on some recent nearshore foraminifera from the Mediterranean Coast of Egypt and Greece. *M. Sc. Thesis*. Ein-Sharns Univ.
- Evans, O.F., 1938. The classification and origin of beach cusps. *J. Geol.* 46: 615-627.
- Fanos, A.M. 1986. Statistical analysis of longshore current data along the Nile Delta Coast. *Water Science Journal (Cairo)* 1. pp. 45-55.
- Flemming, N.G. (1964). Tank experiments on sorting of beach material during cusp formation. *J. Sed. Petrol.*, 34, pp. 112-22.
- Folk, R.L. and Ward W.C., 1957. Braxos River bar : a study in the significance of grain size parameters. *J. Sediment. Petrol.*, 27:3-26.
- Gerges, M.A., 1978. Trajectories and speeds of surface currents near the Egyptian Mediterranean Coast as deduced from the movement of surface drifts, *Ives, Jour. etud. pollut., C.I.E.F.M. Antalya* : 573-587.
- Greenwood, B., 1969. Sediment parameters and environment discrimination: un application of multivariate analysis. *Ca. J. Ea. Sc.* 6: 1358.
- Guilcher, A., 1954. Observation sur le croissants de plage : *Soc. Géol. France*, (5), v. 19, p. 15-30.
- _____, 1958. Coastal and submarine morphology, Methuen, London, 234 p.
- _____, 1961. Le Beach-Rock'ou Gre's de Plage. *Ann. de Geo.* 70(378), pp. 113-25.
- Guz, R.T. and Bowen, A.J., 1981. On the amplitude of beach cusps. *J. Geophys. Res.*, 86: 4125-4132.

- Guza, R.T. and Inman, D.L., 1975. Edge waves and beach cusps. *J. Geophys. Res.*, 80: 2997-3013.
- Hilmy, M.E., 1951. Beach sands of Mediterranean coast of Egypt. *Jour. Sediment. Petrol.*, 21(2) : 109-120.
- Inman, D.L. & Bagnold, R.A., 1962. *Beach and nearshore processes littoral processes*, Chapter 2, Vol. 2, The Sea. John Wiley & Sons, New York.
- Inman, D.L. and Guza, R.T., 1982. The origin of swash cusps on beaches. *Mar. Geol.*, 49:133-148.
- Johnson, D.W., 1919. *Shore processes and shoreline development*. John Wiley, New York, 473-476 pp.
- Kaneko, A., 1985. Formation for beach cusps in a wave tank. *Coastal Eng.*, 9: 81-98.
- King, C.A.M., 1965. Some observation on the beaches of the West Coast of County Donegal. *Irish Geo.* 5(2), pp. 46-50.
- _____, 1969. Some Arctic Coastal features around Foxe Basin and in E. Baffin Island, N.W.T. *Canada Geogr. Ann.* A51(4), pp. 207-18.
- _____, 1972. *Beaches and Coasts* St. Martin's Press, New York, 570 p.
- Komar, P.D., 1973. Observations of beach cusps at Mono Lake, California. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 84: 3593-3600.
- Komar, P.D., 1976. *Beach process and Sedimentation*, Hall, Inc., Englewood Cliffs, New Jersey.
- Krumbein, W.C., 1984. Shore processes and beach characteristics. In : J.S. Fisher and R.Dolan (Editor), *Beach Processes and Coastal Hydrodynamics*. Dowden, Hutchinson and Ross, Stroudsburg, Pa., pp. 71-112.

- Kuennen, Ph. H., 1948. The formation of beach cusps : *Jour. Geology*, v. 56, p. 34-40.
- Manohar, M., 1955. Mechanics of bottom sediment movement due to wave action, B.E.B. Tech. Memo, 75.
- _____, M., 1981. Coastal processes at the Nile Delta Coast. *Shore and Beach*, 49, pp. 8-15.
- _____, M. Nafaa, M. & Sharaky, N., 1977. Longshore currents along the coastal protection project. *Proceedings UNESCO Siminar on Nile Delta Coastal processes with Special Emphasis on Hydrodynamical Aspects. Alexandria*, pp. 235-254.
- Mii, H., 1956. Beach cusps on the Pacific coast of Japan. *Sci. Rep. of Tohoku Univ. Sendai, Japan, 2nd Series*, 29, pp. 77-107.
- Otvos, E.G., 1964. Observation of beach cusps and beach ridge formation on the Long Island Sound. *J. Sediment. Petrol.*, 34:554-560.
- Pathick, J., 1984. *An introduction to Coastal geomorphology*, London.
- Ross, D.A., and Uchupi, E., 1977. The structure and sedimentary history of the south-eastern Mediterranean Sea-Nile Cone area. *Am. Assoc. Pet. Geol. Bull.*
- Russell, H.J. and McIntire, W.G., 1965. Beach cusps. *Geol. Soc. Am. Bull.*, 76: 307-320.
- Sallenger, A.H., 1979. Beach cusp formation. *Geol.*, 29: 23-37.
- Schwartz, M.L., 1972. Theoretical approach to the origin of beach susps. *Geol. Soc., Am. Bull.*, 83: 1115-1116.
- Scott, T., 1954. Sand movement by waves, Inst. Eng. Res. Univ.

of Calif.: Wave Res. Lab.

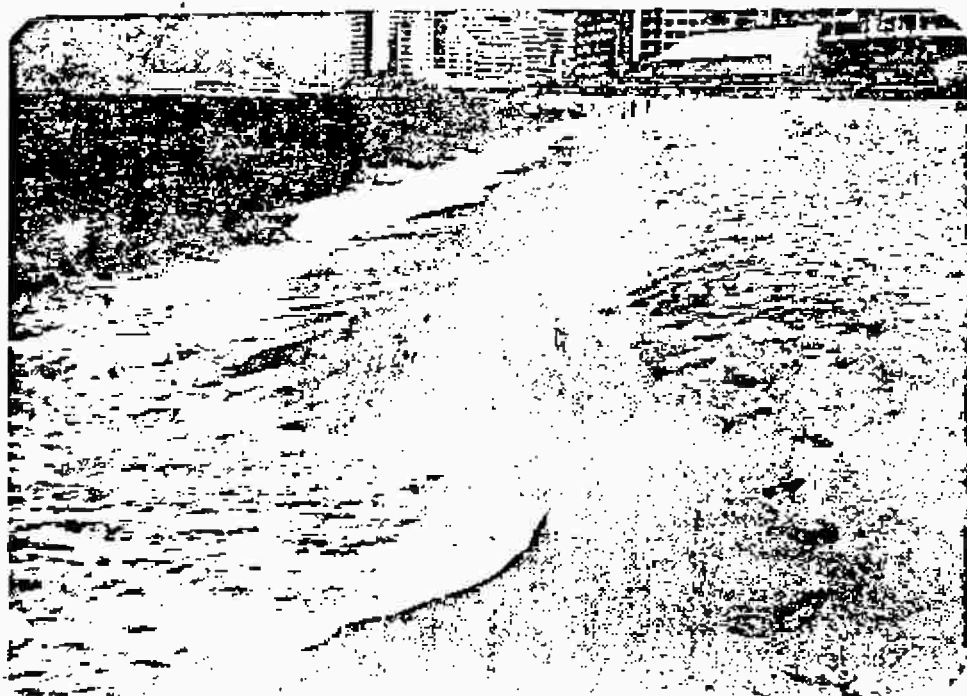
- Seymour, R.J. and Aubrey, D.G., 1985. Rhythmic beach cusp formation: a conceptual synthesis. *Mar. Geol.*, 65: 289-304.
- Shepard, F.P., 1973. *Submarine Geology*. Harper and Row, New York, N.Y., 3rd ed., 157 pp.
- Short, A.D., 1979a. Wave power and beach stages - A global model. *Proc. 16th Conf. Coastal Eng. Hamburg*, pp. 1145-1162.
- Shukri, N.M., and Philip, G., 1955. The Geology of the Mediterranean coast between Rosetta and Bardia. *Bull. Inst. D'Egypte*. LXX-XVII: 371-463.
- Sparks, 1970. *Geomorphology*, 2nd. Ed. Cambridge.
- Takeda, I. and Sunamura, T., 1983. Formation and spacing of beach cusps. *Coastal Eng. Jpn.*, 26: 121-135.
- Timmermans, P.D., 1935: Proeven ope den invloed Van golven opeen strand. *Leidische Geol. Med.* 6., pp. 231-386.
- Twidale, C.R., 1976. *Analysis of Landforms*, John Wiley and Sons, Sydney, *Australasia PTY LTD.*
- Williams, A.T., 1973. The problem of beach cusp development. *J. Sediment. Petrol.*, 43: 857-866.
- Worrall, G.A., 1969. Present-day and sub-fossil beach cusps on the West African coast. *J. Geol.*, 77: 484-487.



(صورة رقم ١) : تأثير حاجز الأمواج على عملية الترسيب التي تظهر بوضوح على الجانب الغربي للحاجز .



(صورة رقم ٢) : ضروس تتكون من مواد خشنة وخشنة جدا على شاطئ



(صورة رقم ٣) : زحف الموج على شاطئ ميامي وبداية تكوين تضروس .



(صورة رقم ٤) : عتبة الشاطئ وعملية زحف الموج على الشاطئ الأمامي .



(صورة رقم ٥) : نحت الضروس وتأكلها مع زيادة فعل الأمواج على شاطئ

العنبرة •



(صور رقم ٦) : ضروس صغيرة تكونت على شاطئ أملي ضعيف الانحدار-

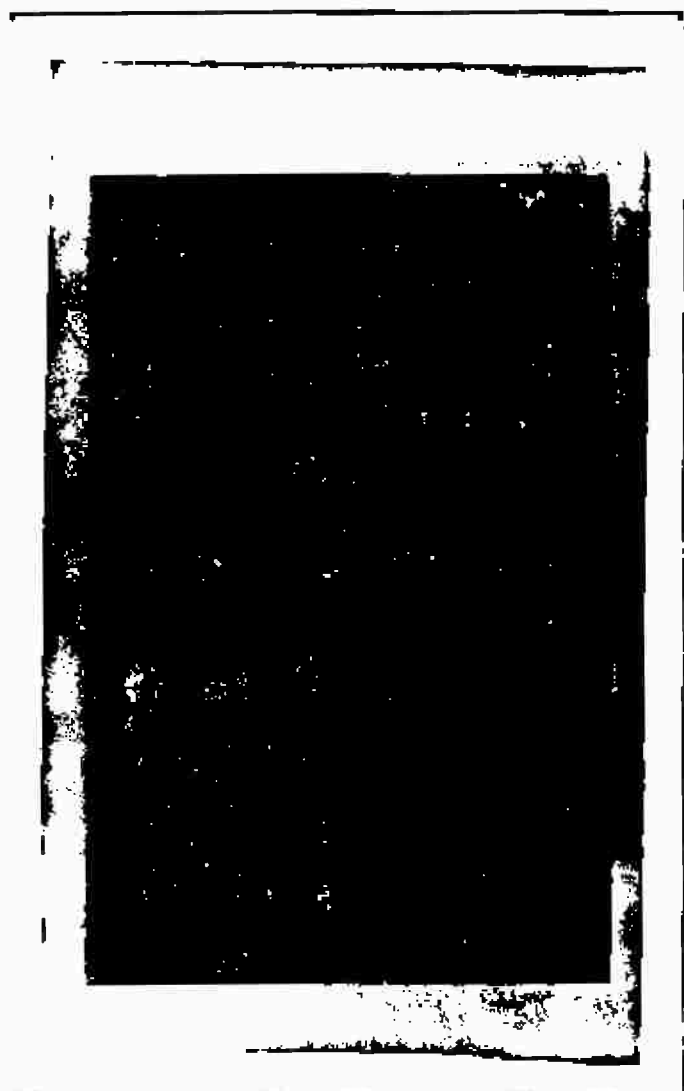
شاطئ العنبرة



(صورة رقم ٧) : ضروس غير فاضجة (لاحظ الاختلاف طوال قرون الضروس)
على شاطئ تصفيرة .



(صورة رقم ٨) : ضروس فاضجة غير شجرية (لاحظ اختلافات الضروس)



- 42- For the various types of Mithra in which he appears associated with these elements see Rainer Vollkommer, "Mithras", in LIMC, VI, 1, Zürich & München, 1992, pp. 583 ff.
- 43- Ibid, p. 583; Joscelyn Godwin, *Mystery Religions in the Ancient World*, London, 1981, p. 68.
- 44- Vollkommer, op. cit. p. 583.
- 45- Franz Cumont, *The Oriental Religions in Roman Paganism*, translated by Grant Showerman, New York, 1965, p. 140.
- 46- Ibid, p. 24.
- 47- Samuel A. B. Mercer, *The Religion of Ancient Egypt*, London, 1949, p. 414, Erman, op. cit. p. 228.
- 48- Bonner, op. cit. p. 139; Cumont, op. cit. p. 24; Vollkommer, op. cit. p. 622.
- 49- Husselman, op. cit. pp. 55 - 56, 77 note 64.
- 50- For example, the idea of the rising and the setting sun in the mysteries of Mithra agrees with the same idea expressed by a different way in a terracotta showing Harpocrates emerging from a lotus flower in front of a solar disc while, beneath him, Serapis, flanked by serpents, is sinking down into the lotus flower Harpocrates is the rising sun and Serapis is the setting sun. For more details about the similarity of solar functions of both Harpocrates and Mithra see El - Khashab, op. cit. p. 217.

traced to an old cult in Fayyum. The cobra - goddess Renenut was the deity and the protector of the harvest. Amenemhat III and his son Amenemhat IV dedicated a temple to her in Fayyum; the province in which Karanis was located. The agricultural and economical conditions in the third century A. D. were on the wane. Therefore, symbolizing such deity might be suitable for the situation. For Renenut see W. C. Hayes, "The Middle Kingdom in Egypt" in *Cambridge Ancient History*, vol. 1, part 2, Cambridge 1971, pp. 511, 517.

34- Horus is depicted with a human body surmounted by seven animal heads. See Budge, *op. cit.* II, p. 493; Mercer, p. 128.

35- Bonner, *op. cit.* p. 152.

36- A point of view regarded the composite sphinx of the Graeco - Roman period as the god Toutou - Titheos who was conceived as a victorious deity developed out of Heka. Obviously, the connection of this composite sphinx is more evident with Horus than with Heka for the evidence mentioned above. For Toutou - Titheos see Zivie, *op. cit.* cols. 143 - 145.

37- Budge, *op. cit.* vol. 1, p. 493.

38- Mercer, *op. cit.* p. 143.

39- Poole, *op. cit.* pl. xv no. 284.

40- Mercer, *op. cit.* p. 144.

41- LIMC, IV, 2, p. 258 no. 290a.

30- Macrobius, *Saturnalia*, I, 20, 13 - 14. Many of literary sources mentioned the three - headed kerberos without specifying what kind of heads. They are presumed to be canine unless otherwise specified explicitly. Some authors gave it more than three heads describing it as hundred - headed. See Susan woodford & Jeffrey Spier, *op. cit.* pp. 24 ff. Another triple - headed animal is the Chimaira which was killed by Bellerophon. It was frequently depicted with three heads of a lion, a horse and a serpent surmounting a lion's body. For more details see Anne Jacquemin, "Chimaira" in LIMC, III, 1 München, 1986, pp. 249 ff; Ingrid Krauskopf, "Chimaira" in LIMC, III, 1, München, 1986, pp. 259 ff.

31- Mercer, *op. cit.* p. 134; k. Sethe, *Zur altägyptischen Sage von Sonnenauges das in der Fremde war*, Leipzig, 1912, p. 5.

32- El - Khashab, *op. cit.* p. 219.

33- LIMC, IV, 2, pp. 245 no. 121a, 248 no. 157, 262 no. 344a; Dattari, *op. cit.* pl. XXII nos. 1827, 3517; XXIV no. 1849, 5039; Erman, *op. cit.*, fig. 111. The serpent appeared associated with Harpocrates in the late dynastic period on a number of magical stelae known as "Cippi of Horus". These stelae were used to protect the inhabitants of the house against beasts, insects, illness, etc., see Budge, *op. cit.* pp. 267 ff, Erman *op. cit.* p. 161; Mercer, *op. cit.* p. 133. Another explanation for the representation of the cobra might be

- 17- Hassan, op. cit. p. 75.
- 18- Ibid. pp. 75 ff; Hans Wolfgang Helck, "Sphinx" in *Der kleine Pauly*, vol. 1, München, 1979, cols. 307 - 309.
- 19- *Lexicon Iconographicum Mythologiae Classicae* (LIMC), IV, 2, München 1981, p. 249, no. 181, p. 255 no. 243a.
- 20- Ibid, pp. 242 no. 12, 255 no. 240a, 259 no. 300.
- 21- Abdel - Mohsen El - Khashab, "the Cocks, The Cat and the Chariot of the Sun" in *Zeitschrift für Papyrologie und Epigraphik*. 55, 1984. pl. XV a.
- 22- Budge, op. cit. p. 367.
- 23- Ibid, p. 366.
- 24- Diodorus Siculus, i, 85.
- 25- Adolf Erman, *A handbook of Egyptian Religion*, translated by A. S. Griffith, London, 1907, p. 226.
- 26- Mercer, op. cit. p. 214.
- 27- Ibid, p. 218.
- 28- Weber, op. cit. p. 65; LIMC, op. cit. pp. 245 nos. 112c, 113a, 121c, 121a; 260 no. 309.
- 29- Susan Woodford & Jeffrey Spier, "Kerberos" in LIMC, VI, 1, München, 1992, p. 32.

- from the breast and a tail in the form of a cobra. In addition, it is treading over a serpent. See, R. S. Poole, catalogue of Greek Coins, Alexandria and the Nomes, London, 1892, p. lxxxvii. pl. xxvi no. 835; G. Dattari, Numi augusti alexandrini, 2 vols, Cairo, 1901, pl. xxxi nos. 1180, 2002.
- 9- Budge, op. cit. p. 360; Campbell Bonner, Studies in Magical Amulets, Chiefly Graeco - Egyptian, Ann Arbor, 1950, p. 36.
- 10- Samuel A. B. Mercer, Horus, Royal God of Egypt, Grafton, Massachusetts, 1942, pp. 221, 225.
- 11- Ibid, p. 124.
- 12- Bonner, op. cit. p. 288, pl. X no. 211.
- 13- Wilhelm Weber, Die Ägyptisch - Griechischen Terrakotten, 2 vols., Berlin, 1914, vol. 1 p. 66.
- 14- Dattari, op. cit. pl. xiv nos. 1726, 3464.
- 15- H. I. Bell, Cults and Creeds in Graeco - Roman Egypt, Liverpool, 1953. p. 18. As for the panther as a companion of Dionysus, we have examples of Alexandrian coins on which the god appears riding a biga of banthers. See J. G. Milne, A History of Egypt under Roman Rule, 3rd edition, revised and enlarged, London, 1924, p. 201, fig. 94; Dattari, op. cit. pl. XII no. 849.
- 16- Being a god of fertility, Dionysus was identified with Osiris. See Bell, op. cit. p. 19.

- 4 - selim Hassan, *Le Sphinx*, Cairo, 1951. p. 83; E. A. Wallis Budge, *The Gods of the Egyptians*, 2 vols. London 1904, vol. 2. p. 360.
- 5- Hassan, *op. cit.* p. 84; Christiane M. Zivie, "Sphinx", in *Lexicon der Ägyptologie*, vol. V, Wiesbaden, 1984, col. 1140. The sphinx had been a guardian of the living as well, hence the gate of the palace of Sinwesert I was flanked by a pair of sphinxes. Not exclusively constricted to a particular type; the name Seshep - Ankh was used to indicate the sphinx in general during the Middle Kingdom. See Hassan *op. cit.* pp. 82 - 83.
- 6- The other types of the sphinx are the crouching, the seated and the standing. See Zivie, *op. cit.* cols. 1140 - 1144.
- 7- *Ibid*, col. 1143.
- 8- For example, we have a relief in the Egyptian Museum with the figure of a composite sphinx. It is depicted with a lion's body, a female human head and a head of a crocodile projecting from the chest. Another head of a falcon is protruding from the winged body. The tail is shaped as a cobra and around each leg coils another one. This relief is dating from the first half of the second century A. D. See, Hassan, *op. cit.* pp. 71 - 72, fig. 27. The Roman Alexandrian coins have introduced also examples of androsphinxes on the coins of the 13th year of Trajan and the 18th year of Hadrian. the sphinx appears with a man's head, a lion's body, a head of a crocodile emerging

Footnotes

- 1- See the bibliography of the works dealing with Karanis, Elionr M. Husselman, Karanis Excavations of the University of Michigan in Egypt, 1928 - 1935, Topography and Architecture, Ann Arbor, 1979, pp. 2 - 4.
- 2- Originally the building had been used as a granary in the latter half of the second century. In the third century it was converted into a house and re - used for housing, see Husselman, op. cit. pp. 9, 16, 59, 61. I think that this painting must have been ascribed to some time before the beginning of the fourth century when the house fell out of use and became in ruins. Considering the nature of a painting on a thin layer of plaster applied over mud coats, we believe that it can hardly resist the destructive effect of an inhabited place. Recently the Egyptian village began to turn to the use of the burnt brick for the purposes of construction at the expense of the sun - dried brick which has been the traditional material for thousands of years. Nevertheless, a lot of buildings with sun - dried brick are still extant. A house of a sun - dried brick might stay for over a hundred years but only with a constant maintenance of the mud coats which erode quickly. A coat of plaster might stay longer but not too long. Therefore, the latter half or quarter of the third century might be acceptable as a date for the painting.
- 3 - Husselman, op. cit. pp. 61 - 62. pl. 102a.

The ease of communications, the exchange of products and ideas and the mingling of races increased the extent of the the diffusion of Mithraism and other oriental cults whose propagation in the Roman Empire must have been achieved through merchants, soldiers and even slaves ⁽⁴⁶⁾.

Votaries of Mithra spreaded in Egypt as well as in the other provinces of the Roman Empire ⁽⁴⁷⁾. The adherents of his cult had been exclusively men and mostly soldiers ho played a great role in the diffusion of Mithraism ⁽⁴⁸⁾.

Most important for a possible Mithraic influence is the discovery of bulidings presumed to be military barracks and a Mithraeum in addition to a wall painting representing the Mithraic sacrifice of slaying the bull "Tauroctone" at Karanis ⁽⁴⁹⁾.

To sum up, the conception of the composite sphinx with multiform heads must have been introduced into Egypt under Greaco - Roman influence. The melange of symbols and attributes which coincide in their connotations are supposed to activate the powers of fertility and protection embodied in the sphinx with the aim of achieving the utmost efficacy. Taking into consideration the solar nature of both harpocrates and Mithra and the attributes they have in common we may infer that the symbolism of the Mithraic conceptions must have been appealing to the Egyptians owing to the similarity in ideas ⁽⁵⁰⁾. Therefore the composite sphinx is supposed to come under a synthesis of Graeco - Egyptian and Mithraic influences.

The combining of the jackal as a symbol of Anubis with solar symbol seems to be neither peculiar nor objectionable since Anubis was identified with Horus⁽³⁸⁾ and there are parallel instances of similar cases. Serapis for example, was conceived as a chthonic deity. Nevertheless, he was endowed with solar attributes and identified with Helios. Consequently, he occurred on the Roman Alexandrian coins as Helios - Serapis⁽³⁹⁾. Similarly, Apis had coalesced with Horus⁽⁴⁰⁾. In Graeco - Roman period Harpocrates appeared surmounting Apis' back⁽⁴¹⁾. Accordingly, his presence in the painting is presumed to accord with the other elements i. e., Harpocrates and the sphinx.

Another interpretation might be introduced regarding the accumulation of such diverse elements in the sphinx as most of them could be traced to foreign influences.

The lion, the human radiate head, the dog, the serpent, the dagger and the bull are all elements related to Mithraic mythology⁽⁴²⁾. Mithra was a sun - god and his myth symbolizes the sun's gift of fertility to crops and creatures⁽⁴³⁾.

As a sun - god, Mithra was assimilated to Helios and Apollo in Kommagene in the first century B. C.⁽⁴⁴⁾. From the beginning of the second century A. D. the Roman Empire witnessed a considerable extension of his cult which remained the most important pagan cult down to the end of the fourth century⁽⁴⁵⁾.

talities. Gods with human bodies surmounted by multiform animal heads occurred occasionally in Egyptian art. For example, the god Her - Sephi appeared with a human body and four animal heads of a bull, a ram and two falcons (31).

As for the cobra which replaced the tail of the sphinx and coiled around each leg, it is supposed that serpentine characteristics express protection and fertility (32). In Graeco - Roman Egypt it appeared associated with Harpocrates as well as many other gods (33).

The daggers held by the sphinx are presumed to have some connotation related to it and to the other attributes included in its representation. A composite form of Horus dates from the late dynastic period appears holding a dagger in his right hand and a serpent in his left (34). Harpocrates, occasionally, occurred on the magical amulets of Graeco - Roman Egypt holding a dagger or a cobra with his right hand (35).

It is obvious that this composite sphinx is connected with Harpocrates, the main figure in the painting (36). As one of the forms of Horus, it combines all the attributes of the gods with whom Horus or Harpocrates was identified. This pantheistic type, which manifest the theological syncretism that was dominant in Egyptian mythology, occurred in previous representations of Horus whose appearance in a pantheistic composite form attained the description of Budge as "The god comprehending all the gods" (37).

narrated that the dog guarded the body of Osiris and guided Isis in her search for it ⁽²⁴⁾.

Also there might be a connection between the representation of the dog and the goddess Isis as she, in Egyptian mythology, was associated with the star Sothis whose appearance in the sky marked the inundation. The Greeks called Sothis the dog star, consequently Isis got the dog among her attributes and appeared riding it with a sparkling star over its head ⁽²⁵⁾.

Equally, Horus was identified with Sothis since we find among his epithets "Horus the dog - star" ⁽²⁶⁾. Another epithet "The Dog of Horus" ⁽²⁷⁾ might interpret the appearance of Harpocrates in association with the dog in some of his figures ⁽²⁸⁾.

The three - headed animals were known in Greek and Roman arts. One of these animals, Kerberos, the guard - dog of Hades became associated with Serapis as early as the beginning of the Hellenistic period ⁽²⁹⁾. According to Macrobius a statue of Serapis was accompanied by a three - headed animal with a central head bearing the likeness of a lion and two lateral heads, a dog's head on the right and a wolf's head on the left. A serpent connects these heads with its coil and turns back to the right hand of the god ⁽³⁰⁾. In some respect, the description is fairly comparable to the composite sphinx.

Creatures with multi-form heads were not peculiar to Egyptian men-

The dotted body of the Sphinx is apparently simulating the spotted body of the panther but in a crude version. The panther was a companion of Dionysus whose cult found its way into Egypt due to its adoption by the Ptolemies in accordance with claiming their descent from the god ⁽¹⁵⁾. The indication to an attribute of Dionysus might be expressive of fertility ⁽¹⁶⁾. Another suggestion that the artist might have intended to confer vividity on the painting to render it more effective and impressive by adding the dots, is possible.

The Egyptian sphinxes are commonly represented as androsphinxes. Nevertheless, instances of female sphinxes exist ⁽¹⁷⁾. Conversely, the Greek types are confined to female sphinxes ⁽¹⁸⁾.

The male head represented here is encircled by a radiate nimbus; an attribute that maintains the solar significance in the Greek manner. Harpocrates, in many figures from Graeco - Roman Egypt, appears connected with solar attributes through the solar disc ⁽¹⁹⁾ which he wears in addition to the radiate nimbus with which he is endowed in various types ⁽²⁰⁾. He replaced Helios as being associated with Selene in one instance ⁽²¹⁾.

The other two lateral heads of a jackal and a dog might have been connected with Anubis. The jackal was sacred to Anubis ⁽²²⁾. The dog was confounded with the jackal as it was mistakenly looked upon as the sacred animal of Anubis in the Graeco - Roman period ⁽²³⁾. Diodorus

an upright black dagger in each paw and a black cobra is entwined around each leg ⁽³⁾. See the picture.

The composite sphinx, which comprehends such diverse elements, will be our objective.

The sphinx with a lion's body and human head has a solar significance connected with Horus ⁽⁴⁾. The first direct reference to the grand Sphinx goes back to the XVIIIth dynasty. He was called Hor - ern - Akht, i. e., "Horus in the Horizon"; Harmachis of the Greeks. He was conceived as the deity and the guardian of the dead in the New Kingdom ⁽⁵⁾.

The walking type of the sphinx with a single head had occurred as early as the Old Kingdom ⁽⁶⁾ but the sphinx with plurality of heads seems to have no traces before the Graeco - Roman period ⁽⁷⁾. Graeco - Roman Egypt introduced several instances of Sphinxes combining human and animal heads ⁽⁸⁾.

The lion was conceived as a solar animal associated with solar deities ⁽⁹⁾. Among the titles of Horus we find "Horus who is a lion" ⁽¹⁰⁾. Harmachis was represented as a lion - headed man ⁽¹¹⁾. By virtue of his solar attributes, the types of Harpocrates as a sun - god occurred in Graeco - Roman period on some magical gems riding a lion with a radiate nimbus around his head ⁽¹²⁾. He also appears riding a crouching Sphinx in terracotta ⁽¹³⁾ as well as on the Roman Alexandrian coins ⁽¹⁴⁾.

A Composite Sphinx from Karanis

The excavations of the University of Michigan at Karanis (modern Kom Aushim in Fayyum) have yielded a great many monuments and finds such as houses, temples, granaries, barracks, textiles, glass, coins, etc ⁽¹⁾.

A coloured wall painting in a house belonging to the third century A. D. ⁽²⁾ will be the subject of this study.

The painting is represented on a wall of an alcove at the courtyard of the house. It is about one metre above the floor level and measures 1.14m in width and .68m in height. The background of the scene is a coat of thin grayish - white plaster.

The central figure depicts Harpocrates seated on a throne with his left hand holding two lotus flowers and his right hand to his mouth. On both left and right of the legs of the throne stands an Apis bull with a sun disc between his horns. In front of each bull there are traces of an altar. On a maroon stand to the left of Harpocrates there is a three-headed Sphinx outlined, as the figure of the god, by a narrow band of maroon. The Sphinx has a lion's body dotted with maroon and a curved tail in the form of a cobra in maroon and black. The central main head is a human one wearing an Egyptian headdress with a radiate nimbus. On the two sides of the neck's base project a black head of a jackal on the right and a pale red head of a dog on the left. The animal holds

**A COMPOSITE SPHINX
FROM KARANIS**

Mona Haggag

Department of Archaeology and Classical Studies,
Faculty of Arts, University of Alexandria.

تصدر « مجلة كلية الآداب » وأسطواناتها محكمة عن
كلية الآداب بجامعة الإسكندرية وتقدم مخطوطات البحوث
مكتوبة على آلة الكاتبة من ثلاث نسخ . ويجب ألا يزيد عدد
صفحات البحث عن ثمان وأربعين صفحة من القطع المتوسط
مكتوبة على آلة الكاتبة.

تقدم البحوث وتكون جميع المراسلات باسم :

الأستاذ الدكتور محمد عبده مصطفى

رئيس كلية الآداب للدراسات العليا والبحوث ورئيس تحرير مجلة كلية الآداب

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الشاطبي - الإسكندرية

جمهورية مصر العربية

مجلة كلية الآداب مجلس التحرير

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ الدكتور فتحى محمد أبو عيانه

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور محمد عبد معجوب

مدير التحرير

الأستاذ الدكتور محمد بيومى مهران

أعضاء مجلس التحرير

أ.د. سعد زغلول عبد الحميد

أ.د. سلمى محمود جبر

أ.د. عبد الرحمن محمد العيسوى

أ.د. عثمان سليمان موافى

أ.د. عزيزة سعيد محمود

أ.د. غريب سيد أحمد

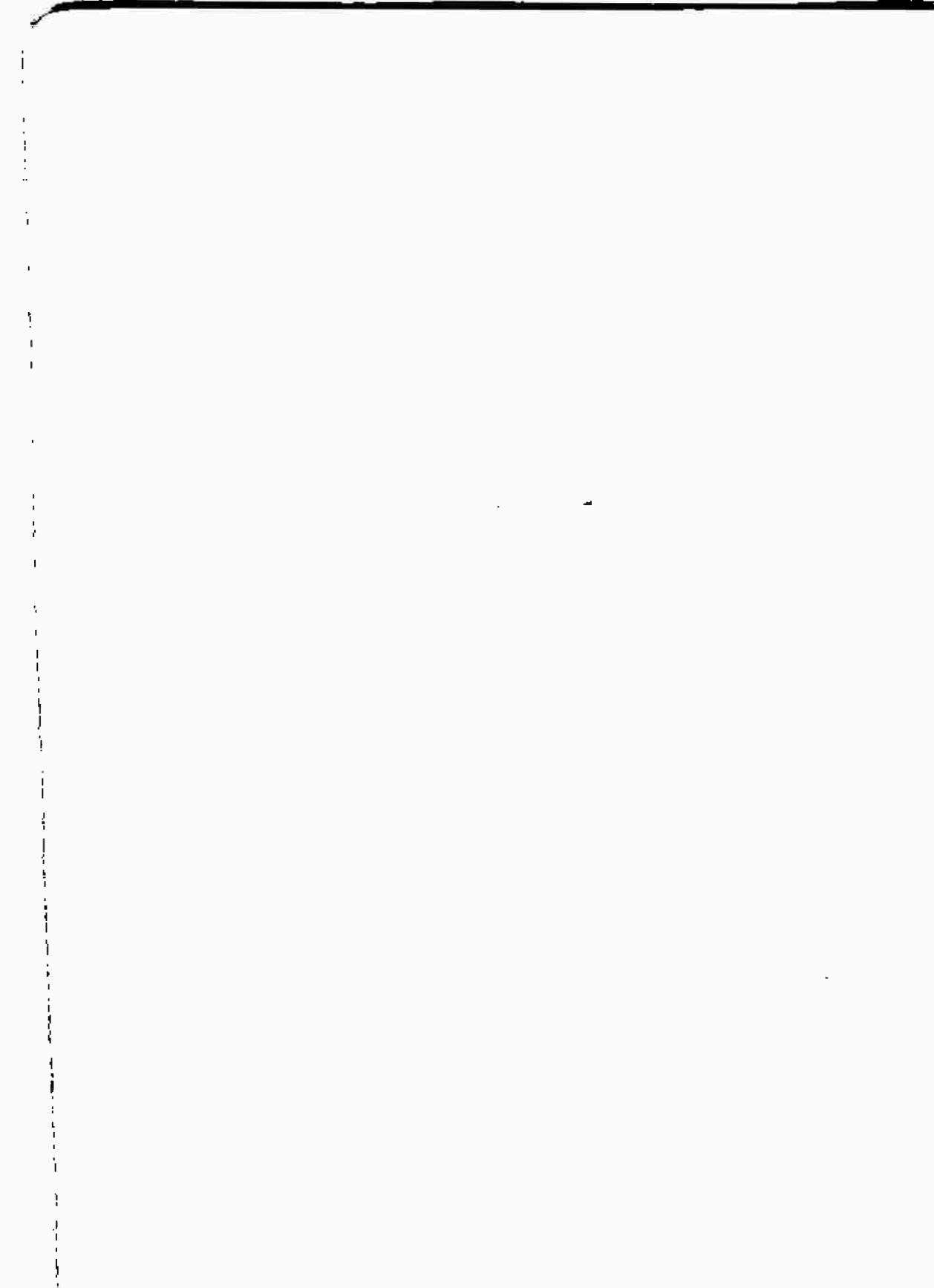
أ.د. محمد عبد الصخر نصر

أ.د. محمد محمد حلمى هليل

أ.د. محمد محمود المروجى

أ.د. نادية محمود عبد الله

المبداة / تسمى إبراهيم عبد الغنى (سكرتيرة المجلس)



المفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
موضوعات الشعر وديوان عابر سبيل	
د. سعاد عبد الرهاف	١
إيران في عصر البشدايين والكيانيين بين السعدي والفردوسي	
د. سميرة عبد السلام عاشور	٦١
رؤية نقدية لمقامات يديع الزمان الهمذاني	
د. نسيمة الغيث	١٢٧
حول تاريخ دخول اليهود بلاد الحجاز	
د. أحمد محمود صابن	٢٠١
التوازن واللاتوازن الإقليمي - دراسة جغرافية تطبيقية علي مدينة	
د. أسامة رشاد جسنية	٢٤٥
د. سامي صلاح النعري	
الجفاف وتأثيراته الأيكولوجية في الوطن العربي	
د. عبد الله رمضان عبد الله الكندري	٢٩٧
اللوتس والسلفيون في التراث الكلاسيكي القديم	
د. حسين الشيخ	٣٤٢
الإسكندر الأكبر وبلاد العرب ضوء جانبي من خلال فكره السياسي	
د. طلوي محمود نصر	٣٦١
والدبني	
الأدوات الطبية في مصر في العصرين اليوناني والروماني	
د. عنايات محمد أحمد	٤٠١
التطهير أم المتعة	
د. ليلى محمد عبد النعم	٤٥٣

أستاذ

الموضوع	رقم الصفحة
أحوال برقة وطرابلس في أوائل العصور الوسطى (٢٨٤١ - ٤٥٥ م)	
د. إبراهيم خميس إبراهيم سلامة	٤٦٥
أثر الظواهر الإيكولوجية والثقافية في اللهجة المغربية بفاس	
د. منال عبد المنعم جاد الله	٤٨٧
ضروس الشاطئ - توزيعها ، تصنيفها ، نشأتها	
د. فتحى عبد العزيز ابو راضى	٥٧١
A Composite Sphinx From Karanis	
Dr. Mona Haggag	١
Behaviour of Beach Fill at the Coast of Alexandria City, Egypt .	
Dr.Fathy. A. Abou - Raddy	17